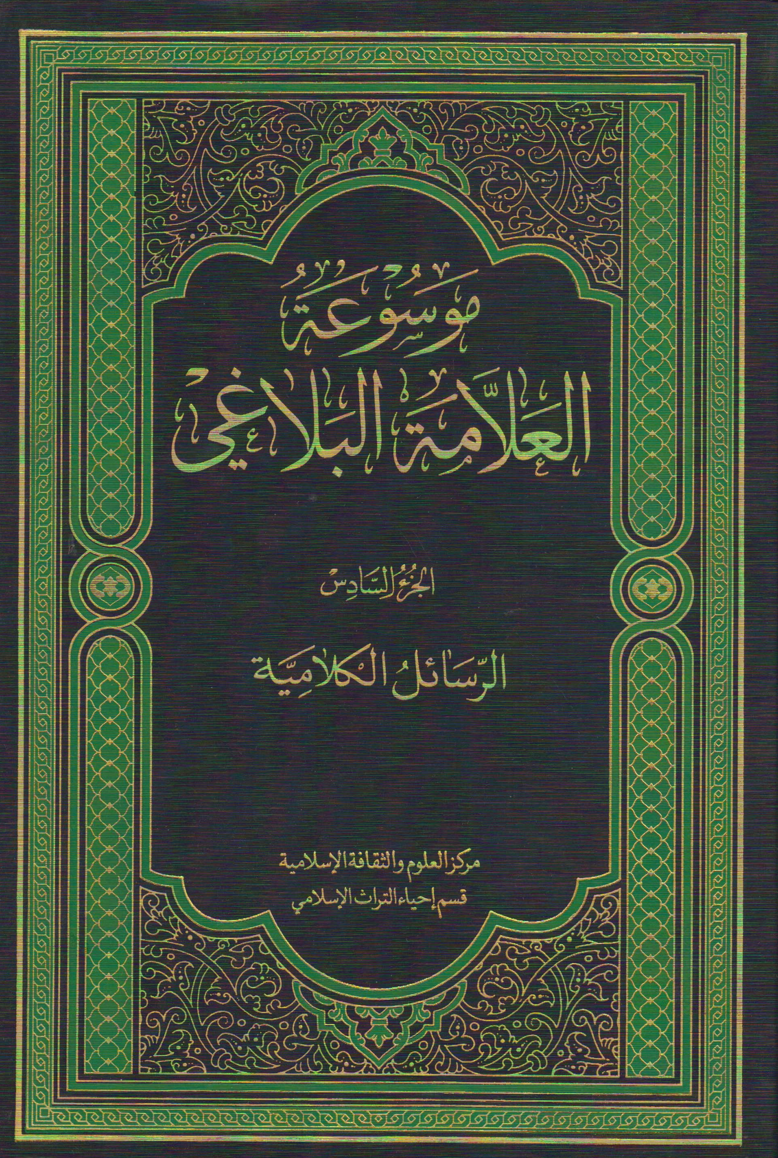

موسوعة
العلامة البلاغي
الجزء السادس
الرسائل الكلامية
مركز العلوم والثقافة الإسلامية
قسم إحياء التراث الإسلامي


بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة

العلّامة الشيخ محمّد جواد البلاغي

# الرسائل الكلاميّة

الجزء السادس

المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلاميّة

مركز إحياء التراث الإسلامي



المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلاميّة

الجزء السادس

**موسوعة العلّامة الشيخ محمّد جواد البلاغي**

**مجموعة من المحقّقين**

إشراف: **علي أوسط الناطقي**

إعداد: مركز إحياء التراث الإسلامي

**الطباعة:** مطبعة الباقري

**الطبعة الثانية:** ١٤٣١ق / ٢٠١٠م

**الكمّيّة:** ١٠٠٠ نسخة



**العنوان:** قم، ساحة الشهداء، المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلاميّة

**الهاتف:** ٠٢٥١ـ٧٨٣٢٨٣٣

**الفاكس:** ٧٨٣٢٨٣٤

**ص. ب:** ٣٧١٨٥/٣٨٥٨

**وب سايت:** www.isca.ac.ir

**البريد الالكتروني:** nashr@isca.ac.ir

موسوعة العلّامة البلاغي/ [تحقيق] مجموعة من المحقّقين؛ [إعداد] المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلامية، مركز إحياء التراث الإسلامي. ـ قم: دفتر تبليغات اسلامى، پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامى، ١٣٨٦.
٩ ج.

ISBN: 978-964-2636-30-3
ISBN: 978-964-2636-31-0
ISBN: 978-964-2636-32-7
ISBN: 978-964-2636-33-4
ISBN: 978-964-2636-34-1
ISBN: 978-964-2636-35-8
ISBN: 978-964-2636-36-5
ISBN: 978-964-2636-37-2
ISBN: 978-964-2636-38-9
ISBN: 978-964-2636-39-6

فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
كتابنامه.
مندرجات: ج صفر. المدخل، حياة العلّامة الشيخ محمّدجواد البلاغي. ج ١ ـ ٢. آلاء الرحمن في تفسير القرآن. ج ٣ ـ ٤. الهدى إلى دين المصطفى. ج ٥ . الرحلة المدرسيّة. ج٦ . الرسائل الكلامية. ج ٧ . الرسائل الفقهية. ج٨ . رسائل متفرقة. الفهارس العامّة.
١. اسلام ـ مجموعه‌ها. ٢. بلاغى، محمد جواد، ١٢٨٣ ـ ١٣٥٢ق. ٣. كلام شيعه اماميه ـ مجموعه‌ها. الف. المركز العالي للعلوم والثقافة الاسلامية، مركز إحياء التراث الإسلامي. ب. عنوان.

٢٩٧/٠٨ BP/٦/٤م٨
١٣٨٦

# دليل
## موسوعة العلّامة البلاغي

**الجزء السابع = الرسائل الفقهيّة**

١٣ ـ ١٧. العقود المفصّلة:

١. عقد في قاعدة على اليد ؛

٢. عقد في تنجيس المتنجّس ؛

٣. عقد في بعض مسائل العلم الإجمالي ؛

٤. عقد في مسألة الصلاة في اللباس المشكوك فيه ؛

٥. عقد في إلزام غير الإمامي بأحكام نحلته .

١٨. تعليقة على بيع المكاسب

١٩. رسالة حرمة حلق اللحية

**الجزء الثامن**

**رسائل متفرّقة:**

٢٠. رسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام

٢١. مراسلاته

٢٢. شعره

**الفهارس العامّة**

## مقدّمة التحقيق

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمّد وآله الطاهرين.

قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فإذا هُوَ زاهِقٌ و لَكُمُ اَلوَيْلُ ممَّا تَصِفونَ﴾ صدق الله العليُّ العظيم.

بين يديك أيّها القارئ الكريم هذه المجموعة العلميّة النادرة من الرسائل الكلاميّة الباهرة التي أفردنا لها جزءاً مستقلّاً من هذه الموسوعة الحافلة بالمآثر السَّنيّة لشيخنا العلّامة الشيخ محمّد جواد البلاغي أعلى الله مقامه في دار المُقامة؛ والتي اعتمد ﷺ فيها الحوار العقلي والبرهان النقلي، والأدب القويم والخُلُق الكريم في حجاجه المتين وردّه الرّصين على صنوف المتحذلقين من مبشّرين ووهابيّين، ومكذّبين ومعاندين، ومكابرين ومدّعين، وغيرهم من المرجفين والمجترئين، فجاءت بتسعة أبواب.

وبالنظر لأهميّة تلك المادّة التحقيقيّة الوثائقيّة، فقد أفردنا لكلّ رسالة فصلاً مستقلّاً نسلّط الضوء عليها حسب ما تقتضيه مقدّمتنا هذه.

# ١ ـ أنوار الهدى

خصّص العلّامة البلاغي هذه الرسالة لردّ شبه الملاحدة، فردّ على من يسمّيه بالمكاتب وهو رجل كان جلّ اعتماده على شبهات شبلي شمّيل في مجموعته، وفي كتاب آرائه.

وهذه الشبه ناشئة عمّا شاع في أوائل القرن العشرين في بلادنا من أفكار داروِن وكتابه أصل الأنواع، ومن أفكار بعض فلاسفة الغرب الذين كانوا ضدّ الدين، ولا يقيمون للتديّن وزناً. وهو ميدان مهمّ من ميادين كفاح الشيخ البلاغي حيث ردّ تلك الشبه ببراهين ناصعة، وهي شبه تعدّ اليوم واهيةً مثل ما جاء به داروِن من أنّ أصل الإنسان يعود إلى القرد، و ذلك مخالف لجميع الأديان السماويّة، ولكنّها في زمانها كانت أدلّة! يتشبّث بها كلّ مارقٍ عن الدين وملحد.

ورتّب الشيخ تلك الردود على مقدّمة وثلاثة مقاصد، وجعل كلّ مقصد في عدّة فصول، يذكر فيه كلام صاحب الرسالة ثمّ يشرع بردّه ردّاً علميّاً فجاءت بشكل كتاب متكامل.

وقد تمّ تأليفه في النجف الأشرف في ٢٢ من ذي القعدة عام ١٣٣٩هـ.

وطبع بعد عام من تأليفه في النجف الأشرف، ثمّ توالت طبعاته، فطبع ببيروت ثمّ في قمّ.

وترجم إلى اللغة الأُورديّة، وطبع في لكنهو في الهند.

وقد قام بمهمّة تحقيقه الأُستاذ أسعد الطيّب حفظه الله و رعاه. فللّه دره وعليه أجره.

## ٢ ـ البلاغ المبين

مكالمة روائيّة بين موحّد وملحد؛ كتبه بأُسلوب جديد وفي قوالب عصريّة لإثبات الصانع تعالى وإيصال مفهوم العبوديّة لله تعالى والغاية من خلق البشر إلى أُولئك الذين هم في غفلة عن إدراك تلك المطالب العالية ووعي المسؤوليّات المترتّبة عليهم، فجاء على نسق الحواريّات كما هو الحال في الأدب الروائي.

ذلك الأُسلوب الذي يستهوي جيل الشباب ويغريهم بمتابعة القراءة في عصرٍ ثقل على النفوس قراءة الكتب ومطالعتها للاستزادة من شتّى حقول العلم والمعرفة والفكر، في حين سهل عليها التركاض وراء ما يضرّها ولا ينفعها، حتّى غدت البشريّة تموج في فراغ فكري أوردها المهالك.

وقد ذكره الشيخ آقا بزرك الطهراني‌ﷺ في ذريعته وقال:

> البلاغ المبين في إثبات الصانع تعالى بالطرز الحديث المأنوس للأذهان الصافية، وهو كسائر تصانيفه باكورةٌ في مواضيعه[١].

وفي الحوار الدائر بين شخصيّتَي الرسالة، يضرب الشيخ البلاغي‌ﷺ الأمثال، ويورد الحجج العقليّة لإثبات الخالق الصانع سبحانه، و وجوب عبادته وإطاعة أوامره.

علماً بأنّ بعض الأمثلة التي أوردها الشيخ البلاغي‌ﷺ التي عُدّت يوم تأليف الرسالة ونشرها ـ قبل أكثر من سبعين عاماً ـ من المخترعات الجديدة والمستحدَثات التي ينبغي إعمال الفكر فيها واستلهام العبر منها، في حين أنّها تُعدّ اليوم من المألوفات التي لا يُلتفت إليها.

كما أنّه‌ﷺ ضرب أمثلة لم يكن يقصد بها الانتقاص أو الإهانة لقوم أو ملّة، وإنّما جرت منه على مجرى الحكايات.

---

١. الذريعة ٣: ١٤٠، الرقم ٤٨١.

فتبرز هنا منزلة هذا البحث الذي ينبّه العقل الإنساني لإعمال فكره ونظره في كلّ ما حوله، قديمه وجديده، للوصول إلى الغاية المنشودة.

طبعت هذه الرسالة لأوّل مرّة في مطبعة الآداب ببغداد سنة ١٣٤٨هـ، في ٤٧ صفحة، بتصحيح السيّد عبد المطّلب الحسيني الهاشمي، صاحب مجلّة الهدى التي كانت تصدر في مدينة العِمارة العراقيّة.

وقد تصدّى لتحقيقه وتنقيحه الأُستاذ محمّد عليّ الحكيم، فللّه درّه وعليه أجره.

## ٣ ـ مسألة في البداء

من المسائل العقائديّة المهمّة التي امتازت بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، دون بقيّة المدارس الإسلاميّة ، هي القول بالبَداء . وقد بحثها علماؤنا ـ رضوان اللّه تعالى عليهم ـ في كتبهم العقائديّة والكلاميّة وغيرها، بل وأفردوا لها مصنّفات مستقلّة، أثبتوا فيها صحّة اعتقادهم ؛ معتمدين على كتاب اللّه وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وأحاديث أهل البيت عليهم السلام .

والرسالة هذه هي واحدة من تلك الرسائل الكثيرة التي اُلّفت في هذا الموضوع، كتبها العلّامة المجاهد الشيخ محمّدجواد البلاغي جواباً على سؤال وردَ عليه عن مسألة البداء .

وعلى الرغم من كونها صغيرة الحجم، إلّا أنّها تعتبر من أفضل ما كتب في موضوع البداء ، فهي متينة المحتوى، قويّة السبك ؛ ابتدأ فيها بتعريف البداء والمحو والإثبات ؛ ثمّ بيّن معاني البداء لغة ، وأيّ منها ينطبق على المعنى الشرعيّ الصحيح، وأنّ مقام المحو والإثبات هو غير مقام أُمّ الكتاب وعلم الله المكنون ومشيئته وإرادته الأزليّة .

طُبعت هذه الرسالة أوّلاً سنة ١٣٧٤هـ باسم «مسألة في البَداء» في آخر المجموعة الرابعة من سلسلة نفائس المخطوطات التي كان يصدرها في بغداد المرحوم المغفور له الشيخ محمّدحسن آل ياسين.

وطُبعت ثانيةً في مدينة قمّ المقدّسة سنة ١٤١٤هـ منضمّةً مع رسالة البَداء لمرجع الطائفة المرحوم المغفور له آية اللّه العظمى السيّد أبي القاسم الخوئي رحمه الله، قام بتصحيحهما الأُستاذ السيّد محمّدعليّ الحكيم حفظه اللّه ورعاه.

وقمنا بمراجعتها، وإصلاح ما زاغ عنه البصر، وإجراء الأُمور الفنّيّة المتّبعة في تحقيق موسوعة العلّامة البلاغي.

# ٤ ـ التوحيد والتثليث

رسالة كتبها العلّامة البلاغي ردّاً على رسالة جاءته من نواحي سوريا، يعترض فيها المُرْسِل ـ الذي لم يذكر اسمه ـ على مسألة التوحيد، ويحاول بأدلّة واهية إثبات معتقده في التثليث.

قسّم المصنّف أجوبته ـ وفق إشكالات المرسل ـ إلى اثنين وأربعين جواباً، ردّ فيها على تلك الإشكالات الواهيّة ردّاً علميّاً دقيقاً، وبأُسلوب عصري وأدبي رائع، استطاع من خلاله بيان الحقّ وإثبات التوحيد بأدلّة قويّة غير قابلة للردّ.

طبعت هذه الرسالة أوّلاً في صيدا سنة ١٣٣٢هـ.

وثانية سنة ١٤١١هـ في مؤسّسة قائم آل محمّد ـ عجّل الله فرجه الشريف ـ في مدينة قمّ المقدّسة، إذ قام بتصحيحها الأُستاذ السيّد محمّد عليّ الحكيم، وأثبت في آخرها قائمة بأسماء الكتب التي ألّفها المسلمون في ردّ هجمات المبشّرين.

وثالثة سنة ١٤١٢هـ في دار المؤرّخ العربي في بيروت، وهي طبعة مصوّرة عن الطبعة الثانية، وقد حذفت منها قائمة أسماء الكتب.

وقد قمنا بإعادة النظر فيها، وإصلاح ما زاغ عنه البصر وإجراء الأُمور الفنّيّة المتّبعة في تحقيق موسوعة العلّامة البلاغي.

## ٥ ـ أعاجيب الأكاذيب

رسالة أُخرى من الرسائل التي ألّفها العلّامة المجاهد آية الله الشيخ محمّد جواد البلاغي في الردّ على النصارى وبيان مفترياتهم والكشف عن أكاذيبهم؛ إذ ذكر فيها افتراءات بعض المبشّرين وجرأة بعض مؤلّفيهم على أنبياء الله؛ إذ نسبوا لهم بعض الأعمال الرذيلة التي يترفّع عنها أيّ إنسان يتمتّع بعقل سليم ونفس صافية، فضلاً عن أنبياء الله ورسله الذين نعتقد بعصمتهم.

ولم يكتفِ المبشّرون بذلك فقط، بل تعدّوه إلى أكثر من ذلك، فنسبوا للقرآن الكريم أقوالاً لا وجود لها فيه أبداً، وهم يعلمون أنّ بين المسلمين أُناساً يطالعون كتبهم، ويصلون الليل بالنهار بحثاً عن الحقيقة، ودفاعاً عن دينهم الحنيف.

ومن هؤلاء ـ بل وفي مقدّمتهم ـ علّامتنا البلاغي ـ رضوان الله تعالى عليه ـ إذ شمَّرَ عن ساعد الجدّ، وبيّن بأُسلوب علمي دقيق وسلس أكاذيب أربعة كتب ألّفها بعض المبشّرين لإغواء الناس، وهي: كتاب الهداية، وكتاب هاشم العربي، وكتاب رحلة الغريب بن العجيب، وكتاب ثمرة الأماني.

طبعت هذه الرسالة أوّلاً في المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف سنة ١٣٤٥هـ.

وثانية في دار الإمام السجّاد عليه السلام في قمّ المقدّسة سنة ١٤١٢هـ، بتصحيح الأُستاذ السيّد محمّد عليّ الحكيم.

وثالثة في دار المرتضى في بيروت سنة ١٤١٣هـ، وهي طبعة مصوّرة عن الطبعة الثانية.

وترجمت إلى اللغة الفارسيّة باسم «شگفت‌آور دروغ»، وطبعت في النجف الأشرف سنة ١٣٤٢هـ. بتوقيع «عبدالله الايراني» وقد ينسب هذه الترجمة إلى البلاغي نفسه. ولكنّ المستفاد من رمز اسم المترجم بـ«ع. و» أنّ المترجم هو الشيخ محمّد علي العلّامة الوحيدي الكرمانشاهي الذي ترجم أيضاً كتاب الرحلة المدرسية إلى الفارسيّة.

وقد قمنا بإعادة النظر فيها على طبعتها الثانية، وإصلاح ما زاغ عنه البصر.

## ٦ ـ دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى

ذكرَ أغلب المُترجِمين للعلّامة البلاغي ـ قدّس الله سرّه ـ أنّ له رسالتين اثنتين مطبوعتين في ردّ الوهّابيّة.

فقد ذكر الشيخ آقا بزرك الطهراني رسالة دعوة الهدى في الذريعة ٨: ٢٠٦، الرقم ٨٤٣، وأنّها مطبوعة في سنة ١٣٤٤هـ، وذكر الرسالة الثانية في الذريعة ١٠: ٢٣٦، الرقم ٧٤٠.

وذكرهما أيضاً في نقباء البشر في القرن الرابع عشر ١: ٣٢٥ ضمن تعداده لكتب الشيخ البلاغي المطبوعة، ولم يُصرّح باسم الرسالة الأُولى أو بتأريخ طبع الرسالتين أو إحداهما.

وذكرهما له أيضاً السيّد محسن الأمين العاملي في أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦ بالرقمين ١٢ و ١٣، ولم يُصرّح بعنوان خاصّ لإحداهما أو بتأريخ طبعهما.

كما ذكرهما له الأُستاذ المحامي توفيق الفكيكي ضمن مؤلّفاته المطبوعة، في مقدِّمته للطبعة الثانية من كتاب الهدى إلى دين المصطفى ص ١٣، بالتسلسلين ٩ و ١٠، ولم يُصرّح بعنوان خاصّ لإحداهما أو بتأريخ طبعهما أيضاً.

وهما رسالتان ردّ فيهما البلاغي على عقائد الوهّابيّة وآرائهم وفتاويهم، إثر الاستفتاء الذي وجّهه قاضي القضاة في الحجاز الشيخ عبدالله بليهد لعلماء المدينة المنوّرة يسألهم عن حكم جواز البناء على القبور، وتقبيل الأضرحة، والذبح عند المقامات.

فأجاب علماء المدينة ـ وكان عددهم خمسة عشر عالماً ـ بحرمة ذلك، ووجوب منعه.

وقد نُشر هذا الاستفتاء وجوابه في جريدة أُمّ القرى الصادرة في الحجاز في عددها التاسع والستّين في ١٧ شهر شوّال ١٣٤٤هـ، وعلى أثره قام الوهّابيّون بهدم مراقد أئمّة

أهل البيت عليهم السلام في بقيع الغرقد في المدينة المنوّرة، والقبور الموجودة في مقبرة المعلى في الحجون في مكّة المكرّمة، والمراقد الموجودة في الطائف.

والرسالة الأُولى ـ أي دعوة الهدى ـ عبارة عن محاضرة ألقاها العلّامة البلاغي على بعض تلامذته في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٤٤هـ

فردّ على فتاوى علماء المدينة المنوّرة وأدلّتهم إذ أورد أوّلاً أقوالهم، ثمّ بدأ بمناقشتها مناقشة علميّة وفقهيّة.

ففي حكمهم بمنع البناء على القبور ناقشهم في ادّعائهم الإجماع، وأثبت عدم انعقاده مطلقاً. وناقش في سند ومتن حديث أبي الهيّاج الذي استدلّوا به على الحرمة.

وردّ فتاواهم بمنع اتّخاذ القبور مساجد والصلاة عندها وإيقاد السُرج عليها، ببيان معنى المسجد لغة واصطلاحاً، وأنّ المراد من حديث ابن عبّاس «لعن رسول الله صلى الله عليه وآله زائرات القبور ...» هو أن تجعل القبور قبلة يسجد عليها كالوثن، وهذا ما تحكم الشيعة أيضاً بحرمته.

ثمّ بدأ بردّ فتاواهم بحرمة التوجّه إلى حجرة النبيّ صلى الله عليه وآله عند الدعاء، والتبرّك والاستشفاع والتمسّح بالأضرحة المباركة.

وقد قام العلّامة الشيخ محمّد عليّ الأُوردبادي ـ م ١٣٨٠هـ ـ بتدوين هذه المحاضرة، ثمّ طبعها بعنوان دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى. في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٤٤هـ.

وطبعت ثانية سنة ١٤٢٠هـ بتحقيق الأُستاذ السيّد محمّد عبدالحكيم الصافي، ونشر دار المحجّة البيضاء في بيروت.

واعتمدنا في طبعها ضمن هذه الموسوعة على طبعتها الثانية، وقمنا بمراجعتها وإعادة النظر فيها، مراعين المنهج المتّبع في تحقيق الموسوعة العلّامة البلاغي.

## ٧ ـ الردّ على الوهابيّة

وهي الرسالة الثانية في ردّ الوهّابيّة وعقائدهم.

رسالة صغيرة الحجم، كبيرة المحتوى، بعيدة عن التطويل المُملّ أو الاختصار المخلّ، فقد اشتملت ـ بالرغم من صغرحجمها ـ على جلّ المباحث اللازمة في الردّ على عقائد الوهّابيّة وآرائهم، وامتازت ـ كسائر رسائله ﷺ ـ بإيفاء الموضوع حقّه، بالحجّة القاطعة، والأدلّة النقليّة الساطعة؛ فقد اعتمد المؤلّف‌ﷺ في بحثه على أُمّهات المصادر المعتمدة لدى عامّة المسلمين، لدحض شبهات هذه الفرقة الضالّة، وإثبات مراده، مضافاً إلى ذلك دماثة الأخلاق والأدب الرفيع في المناقشة والمناظرة.

وقد جعلها المصنّف في مقدّمة وخمسة فصول:

وفي المقدّمة بيّن سبب تأليفه لهذه الرسالة وأشار إلى سؤال قاضي بليهد وجواب علماء المدينة بحرمة البناء على القبور ووجوب منعه.

وفي الفصلين الأوّل والثاني بحث الموضوع من ناحية كلاميّة، كوجوب التوحيد في العبادة، ووجوب خلوص النيّة في عبادة الله، والتوحيد في الأفعال.

وفي الفصل الثالث أوضح على أنّ البناء على قبور الأنبياء والعباد الصالحين هو تعظيم لشعائر الله.

وفي الفصل الرابع استشهد على جواز الصلاة وإيقاد السرج بسيرة المسلمين. وبيّن أنّ المذموم في الأحاديث هو اتّخاذ المسجد عند القبر.

وفي الفصل الخامس بيّن أنّ الذبح والتقرّب إنّما يكون لله سبحانه وتعالى. وأوضح بأنّ الذبح والقربان الذي يقوم به المسلمون إنّما هو عن الميّت لا للميّت.

طبعت هذه الرسالة أربع مرّات:

الأُولى: في النجف الأشرف خالية من اسم الرسالة، وكان الفراغ منها في ليلة ١٤

ربيع الأوّل ١٣٤٥هـ. وكعادة البلاغي ﷺ في تصانيفه فإنّه لم ينه الرسالة باسمه الصريح، وإنّما أنهاها بتوقيع «عبدالله، أحد طلبة العراق»[١].

الثانية: في مجلّة تراثنا الصادرة في مدينة قم المقدّسة في عددها المزدوج ٣٥ و٣٦. الصادرة في شهر رمضان سنة ١٤١٤هـ بتحقيق السيّد محمّد علي الحكيم حفظه الله ورعاه.

الثالثة: طبعت مستقلّة في مدينتي قم وبيروت سنتي ١٤١٤ و١٤١٩هـ. نشر مؤسّسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث.

الرابعة: في مدينة قم، خالية عن اسم الناشر ومكان الطبع وزمانه، ضمن سلسلة «على مائدة الكتاب والسنّة» رقم ١٧، باسم «الوهابيّة وأُصول الاعتقاد».

وقد قمنا بمراجعتها وإعادة النظر فيها وإصلاح ما زاغ عنه البصر، مراعين المنهج المتّبع في تحقيق موسوعة العلّامة البلاغي قدّس الله سرّه.

---

١. كما في كتبه: الهدى إلى دين المصطفى في طبعته الأُولى؛ والتوحيد والتثليث؛ و أعاجيب الأكاذيب و قد أنهاه بتوقيع عبدالله العربي؛ وأنوار الهدى، وقد وضع عنوان المراسلة معه على الصفحة الأُولى باسم: كاتب الهدى النجفي؛ والبلاغ المبين وأنهاه بتوقيع عبدالله، وغيرها.

## ٨ ـ نسمات الهدى ونفحات المهدي

واحدة من الرسائل النفيسة التي كتبها العلّامة الشيخ محمّد جواد البلاغيّ ردّاً على مقالة نشرت في مجلّة السياسة المصريّة العدد ٩٦، السنة الثانية، بعنوان «المهدي المنتظر نشأته وأطواره في التأريخ»، كتبها الدكتور زكي نجيب محمود (م ١٤١٤هـ). فيها افتراءات وشبهات طعن بها على عقائد الشيعة الإماميّة الاثني عشريّة، ولم تكُ تلكَ الافتراءات والشبهات إلّا صدىً لِما تقوّله مَن سبقه مِن المعاندين المكابرين؛ إذ أثار فيها قضيّة الاعتقاد بالإمام المهديّ، وسرداب الغَيبة، وقيام الإمام الحسين بوجه الظلم، والإمامة عند الشيعة، وعبدالله بن سبإ.

فردّها الشيخ البلاغي بالأدلّة والبراهين القويّة، معتمداً في ذلك على ما ورد في أُمّهات مصادر أهل السُنّة فيما يخصّ الأُمور المشتركة، كيما تكون الحُجج ألزم وأدعى للقبول، كما عضّد ذلك بما ورد من طرق الشيعة.

ففي ردّه على التشكيك بالمهدي استدلّ بثمانية عشر حديثاً أخرجها كبار محدّثي أهل السنّة في مجاميعهم الحديثيّة كالصحاح الستّة وغيرها.

وفيما عدا ذلك فقد اعتمد ـ كعادته ـ على الحوار العقلي بأدبٍ جَمٍّ وخُلق رفيع.

وكعادة الشيخ البلاغي في تصانيفه فإنّه لم ينهِ الرسالة باسمه الصريح، وإنّما أنهاها بتوقيع «ب» إشارةً إلى لقبه.

طُبعت هذه الرسالة لأوّل مرّة في مجلّة العرفان اللبنانيّة، المجلّد ١٨، الجزءين الأوّل والثاني، ربيع الأوّل والآخر ١٣٤٨هـ، قسم المراسلة والمناظرة.

وثانية في مجلّة تراثنا الصادرة في مدينة قم المقدّسة في العدد الخامس والستّين سنة ١٤٢٢هـ بتحقيق الأُستاذ السيّد محمّد علي الحكيم حفظه الله ورعاه.

واعتمدنا في طبعها ضمن هذه الموسوعة على الطبعة الثانية لها، وقمنا بإعادة النظر فيها، ورفع نقائصها، وإصلاح ما زاغ عنه البصر.

## ٩ ـ نصائح الهدى

تعدّ هذه الرسالة من أفضل ما كتب في الردّ على البابيّة والبهائيّة، وقد تعرّض العلّامة البلاغي فيها لمجمل عقائدهم وادّعاءاتهم وشبهاتهم، فنقضها وردّها في أقسام ثلاثة بعد تمهيده ومقدّمته.

ففي مقدّمتها أوضح منشأ البابيّة وشيئاً يسيراً من عقائدهم وكتبهم.

وأورد في القسم الأوّل ثلاث مقالات فيما كان يفترض بالبابيّة أن تقوله. ثمّ شرع بردّ هذه المقالات، وأورد نصوص عبارات مؤسّس البابيّة من كتبه: أحسن القصص، قيّوم السماء والبيان، الدالّة على ادّعائه النيابة ثمّ المهدويّة ثمّ النبوّة.

وذكر في القسم الثاني نحو عشرة من موانع الاعتقاد بالبابيّة والبهائيّة، ضمّن المانع الثاني ١٤ فصلاً فيما روي عن أهل البيت المعصومين المطهّرين عليهم السلام من روايات وأحاديث، استقاها من مصادر الفريقين، كيما يكون البرهان أقوى والحجّة ألزم؛ وقد اشتملت هذه الفصول على ١١٠ حديثاً، وجاء في الفصول الأُخرى بضعة عشر حديثاً، فَرَبى ما في الكتاب كلّه على ١٤٩ حديثاً.

وخصّص القسم الثالث لذِكر ثماني شبهات، هي عمدة ما احتجّت بها البابيّة والبهائيّة للتمسّك بعقيدتهم الباطلة، وأجاب عنها الجواب الشافي بالأدلّة البيّنة والحجج المفحِمة؛ وبذا تمّ الكتاب.

وقد ضمّن العلّامة البلاغي رحمه الله فصول بحثه هذا مباحث لغويّةً وكلاميّةً وتأريخيّةً، كما ترجم لرؤوس هذه الفرق الضالّة، وعرض تأريخ حياتهم ونشوء فرقهم، موزّعةً بين ثنايا البحث.

علاوةً على كلّ خصوصيّات هذا البحث وفوائده، فإنّ فيه ميزة أُخرى نادرة، وربما فريدة في نوعها، ألا وهي نقله مباشرةً عن كتابي الغَيبة و الرجعة لأبي محمّد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزدي النيشابوري، المتوفّى سنة ٢٦٠هـ.

وهما كتابان يُعدّان من الكتب المفقودة التي لا أثر لها اليوم.

وقد صرّح العلّامة البلاغي ﵀ بنقله من كتاب «الغَيبة» حين عدّه ضمن المصادر التي استخرج منها منقولاته، فقال:

ولكنّا ندلّ على الكتب التي نستخرج منها هذه الأخبار، ونذكر مصنّفيها، وتأريخ عصرهم، ليتيسّر لك مراجعتها، لتطّلع على الأخبار بطولها ونصّها وسندها....

ومن كتاب «الغَيبة» للفضل بن شاذان....

وقال كذلك: «ولكن لا بأس أن نذكر شيئاً ممّا في... وكتاب «الغَيبة» للشيخ الجليل...، الفضل بن شاذان».

فنقل من كتاب «الغَيبة» نحو تسعة عشرة حديثاً، وهي الأحاديث ٨، ١٢، ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٥٨، ٨٠، ٨٨، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٤٨.

ونوّه كذلك بنقله من مصادر أُخرى فقال: «وغيرها من الكتب التي نصرّح بأسمائها». فنقل من كتاب «الرجعة» حديثاً واحداً، هو الحديث ١٤٠.

ومن ذلك يظهر جليّاً مدى خطر ونفاسة ما كان يمتلكه العلّامة البلاغي ﵀ في مكتبته من أُمّهات مصادرنا الحديثيّة؛ وفي ذلك بارقة أمل لأن يسعى ذووالهمّة والحرص على تراثنا النفيس، لاستحصال نسختَي الكتابين وإحيائهما، لِما فيهما من ثروة علميّة عظيمة ربّما لا نجد منها في غيرهما إلّا النزر اليسير!

طُبعت على شكل كتاب؛ أوّلاً في مطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٣٣٩هـ، وهو ـ كالمعتاد ـ لم يحمل اسم المؤلّف الصريح أو ما تخلّص به من أسماء مستعارة، وإنّما حمل اسم ناشره، وهو عبد الأمير الحيدري البغدادي.

وطبعت ثانية في قم المقدّسة سنة ١٤٢٣هـ، ضمن منشورات دليل ما، تحقيق الأُستاذ السيّد محمّد علي الحكيم.

وقد ترجمها إلى الفارسيّة السيّد عليّ العلّامة الفاني الأصفهاني (م ١٤٠٩هـ) تحت

عنوان: نصيحت بفريب خوردگان باب وبهاء، وصدر في أصفهان سنة ١٣٦٩هـ. ثمّ أُعيد طبعها في قمّ سنة ١٤٠٥هـ.

واعتمدنا في طبعها ضمن هذه الموسوعة على الطبعة الثانية، وقمنا بمراجعتها وإعادة النظر فيها، مراعين المنهج المتّبع في تحقيق موسوعة العلّامة البلاغي ﷺ.

نرجو من الله ـ جلّ وعلا ـ المزيد من التوفيق في خدمة شريعة سيّد المرسلين والذبّ عن حُرَم أهل بيته ﷺ.

فإلى البلاغي وحججه وبراهينه وكفاحه ضدّ الملاحدة والمنحرفين. فليدخل القارئ ليرى كيف تقرع الحجّةُ الشبهةَ فإذا هي هباء منثور.

علي أوسط الناطق

قم المقدّسة ـ إيران، ربيع المولود ١٤٢٨

(١)

# أنوار الهدى

تحقيق

أسعد الطيّب

## بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين

الحمد لله خالق الخلق بمشيئته، ومقدّر الأُمور بحكمته، وأفضل الصلاة والسلام على أنبيائه، ورسله وأُمنائه أعلام الهدى، وحججه على الورى.

وبعد، فقد وافتنا رسالة من متهوّل من شبهات الإلحاد و غيرها طالباً حلّ مشكلاتها، فكان علينا أن نقوم بواجبها مبلغ الجهد، ومن الله التيسير والتوفيق، فكتبنا ما وسعه الوقت مؤثرين الاختصار. وقد وجدنا أكثر الشبهات التي ذكرها المكاتب يشبه أن يكون مصدرها محرّرات الدكتور شبلي شمّيل في مجموعته التي طبع الجزء الأوّل منها في مطبعة المقتطف سنة ١٩١٠م، والجزء الثاني في مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٠٨م[١]. وفي كتاب آرائه المطبوع في مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩١٢م[٢]؛ وحيث لم يتيسّر لنا كتاب عربي في موضوعها غيرها كان تعرّضنا لها. فإذا أشرنا إلى الصحيفة بالعدد فمن المطبوع المذكور، وإذا أطلقنا الإشارة فمرادنا الجزء الأوّل من المجموعة. ومهما كان فإن تعرّضنا للمقول لا للقائل، وحسبنا الله هادياً ومعيناً، وقد رتّبنا الجواب على مقدّمة فيها نظرات تمهيديّة ، ومقاصد، وذكرنا كلام المكاتب بنصّه في ضمن فصول.

في ٢٢ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣٩
النجف الأشرف

---

١ و٢. في معجم المطبوعات العربيّة، ص ١١٤٤ ـ ١١٤٥، سنة ١٩١٠ و١٩٢٢م.

النظرة الأُولى: لا يخفى أنّ كلّ إدراك ممّا عدا التصوّرات الجزئيّة الناشئة من إحساس المشاعر لا غنى له عن العقل، وكلّ علم مدوّن إنّما هو تدريب على السلوك في جادّة العقل؛ ليستفاد منه الإدراك الكلّي و الجزئي بواسطة كبراه التي هي معقول صرف، وصغراه التي تضمّ إليها بالحمل أو الاستثناء محسوسة أو معقولة، فضلاً عن أنّ ترتيب القياس وإنتاجه من المعقول الصرف أيضاً.

ألا ترى أنّ أقرب العلوم إلى الحسّ ـ كالهندسة و الحساب ـ لا يجدي الحسّ في كبراه العلميّة ما لم تتكفّل بها مقدّمة عقليّة صرفة؟! فإنّ قولنا: كلّ زوج منقسم بمتساويين لا تستند بداهته إلى الحسّ لولا مقدّمة لا مدرك لها إلّا العقل، وهي الحكم بالملازمة والمساواة في الصدق بين الزوجيّة والانقسام بمتساويين.

فإنّ النظر إلى الجزئيّات المحسوسة مهما بلغ بالتتبّع ـ و لو بصرف العمر دائماً ـ لا يفيد إلّا استقراءً ناقصاً، غاية ما يفيده من الإدراك هو أدنى مراتب الظنّ. فهب أنّ الإنسان أحسّ ببصره أو لمسه أنّ جميع صور الأزواج باعتبار التبادل من العشر مليارات من المعدود الخاصّ هي منقسمة بمتساويين، فماذا يجديه ذلك في غير هذا العدد وهذا المعدود؟ ولا إغراق إذا قلنا: لا يجدي إلّا بأضعف الظنّ، وكذا الكلام في قولك في الفرد أنّه لا ينقسم بمتساويين، وكذا قولنا: العدد إمّا زوج وإمّا فرد، وكذا قولنا: كلّ دائرة تكون الخطوط المستقيمة الخارجيّة منها إلى مركزها متساويةً، وقس على

ذلك جميع ما ذكروه في صدور الهندسة والحساب، فضلاً عن أشكالها. وما الكرامة في هذا كلّه إلّا لحكم العقل بالملازمة التي نبّه عليها الاطّلاع على بعض المحسوسات. وما حياة هذه الملازمة وحركتها إلّا بروح الوجوب والامتناع واعتماد العقل عليهما. وما الحياة والحركة للحكم بالمنفصلة الحقيقيّة في قولنا: العدد إمّا زوج و إمّا فرد ـ ونحو ذلك من المنفصلات الحقيقيّة ـ إلّا بروح الإمكان والوجوب والامتناع والخضوع لنواميسها بالنسبة إلى كلّي العدد ـ مثلاً ـ ومصاديقه.

نعم، إنّ ما ذكرناه من الملازمة والوجوب والامتناع والإمكان لم يحظ في هذه الموارد وأمثالها بالهرولة إلى تلعات الاستهلال لاغتنام رؤيتها، ولا ينصب النظّارات المكبّرة أو المقرّبة لرصدها، ولا بالاجتماع على أعمال البواتق أو المشارط لاكتشافها، وما سبب وصمتها عند بعض الناس، حتّى عيبت هي ومن يلتفت إليها ويجري على قوانينها السائدة في مملكة الحقيقة الحرّة، إلّا مثولها للعقل والفطرة مشرقة الوجه الواضح في الصفّ الأوّل من المعقولات. و لا أقول غير هذا.

النظرة الثانية: يظهر ممّا ذكرنا في النظرة الأُولى أنّ جميع الكبريات في القياس الحملي، والشرطيّات في الاستثنائي، إنّما هي عقليّة مجرّدة، فإنّ المأخوذة من مراجعة الماديّات المحسوسة بواسطة الملازمات العقليّة المذكورة إنّما أُخذت من تنبيه العقل بالإحساس ببعض مصاديقها، التي هي أقلّ قليل بالنسبة إلى المعقولة المجرّدة، بل إنّ أكثر الصغريات ـ في الحساب والهندسة وأعمال الماكينات والكيمياويّات والطبّ والصيدلة والفلاحة والتجارة وسائر الصنائع والحرف ـ إنّما هي مجرّدات عقليّة ثبتت لها في معمل العقل أحكام الكبريات بتأليف الأقيسة العقليّة، ثمّ يشرع في إخراجها إلى الوجود على طبق تلك النواميس محلّاة بتلك الأحكام.

النظرة الثالثة: أنّ خطأ بعض الناس في المعقولات بسبب الخلل في المادّة أو

الصورة في براهينهم، لا يقضي بالضربة على العقل و أحكامه، وإلّا لسقطت العلوم وسقطت الكبريات المكتشفة بتجربة بعض المحسوسات. وذلك لما ذكرناه من أنّ العلم عند هذه التجربات لا يحصل إلّا من مقدّمة يستقلّ سلطان العقل فيها بالنفوذ، ولم تكن التجربة الناقصة إلّا مستخدمة للتنبيه على تلك المقدّمة، ألا وهي الملازمة. وهل ترى ابن أُنثى وقف عن أفكاره الحسابيّة أو الهندسيّة لأجل خطإ البعض من أساتذة الهندسة، حيث قالوا بجواز الطفرة في الوجود حتّى تشبّث لذلك بشكل هندسي و بعض بعمل ميكانيكي؟ مع أنّ الغير يرى أنّ استحالة هذه الدعوى من أوّل البديهيّات، ويرى التشبّث بالشكل والعمل المذكورين أُغلوطة محضة لا ينبغي أن تصدر من عالم.

هل رأيت أحداً يعيب الضياء بأنّ الأعشى لا يهتدي به، أو يعيب الصبح بعشوة الخفّاش فيه؟ وهل تعاب الجادّة إذا ضلّ عنها الغافل؟ وهل رأيت أحداً عطّل بصره عن الانتفاع به لأجل أنّ الحُولَ يرون الواحد اثنين؟ أو لأنّ ضعاف البصر ينظرون إلى الشيء فلا يرونه؟ أو حكم بنفي الموجودات، أو شكّ فيها وجلس في قعر بيته يقاسي شدائد العمى وذلّته لأجل قول قائل: إنّ الرؤية أجنبيّة عن معمل البصر، داخلة في زجاج النظّارات ومقرّبات الرصد.

النظرة الرابعة: أنّ كلّاً من الوجوب والإمكان مرتّبة من وجوب الموجودات في الأعيان، وصفة من صفاته يتعلّق بالنظر فيها أهمّ الأغراض وأعلى الإدراكات. فالوجوب كشدّة صفاء اللؤلؤ والأحجار الثمينة، ونقاء ذهب النقود، وإحكام نسج القماش، وسرعة حركة الرقّاص، وشدّة سواد الحبر و بياض القرطاس و نعومته، و زيادة وضوح الهلال، و تفوّق حسن المرأة، وأنّ الإمكان كعدم الشدّة والزيادة في هذه المذكورات.

فهل في يوم من الأيّام وقف الجواهري والبزّاز والساعاتي والكاتب والرجل عن النظر في هذه الشؤون والمذاكرة فيها؟

٦

وهل تركوا مكاتبة الرصفاء والشركاء وتعليم العمّال والوسائط في مهمّاتهم من هذه الشؤون؛ لأجل أنّها اعتبارات غير موجودة بنفسها في الأعيان؟

أم تقول أنت وغيرك بأثبت جنان وأجرء بيان عجباً ليغضب المعدم الحسود من ذكر المراتب العالية للجواهر والنقود، وليتحسّر صاحب الأسمال من ذكر القماش، ولينزجر البربري من بيان الساعاتي، وليمل الوحشي الأُمّي من ارتياح الكاتب بذكر أدواته، وليمسك الأعمى على أُذنيه من سماع وصف الهلال، و لتحلّق القبيحة من الاطّراد بزيادة الجمال، وليقل هؤلاء: إنّ هذه الصفات اعتبارات لا وجود لها بنفسها في الأعيان؟

**النظرة الخامسة:** هل يخفى على أحد أنّ النفي بالمرّة يحتاج إلى مؤونة هي أكثر من مؤونة الإثبات، فإنّ من يدّعي عدم الدلالة في الموجودات على الصانع أو الدلالة على عدمه يلزمه أن يثبت ذلك بالبرهان الصحيح من كلّ موجود، ولا يكفيه معمل الطبيعي و بوتقة الكيمياوي ومشراط المشرّح. وهب أنّ هذه اعترفت بعدم الدلالة فماذا يجديه إذا نادى بالدلالة فدّان الزارع، ومسحاة الفلاح، وتيّارات البحر، ونظّارة الراصد، وعين الرائي، ووجدان الحرّ، وباقي معامل الكون والفساد؟

ولئن أعطى شبلي شمّيل للأبحاث المتخرّجة على معمل الطبيعي وبوتقة الكيمياوي ومشراط المشرّح امتيازاً في أمر وجود الصانع العليم، فإنّ أهل الوجدان الحرّ ـ ولا أغيظ بعض القرّاء بذكر العقل والعقلاء ـ يسخطون هذا الامتياز ويرفضونه. وليخضع لاستبداده واستعباده من خضع. وليت شعري أنّ شبلي الذي يتكلّم في آرائه في أسباب العمران بالتعريض باستبداد السلطات السائدة، والإشارة إلى دعوة الاشتراك، كيف يبني أمره على هذا الاستبداد الفظيع؟ وأين شذّت عقول المغرورين بحماسه وهياجه؟

**النظرة السادسة:** لا يخفى أنّ للناس في شأن أسرار الموجودات وخواصّها وأطوار

منافعها ومواقع حكمها أحوالاً متباينةً، فترى قسماً من الناس لا يرى في ملح الطعام ولا يتصوّر فيه منفعة ولا حكمة إلّا استعماله في الأطعمة، وإن ترقّى في المعرفة عرف مداخلته في الدباغة، ولم يخطر بوهمه أنّه يمكن أن يكون المظروف العزيز في الكاسات، من بطاريّة «فولطة»، والخادم المستعدّ في أعمال التلغراف، و العامل المدرّب في معمل الكيمياوي، والمفرد المعروف في الطبّ القديم. وترى البسيط من رعاة البادية لا يرى حكمة في النباتات المرعيّة في البرّ إلّا كونها مرعى للمواشي، تملأ منها أكراشها، ويزكو بها نموّها. ويرى البعض الآخر الذي لا ترعاه طفيليّاً ثقيلاً في الوجود، ألقى نفسه كلّاً على المنبت، وشغل الأرض عن المنافع، ولا يخطر في وهمه ما يقوم به النبات بأقسامه من أعماله العظيمة، وينتجه في المعامل من مواليده الكريمة.

هذه الصفيحة المعدنيّة المستخدمة لإتمام الأرض للدائرة الكهربائيّة في التلغراف، إذا رآها كثير من الناس ملقاة في الأرض النديّة قال: هذه قطعة سقطت فائدتها، فأُهينت بإلقائها في هذه الأرض، ولكن من كان أرقى من هؤلاء المذكورين يتنبّه إلى أنّ في الموجودات أسراراً وحكماً وخواصّاً ليست ماثلةً للنظرة الحمقاء، وكلّما ازداد العالم اكتشافاً لها ازداد يقيناً بأنّ مجهولاته التي يرجو ـ أولا يرجو ـ بالاكتشاف ظهورها للعلم هي أكثر من معلوماته أضعافاً مضاعفةً. ولا يقف فيها على حدّ النفي إلّا من قصرت همّته، وران على نباهته رين الجهل المركّب ـ المقدّس عند كثير من الناس ـ أو دعته البواعث إلى دعوى النفي وإن تحمّل ويلاتها من مسؤوليّته للعلم والشرف.

إنّ الالتفات إلى ولادة الأُنثى من الإنسان ونحوه من الحيوان ووضع المولود ينبّه الفكر إلى أنّ التعاريج والتقلّصات في فرج الأُنثى ناظرة في حكمتها إلى ساعة الولادة التي تتّفق في العمر مرّات معدودة، ليزداد ميدان السعة والتمدّد في العضو بمقدار حاجة الولادة، ثمّ يرجع بمرونة يقتضيها ذلك الوضع إلى ناموسه الأوّل، ليقوم بوظائفه العاديّة التي لا تناسب تلك السعة. ويجوز أن يكون فيها أيضاً حِكَم تستخدمها حياة الأُنثى هي أشرف من حكمة الولادة أو مثلها.

أفيرتضي ممّن يدّعي العلم إذا لم يلتفت إلى حالي الولادة أن يقول: إنّ تلك التقلّصات و الزوائد و التعاريج مع دورانها في مواليد الأُنثى هي عاطلة عن الفائدة والحكمة، تعود على العضو بالتشويش و التشويه. أو يقول: وإنّها أثريّة باقية من تحوّل الأُنثى عن ذكر قطعت مذاكيره بعامل طبيعي، وبقيت آثار القطع على هذا الحال؟ ويقول مبتهجاً: هذا من براهين التحوّل، وليفتخر العلم بهذا الاكتشاف التجريبي.

ولو أنّ طالبي العلم السالفين وقفوا في مجهولاتهم من المنافع والحكم على حدّ النفي لما صاروا علماء. ولما تقدّم العلم قيد شبر. لا، لا. يا أيّها النافي، لا تكن عثرة في سبيل العلم، فإنّه لا يغفر ذنبك حتّى إذا اعتذرت عنده خفياً قائلاً: إنّي لم أنفِ على وجه الحقيقة، بل لأجل مهمّتي في قبال الإلهيّين الصائلين بالحكم وانتظام النواميس. أفلا تحسب أنّ العلم يقول لك: لو لم تعتذر لكان خيراً لك، فقد كابرت أشرف الحقائق واضطهدت أشرف العلوم، ونقصت من شرف علمك ووهّنت حجّتك، فإنّ الإلهي يكفيه في حجّته عدد يسير من النواميس الدائرة في الأطوار والمواليد بأحسن النظام وأتقنه، ولا تخدش في حجّته إذا اختلست منه حكمةً أو ناموساً أو ألف ناموس.

النظرة السابعة: أنّ للناس في الإلهيّات مقامين:

**[المقام] الأوّل**: هو وجود الصانع القديم وعلمه وحكمته، وما يلزم من ذلك لزوماً بيّناً. ونحتجّ للأُمور الثلاثة بالموجودات التي نراها ونلمسها في أحوالها وأطوارها ولسان حالها المشترك بين جميع الكائنات من قبل ومن بعد، وفي مقدّمتها معملي الطبيعي وبوتقة الكيمياوي ومشراط المشرّح. وقد سجّل شبلي شمّيل بنفسه شهادتها وواضحَ بيانها بما ذكره ممّا كشفت عن بعضه من عجائب التكوين وإتقان النظام. ودع شبلي شمّيل بعد ذلك يقول ويدّعي، ودع أيضاً ما أقول وأدّعي. ولكن ليقف المعمل والبوتقة والمشراط في محكمة الوجدان الحرّ العادلة، فينظر بماذا يشهدون.

وإنّ اعتمادنا على ما رأيناه بأعيننا ولمسناه بأيدينا أكثر في الحسّ وأتقن، وأوضح

من الاستقراء الناقص للحاسب و المهندس وغيرهما، كما بيّناه في النظرة الأُولى. وإنّ الملازمة العقليّة التي تترتّب فيها لأوضح ممّا يحتاجه الحاسب والمهندس والطبيعي والكيمياوي والمشرّح الصناعي في تحصيل كبرياتهم الكلّيّة من تجرباتهم الطفيفة واستقرائهم النزر.

**[المقام] الثاني**: في حقيقة الصانع وهويّته، وهو الذي يسمّيه بعض بالفلسفة الإلهيّة، و بعض بالعرفان، وبعض بعلم اللاهوت؛ و لأجل ابتناء جملة منه على نظريّات متزلزلة وتقاليد موروثة انجرّ الأمر فيه إلى وحدة الوجود ووحدة الموجود، والحلول والاتّحاد، وأطوار الظهورات الإلهيّة، والتثليث والولادة. حيث يعتمد في جملة من نظريّاته على الذوق والمكاشفة والخلسة والإشراق ودعوى الأقوال النبويّة الإلهاميّة. وإن عورضت بعض الأُمور فيها بحكم العقل قيل: هذا المقام طور وراء العقل.

هذا، وإنّ مقامنا في الإلهيّات هو المقام الأوّل.

# المقصد الأوّل
# في مطالب المكاتب في شبهات الإلحاد التي استعظم أمرها

وفيه فصول[1]:

## الفصل الأوّل

قوله:

استندوا في آرائهم الإلحاديّة إلى أُمور تجريبيّة لمسوها بأيديهم وشاهدوها بأعينهم، حتّى قال شبلي شمّيل العربي عن آرائه التي تنفي الصانع وكلّ ما وراء الطبيعة: إنّها نتيجة لازمة لأبحاث علميّة خارجة من معمل الطبيعي، وداخلة في بوتقة الكيمياوي، وواقعة تحت مشراط المشرّح، ولا سبيل للخروج عنها إلّا بالوقوع في الغريب.

أقول: قد وجدنا هذه الكلمات لشبلي في كتاب آرائه[2] وقال بعد ذلك:

ولا يجوز أن ترمى بالغرابة ـ يعني آراءهُ في الإلحاد ـ إلّا إذا جاز أن تكون الأحكام الاجتهاديّة أصدق من الدليل الاختباري، والنظر المجرّد أصدق من الحسّ[3]. انتهى.

وهاهنا ملاحظات:

[الملاحظة] الأُولى: أنّ الإلهيّين يستندون في أمرهم إلى جميع الأُمور المحسوسة

---

١. كذا في المطبوعة. والمؤلّف ﷺ لم يذكر فيما بعد إلّا فصلين. ولعلّه من سهو القلم.

٢. آراء شبلي شمّيل: ٣.

٣. المصدر: ٤.

وجميع ما في عالم الكون والفساد، وليس الغرض المباهاة بكثرة الشهود، فكم من مدّعٍ ينادي خارج المحكمة وعندها وفيها بأنّ دعواي حقّ، ولي عليها شهود صدق ناطقون بالصراحة، وهم فلان وفلان وفلان ذوو الشرف والصدق والأمانة، ولا أرتضي بشهادة الناس لخصمي إلّا بشهادة فلان وفلان المذكورين وهم شهودي. وأيضاً إنّ لي على دعواي سنداً معتبراً، ولكن كثيراً مّا يكشف الاعتبار والاختبار لغير الغرّ البسيط عن أنّ بعض المنادين بالصياح العالي والهياج لا شاهد له... ولا تشبُّث حجّة، ولكنّه يحاول أن يروّج أمره على البسطاء قبل المحاكمة بالصياح والهياج والحماس والتهويل بالشهود والسند، لعلّما يخدع بساطتهم التي يقدّسون حالهم فيها، فيضمّهم إلى لفيفه، وربما يجلب شهوداً إلى المحكمة، فيقولون: لا ندري بما يقول هذا المدعي، وربما تكون شهادتهم لخصمه مضافاً إلى شهوده، ويكون السند أيضاً تصديقاً لدعوى الخصم وتسجيلاً لحقّه. فعلى الإلهي والملحد أن يحضّرا شهودهما بلا هياج ولا حماس لدى محكمة الوجدان والعقل، وتسجّل شهادة الفريقين بصراحتها وتفصيلها، ثمّ يحكم الحاكم.

**الملاحظة الثانية**: أنّ الإلهي ليس له عداوة مع ما يشير إليه الملحد باسم الطبيعة وإنّما مهمّته وجود الإله الصانع العالم الحكيم مع ما يلزم لهاتين الصفتين لزوماً بيّناً. ولا حرج أن يكون هو ما يشير إليه الملحد باسم الطبيعة، وينتقصه بنفي العلم والحكمة، ويدّعيها لنفسه، وهو من أدنى المصنوعات لذلك الصانع. فليس لشبلي أن يخصّ البحث بما وراء الطبيعة، فإنّ حاصل النزاع الأوّلي هو أنّ الإلهي يقول: إنّ الصانع المؤثّر في الكائنات هو عالم حكيم.

ويقول المفتخرون المنوّهون بعلمهم وحكمتهم ـ الدكتور وأصحابه ـ: إنّ الصانع والمؤثّر في الكائنات فاقد الإدراك والشعور، فليقل شبلي في كتاب آرائه[1]:

إنّ العالم ليس فيه فوق ولا تحت، ولا وراء ولا أمام، فليس فيه مادّة غريبة أو

---

١. آراء شبلي شمّيل: ٤.

قوّة غريبة تدخل إليه أو تخرج منه. وأن لا فرق في البدء ولا في المعاد بين جميع الكائنات من أعلى الإنسان إلى أدنى الجماد، فجميعها في تكوينها من عناصر طبيعيّة واحدة، وتتمشّى في أفعالها على نواميس طبيعيّة واحدة مشتركة بينها جميعاً. انتهى.

فإنّ الإلهي أيضاً يقول: ليس في العالم إله مستقلّ بالتحيّز في جهة الفوق ولا في جهة التحت، ولا في جهة الوراء ولا في جهة الأمام، وليس فيه إله غريب يدخل من غير عالم الوجود أو يخرج منه، ولا فرق فيما ذكره، بمعنى أنّ جميعها متساوية في تكوّنها بصنع صانع عليم حكيم، أجرى شؤونها في تكوينها وأحوالها ومواليدها على نواميسَ جبلها وطبعها عليها، فأين الغرابة في هذا القول في علم اليوم وما قبله؟! أو ليس كلّ علم يُعلَم بغير هذا هو أشبه بالتخرّص ـ ولا أجاهر بغيره ـ منه اليوم بالعلم؟ ولا يهمّ الإلهي ما لا يرجع إلى منافاة ذلك من التسمية. وهل في العلم ما ينفي ما قلنا؟ ... .

ثمّ نقول: هذه المباحث العلميّة الخارجة بتدرّبها من معمل الطبيعي، والراقية بدخولها في بوتقة الكيمياوي، ووقوعها تحت مشراط المشرّح، ماذا يقول متعاطيها؟ أيقول: إنّ تلك المباحث الراقية دلّت على أنّ صانع العالم وموجد الكائنات هو عديم العلم فاقد الإدراك؟ ألا وإنّ شبلي نفسه مهما تأنّق في كتابي آرائه ومجموعته، ومهما رفع الحجاب، ومهما كرّر في كلامه، لم يقتحم أن يقول بالصراحة: إنّ هذه المباحث تدلّ ببيانها وبرهانها على أنّ صانع العالم عديم الشعور والإدراك. وأمّا محصّل قوله المتقدّم ـ وهو: «أنّ دلائل الدين أحكام اجتهاديّة ونظر مجرّد، ودلائلهم أدلّة اختباريّة وحسّ» ـ فهو ممّا لا يرضاه شرف العلم والعدل والحقيقة.

ولا ضير إذا كانت أدلّة الدين أحكام اجتهاديّة، بمعنى أنّها بذل الجهد في تهذيبها واستنتاجها علماً من مراجعة المحسوس من الموجودات، ولا ضير إذا كانت مجرّدة

بمعنى أنّها إدراكات كلّيّة علميّة عقليّة مأخذها مراجعة المحسوس من جميع الموجودات... ولكن هلمّ العجب في دعوتهم أنّ مسائل التحوّل والارتقاء، ومسائل الأعضاء الأثريّة، هي أحكام علميّة اختباريّة حسّيّة، مع أنّ مسائل التحوّل لو وجدت الحلقة المفقودة لما كانت إلّا تخرّصاً فيه ما فيه. وأمّا مسائل الأعضاء الأثريّة فما هي إلّا تخمينات منشؤها أنّ إدراكهم وقف دون الوصل إلى حكمة تلك الأعضاء، وأنّ شبلي نفسه قد استغفلت فطرته البواعث، فاغتنمت الحقيقة منه فرصتها، وجرت على لسانه في محفل التحرير، فقال في الجزء الأوّل من مجموعته:

> بأنّ مجرى فكر الإنسان سيكشف له أسراراً كثيرةً في الطبيعة، ليس المعلوم منها اليوم إلّا النزر اليسير[1].

وقال أيضاً:

> أو لعدم إمكان الإنسان أن يحيط علماً بكلّ شيء. وربما أدرك الخلف ما لم ندركه نحن. إنّ علماء طبائع الحيوان والنبات لا يدّعون أنّهم بلغوا علم كلّ شيء، بل هم لا يزالون يبحثون، وكلّ سنة ـ بل كلّ يوم ـ يكتشفون حقائق كانت غير معروفة عندهم، وما لا يثبتونه يطرحونه بين المسائل الخلافيّة، وهي ليست بالعدد القليل عندهم، إلّا أنّ ما لا يعلم سببه الطبيعي لا يزالون يعالجونه حتّى تنجلي لهم الحقيقة بجهد التنقيب والتنقير، فلا يطفرون حالاً إلى ما وراء الطبيعة كما يفعل جزافاً ساداتنا الفلاسفة النظريّون، الذين لا يصعب عليهم وجود سبب لكلّ شيء، وهم في سماء خيالهم تائهون[2]. انتهى.

وبماذا انتهى؟

مهلاً أيّها الدكتور، متى جعل الفلاسفة جهلهم بأسرار الحكم دليلاً علميّاً على الصانع العليم؟ وأيّ كتاب أم أيّة مقالة لهم شانته هذه الطفرة؟ أو ليس لهم في الحكم المعلومة

---

١. مجموعة شبلي شمّيل: ١٤.

٢. المصدر: ٢٣٤، س ١٢ ـ ٢٣.

غنىً عمّا يجهلون؟ ومتى جعلوا جهلهم دليلاً علميّاً اختباريّاً حسّيّاً على التحوّل والارتقاء وكون بعض الأعضاء أثريّة، وأنّ مبدأ الوجود طبيعة عمياء[1]، وصامتة[2]؟

**الملاحظة الثالثة**: لماذا لا يقول النبيه والبسيط: من ذا الذي ـ وماذا الذي ـ أخرج النظر في أمر الصانع عن معمل من معامل الكون والفساد، وحصره بالمباحث الناتجة من معمل الطبيعي وأعمال البوتقة والمشراط؟ ومن ذا الذي أعطى هذا الامتياز الجائر ونفّذه بسلطته على الوجدان؟ إنّ البسطاء الذين ينخدعون بمثل هذا قليلون ولو أنّ الدكتور قال: إنّ مشكلة الإلهيّة والإلحاد خارجة عن كلّ معمل ووجدان، لا تحلّها إلّا شهادة الملحدين لكان أولى له، فإنّ كلا القولين مرهون للمسؤوليّة عن جور التخصيص والاستبداد. لكن له الثقة في القول الثاني بأنّ الشهادة فيه لا تكون على ضدّ دعواه، بخلاف القول الأوّل فإنّه لا ينبغي أن يأمن فيه الشهادة عليه لا له.

فليبيّن الدكتور وأتباعه ماذا قال الإلهي في دعواه، وماذا قالت المباحث المذكورة والمعمل والبوتقة والمشراط في جوابه وردّه. فهل قال الإلهي: إنّ الإله جالس في دسته، لابساً تاجه، فاتحاً معمل الإيجاد، ناشراً دواوين العلم والحكمة، ماثلاً مثولاً جسمانيّاً عند مصاريع ضواغط الهواء ومفرغاته، ومصعدات الماء والمخل والدارك، ومرجع الصدى ومهيّجات الكهربائيّة ومجاريها وبطاريّاتها، وخلال تراكب الكيمياويّات وتأليف أعضاء الحيوان؟ فقال المعمل والبوتقة والمشراط ومباحثها: قد تجسّسنا وتحسّسنا في أعمالنا تجسّساً بالغاً مدى الدقّة بفحص مستقص، فلم يكن لما ذكرت أيّها الإلهي وجود؟

---

١. المصدر: ١٣، س ٢٣.

٢. المصدر: ٨٢، س ٣.

أم هل كانت الحجّة للإلهي على وجود الإله منحصرة بما في الطبيعيّات من سقوط النواميس وعدم الخاصّيّات ودناءة الآثار، وبما في الكيمياويّات والحيوان والنبات من فساد التركيب، وتشويش التأليف، وعدم جريه على قانون مطّرد ولا وضع متشابه، لا في النوع ولا في الجنس، وسقوط الفائدة في الأجزاء وعدم انتظامها في الحكمة والفائدة؟ فقال المعمل والبوتقة والمشراط وأبحاثها: مهلاً أيّها الإلهيّ قد سقطت حجّتك، وخاب أملك لما اكتشفناه من عجائب النواميس الراقية، وجودة التأليف وانتظام قوانينه، وجريه على بواهر الحكم والمنافع التي ينمو ويزكو بها العلم يوماً فيوماً؟

أم يقول المعمل والبوتقة والمشراط: إنّا في أعمالنا واكتشافاتنا وتحليلنا وتشريحنا قد وجدنا موجد العالم في أثناء الأجزاء، وهو يا للأسف فاقد الإدراك والشعور والحياة. ومن أراد التصديق فليحضر وقت العمل والتحليل والتشريح، لكي يشاهده، ويرثي لفقده الشعور والحياة؟ أم تقول هذه الثلاثة: إنّ ما اكتشفناه من المنافع وجودة التأليف وبواهر الحكم، وانتظام النواميس في الأدوار والمواليد على الوجه المذكور هو البرهان الواضح على أنّ المؤثّر لوجود العالم هي طبيعة عمياء فاقدة الشعور والإدراك والحياة والحكمة. فصفّق الوجدان والعقل استحساناً وتصديقاً، وعلا الهتاف بقوله: «ليدم المعمل، ولا خبت نار البوتقة، ولا نبا حدّ المشراط».

أيّها المكاتبُ الذي هاله الكلام المذكور لشبلي ما هو الذي تصوّرته من محصّله بحيث صار شبهة على الإلهيّين ولو بنحو التخيّل الشعري، ولي الثقة بأنّ شبلي لو عارض واحداً من أواسط الناس في الشعور، وضايقه على داره أو بعض حقوقه قائلاً له: إنّ أمر هذا لا يرجع إلى شرع القضاء وقانون الحقوق، بل إنّ أخذي له هو نتيجة لازمة لأبحاث علميّة خارجة من معمل الطبيعي، وداخلة في بوتقة الكيمياوي، وواقعة تحت مشراط المشرّح. ولاهتدى ذلك الواحد إلى ردّ كلام الدكتور ـ شبلي ـ و تفنيده بأكثر ممّا ذكرناه في هذا المختصر.

## الفصل الثاني

قال المكاتب:

وادّعى بعض علماء الآثار من الإفرنج أنّه وجد في حفريّاته هيكل حيوان غير محكم الصنع تلاشي نوعه، لفقدانه أهليّته للحياة. فهل من الهيّن ـ رعـاك الله ـ تسجيل غلطهم وهم أُلوف، قد سحروا العقول بعجائب مخترعاتهم بمباحث الوجوب والإمكان، ونحو ذلك من مباحث الكلام، وهي لا تعدو كونها أُموراً اعتباريّة في العقل لا تحقّق لها في الأعيان، فضلاً عمّا يعترض المتكلّمين من الإشكـالات، فيلجؤون إلى اعتبار إضافة أو حيثيّة ـ مثلاً ـ أو نفيها؟ وكيف يركن إلى مـجرّد العقل في حين أنّا نرى العقلاء يعتقدون كثيراً من الأُمور ثمّ يبدو لهم فيعتقدون خلافها، ونرى كثيراً من العقلاء يعتقدون بأُمور تضحك العاقل وتبكيه، وكثيراً مّا عددنا من المستحيل بعض ما نقل إلينا خبره من مخترعات الإفرنج قبل أن نراه؟

أقول: وفي هذا الفصل ملاحظات:

[الملاحظة] الأُولى: أنّا نسأل ذلك العالم عن وجه حكمه بأنّ ذلك الحيوان الذي هو وجد هيكله كان غير محكم الصنع، هل كان حكمه بذلك من أجـل أنّ الحـيوان تلاشى نوعه، أو من أجل فقدانه بعض الأعضاء التي توجد في غيره من الحيوانات؟ وكلا الأمرين لا يصلحان وجهاً للحكم بأنّه غير محكم الصنع. أمّا تلاشي نوعه فيجوز أن يكون لوباء عمّ ذلك النوع ولم يبق له بقيّة؛ فإنّ الحيوان مهما بلغ بإحكام الصنع خاضع لحكم الموت والعوارض الوبائيّة وغيرها من عوامل الفناء، وإنّ استئصالها للنوع جائز كجواز اقتطاعه غالب أفراده من معسكر الحياة. وقد ذكر شبلي في مجموعته عن بخنر:

أنّ نوعاً من الحيوانات الرخوة انقرض في جزيرة القدّيسة هيلانة، ولم يكن في غيرها [١].

---

١. مجموعة شبلي شمّيل: ٨٦.

ـ وذكر أيضاً ـ: أنّ الطبيعيّين ذكروا انقراض كثير من أنواع الحيوانات منذ التأريخ، فالدينورينس انقرض في زيلاندة الجديدة. والأبيرونيس في مدغشقر. والدرنت وعدّة أنواع من السلحفاة في جزائر سكارينا ـ قال: ـ وكان قدّ الأوّلين أكبر من قدّ النعامة[١]. انتهى.

وبمقتضى ما ذكروا فإنّ الانقراض لا يرتبط بعدم إحكام الصنع. وأمّا نقصان أعضائه، فلو فرضنا تحقّقه، لكان من اختلاف الأنواع بالأعضاء: إمّا بمقتضى ناموس الطبيعة، كما يقول المعطّل، وإمّا بحسب الحكمة، كما يقول الإلهي، فانظر إلى أنواع الحيوانات وأعضائها واختلافها فيها.

ثمّ نقول: لماذا لم يظنّ ذلك العالم أنّ كثيراً من أعضاء ذلك الحيوان ودلائل إحكام صنعه، قد أبلاها مرور الأيّام تحت أطباق الثرى بعوامل البلى؟ وفي المجموعة من شرح بخنر:

ولا ينبغي أن يتوهّم أنّ جميع الأحياء الأُولى أو أكثرها بقيت محفوظة إلى يومنا هذا؛ فإنّه لم يحفظ منها إلّا القليل جدّاً ـ والقسم الأكبر تلاشى ـ كطائفة الحيوانات الرخوة، والأجزاء الرخوة لباقي الحيوانات. وما يشاهد في الأحافير غالباً إنّما هو أصداف وقواقع كلسيّة، وعظام وقطع عظام، وشعر وريش، وأسنان وحوافر، ومبرزات متحجّرة[٢]. انتهى.

وقد صرّح كثير بأنّ ما يرسمونه من حيوانات الأحافير حيواناً تامّاً لم يجدوا من أجزائه إلّا القليل الطفيف، فيرحمونه بإكمال باقي أجزائه من مخيّلتهم، ويرسمونه على تقدير المخيّلة، فيبرز ذو رأس كبير، وعنق ضئيل، وذنب غليظ. سلّمنا لذلك العالم كلّ ما يقوله في شأن ذلك الحيوان، لكن إذا دلّ على علم الصانع وحكمته إتقان الصنع وحسن النظام على نواميس الحكمة الدائرة في المواليد والأدوار في العالم الأرضي

---

١. المصدر: ٢٩٧.

٢. المصدر: ٦٥.

والسماوي لم يخدش في ذلك انقراض نوع الحيوان المذكور؛ لأنّ من حكم على الأفراد بالموت المتتابع وفناء الطبقات بمرور الأيّام، يجوز أن يحكم على هذا النوع بالانقراض، ويجوز أن يوجده غير محكم الصنع، وليس له أهليّة الحياة، كما يجوز أن لا يخلقه . وللمقام بقيّة.

**الملاحظة الثانية:** في قول المكاتب: «وهم أُلوف قد سحروا العقول بعجائب مخترعاتهم».

فنقول فيه: قد صرّح شبلي في ديباجة مجموعته ص «ج»:

> أنّ مذهب أُصول الأنواع والتحوّل منذ سنة ١٨٧٦ كان أنصاره حتّى في أُوربّا نفسها لا يبلغون عدد الأصابع.

وفي ص ١٨: مؤسّس فكرة أُصول الأنواع دارون نشر كتابه فيها سنة ١٨٥٩، وأنّ جلبة أضداده بدت تخفّ سنة ١٨٩٠ مع أنّ هذا المذهب لم يكن مقروناً بالإلحاد والتعطيل ولا ملزوماً له، فإنّ دارون المتوفّى سنة ١٨٨٢ لم يكن ملحداً. ويشهد لذلك كلام شبلي ص ١٦، و في ص ١٠٣ نقل بخنر لكلام دارون:

> إنّي أرى فيما يظهر لي أنّ الأحياء التي عاشت على هذه الأرض جميعها من صورة واحدة أوّليّة نفخ الخالق فيها نسمة الحياة.

وفي ص ١١٣:

> إنّه جعل الخلق المحصور في بضعة أُصول قابلة كلّ تغيّر لاحق من نفسها أولى بحكمة الخالق وعظمته.

وهذا هو المعروف من مؤسّسي فلسفة التحوّل ورجالها وحملة وسامها، كما نصّ على بعض أسمائهم وكلماتهم في ذلك الشيخ العلّامة الكبير نصير الدين أبو المجد ـ دام ظلّه ـ في الجزء الأوّل من النقد، ص ٢١ ـ ٣٢. وفي ص ٢٦٩ من المجموعة أيضاً:

> دارون قلق من خوفه على خلود النفس وعلى كلّ الأفكار الروحانيّة. وعلى كلّ

حال، فشيوع الإلحاد لم يمض عليه أكثر من ربع قرن و نحوه، وله أسباب:

منها: ما اعترض به بخنر على ما نقله من كلام دارون المتقدّم، حيث قال: إنّ الوقوف عند هذا الحد ـ يعني على الخلق في الصورة الأوّليّة ـ نقص في مذهب دارون؛ لأنّ خلق الصورة إذا صحّ مرّةً فلا مانع يمنع تكراره مرّات متوالية على مرّ الدهور، فلم يبق إلّا مسألة التولّد الذاتي التي هي اليوم المحور الذي يدور عليه علم الأحياء[١]. انتهى.

ولا يخفى أنّ توالي الخلق على مرّ الدهور لا ينقص مذهب دارون، وذلك لجريانه في الحكمة على ناموس يمكن للطبيعي أن يتحرّى ويطلب في بحثه وتعليله مجاري ذلك الناموس، لكن حيث إنّ الناس علقوا بهذا المهذار واقتدوا ببخنر في اعتراضه على دارون ـ وإن كان ساقطاً ـ لم يجدوا بدّاً من الإلحاد والقول بالتولّد الذاتي، فتراهم مهما تقلّبوا وتفنّنوا بالكلام لا تنتهي حجّتهم على الإلحاد إلّا إلى كونه من لوازم مبدء دارون، كما قالوه في الجوهر الفرد والأثير.

ومن الأسباب: أنّ الأميال السائدة على النفوس قرّبت لها أنّ السعادة هي على ما قاله أبيقورس، وقد قال: إنّ راحة البال التي تقوم بها سعادة الإنسان هي في اضطراب دائم من جرّاء الريب الواقع من نسبة الإنسان إلى الخليقة وإلى الله. فأراد أبيقورس أن يريح الإنسان من ذلك الريب، ويصفّي له موارد السعادة بمذهب الإلحاد وجحود الإله الخالق، فتشبّث بمذهب الجواهر الفردة وقدمها، وأنّه لا يمكن أن يكون العالم نتيجة عمل إلهي.

ومن الأسباب: أنّ الناس لمّا تتابعت ثوراتهم في وجه السياسات، بحسب اختلافهم في الدواعي وآمالهم من الانقلاب، وصادفوا في ذلك نجاحاً، مال التطرّف والإفراط بكثير منهم واستدرجهم إلى الاشتراكيّة الفوضويّة، وأن يلقوا عن أكتافهم ثقل كلّ حاكميّة وسيادة عليهم، فخالستهم أفكارهم بمثل انتقاد بخنر على دارون، وهو أنّ

---

١. أصل الأنواع: ١٠٤.

الوقوف عند حدّ الحاكميّة الإلهيّة نقص في هذا المبدإ، فلم يبق إلّا مسألة الإلحاد. ويزيد في ذلك إغواء الزور بأنّ الدين ضدّ العلم والعمران، وحاشا الدين من هذه الفرية.

ومن الأسباب: ما يحمل ذكره على التحامل والهياج فلا نجعل ذكره من مهمّاتنا فعلاً، فحقيقة الحال أنّ الملحدين مهما بلغوا في الكثرة في أوائل هذا القرن ويسير ممّا قبلها، ليس لهم نصيب ذو قيمة في الاختراعات العجيبة، وإنّما بنوا على أساس سبقت حسناته تأريخ الإلحاد الشائع قد أسّسه وأتقنه لهم السلف من الإلهيّين في طبيعيّاتهم وكيمياويّاتهم وطبّهم العلمي والعملي، فكانت الفضيلة في هذا القرن أن يتلقّن العصري في المكاتب ومواطن التعليم شيئاً ممّا اخترعه، ودوّن دروسه السلف ليحرز الشهادة، فيتسلّق إلى المراتب وكراسي الطبابة والدخول في المعامل. ولهؤلاء أيضاً حظّ فيما يعدّ في هذا العصر فضيلة، ولكنّا نرى الكثير منهم ليس لهم لا علم ولا عمل، ولا دنياً ولا دين، قد شغفهم حبّ الجديد وخلع القيود إلى اللغط بأقوال «شبلي» و نظرائه. وإن سألت أحدهم عن البرهان ووجهه والقياس وإنتاجه ـ ولو بالنحو الذي يتعاطونه بفطرتهم ـ قال: هذه خرافات قديمة قد تحوّلت الحجّة العصريّة إلى نهج أرقى من هذا، ليس فيه وجوب ولا إمكان ولا استحالة، فقد قال نابليون: ليس هناك شيء مستحيل. عفواً أيّها القارئ، فإنّي لم أقصد بمقالي هذا تعريضاً أو تنديداً، ولم أنتصر بالكثرة أو أنتقص بالقلّة، فإنّ الحقيقة في غنىً عن هذا كلّه، ولكن ألجأني ضرورة بياني للمكاتب وتنبيهي له على أنّه لم يتحرّ الحقيقة في قوله المتقدّم.

نعم، أيّها المكاتب قد جاؤوا باختراع سحروا به بعض الناس، ولكنّه ليس بالعجب، وهو أنّ تخميناتهم في مسألة التحوّل، ونتائج الأحافير، وفوائد الأعضاء، والجوهر الفرد والأثير، ونفي العلم والحكمة عن الصانع، قد جعلوها حقائق راهنة وخصّوها باسم العلم استئثاراً يأباه الاشتراك وتحبّذه الفوضويّة؛ ليسقطوا المعقول عن سيادته في الحقائق، فيخلو الجوّ، وينخدع الغرّ البسيط. هل هذا الزمان دور التقهقر لحقيقة العلم واسمه؟

وإليك من علمهم أمثال:

منها: حكمهم على الزرافة المسكينة بابتلاء نوعها بنكبات الجدب، وهلاك غالب النوع مراراً عديدةً في أدوار متطاولة حتّى سمح التحوّل لها بطول العنق. ولكن ليهن نوعها البقاء برحمة التحوّل التي لم تسعد به الحيوانات التي أبادها الجدب. أفلا تقول: إنّ هذا العلم اليقين يحتاج إلى مراقب للزرافة في أدوارها ونكباتها، قد قدّر عنقها في الأوّل، ورصد زيادته إلى حدّها. ولا يكتفي في اكتشاف هذه الحقيقة بتربية الحمام عدّة سنوات.

ومنها: أنّ الأجزاء البرّاقة في الطباشير، جعلوها بحدسهم أصدافاً أعلمتهم أنّ طبقة الأرض الطباشيريّة عبارة عن حيوانات بائدة بقيت آثار أصدافها. وكأنّهم حجروا على ناموس توليد المعادن أن يولّد في الطباشير أجزاءً برّاقةً تشبه الصدف.

ومنها: دعوى أنّهم وجدوا في الأحافير هيكل حيوان له ذنب، وفي كلّ فقرة منه ريشتان، فجعلوه أصلاً قديماً وواسطةً في تحوّل الطير عن الحشرات. وليت شعري إنّ هذا الأصل القديم الذي له أُلوف من السنين ـ على ما يقولون ـ تحت أطباق الثرى، كيف وجدوه؟ هل وجدوه قائماً على أربعة، ناصباً عنقه، رافعاً ذنبه، ناشراً ريشتيه؟! وهبهم وجدوا عظاماً وريشاً، ولكن كيف يحكمون بأنّها من حيوان واحد، وكيف ترحّموا عليه بالصورة الخاصّة؟ وهبهم وجدوه متّصل الأعضاء مرتبط الأجزاء، لكن كيف يحكمون بأنّه الواسطة بين الطير والحشرات؟ وذلك موقوف على أن يكون في بطن الأرض من عهد لم يكن لنوع الطير وجود، وهذا الحيوان هو الذي سمّوه «الاركوبيتريكوس مكروروس»، انظر شرح بخنر و تذييل شبلي ص ١١٥. وذكروا ص ١١٨ أنّهم اكتشفوه في الطبقة الأولينية للدور الثاني للأرض.

وعلى مزاعمهم في فنّ الأحافير يكون له في بطن الأرض ما يزيد على عشرات الأُلوف من السنين؟ فهل أعلمتهم الأرض وحوادثها الفعّالة أنّها رحمت هذا الحيوان الذي لا يزيد على الذراع، وأبقت هيكله وريشه على اتّصاله أُلوفاً عديدةً من السنين؟

ولماذا يقتحمون هذه العقبات، ولم يقولوا بتحوّل الطير عن البعير بالتقهقر إلى الصفر، كما تقهقر الحيوان الذي يذكرونه إلى الحمامة والعصفور، ويعتمدوا في ذلك على توسّط النعامة ولا يضرّ بقاء الواسطة، كما حكموا بتحوّل الإنسان عن القرد مع وجود القرود؟

نعم الأحافير، وأسماء علمائها، ودعوى صدفة الوجدان، لها قيمة ودويّ وتهويل.

ومنها: أنّهم يشاهدون في الأحافير للأرض طبقات متعدّدة، فيجعلون تأريخاً لكلّ طبقة، ويأخذون من ذلك لما يجدونه فيها تأريخاً يجاوزون به عشرات الأُلوف من السنين، ويجعلون لطبقات الأرض أدواراً قديمة من النبات والحيوان وتحوّلهما. مع أنّ النظر إلى المشاهد المعلوم من العوامل الداخليّة والخارجيّة في الأرض، والنكبات الخصوصيّة المتبادلة على الأرض التي تعمّها تدريجيّاً، وإن أنكرت النكبات التي تعمّها دفعةً واحدةً. هذه كلّها لا تدع للظنّ إلى نتائجهم الحدسيّة سبيلاً فكيف بالعلم اليقين الذي يستأثر باسم العلم؟

إذا نظرنا إلى أعمال البراكين عند هيجانها، وقذفها للموادّ الذائبة من المعادن والحجارة والتراب، وإلى جمود تلك الذائبات واستحجارها، عرفنا أنّ لتلك النار الهائجة في سيرها المتمادي وهيجاناتها في بطن الأرض أعمالاً فجائيّةً عظيمةً في الإذابة والتحجير وتغيير الصور والألوان، بحسب ما يتّفق أمامها من المعدّات الكيمياويّة. ويؤيّد ذلك شيوع هذه الأعمال في المجاري العاديّة لتلك النار كالجزائر، وما يقرب من البحار، وفيما تتوجّه إليه كالجبال، فأعظم طبقة صخريّة أو طباشيريّة أو فحميّة أو معدنيّة يجوز أن تكون بعمل فجائي في زمان قصير، حسب استعداد العامل وقوّته ومعدّاته المقارنة، كما هو المشاهد في أعمال القرميد والجير والبورق وأعمال الكيمياويّين. وهذا ممّا يفنّد الزاعم باكتشافه في حفريّاته لقديم الزمان قبل التأريخ، فضلاً عن الطفرة إلى ملايين من السنين.

هذه عوامل الزلازل كم رفعت أرضاً فجعلتها جزيرةً أو نجداً أو هضبةً أو جبلاً؟

وكم نكبت أرضاً فجعلتها بحراً أو بحيرةً أو غوراً أو وادياً أو هوّةً[١]؟

وهذه عوامل السيول والطوفان والفلاحة، كم جرفت أرضاً؟ وكم أكسبت أرضاً عدّةً من الطبقات في زمان يسير؟! فقد شاهدنا أرضاً ذات بساتين عامرة وحيوانات أهليّة وحيوانات وحشيّة ووجارية، قد توجّه إليها طغيان بعض الأنهار بغتةً، وأكسبها في مدّة شهر من الطبقات الطينيّة والرمليّة والمختلطة ـ كما هو المشاهد ـ ما يبلغ عدّة أمتار، بحيث خرجت بعلوّها عن الصلاحيّة للغرس.

فما ظنّك بالحافر إذا لم يعلم بنكبة هذه الأرض، ووجد بعد عشرين طبقة منها عظاماً هي من بقيّة فقرات ظهر الشاة، وذنب الكلب، ورقبة الدجاج، وجمجمة الحمار، وفكّ الثعلب، مع شيء من الريش أو رسمه وكانت متقاربة؟

وقد شاهدنا أرضاً مسطّحةً حفروها للفلاحة، فوجدوا فيها بحفر ذراع أو نصفه أو أكثر خوابي خزفيّة مسدودة الفوهة بقطعة خزف أيضاً، قد أضجعت فيها أجساد الموتى بكثرة تكشف عن أنّ تلك الأرض كانت مقبرةً قديمةً جدّاً. ومن المستبعد جدّاً أن تكون عادة الدافنين لموتاهم جعلهم تحت ذراع أو شبر من التراب، فإنّ ذلك لا يمنع من ظهور الرائحة، ولا يحفظ الموتى من عبث الوحوش.

وإنّ كثيراً من مزارع الأُرزّ الأبيض في العراق فيما بين الدرجة الثلاثين والثالثة والثلاثين من العرض، كانت أرضاً قفراء غوريّة، فصارت بتوجّه الماء مستنقعات، ثمّ اعتنت بها الفلاحة بأن وجّهت إليها الماء العكر من طغيان الأنهار بنحو يقتضي

---

١. فبعض البراكين قذف في ليلة واحدة من الرماد، والخبث ما غشى به مسافة سبعة أميال في سمك خمسين قدماً، وبعضها غطّى بالرماد مدينة تبعد عنه بخمسة فراسخ. وحصل من الموادّ المقذوفة من بعضها جبال وسلسلة جبال يبلغ ارتفاعها من ٣٠٠٠ قدم إلى [أكثر من ذلك]. وانظر إلى ما ذكر في الموانع البركانيّة، والمنتفخات الخبثيّة، والضباب البركاني في تركيبه، وصخور البازليت والتراشيت وجبالهما، والصخور السماقيّة، وحدوث بعض الجزائر، وغور بعضها في الماء، وارتفاع بعض السواحل. وقدّر من ذلك آثار أصل العمل البركاني في بطن الأرض حسبما يكون له من الشدّة والضعف، وما يقارنه من المعدّات الكيمياويّة وأعماله الفجائيّة. وهل يترك النظر في ذلك لتخمينات الحفريّين سبيلاً؟ ودعهم يسمّونها العلم.

أن يرسب طين الماء فيها، فتكتسب طبقات عديدة مختلفة في يسير من السنين، وربما يبلغ المكتسب عدّة أمتار، وفي كلّ سنة من السنين في الزراعة تزيد الطبقات فيها؛ لأنّ الأُرزّ تزيد جودته ونموّه بزيادة الطين الجديد لتبريد حرارة الأرض من موقعها الجغرافي، كما تدمل أرض مصر من طين فيضان النيل، وقد علا بعض الأراضي المذكورة حتّى كاد أن يخرج عن الصلاحيّة لزراعة الأُرزّ التي هي أنفع للزرّاع من زراعة غيره، فصار الفلّاحون يوجّهون الماء العكر إليها بمقدار يكون راسبه بنحو ما يستوفيه في النموّ نبات الأُرزّ من الأرض، وقد قاسوه بنحو الشبر من الأرض.

وقد جرّب هذه الأُمور في البساتين التي تسقى سيحاً، فإنّها تكتسب من الطين في أيّام طغيان الأنهار ما يبلغ أن يكون معدّله على مساحتها نحو أربعة أصابع أو خمسة أو أكثر من ذلك في كلّ سنة، وتزيد على ذلك بأنّها تدمل بالسماد في كلّ ثلاث سنين أو أكثر بمقدار يبلغ معدّله على مساحتها أيضاً نحو ما ذكرنا، ومع ذلك ترى بعد الخمسين والمائة سنة ولم تعلُ أرضها شيئاً يدرك. ويعرف ذلك بميزان الماء، ويشهد لذلك أرض وادي مصر، فإنّ الأطيان التي تكسبها من فيضان النيل في كلّ سنة لو لم تستوفها الزراعة والنبات بالنموّ لصارت على مرّ الدهور جبالاً، لكن مقياس النيل يبيّن أنّها لا تعلو.

ولمّا انقطع عن بحيرة النجف مادّتها من الماء العذب صارت كلّما نقصت اشتدّت ملوحتها، حتّى عَمِيَ بعض السمك الكبار، وبعض فقد حسّه قبل موته، فصارت السلاحف الكبار والصغار تهرب إلى البرّ تابعةً نسيم الماء، فماتت في عوالي الأرض عن البحيرة بنحو ميلين أو ثلاثة أو أربعة، وانتشرت عظامها وأجزاؤها الصلبة تحت الرمال. وقد شاهدنا الصبيان يجمعون من حوالي البحيرة المذكورة كتلات من الأصداف يصعدونها إلى البرّ، ويبعثرونها في ملاعبهم خلال الرمال في مدى بعيد عن البحيرة يعلو عليها بنحو مائتي قدم. وقد شوهد في بعض الأراضي المشتملة على طبقات متحجّرة في أثناء طبقات رمليّة سائلة، أنّ المستحجرة إذا كسرت لدفن الموتى

ـ مثلاً ـ ودفنت بالرمل تعود إلى استحجارها الأوّل قبل مضيّ قرن.

والمشاهدة والتأريخ يعلماننا بتنقّل العمران، وتبادل الخراب، وانطماس الآثار بالعوامل المختلفة. ولقد علمنا في جملة من البلدان أنّ عوامل العمارة والتحرّز من الماء يرفع أرضها تدريجاً بعهد غير بعيد، حتّى يبلغ ذلك عدّة أمتار. وقد شوهد في حفريّاتها التي تبلغ ثلاثة أمتار أو أربعة أو أكثر آثار كالتنانير والمواقد والأثافيّ وفوهات البلاليع، بحيث تدلّ على أنّ سطح الأرض كان هناك في بعض الأيّام التي لا تجاوز القرن أو القرنين.

والحاصل: أنّ النظر في هذه الأُمور لا يدع نتائجهم التي يدّعونها من الأحافير أن تكون ظنوناً، فضلاً عن أن تكون علماً، وفضلاً عن أن يخصّ اسم العلم بها، وفضلاً عن الحجر على النتائج العلميّة التي تؤخذ من غير الأحافير ونحوها ممّا بنوا عليه مسألة التحوّل.

ومن الأمثال: دعواهم أنّ كثيراً من أعضاء الحيوانات لا حكمة ولا فائدة فيها، فهي أثريّة من التحوّلات. وهذه الدعوى يحتاج مدّعيها إلى أن يبرهن على إحاطته بجميع الحكم والفوائد في كلّ موجود، فيقبل منه النفي عند عدم تهمته بالأغراض، وأنّى بذلك؟

قال شبلي ص ٢٨٨: «ليس في طاقة الطبيعي أن يعلم الحقائق والماهيّات» إلى آخره، وص ٢٣٤: «لعدم أن يحيط الإنسان علماً بكلّ شيء ـ وعلماء الطبائع لا يدّعون علم كلّ شيء».

وقال بخنر ص ٩٧:

وإنّه ليصعب أو يستحيل علينا أن نعرف كم يخصّ كلّاً من هذه الأسباب. ويظنّ دارون أنّا غالباً لا نعرف النواميس. انتهى.

وفي معرب أصل الأنواع لدارون:

وكثيراً مّا تستغلق دوننا وجوه الرشد في اكتناه دستور محكم، نسترشد بهديه في ظلمات هذه الأبحاث. فقد لاحظ «جفروي» أنّ بعض التشوّهات الخلقيّة الحادثة

بالطبيعة كثيراً مّا تتشارك في الوجود، وأنّ غيرها قد يندر تشاركها. كلّ ذلك ونحن لا نعلم أسباباً ننسب إليه وجودها على تلك الحال[١]. انتهى.

وأعد النظر فيما ذكرناه ص ١٤ ـ ١٥ من اعتراف شبلي في مجموعته بجهلهم بالحقائق. ولا يخفى على كلّ أحد أنّ الإنسان أسير الجهل، فإن تخطّاه فإلى قليل من العلم، ولكنّ الكثير من تكون عثراته بالجهل المركّب أكثر من خطواته في العلم بأضعاف مضاعفة، فيكون توجّهه إلى العلم وبالاً عليه.

قل: فكيف علموا وجزموا بنفي الحكمة والفائدة في هذه الأعضاء؟ فلماذا لم يحتملوا أو يظنّوا أنّ من جملة الحكم والغايات في أثداء الذكور أنّها مشاركة بحسب التناسل لثدي الأُمّ في توليد أثداء البنات الناموس الذي يقوم بتغذية الحيوان في الطفوليّة؟

وقد صوّب بخنر قول فيرخو بأنّ بدن الأب وبدن الأُمّ يكسبان مادّة الجرثومة.

ونقل شبلي عن هكل قوله:

كلّ جسم يكسب نسله ـ فضلاً عن صفاته الموروثة ـ بعض صفاته المكتسبة في حياته الخصوصيّة، بحيث إنّ الانتقال يكون على نوعين محافظ ومتكامل. انتهى.

فانظر إلى ص ٩٠ و ٩١.

وكيف يليق بمن يعتمد على ناموس الوراثة أن لا يحتمل هذه الفائدة في أثداء الذكور، فيجزم غير متحرّج ـ حتّى من علمهم ـ ويقول لا فائدة فيها؟ وليت شعري من أين عرفوا أنّ عضلات الأُذن لا فائدة فيها إلّا التحريك، فقالوا: إنّ الإنسان غير محتاج إليه، بل لا يحرّك أُذنيه، فالعضلات في أُذنيه أثريّة لا فائدة فيها؟

ولماذا لم يكسبوا فضيلة الجهل البسيط، فيجدّوا في الطلب كما جدّ الأسلاف؟

وكان عليهم في الأقلّ أن يحتملوا كون العضلات المذكورة لها دخل في استقامة هيئة الأُذن، أو موصلاً لبعض القوى إلى أعضائها، أو ميزاناً معدّلاً لأمواج الصوت في

---

١. أصل الأنواع: ٢٨٩.

الحيوان، دافعاً لتلك الأمواج إلى الصماخ، إلى غير ذلك.

ويكشف لك الحال تسرّعهم في حكمهم بأنّ الغدّة الدرقيّة لا فائدة فيها، بل هي مضرّة ينشأ فيها المرض المعروف بالجواتر، مع أنّ شبلي ص ١٣٠ نقل عن الدكتور كرخر من سويسرا:

أنّه نزع ١٥٠ غدة من المصابين بالجواتر، وظهر له أنّ نزعها مضرّ جدّاً بالدماغ، فإنّ بعض المنزوعة منهم قد وقعوا في البلاهة التامّة.

والنظر إلى ما ذكر في مجلّة العرفان ص ١٣٧ من المجلّد السادس في شأن الغدّة الدرقيّة وتأثيرها في الحياة.

وكما تسرّعوا بدعوى: «أنّ المعا الأعور لا فائدة فيه، بل كثيراً مّا تجتمع الموادّ فيه تجمّعاً خطراً». انتهى.

ويا للعجب! ألم يسمعوا من الأطبّاء في قديم الزمان وحديثه: أنّ من جملة فوائد الأعور كونه سجناً للموادّ المجرمة، يقفل عليها فوهته بصمّامها المخلوق لهذه الحكمة، ويمنع عاديتها عن مثل الدماغ والقلب وباقي الأعضاء الكريمة، حتّى تقوى الطبيعة بنواميسها المجعولة لها على تبعيد تلك الموادّ عن البدن؟ ولماذا لم يصدّهم احتمال ذلك عن جزمهم فيجدّوا في طلب الحقيقة؟

وإنّ المشرّحين المتأخّرين إنّما قالوا بالأثريّة في خصوص الزوائد الدوديّة من المعا الأعور نظراً إلى أنّه في الحيوان ذي الثدي أطول منه في الإنسان بنسبة الزوائد.

وهو نظر عليل، فإنّ تغيّر هيئتها في الإنسان يدلّ على حاجته إلى وضعها الخاصّ، وإنّ وجود الصمّام لها وإن كان ناقصاً يدلّ على أنّ لها عملاً كبيراً من نحو عمل الأعور يحتاج إلى ذلك الوضع.

ومن الأمثال: قولهم بالجوهر الفرد، وهو الجزء الذي لا يقبل القسمة من الجسم، وقد قالوا:

إنّهم لم يروا الجوهر الفرد إلّا أنّهم لم يروا بدّاً من التسليم به، ولابدّ للطبيعي،

ولطالب علم الكيمياء من التسليم بالجوهر الفرد وإن صعب عليهم تعيّنه. وجعلوا حجّتهم عليه أنّ التركيب الكيمي على نسب معيّنة. فالهيدروجين يتّحد بالأُكسجين على نسبة ٢ إلى ١ فيركّب ماءً، وإذا اختلف التركيب بين العناصر الواحدة فنسبته إنّما تكون على نسبة عدديّة. وهذا كلّه لا يجب أن يكون إن لم تكن في المادّة أجزاء لا تقبل القسمة. وأيضاً إن لم تكن أجزاء الأجسام منفصلةً، فلا يبقى وجه لتعليل الحالات الطبيعيّة، كالمساميّة والانضغاط والانقسام والتمدّد والمرونة ونحو ذلك. انتهى. انظر ص ٢٧٢.

ولا يخفى عليك سقوط هذه الحجّة؛ لأنّ النسبة التي يأخذها الكيمياوي إنّما هي بالمقدار الوزني، ومن ذا الذي عدّ الجواهر الفردة وأخذ النسبة من عددها التفصيلي. وإن لوحظ امتزاج الأجزاء في التركيب فيكفي فيه امتزاج أصغر الدقائق وتفاعلها تفاعلاً كيمياويّاً. وأمّا الحالات الطبيعيّة المذكورة فيكفي فيها الانفصال بين الدقائق فما فوقها، فإنّ الدقيقة أصغر من معاء الحيوان الذي قيل: إنّ الماء الذي يحمله رأس الإبرة يشتمل على ملايين منه.

ودع عنك ما قيل في دقائق نسج العنكبوت. ومع هذا كلّه لا حاجة إلى الطفرة إلى الجوهر الفرد والالتزام باللوازم الباطلة ممّا أورده أهل العلم، ألا وهم الفلاسفة والمتكلّمون.

ودع شبلي وأصحابه لا يجيبونهم إلّا بالتوهين لهم ولعلمهم.

رعاك الله أيّها المكاتب، إنّ من تقدّم بصنعة أو نبغ باختراع لا يلزم أن لا يكون جاهلاً فيما عدا ذلك، ولئن صار البناء على تقليد النابغين بالاختراع، فإنّ النابغين هم الإلهيّون السابقون لدور الإلحاد، كما ذكرنا أوّلاً.

دع هذا، ولكن قل لي: هل تقتنع من مخترع حبس الصوت، أو المتفنّن في مجاري الكهربائيّة وأعمالها العجيبة، أو الراقي في الاختراعات الكيمياويّة، إذا قال لك: إنّ كتابتك العربيّة غير مقروءة للعرب أصلاً، وإنّ الذي يكتب من اليمين لا يصلح في شرع الإسلام أن يكون كاتباً في المحكمة الشرعيّة، أو إنّك وأولادك من غير قسم

«السبرمان»، فيلزم في ناموس الارتقاء وتحسين النوع البشري أن تقتلوا، أو إنّ المرأة مشتركة في كلّ زمان بين جميع الرجال يتمتّع بـها زوجـها كأحـدهم، أو إنّ جـميع معلوماتك وإدراكاتك الضروريّة والمكتسبة بالنظر في شيء يخصّك أويعمّ هو خـطأ محض؛ لأنّ إعمال الإدراك في كلّ شيء أُمور لازمة للمباحث الخارجة مـن مـعمل الطبيعي، والداخلة في بوتقة الكيمياوي، والواقعة تحت مشراط المشرّح.

**الملاحظة الثالثة**: في قول المكاتب «بمباحث الوجوب والإمكان» إلى آخره.

لا يخفى على كلّ أحد أنّ كلّ إدراك تصوّري أو تصديقي باعتقاد أو شكّ، وكلّ فنّ وكلّ اختراع وكلّ تجربة وكلّ حجّة وكلّ تعليم وكلّ مناظرة حتّى عند الأطفال إنّـما تقوم على أساس الوجوب والإمكان حقيقةً أو ادّعاءً. وأمّا الامتناع فإنّه عـبارة عـن وجوب العدم.

وأنّ التصوّرات الجزئيّة بواسطة الحواسّ لا تقوم أيضاً إلّا على أسـاس الإمكـان والوجوب، وأنّهما مقدّمتان تجعلهما الفطرة ميزاناً لكلّ ما يحوم حوله الشعور والاحتجاج.

ألا ترى الطفل إذا أريته شيئاً لأجل ترغيبه أو تخويفه فإنّه يتأمّل وتبعثه فطرته على النظر في أنّه هل يمكن أن يكون هو ذاك أو يجب أن يكون أولا يكون؟ وبعد البناء على الإمكان أوالوجوب يرتّب آثـار الرغـبة أو الخـوف أو العـدم. وإذا نـظرت إلى احتجاجه معك أو إقناعك له بالصحيح أو الغلط أو المغالطة وجدتهما يـدوران عـلى محور الوجوب والإمكان.

ولا يخفى أيضاً أنّ جهات الوجوب الملحوظة مختلفة باعتبار الوجـوب بـالذات وبالسبب العقلي والعادي والشرعي الوضـعي الإلهـي أو القـانوني، كـما لا يـخفى أنّ الدعاوي والحجج والمغالطات والإدراكات تختلف باختلاف هذه الجهات؛ ولأجل ذلك تصدّى الفلاسفة والمتكلّمون لتحرير هذه الجهات وبيانها، صوناً لأفكار البشـر عـن الخبط والخطإ وعادية المغالطة. ونبّهوا إتماماً للفائدة على موارد اجتماع المـختلفات

بالحيثيّات كاجتماع الإمكان الخاصّ مع الوجوب بالسبب أو مع الامتناع بالعادة مثلاً.

نعم، قد اقتضى بسط الكلام في ذلك كثرة المباحثين بأوهامهم. ومن جملة ذلك مقاومة السفسطة للوجوب والامتناع لمضادّتهما لأوهامهما.

ومن ذلك أنّ السفسطائيّين جعلوا اختلاف الجهات والاجتماع بالحيثيّات نقصاً في الوجوب والإمكان وهدماً لبنيانهما، فلزم المتكلّمين بسط الكلام فيهما، ولكن السفسطائيّين كادوا أن يسلموا من التناقض بانتقاص الوجوب والإمكان مع البناء على أساسهما.

ولو أدرك المتكلّمون هذا الزمان لعجبوا من التناقض. وأيّ ذنب للوجوب والإمكان إلّا أنّ الإلهي يقصر المسافة ويربط الأُمور بحقائقها، فيجاهر بحقيقة الاعتماد عليهما بدون تورية ولا إدماج، لكن غير الإلهي مهما تستّر وتجافى عن المجاهرة بالاعتماد عليهما، ومهما أطنب في قوله: قال فلان، وقال فلان، وحفر فلان، و وجد فلان، وشرح فلان بدن القرد، وربّى فلان الحمام؛ فإنّه لابدّ له أن يعتمد في نتائجه وتصوّراته وتصديقاته على دعوى الوجوب والإمكان، وإن ستر هذا الاعتماد الذي لابدّ منه، لكن لا مفرّ له عن السؤال بأنّ نتائج علمه إن كانت لا تجب فلماذا قال بها؟ وإن كانت تجب فمن أين وجبت؟ وما برهان وجوبها؟ وهل وجوبها عقلي، أو عادي، أو بقانون أسّسته مقاومة الإلهيّين؟

ودعه لينتقص الوجوب والإمكان، وليحجر على الاعتماد عليهما، وليبعد العقل عن مملكة الحقائق، وليمنح الاستبداد بمباحثها للمعمل والبوتقة والمشراط وتخمينات الأحافير، أو ليست الحقائق حرّة ولها أنصار ومحامون؟ وإن كان كثير من الناس أتباع التقليد وحبّ الجديد، والله وليّ التوفيق والتسديد.

وقد أسلفنا لك في النظرة الرابعة أنّ الوجوب والإمكان من أحوال الوجود في الأعيان، والوجود في الإدراك كثبوت الصفة لموصوفها والحكم لموضوعه، وهما الأساس الذي يبتني عليه أهمّ النتائج، والجادّة الموصلة إلى شؤون الوجود والموجودات في الخارج وفي العقل، ولا يستغني أحد عنهما، ومن لم يجر على جادّتهما فمهواه التيه.

الملاحظة الرابعة: في قول المكاتب:

وكيف يركن إلى مجرّد العقل في حين أنّا نرى العقلاء يعتقدون كثيراً من الأُمور، ثمّ يبدو لهم فيعتقدون خلافها، ونرى كثيراً يعتقدون بأُمور تضحك العاقل وتبكيه. انتهى.

وإنّا نذكّر المكاتب أوّلاً بما قلناه في النظرة السابعة وصدر الملاحظة الأُولى في الفصل الأوّل، وهو استنادنا في الإلهيّة إلى كلّ محسوس في عالم الكون ونظامه المتقن في أدواره وأطواره.

ونقول له ثانياً: لاراعتك المغالطات، ولادهتك مخادعات الطفل عن لبن أُمّه، فقل لمن قابلك بهذا التشكيك: هل صدّت هذه التهويلات واحداً من الناس، فترك عقله و معقوله في أمر بيته وعائلته ومعيشته وحرفته وصنعته ومعارفه وفنونه وحججه ومخاصماته، فلم يبن شيئاً ممّا ذكرنا إلّا على الشعورات الجزئيّة الحسّيّة، ولم يتخطّ أصلاً بالنظر والبرهان إلى إدراك المجهولات التصوّريّة والمجهولات التصديقيّة، ولا إلى الإشعار بها في مقام الاحتجاج والتعليم والتدريس؟ وهل ترك الناس كلّ هذه وعطّلوا عقولهم لأجل التهويلات المذكورة؟

وكثيراً مّا يقع الخطأ في الحسّ، فكم يخطئ ضعيف البصر والسمع؟ وكم يخطئ الناظر إلى الشيء البعيد أو الدقيق؟ وكم يخطئ السامع في الصوت البعيد أو الضعيف؟ وذلك لتقدير الناظر أنّ ما ينظر إليه ممّا يدركه بصره وكذا السامع، فيكون الخطأفي التقدير، فهل ترك أحد سمعه وبصره لأجل هذه التهويلات؟

وقد أسلفنا في النظرة الأُولى أنّ أقرب الفنون إلى الحسّ هما الهندسة والحساب، مع أنّ كبرياتها اليقينيّة لا حياة لها إلّا من العقل، ولو أُوكِلَ أمرها إلى الحسّ واستقرائه الناقص الطفيف لما تخطّت من الشكّ إلّا أضعف مراتب الظنّ. ولا يخفى أنّ لقوّة الإدراك والإحساس حدّاً محدوداً للنوع وللشخص، ولها أيضاً آلات تعينها على

الوصول إلى ما هو خارج عن الحدّ، وأنّ منشأ الخطإ في الإدراكات والحسّ هو الجهل المركّب في شأن الحدود والآلات وموازينها.

ألا وإنّ أنفع العلوم لكلّ إنسان هو علمه بحدود إدراكه، فيعرف جهله وينجو من متاهة الجهل المركّب، وهذا هو العلم الذي يسمّيه بعض الحكماء والفلاسفة بالجهل العلمي، وأنّه هو الذي تصل إليه النفوس الكبيرة، وهو بالحقيقة العلم القائم بمعرفة الإنسان نفسه، وهو نادر الوجود بين الناس، وأنفع العلوم يحفظ صاحبه من الوساوس والزيغ والضلال .

والجهل المركّب يكون بين أُناس هم بين بين، وهم الذين خرجوا قليلاً من بساطة العوامّ، وتلبّسوا بشيء من صبغة العلم بخطوات مرتعشة في مبادئه، ولم يصلوا بكمالهم إلى الجهل العلمي المذكور وهو علمهم بحدود إدراكهم. فهم يتلقّون العالم تارةً بالتقليد الأعمى في المسموعات الجديدة، وتارةً بالتشكيك في كلّ شيء. فانظر أقلّاً إلى دائرة البستاني في مادّة «جهل» ياذا الذي يركن إلى تقليد ذوي الأسماء والألقاب الغريبة إن لم تتجلّ لك هذه الحقيقة بوجهها الواضح، وتجري على ناموسها لكي تعطي الحقائق ونفسك وشرف إدراكك حقوقها. ولنذكر لك لهذه الملاحظة أمثلة:

١ ـ إنّ الناظر قد ينحو شبحاً يخرج تميّزه عن حدّ بصره، ولكن جهله المركّب بذلك يفتح باباً لمخيّلة وهمه، وقد يعينها الشوق والخوف والشبهة، فتصوّره له ذا عنوان خاصّ وكيفيّة خاصّة، ثمّ ينكشف خطؤه.

٢ ـ كثيراً مّا يسوء التدبير في زئبق المرآة، فتكتسب الصورة حمرةً زائدةً أو صفرةً زائدةً، والناظر لجهله بالحال قد يحسب أنّ ذلك اللون هو لونه الحقيقي.

٣ ـ قد ينظر في الصفيحة الصقيلة المنحنية يسيراً، فيرى الصورة أقلّ من عرضها الحقيقي إذا كان نظره في المحدّب، وأكثر من عرضها الحقيقي إذا كان نظره في المقعّر.

٤ ـ من كانت يده زائدة البرودة لبعض العوارض، يتوهّم من لمس بدن الصحيح حرارةً تشبه حرارة المحموم.

٥ ـ من يسمع دمدمةً يجهل خروجها عن حدّ السمع قد يخيّل له وهمه منها كلاماً ذا حروف مركّبة ودلالة لفظيّة.

نعم، قد يتفاحش الخطأ فيما ذكرنا فيتنبّه الإنسان له بوجه إجمالي، وربّما يكشف له الفحص عن السبب. وهلمّ إلى العقل واعرف شيئاً من أمره ممّا ذكرناه، وأنّ الناس أيضاً في أمره على أقسام:

فمنهم: من يتهجّم على حقيقة خارجة عن حدّ إدراكه، وهو يجهل ذلك، فيخبط في أمرها خبط عشواء.

ومنهم: من إذا لم يصل إلى الحقيقة جعل جهله بها دليلاً على عدمها، فتراه كمن يقول: نظرت في العراق كلّ ليالي الربيع والصيف في النجوم، و عثرت على نجوم كنت أجهل وجودها، ومع ذلك لم أر ما يسمّيه الناس سهيلاً، فلا سهيل في الكواكب، أو يقول نظرت بقوّة بصري مدّة ما مضى من عمري على سطح داري ورؤوس الجبال فلم أر ما يسمّونه نبطون، ولا أُورانوس، ولا أقمار المشتري، فلا حقيقة لهذه.

وهذا الشخص جاءه الخطأ من اقتضاء الأسباب لغفلته عن أنّ سهيلاً والمذنّب لطلوعها أوقات خاصّة، وأنّ نبطون وأُورانوس وأقمار المشتري لاترى إلّا بنظّارات الرصد، فمثل هذا الشخص كمثل المشرّح الذي كشف له السلف عن حقائق مجهولة من فوائد أعضاء الحيوان، وهو مجدّ في التشريح لا كتشاف المنافع المجهولة، ومع ذلك يتسرّع بجزمه في أنّ بعض الأعضاء أعضاء لا فائدة فيها، فهي أثريّة من التحوّل.

ولا يخفى أنّ المجهولات التصوّريّة لا يصل إليها العقل إلّا بآلة المعلومات التصوّريّة، وأنّ المجهولات التصديقيّة لا يصل إليها العقل إلّا بآلة المعلومات التصوّريّة والتصديقيّة إذا رتّبت هذه الآلات على موازينها التي قرّرتها الفطرة ودوّنها العلم وبيّن ترتيبها وموادّ تركيبها وجهاتها التي تجب بها النتيجة، ولكن دواعي القصور والتقصير ورغبة الأهواء ونفرتها قد تصرّفت تأثيراتها في هذا المقام حسب ما يسنح لها ويتوقّف عليه أمرها. فالسفسطائيّون حاولوا أن يلغوا ميزان الوجوب والامتناع، لكي يبطلوا روح البرهان

وحركته، فيخلوا الجوّ لمزاعمهم، وتبعهم على ذلك من يعيب الاعتماد على الوجوب والامتناع والإمكان، ويشنّع على التدقيق في إيضاح ميزانيّتها، والغرض ذلك الغرض، ما أشبه الليلة بالبارحة.

وبعض حاول أن يعيب العقل والمعقول لكي يستفيد من ذلك أُموراً:

١ ـ إسقاط حجّة خصومه أن يتلقّى كلّ حجّة لهم بدعوى أنّها عقليّة مجرّدة، فلا ينبغي أن يصغي إلى العقل والمعقول، وإن كانت حجّتهم تعتمد على الاستقراء التامّ في المحسوسات.

٢ ـ أن يزيل عن معارضة مزاعمه كلّ مانع عقلي.

٣ ـ أن يفتخر بأنّ حجّته حسّيّة تجريبيّة، ويستر كونها لا تنتظم في الصفّ مع أقلّ استقراء ناقص لا يفيد في الدعوى الممكنة ـ إذا أفاد ـ إلّا أقلّ مراتب الظنّ.

ودع عنك أنّ هذه الفائدة الزهيدة التي لا قيمة لها في العلوم متوقّفة على مقدّمة عقليّة تبيّن ارتباط المجهول المطلوب بالمحسوس ارتباطاً احتماليّاً أو ظنّيّاً، فيكون استقراء المحسوس دليلاً عليه احتمالاً أو ظنّاً.

ودع عنك الدعاوي التي يقوم البرهان على امتناعها. ويا للعجب كيف ساغ في شريعة من الشرائع أنّ المقدّمات العقليّة العمليّة تكون معيبةً ومحجّراً عليها، والمقدّمات العقليّة الاحتماليّة أو الظنّيّة مطلقة العنان سائدة النفوذ على موانعها ومعارضاتها، ومع ذلك تختصّ باسم العلم المطلق!

أيّها الكاتب ـ سدّدك الله ـ فماذا على المتمسّك بالدليل العقلي؛ إذ أحكم آلات ميزانه وزجاجات نظّاراته وعرف ميزانيّتها بالوجدان وبوضعها على بساط البحث والمناقشة؟ كم ترى في الناس من يخطئ في الحساب؟ فهل ترك في الناس لأجل ذلك اعتمادهم على الحساب وفنّه وموازينه؟ وهل ترك الاعتماد على السمع والبصر واللمس لأجل ما ذكرناه من الخطإ فيها؟ فهل تعدو أن تقول: إنّ الناس إذا أحكموا ميزانيّة الحواسّ وقواعد الفنون لم يلتفتوا إلى اتّفاق وقوع الخطإ من أجل خلل الميزانيّة

وإن كان كثيراً ـ سدّدك الله ـ فاسمح إذن للادلّة العقليّة بمثل هذا القول، فإنّك لا تستغني عن ذلك في يومك وليلتك ـ سدّدك الله ـ كيف غفلت عن قولك: «ونرى كثيراً من العقلاء يعتقدون بأُمور تضحك العاقل وتبكيه»؟ فإذا كان العقل لا يركن إليه فكيف ضحك هذا العاقل من اعتقادهم وبكى؟

ما هكذا تورد ـ يا سعد ـ الإبل[1].

وأمّا قولك:«وكثيراً مّا عددنا من المستحيل»، إلى آخره، فسامحنا إذا قلنا فيه: إنّ اللوم على من لم يتحرّ موازين الإمكان والاستحالة، لا على الاستحالة، ولا على من يضع الأُمور موضعها ويزنها بموازينها ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2].

وأنّي استلفتّ النظر من كلّ طالب للحقيقة إلى فلسفة النشوء والارتقاء التي خصّوها باسم العلم، وأن يجمع جميع محسوسات دارون، وهكسلي، وهكل، وأصحابهم، وتجرباتهم في أحوال النبات، وفي أحوال الحيوان من الأدوار الجنينيّة إلى آثار التربية، إلى أحوال التناسل، إلى تماثلاتها، وإلى تبايناتها، وإلى انغالها[3]. وأن يجمع جميع محسوسات المشرّحين في جميع أجزاء الحيوانات وتشابهاتها و تماثلاتها واختلافها وزيادتها ونقصانها، ويجمع جميع محسوسات الكيماويّين في تحليل الموادّ وتركيبها وفعلها وانفعالها وآثارها، ويجمع جميع محسوسات الطبيعة وآثارها، وجميع ما وجد في الحفريّات من آثار الحيوان والنبات وطبقات الأرض. ويستنطق هذه مجتمعةً ومنفردةً، ويكرّر عليها الاستنفار، ويستوضح منها البيان، ويطلب من نطقها وبيانها ما يقنع به لو ادّعى عليه بمثقال من الذهب؟ وليناد فيها: أيّتها المحسوسات الثمينة والتجاريب التي صرفت فيها الأموال والأعمار، من ذا يريني ويشعرني بحسّي أنّ الإنسان متحوّل من القرد المتحوّل هو وسائر الحيوانات من المونير ومن كذا وكذا؟

---

١. جمهرة الأمثال ١: ٩٣، المثل ٧٩.

٢. الأنعام (٦): ١٦٤.

٣. كذا في الأصل ولعلّ الصحيح «انفعالها».

ومن ذا يريني ويشعرني بحسّي الجواهر الفردة، وزوابع الأثير، والأثير وحركته؟ ومن ذا الذي يريني ويشعرني أنّ القوّة ذاتيّة في المادّة غير مجعولة لها؟ من لي بالعلم الصحيح بأنّ المادّة والأثير والقوّة لها القدم في الوجود والتسلسل في التأريخ؟ فهل من معمّر يخبرني الصراحة من القول أنّه قد أدرك وشاهد الأثير والمادّة والقوّة قبل ملايين من السنين، والأثير على أعماله والمادّة على حركتها، والقوّة على تأثيراتها؟ لا أعتمد في هذه كلّها إلّا على الحسّ الخصوصي من دون أن يتوسّط في ذلك وجوب ولزوم عقلي أو عادي.

إنّي ليألمني ويشوّش فكري ذكر الحلقات المفقودة من سلسلة التحوّل، فدعني أُعلل نفسي في وجدانها بالآمال، ولكن من لي بالاطّلاع العلمي الحسّي على ما وجد من بقيّة السلسلة، فتقرّ عيني برؤيتها تامّة الحلقات منتظمة الارتباط محكمة التداخل. ولا أقنع بأن أرى أُموراً متابينةً متباعدةً بالانفصال، لا يدرك التأريخ مدى تباينها وانفصالها: إنسان، وقرد، وعظم، وريشة، وقوقعة مستحجرة، وصدف، وطباشير، وفرس وحشي مخطّط الظهر، فكيف أنخدع وأتوهّمها سلسلة في التحوّل بأوهام فلان ومزاعم فلان؟ وكيف أقنع وأنا أفتخر وأخصّ هذه الفلسفة باسم العلم، وأُسمّي احتجاج الإلهيّين طفرة، وأُندّد بالعقل والمعقول؟

وإذا كانت نتائج النشوء والارتقاء ـ هذهِ النتائج المهولة ـ ليست متوقّفةً على مناسبات اعتباريّة حدسيّة تخمينيّة، أو ملازمات عقليّة، فماذا أصنع وقد اغتررت ورفضت العقل والمعقول، وعِبْتُ المستندين إلى العقل وموازين الإمكان والوجوب والامتناع والملازمات العقليّة وإن اعتمدوا في المقدّمات على الحسّ والبداهة؛ وإنّي لم أجد في فلسفة النشوء والارتقاء موازين وقوانين جديدة، قرّروها للحجّة والبرهان لكي أجري عليها، وآخذ بها النتائج من الفصول المبعثرة التي لا أُحسّ من منثورها ميزاناً بَنَتْ عليه ارتباطها وإنتاجها لأيّة نتيجة كانت.

فلا طريق لي إذن إلّا أن أعقد الصلح مع أُولئك الذين عِبْتُهم، وأتّبع في النظر والبرهان

موازينهم وقوانينهم المقرّرة في مؤتمر العقل الحرّ، ولا أضجر من تحقيقهم وتدقيقهم في تقريرها، بل أستقصي معهم في أمرها حماية للحقائق، فإنّهم أرادوا بذلك أن لا يتركوا فيها إجمالاً تتجاذبه الأهواء أو الغفلة بمزاعم السفسطة واختلافات التفسير وهفوات الطفرة.

## تتميم

قال المكاتب بعد كلام أخّرناه للمقصد الثاني لعلاقته به، وهذا لفظ ما قاله:

ولكن ما نقول لهم فيما يمكننا معهم الخوض فيه ونعرفه كما يعرفونه، وهو ما سيأتي ممّا أورده بعضهم، قال: إنّ الأدلّة العقليّة ـ مجرّدة ـ لا تكفي في اعتبارها أدلّة قاطعة على الصانع المختار، فإنّ العقل ذو وجوه و مناح كثيرة، فقد يعتقد بوجه بما يراه مستحيلاً من وجه آخر. ألا ترى أنّ إحداث الموجود من العدم أمر نظري، ولكن يستحيل اكتسابه من ضروري، كما هو شأن النظريّات، بل إذا كانت الضروريّات سبباً لتحصيل النظريّات عدّ العقل مثل هذا مستحيلاً غير ممكن، مع أنّ العقل إذا نظر غير نظرته هذه مطلّاً عليها من طريق آخر حكم بحدوثها، عكس النظرة الأُولى. وإنّ جميع المسائل العقليّة قد تشعّبت المذاهب فيها، وتعاكست الآراء منذ عرف الإنسان إلى اليوم، فأيّ عاقل يثق بهذه المعلومات التي تتلوّن بتلوّن الاعتبارات والمشارب تلوّنَ الحرباء؟

فنقول ـ بعد أن نؤخّر الكلام في مسألة إحداث الموجود من العدم إلى المقصد الثاني، لأنّه أنسب به وأولى ـ: قد تقدّم التنبيه على محصّل هذا الكلام في النظرة الأُولى والثانية والثالثة والسابعة، والملاحظة الرابعة من الفصل الثاني، ولنؤدّ لهذا المقام حقّه، فنقول تتميماً لما أشرنا إليه:

إنّ بعض أهل القرى ـ الذين لم ينالوا حظّاً من إتقان الحضارة ـ يصنعون موازين لبيعهم و شرائهم لا يحسنون فيها إتقان أمر المخلّ، ولا ثقبة لدارك، ولا حبال الكفّتين، ولا يعرفون كثيراً من أسباب الخلل فيها، بل يحسبون أنّهم صنعوها على حقيقة الناموس الميكانيكي، فيزنون بها نحو الستّة آلاف درهم أو مثقال، ويلجئهم الثقل وكبر

الميزان إلى إسناد يديهم إلى صدورهم غفلةً عن أنّ هذا الإسناد معرض للخلل في الوزن أيضاً، وقد يميل العيار الحديدي أو الصخري إلى طرف كفّتها الواسعة، فيخرج ثقله عن كونه عموديّاً إلى وتر المنفرجة، فيتفاحش الاختلاف بسبب هذه الأُمور على نسب مختلفة غير ثابتة وربما يبلغ الألف درهم، ومهما بادلوا العيار والموزون في الكفّتين بقي الاختلاف لا على نسبة محفوظة. وهؤلاء القرويّون إذا رأوا موازين الصاغة والصيارفة والأُمم المتمدّنة في الصناعة حسبوها مختلفةً كموازينهم، ولا يصدّقون بأنّ في إتقان المدنيّة والحضارة موازين لا تختلف بالقيراط والغرام، قد طبّقوها بالدقّة والتحقيق على القوانين الميكانيكيّة المكتشفة بالبحث والتنقير والمقرّرة بالبداهة. وقد وجدنا بعض البدو يستحقرون حجم العيار الحديدي والصخري يصنع لهم أهل الغشّ قطعةً من الخشب أو الجذع يطلونها بالقار لتكون بشكل الصخرة، فيرغب البدو في الوزن بها إعجاباً بكبرها وإن كانت ناقصةً، حتّى أنّهم يخطّئون بذلك الحسّ والوجدان في اعتبار الثقل والمقدار، ولا زال الدهر يرينا لذلك أمثالاً.

وقد شاهدنا بعض الموازين الجيّدة الإتقان تستعمل غفلة في مهبّ الرياح، فيتفاحش فيها الخطأ بتلاعب الأهوية، وقد تستمرّ فيها الغفلة ـ سدّدك الله ـ أيّها المكاتب، فيترك الناس موازينهم التي بالغوا في إتقانها وحقّقوا في ميزانيّتها ورعاية الوزن بها؛ لأجل الاضطراب في الموازين التي ذكرناها.

نعم، من لم ينل حظّاً من إتقان الحضارة أو يريد المجازفة لابدّ له أن يعيب الموازين، وكذا من يريد حصر الأمر بتطفيف ميزانه ويزيد بافتخاره بهيولى عياره، لكي يخدع الغرّ **ليس في سطح البيت الواحد هواء حرّ وهواء قرّ**. كيف وإنّ الذين لخّصت من كلماتهم هذه التهويلات الهائجة هم بمرأى منك ومسمع، حرّروا محسوساتهم على علّاتها وسطروا أيضاً نتائجهم: التحوّل والارتقاء، أُصول الأنواع الشجرة التي غرس صورتها داروِن في كتاب أصل الأنواع، قدم المادّة، الجوهر الفرد، الأثير، زوابع الأثير، تحريكة المادّة، التواريخ القديمة، الطبيعة مستغنية بنواميسها عن المؤثّر الخالق، أفلا تطالبهم بالموازين

التي بنوا بها هذه النتائج على تلك المحسوسات الطفيفة، ثمّ تقول بعد ذلك ما تقول؟

وممّا يستحقّ التنبيه عليه: هو أنّ البعض من قرّاء العرب لكتاب شبلي يحسبون كلماته ذات قيمة، كالكلمات الناشئة عن علم وحرّيّة ضمير. ومن ذلك أنّه كثر في كلماته تبعاً لبخنر نسبته الإلهيّين في مقام توهينهم إلى الركون إلى محض الإيمان، يعني أنّه بدون علم وحجّة، فانظر أقلّاً إلى ص ٤٩ و ١٢٣ و ٢٨١ و ٢٨٤. فكان علينا إزالة الإيهام عن الحقيقة ببيان مالا يخفى من أنّ الإلهيّين بحسب نوعهم لا يركنون في دينهم إلى أمر إلّا بعد إقامة الحجّة العلميّة عليه، ودع شبلي وأصحابه يقولون: إنّه من العقل المجرّد، وإنّ اعتماد الإلهيّين على الأنبياء في التبليغات الإلهيّة لم يكن لمحض الوثوق بصدقهم وصوابهم، بل إنّما هو لأجل إقامة البرهان والحجّة على عصمتهم في التبليغ، ولولا ذلك لكانوا كسائر البشر، وامتيازهم بالصلاح ليس إلّا كامتياز سائر الصالحين.

ومن موازين الإلهيّين في النبوّات: أنّ كلّ شخص يقول بما يمنعه البرهان والوجدان فهو غير لائق لوظيفة النبوّة. فالإيمان عند الإلهيّين ليس تشيّعاً أعمى كما يقول شبلي، بل هو عندهم عبارة عن الانقياد إلى الحقّ بقائد الحجّة، ومقابل مضادّ للعناد ومكابرة الحجّة واتّباع الأهواء، وهلمّ إلى حال شبلي ونظرائه، وانظر إلى كتبهم بكلّ إمعان، فهل ترى فيها من الحجّة إلّا قولهم: فلان وجد، وفلان جرّب، ومهما كان من التجربة، فإنّه لا يقف في أضعف صفّ من الاستقراء لطفيف الظنّ. ومع ذلك فالنتائج الحدسيّة التخمينيّة المحتملة منه متعارضة في نفسها لو لم تكن نتائجهم ممنوعة بمانع يجرّ إليه البرهان، أتراهم أيّ مقدار كبير من الإيمان يحتاجون إليه في علمهم:

منه: الإيمان بالطبيعي «هكل» في دعواه أنّه وجد في قاع البحار جسماً متعصّياً، وجزمه أنّه حلقة الاتّصال بين الحيوان والجماد، وأنّه دليل على التولّد الذاتي. انظر ص ١٩ و ١٠٨ و ١١٠.

ومنه: الإيمان الكبير بأمر الحيوان العجيب الذي سمّوه «الاركوبيتريكوس مكروروس»، وادّعوا أنّه وجد في «سولنهوفن» في «يوريا العليا»، والإيمان بوصفهم

لشكله بعد أن مضى له في بطن الأرض بمقتضى زعمهم أُلوف عديدة من السنين، والإيمان بتركيبهم لجسده، وأنّه حلقة الاتّصال بين الطيور والحشرات. انظر ص ١١٥ و ١١٨، وراجع المثل الثالث من الملاحظة الثانية في الفصل الثاني من هذا المختصر.

ومنه: الإيمان بـ«طمسن» وما يقوله في زوابع الأثير بالشرح الطويل.

ومنه: الإيمان بمقالات الحفريّين فيما يجدونه ويصوّرونه ويدّعونه بتخمينهم من النتائج. وانظر إلى المثل الرابع وما بعده في أحوال الأرض في الملاحظة المذكورة.

ومنه: الإيمان بالمشرّحين فيما يدّعونه من عدم الفائدة في بعض أعضاء الحيوان وخصوص الإنسان، فانظر إلى النظرة السادسة والمثل الخامس من الملاحظة المذكورة، وأواخر الملاحظة الثانية من الفصل الأوّل. وهذا الإيمان بهذه الدعوى المقدّسة عندهم لا يقوم إلّا بالإيمان بأنّهم من رجال الغيب الروحاني والعلم الإلهي، وهذا أوّل ما يغضب المادّيّين، فماذا يصنع من يريد أن يؤمن بذلك؟

ولأجل الاختصار نقول: إنّ كلّ ما وجدناه في أصل الأنواع لداروِن في فلسفته، وفي شرح بخنر، وحقيقة شميّل ومقالاته يحتاج قبوله إلى إيمان عظيم وتسليم كبير من إنسان لا يشاء أن يكون على بصيرة من أمره.

وإن أنكرت علينا هذا القول فانظم لنا فصلاً ممّا أشرنا إليه على قانون الحجّة العلميّة في مادّة القياس وصورته، كما دوّنته العلوم من مقرّرات الفطرة، ولئن اقتضى التحوّل والانتخاب الطبيعي وتنازع البقاء تبدّل تلك القوانين إلى قوانين جديدة فاطرحها في ساحة البحث ليتّفق التحرير عليها فيما بيننا، حينما أرجو العفو من التهويل بقول فلان العلّامة، وفلان الطبيعي الشهير، وفلان الحفري الكبير، وما ذكره شبلي ص ٢٨ من تأثير الهامس في أُذنيه، أو حماسه في كتابه بإطراء علمهم، أو هياجه في خلال مقدّمتيه وكلماته التي صدر بها مواضع من كتابه في شتم الإلهيّين بالطفرة والإيمان والأغراض، وأنّ قيام الديانة كان بعامل حبّ الرياسة سطا بها دهاة الناس على ساذجي العقول. انظر ص ٤٣ و ٥٠، وانظر ص ٣٢٦.

## المقصد الثاني
## في وجود الإله الخالق العليم الحكيم واجب الوجود، وشبهات المادّيّين في منع وجوده لتأييد مزاعمهم

وفيه فصول:

[الفصل] الأوّل: في قول المكاتب المتقدّم:

«ألاترى أنّ إحداث الوجود من العدم ـ إلى قوله: ـ عكس النظرة الأُولى».

فأقول: هذا مأخوذ من زعمهم بأنّه يستحيل إحداث الوجود بعد العدم، فليس هناك خالق مبدع. ولا يخفى أنّه مهما تكن في الدنيا بداهة أو حسّ لا يتّضح كما يتّضح حدوث وجود الصور بعد عدمه وعدمها، لا أعني بالصورة مجرّد التركيب والطول والعرض والتخطيط، بل أعني الصورة النوعيّة، فإنّ الإنسان بعد أن يكون في الرحم منيّاً ـ وهو رطوبة لزجة ـ يصير ذا دم و لحم وعظم وعصب وشعر وأعضاء وإحساس وعقل وإدراك، يحدث له الألم واللذّة والغضب والابتهاج، وتحدث من أفعاله الحركة والكلام والأفعال والآثار. وكلّ هذه لم تكن، بل إنّ صورة المنيّ أيضاً وجدت بعد عدمها.

وانظر في شأن جميع الحيوان والنبات والمعادن، وإذا تحقّق واتّضح في الحسّ والوجدان حدوث الوجود بعد العدم بأوضح البداهة، لم تختلف حقيقة الوجود وأفراد ماهيته في إمكان ذلك لها من حيث مجرّد الوجود.

نعم، إذا كان الموجود الخاصّ واجب الوجود لذاته، كان وجوب وجوده الذاتي

مساوقاً لامتناع صفة الحدوث له، فليس في مسألة حدوث الوجود بعد العدم جهة نظريّة أصلاً.

نعم، للنظر جولة خصوصيّة صغرويّة في أنّ الموجود الفلاني هل هو واجب الوجود لذاته، فوجوده ليس بحادث، أم ليس بواجب فوجوده حادث؟

ولعلّ ما يحتمل قول القائل: «إحداث الوجود» أنّ نظره إلى الإحداث وتأثير الفاعل بالحدوث لا إلى الحدوث نفسه، ولكنّك بعدما بيّنّا لك حال الحدوث خبير بأنّ الإحداث ضروري الجواز إذا كان الفاعل قادراً نادراً، و ضروري الامتناع إذا كان الفاعل غير قادر.

ولعلّ ما يحتمل أيضاً من قوله: «إحداث الوجود من العدم» أن يكون نظره إلى كون العدم منشأً لحدوث الوجود ومادّةً له، ولكن لا ينبغي أن يخفى أنّه ليس من الإلهيّين من يقول بذلك، بل هو عندهم من أوّل الممتنعات.

ودع شبلي يقول في حقيقته ص ١٣١:

> كيف جاز التصديق بوجود شيء من لا شيء؟ وهل ضلال أشدّ من هذا الضلال على العقل؟ فتكوّن العالم من العدم أمر مستحيل لا يقبله العقل ولا يثبته الاختبار، والعدم لفظة لا معنى لها.

ولا عجب من شبلي إذا تقحّم هذه الفتوى بهذا الكلام الذي تنزله الإنسانيّة والمعارف منزلةً، ولكنّ العجب ممّن تستبعده هذه الأقوال من دون تفرّس في مادّتها وصورتها مع أنّ الحقائق مكشوفة للعيان. وإنّي لا أقول لهذا القائل: لماذا قلت: إنّ إحداث الوجود من العدم أمر نظري يستحيل اكتسابه من ضروري؟ وليسأل هو نفسه. ولكنّي أقول له: كيف قلت: يستحيل مع أنّ الذي يتعاطى الحكم بالاستحالة والوجوب والإمكان هو العقل؟! فكيف تركن إليه في خلال كلامك في توهين أمره وخلعه عن سلطانه؟! إلى هذا الحدّ تبلغ الغفلات؟!

وحيث أوضحنا إمكان الحدوث بعد العدم ووقوعه، فـلنعطف الكـلام إلى صـورة احتجاج المادّيّين لقدم المادّة، وهي أُمور:

الأوّل: قال شبلي في حقيقته ص ٢٨١:

وخالف المادّيون من سواهم في أصل المادّة، فقالوا: إنّها أزليّـة؛ لأنّـهم رأوا أنّ المادّة كالقوّة لا يستطاع خلقها ولا ملاشاتها، فهي واحدة لا تنقص ولا تزيد ولا تتغيّر إلّا في الصورة، قالوا: ونحن لا نعلم غير ذلك.

الثاني: نقل شبلي عن أصحابه المادّيّين ص ٢٨٢ قولهم:

أمّا دليلنا فعلمي؛ لأنّ المادّة لا يستطاع خلقها ولا ملاشاتها، وعقلي؛ لأنّ العقل لا يسلّم بوجود شيء من لا شيء ولا باستحالة شيء.

أقول: من لاحظ أقوال شبلي شمّيل وأصحابه لا تخفى عليه مغالاتهم في دليلهم العلمي التجريبي حتّى أنّهم أسقطوا لأجل احترامه الدليل العقلي، وارتاع لتهويلهم في ذلك جملة من الناس، وبودّ أصحابهم أنّهم لم يذكروا هذا الدليل العلمي التجريبي العالي القدر عندهم، ولكنّه مهما بلغ من الوهن لا يقصر عن سائر أدلّتهم العـلميّة التـجريبيّة المحترمة في مقام النشوء والتحوّل وأُصول الأنواع ونحوها.

ألا تنظر في قولهم: إنّ المادّة لا يستطاع خلقها ولا ملاشاتها؟ من الذي يعنونه فيه بأنّه لا يستطيع خلقها؟ هل يعنون الاله الخالق، أم يعنون البشر؟ فإن عنوا بذلك الإله الخالق قلنا: من حصّل العلم بذلك؟ ومتى حصل هذا العلم؟ ومن أين حصل؟ هل شاهد أحد في القديم عجز الإله عن خلق المادّة، أو شكى إليه الإله عـجزه؟ وبأيّ سـبب اكتشف ذلك؟ وبأيّ فنّ اكتشف؟ ومتى اكتشف؟ إذن فهذا الاكتشاف العظيم لماذا أخفاه الكتّاب وخطباء الغرب وأصحاب الجرائد والمجلّات؟ أمّا إنّهم إن علموا بذلك وأخفوه فقد جنوا على العلم والإنسانيّة أعظم الجنايات. وإن عنوا بذلك أنّ البشر لا يسـتطيع

خلقها ولا ملاشاتها، فهل يزعمون أنّ قدرة الإله من سنخ قدرة البشر، أو أنّ الإله واحد من البشر؟ أفليس هذا الدليل العلمي كقول البربري الضعيف: إنّ المدفع والغواصّة والأُسطول لا أستطيع خلقها ولا ملاشاتها، فهي قديمة غير مصنوعة؟

وأمّا ما ذكروه من الدليل العقلي فهو عجيب، متى سمعت أنّ الدليل العقلي يكون بقول القائل جزافاً ومصادرةً: إنّ العقل لا يسلّم بكذا وكذا؟

**الثالث**: قال شبلي ص ٢٣١:

ومن المقرّر أنّ المادّة دائمة الوجود لا تتغيّر، وهذا يقتضي كونها قديمة. ولو فرضنا وجود قوّة مبدعة لما أمكن وجودها باعتبار الزمان لا قبل الخلق ولا بعده. لا قبل الخلق؛ لأنّ ذلك يقتضي بقاءها مدّةً من الزمان بلا عمل وفي حالة السكون أمام المادّة التي لا صورة لها والساكنة أيضاً، وهذا غير سديد، ولا بعده؛ لأنّ هذا ظاهر البطلان.

وأقول أوّلاً: من قرّر ومتى قرّر أنّ المادّة دائمة الوجود لا تتغيّر، أي تنعدم أيّها الدكتور؟ هل قرّره قول أصحابك المتقدّم: إنّ المادّة لا تستطاع ملاشاتها؟ أتقول عنهم: إنّ الإله القادر شكى لهم عجزه عن ملاشاتها، أم تقول: إنّهم قاسوا ذلك بالعلم التجريبي على عجز البشر عن ملاشاتها قياس البربري الضعيف كما قدّمنا؟ وماذا يدريهم أنّ العلم لا يكشف للبشر طريقاً لقدرتهم على أعدامها؟ أيّها الدكتور لماذا تنسى ما ذكرته في مقدّمة الطبعة الثانية ص ٣٤ من قول غوستاف لبون بحدوث المادّة وتلاشيها، مع استحسانك له وعدّه خطيراً اليوم.

وثانياً: يا للعجب هل يلزم من وجود الإله القادر أن يكون مستأجراً ومسخّراً على أعماله، فيكون في حالة عدم الخلق والإبداع ظالماً لمستأجره، عاصياً لأمر آمره، مخالفاً للحكمة؟ وهل كانت حكمته ومشيئته في خلقه وإبداعه منوطة بأفكار شبلي وأصحابه؟ ومن أين لشبلي حينئذٍ بالمادّة التي لا صورة لها والساكنة، أو ليست هي

ووجودها في القدم محلّ الكلام؟ ويعجبني أن يفسّر لي شبلي وأصحابه قـوله: «ولا بعده؛ لأنّ هذا ظاهر البطلان» ولكنّهم لا يفسّرونه، فإنّه هو الدور الذي قرّر الفلاسفة والمتكلّمون بطلانه، واعتمدوا على ذلك في براهينهم، وسخطه عـليهم هـؤلاء الذيـن يعيبون العقل بأنّ أدلّته مجرّدة.

الرابع: قال شبلي أيضاً ص ٢٨٣ معترضاً على الإلهيّين:

بأنّ المادّة إذا لم تكن قديمةً فلابدّ لها من محدث، فإمّا أن تكون حادثةً من شيء موجود أو من لا شيء موجود. ولا يصحّ أن تكون حادثةً من شيء موجود؛ لأنّ هذا الشيء الموجود إمّا أن يكون نفس المحدث أو شيئاً آخر مـوجوداً أيـضاً، فينتفي الحدوث. ولابدّ أن تكون فعلاً مـن أفـعال المـحدث وإلّا لم يكـن هـو المحدث، فإمّا أن تكون نفس الفعل أو نتيجته، والفعل ونتيجته مـوجودان فـي الفاعل، والفاعل قديم، فـينتفي الحـدوث كـذلك. وإن لم يكـن الفـعل ونـتيجته موجودين في نفس الفاعل، فيقتضي أن يكونا ليسا منه، وهما منه، وهو خلف. وأن يكونا لا شيء، وهما شيء، وهو خلف أيضاً. ثمّ يقتضي أن يكون الفعل واقعاً على شيء هو لا شيء ومنفصلاً عن نفس الفعل، والفعل منفصلاً عن نفس الفاعل، وإلّا كان الشيء والفعل والفاعل واحداً، وكيف يكون الشيء مـنفصلاً مـع هـذا الارتباط؟ وإن لم يكن منفصلاً فكيف يكون الشيء الحـادث غـير المـحدث؟! فالعقل لا يقدر أن يسلّم بهذه المتضادّات. وإن قلتم: إنّ وجوداً من نفسه لا يعقل. قلنا لكم: إنّ وجود شيء موجود من لا شيء موجود لا يعقل كذلك، فضلاً عن أنّ هذا القول إن صحّ يطلق عليكم كما يطلق علينا، فنحن يتعذّر علينا معرفة أصل المادّة كما يتعذّر علينا معرفة ملاشاتها.

أقول: لا يخفى أنّا نقول: إنّ العالم والمادّة أُحدثت بعد عـدمها، وأُبـدعت بـإيجاد الصانع القادر، فالمادّة من جهة ذاتها ليست جزءاً من الصانع ولا متحوّلةً بالصورة عنه، بل خلقها بعد عدمها إبداعاً، فهي من هذه الجهة غير مرتبطة بالخالق ولا بشيء موجود

قبلها، بل هي من هذه الجهة منفصلة عنهما: ولكنّها من جهة إبداعها ومخلوقيّتها متّصلة ومرتبطة بمبدعها ارتباط المصنوع بالصانع، كارتباط صورة السرير بالنجّار، واتّصالها به اتّصال المصنوع بالصانع. فماذا يريد شبلي بقوله: «إمّا أن تكون حادثة من شيء موجود»؟ فإن كان يريد حدوث المادّة من المادّة، فمن المعلوم أنّا لا نقول بذلك، بل نقول: إنّ الخالق أبدعها لا من مادّة، فليسقط قوله: «لأنّ هذا الشيء الموجود»، إلى آخره. وإن كان يريد حدوث المادّة بخلق الخالق وإبداعه فهو الذي نقول به، ونقول: إنّها لا يعقل أن تحدث صدفة بدون خلق الخالق، كما سيأتي البرهان على ذلك بعون الله.

إذن فما معنى قول شبلي: «ولا يصحّ أن تكون حادثة»، إلى آخره؟ ونقول هي مخلوقة الخالق، وأثر خلقه وفعله، وقل: نتيجة فعله.

وما معنى قول الدكتور: «والفعل ونتيجته موجودان في الفاعل»، إلى آخره؟ هل تظنّ أحداً يقول: إنّ السرير الخارجي الذي صنعه النجّار اليوم وجلست عليه كان بوجوده الخارجي وخشبه ومساميره موجوداً ومنصوباً في نفس النجّار منذ سنين؟ أو لست تقول: لا، وكلّا، وكيف، بل إنّ السرير الخارجي الذي حدث بفعل النجّار اليوم كان منكشفاً لعلم النجّار وعلم طالب السرير قبل مدّة، فهل يلزم من هذا الانكشاف أن يكون السرير الخارجي قديماً موجوداً قبل حدوثه اليوم؟ واعتبر بجميع الصور النوعيّة وجزئيّاتها التي يحدثها صانعها بإرادته كالمراكب والساعات و غير ذلك.

ولا يخفى عليك حينئذ سقوط قوله: «وهو خلف» وقوله: «وهو خلف أيضاً». وقد بيّنّا أنّ المادّة من جهة المخلوقيّة والخالقيّة تكون متّصلةً ومرتبطةً به. وكذا الفعل بالنسبة إلى الفاعل إذا لحظناه من جهة المادّة وجدناه منفصلاً عن الفاعل، وإذا لحظناه من جهة صدوره كان متّصلاً به. وبهذا البيان تعرف قيمة قول الدكتور: «ومنفصلاً عن نفس العمل ـ إلى قوله ـ المتضادّات».

وأمّا قوله: «وإن قلتم»، إلى آخره، فإيضاح الحال فيه هو أنّ وجود الممكن بنفسه ومن نفسه لا يعقل، وسيأتي البرهان على ذلك بعون الله. وهو من مباني القول بالصانع

القديم الواجب الوجود لذاته. وأمّا وجود القديم الواجب بالذات فهو بنفسه، ولا يعقل غير ذلك، وإلّا خرج الواجب عن كونه واجباً، فيسقط قول الدكتور: «يطلق عليكم كما يطلق علينا»، فإن اعترضنا عليهم في الممكن لا يتوجّه علينا في واجب الوجود. وأنّا سنبيّن بعون الله أنّ المادّة لا تكون واجبة الوجود لذاتها، فلا يعقل أن توجد من نفسها بلا موجد.

وأمّا قوله: «قلنا لكم: إنّ وجود شيء موجود من لا شيء موجود لا يعقل»، فإنّا نستوضح مراده فيه من لفظه المبهم، فإن أراد أنّ الشيء الموجود بما هو شيء موجود لا يعقل أن يوجد بعد عدمه، لم تقبل فتواه المجرّدة بأنّه لا يعقل، وقد بيّنّا في أوّل هذه الملاحظة وضوح إمكانه ووقوعه كما في الصور. أفيقول: إنّ الصورة النوعيّة الحادثة في الموجودات لا شيء ولا موجود؟! وإن أراد أنّه لا يعقل أن يكون العدم مادّة للوجود قلنا: من ذا الذي ادّعى ذلك؟ وأيّ مطالب من مباحثنا بيّنّاه عليه قديمة لا يعقل، كما هو غير معقول. وإن أراد أنّ وجود الشيء الممكن من غير إيجاد صانع موجود غير معقول، قلنا: حيّا الله الصواب، وهذا هو الحقيقة الراهنة والأصل الثمين عند الإلهي، ولكن ماذا ينفع الدكتور فيما هو فيه؟ وما ربطه به؟ بل هو ضدّه المقاوم.

وأمّا قوله: «فنحن يتعذّر علينا»، إلى آخره، فهو أعرف بحاله، إنّ ﴿ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[1]. والقاصر معذور والمقصّر مذموم ملوم، ومن لم يعلم لا ينبغي أن يبني على عدم علمه علماً، ومن علم حجّة على من لم يعلم.

## تنبيه وتتميم

في بعض أقوال المادّيّين في الجواهر الفردة والقوّة والحركة والأثير بحسب الآراء القديمة والحديثة، وهم معترفون بأنّ الجواهر الفردة لا تدرك بالحسّ، وأنّ علماء الطبيعة قالوا بها وإن لم يروها؛ لأنّهم لم يروا بدّاً من التسليم بها ص ٢٧٢ كما نقل

---

١. القيامة (٧٥): ١٤.

التصريح بذلك عن مؤسّسي هذه الطريقة لوسيبوس و دموقريط وأبيقورس، وقالوا: إنّها لا تتجزّأ. انظر شرح بخنر ص ١٨٨ و ١٩٠ وفي ص ١٩٤.

وذكر بخنر أنّ جواهر دموقريط تصوّريّة ـ أي فرضها التصوّر ـ لتسهيل التعليل عن أحوال الكون، وأنّ جواهرهم أصغر من جواهره جدّاً، وهي تصوّريّة أيضاً. وذكر عن دموقريط أيضاً ص ١٩٠ أنّ الجواهر الفردة ليس لها إلّا أشكال هندسيّة مختلفة.

أقول: وهذا مناقض لقوله: «إنّها تتجزّأ»، فإنّ اختلاف أشكالها الهندسيّة يستلزم أن يكون لها على الأقلّ واحد من الأبعاد الثلاثة ـ الطول، والعرض، والعمق ـ ولا شكّ في أنّها باعتبار واحد من هذه الثلاثة تكون قابلة للتجزئة.

وعن لوسيبوس ص ١٨٨: «أنّها تتحرّك في الفراغ منذ الأزل، والأشياء تظهر وتختفي بحسب ما تجتمع أو تنفصل».

وعن ديموقريط ص ١٨٩: «لبعضها بالنظر إلى بعض حركة دائرة وحركة اصطدام مستقيمة».

وعن ابيوقورس ص ١٩٤:

أنّ الجواهر متحرّكة دائماً في الخلاء الذي لا نهاية له بانحراف بعضها على موازاة بعض، بحيث تصطدم وتحدث حركة لولبيّة مخروطيّة كحركة الزوابع، فتؤدّي إلى تراكيب وصور عديدة متنوّعة ومتغيّرة. انتهى.

ولا يخفى أنّ الجواهر المذكورة إذا كانت لا تدرك بالحسّ، فدعوى حركتها وتعدّدها إلى حركة دائرة وحركة اصطدام، أو على الموازاة والاصطدام والحركة اللولبيّة المخروطيّة، وتأديتها إلى تراكيب وصور، والإذعان بهذه الدعوى، ممّا يحتاج إلى أدلّة عقليّة كبيرة يقينيّة. ومع ذلك يبقى عليهم السؤال عن المحرّك لها.

وقال بخنر ص ١٩٠: «أمّا حركة الجواهر عندنا، فمن تضادّ قوّتي الجذب والدفع اللتين نعتبرهما غريزتين في الجواهر».

أقول: ماذا يقول صاحب العلم التجريبي إذا سألناه: من أين أحرزت هاتين القوّتين

المتضادّتين؟ وما معنى قوله: «نعتبرهما غريزتين»؟ أيريد أنّ القوّتين المذكورتين ليستا مجعولتين للجواهر؟ من أين له ذلك؟ والشيء الواحد الذي ليس له أجزاء متعدّدة كيف يكون بما هو واحد بسيطاً ذا قوّتين متضادّتين؟! وكيف يجتمع فيه الضدّان؟! وكيف يظهر أثرهما؟! ولماذا لم يتكافآ بمقدار المساواة، ويمتحض الأثر للزائد إن كان هناك زائد؟!

وذكر شبلي ص ٢٧٢ و ٢٨١ و ٢٨٢:

أنّ المادّيّين وعلماء الطبيعة ذهبوا إلى أنّ العوالم مؤلّفة من أجزاء صغيرة لا تقبل القسمة سمّوها الجواهر الفردة، وهي المادّة الأزليّة الأبديّة التي لا تتلاشى، ويستحيل إيجادها بعد العدم.

وعن طمسن ص ٢٩٤:

أنّ الجواهر الفردة إنّما هي حلقات زوبعيّة في الأثير أو الهيولى، فالعالم مؤلّف من سائل تامّ الاتّصال مالئ للخلاء، ومن هذه الحلقات الزوبعيّة المنتشرة، وهي ليست سوى أجزاء هذا السائل المتحرّكة فيه.

فنقول: إنّ هذه الزوابع التي هي أجزاء السائل، هل بقيت بعد الحركة على صورة الأثير، أو غيّرتها الحركة بالتمادي إلى صورة أُخرى؟ ثمّ نسأل الحالة الأُولى والحالة الثانية قبل التغيّر، ونقول: من ذا الذي وماذا الذي حرّكها؟ فإن قال: طبيعة الأثير، قلنا: فيلزم إذن أن يتحرّك الأثير كلّه ويكون زوبعة واحدة. وإن قال: إرادة الأثير أو شيء آخر، فقد تخطّى عن المادّيّة بأبعد شوط، وسهل أمره وانصرافه عن افتراض الجواهر الفردة والأثير، وقارب أن يعلّل الكائنات بعلّتها الحقيقيّة.

وذكر في ص ٣٤ عن غوستاف لبون من كتابه نشوء المادّة نفي ثبوت الجوهر الفرد ثبوتاً مطلقاً، وأنّ المادّة تتلاشى. ومن كتابه تحوّل المادّة:

كلّ الأبحاث النظريّة لمعرفة تكوين الجواهر الفردة متّفقة على التسليم بأنّ الأثير مصدرها، وهو وإن كان فرضاً مزعوماً إلّا أنّ القول به يظهر للبعض أنّه أثبت من القول بالمادّة نفسها. انتهى.

وقال شبلي ص ٣٤ في التوقيع على هذا القول:

والحقيقة أنّها ـ أي المادّة ـ تتلاشى في القوّة التي تتحوّل إليها. وهذا القول خطير اليوم؛ إذ يجعلها ـ أي المادّة ـ تنشأ وتنمو وتموت.

وص ٣٥:

والمهمّ تحوّل هذا الجوهر وانحصاره في واحد هو القوّة والحركة التي هي حقيقة ثابتة في العلم، بخلاف الأثير أو الهيولى التي هي فرض لجلاء الكلام، وأولى بهذه القوّة أن تكون حركة، وحركة على نفسها.

وقال ص ٢٧٦:

بناء على مذهب لبون فلم يبق عند الطبيعيّين بعد هذا سوى مادّة لطيفة هي الأثير المالئ للخلاء، والنافذ في كلّ الأجسام، والمحرّك لها، فانتفت القوّة بذلك وعوّض عنها بالحركة، فليس للحركة سبب سوى الحركة نفسها. وظهر لهم حسب الاكتشافات الجديدة أنّ شكل الجواهر الفردة متوقّف على الاهتزازات، وأنّ الحركة هي التي كوّنت الجواهر الفردة في وسط الأثير، وأنّ الأثير ليس سوى الهيولى في أبسط ما يمكن تصوّره، وأولى بهذه القوّة أن تكون حركة وحركة على نفسها. انتهى كلامه.

ولنذكر ملخّصاً ممّا ذكره جرجي زيدان في كتابه عجائب المخلوقات ص ٤٨ ـ ٥١ من مذهب الدكتور لبون وهو:

أنّ المادّة قوّة متكاثفة، وأنّ الأثير تكاثف في الأزمان البعيدة بسبب لا نعلمه، فصار مادّةً صلبةً، والمادّة تتحوّل إلى قوّة والقوّة إلى الأثير، وأنّ الشيء الوحيد الكائن في الحقيقة هو الأثير، ومنه ظهرت وإليه ترجع بعد أن تتحوّل قوّة.

أقول: وإنّ سؤالنا المتقدّم على طمسن متوجّه على لبون.

ونقول: من أين جاءت الحركة للأثير؟ ومن ذا الذي وماذا الذي حرّكه؟ فإن قيل: طبيعة الأثير، قلنا: يلزم أن يتحرّك جميع الأثير دفعةً واحدةً بحركة واحدة، لبساطته وعدم المعاوق له على زعمهم، فيستحيل كلّه قوّةً أو مادّةً دفعةً واحدةً. وكذا الكلام في

الأثير الذي تنحلّ وتتحوّل إليه القوّة، فلا يستمرّ لنوع الأثير وجود في العالم، بل يتلاشى كلّه في القوّة والمادّة، وإن رجع منه شيء رجع بمقدار ما يتحوّل من القوّة أثيراً، وبمقتضى طبعه يتحرّك أيضاً ويحوّل قوّةً ومادّةً وهكذا. وهذا خلاف افتراضهم ومبنى مطالبهم، راجع التذييل من ص ٣٤ و ٣٥.

وإن قالوا: إنّ الأثير يتحرّك بإرادته، أو بمحرّك آخر، فقد تخطّوا أيضاً عن المادّة شوطاً بعيداً، وسهل أمرهم وانصرافهم عن افتراض الأثير، و قاربوا أن يعلّلوا الكائنات بعلّتها الحقيقيّة. وبمقتضى نقل زيدان أنّ لبون معترف بأنّه لا يعرف السبب في تحوّل الأثير إلى المادّة، فوقف في تعليله الافتراضي، وله بذلك في ناموس العلم حظّ من الفضيلة.

وهلمّ في حال شبلي كيف يقول في كلامه المتقدّم: «إنّ الأثير هو المحرّك للأجسام»؟! ومعناه أنّ الأثير سبب الحركة أو فاعلها. ثمّ يقول: «وليس للحركة سبب سوى الحركة نفسها»، دع عنك التناقض، ولكن ماهو المعنى المعقول من قوله: «وليس للحركة سبب سوى الحركة نفسها»؟ أيريد بذلك أنّ الحركة واجبة الوجود لذاتها؟ كيف وإنّما هي انتقالات يحدث اللاحق منها بعد انعدام السابق؟ أهكذا يكون واجب الوجود بالذات؟

وإذا كان شبلي متّبعاً لرأي لبون، ويقول: «إنّ المادّة تتلاشى في القوّة التي تتحوّل إليها». ويقول: «إنّ القوّة هي الحركة»، فكيف يقابل الإلهيّين في نفس مقدّمته للطبعة الثانية ص ٤٠ ويقول:

> كلّ ما يعلم من المادّة يدلّ على أنّها باقية، فالمادّة لا تدثر إلّا من حيث الصورة فقط، وأمّا من حيث الجوهر فهي دائمة، ومالا يفنى فغير مبدع.

وقد سمعت قوله الراجع إلى أنّ الجواهر الفردة التي لا تقبل القسمة هي المادّة الأزليّة الأبديّة التي لا تتلاشى و يستحيل إيجادها بعد عدمها.

أفلا يقال له: إنّ تحوّلها إلى القوّة التي هي الحركة دثور لها وتلاشٍ من حيث الجوهر، وما هي الحركة حتّى يبقى معها جوهر المادّة.

وقال ص ٣٠٥:

الجواهر الفردة حركات في السائل ـ أي الأثير ـ لأنّها أجزاؤه نفسها، فذاتيّتها قائمة بهذه الحركات.

وص ٣٥: «هي حركات لولبيّة في الأثير». ثمّ قال ص ٢٧٨: «إنّ الحركة هي التي كوّنت الجواهر الفردة في وسط الأثير».

أفلا يقال له: إذا كانت الحركة هي التي كوّنت الجواهر الفردة، فكيف تكوّن الجواهر حركات؟ وقد سمعت قوله: «إنّ الجوهر الفرد لا يقبل القسمة».

وقال ص ٢٧٩ في أنّ الجوهر والقوّة سيّان:

وأمّا كون الحركة الباطنة وتغيّر الشكل تقتضيان القسمة بالفعل ـ وهو اجتماع النقيضين ـ فهو صحيح إذا اعتبرت الحركة شيئاً مستقلّاً بذاته غير الجوهر الفرد؟ وربما عنوا بالحركة الباطنة الذات أيضاً، فكانت الحركة والجوهر الفرد شيئاً واحداً، ويلزم أن يكون كذلك؛ لأنّ المادّة في أدقّ أجزائها إذا فرضت ساكنةعقل، وكذلك الحركة إذا فرضت بدون شيء متحرّك لم تعقل.

أقول: لا أُطالبك بمعنى محصّل منتظم في كلامه، ولكن قل: بماذا تخلص عن اعتراض المعترض؟ وما معنى قوله: «الحركة والجوهر الفرد شيء واحد»؟ وبماذا يرفع التناقض بين دعواه وتعليلها بقوله: «لأنّ المادّة»، إلى آخره؟ نعم اتّفق له الصواب بقوله: «الحركة إذا فرضت بدون شيء متحرّك لا تعقل»، ولكن هذا القول يعمل ما يعمل بأقواله: «إنّ الجواهر الفردة حركات»، «الحركة والجوهر الفرد شيء واحد». وهبه قد أحسن جواب المعترض هاهنا، فلماذا يناقض مذهبه الذي يحامي عنه بقوله ص ٢٩٤:

وهو أنّ كون الجواهر الفردة لا تقبل القسمة هوالأمر الذي لا يعقل كلّاً. وإنّما لو انقسمت لزالت خصائصها الجوهريّة. ومن حيث إنّها ذات خصائص معيّنة لا تنقسم مع بقاء هذه الخصائص. انتهى.

وليت شعري ما نسبة هذا الكلام مع ما ذكرناه قبله؟ ولماذا لم يجب به وهناك؟

ولماذا تزول خصائصه الجوهريّة إذا بقي جزآه بعد القسمة، فإنّه جوهر فلا تزول إذن عنه خاصّة الجوهر؟ أيريد خاصّةً ماكان مؤلّفاً من الجزءين قبل القسمة، فهو ليس خاصّة الجوهر، بل خاصّة تألّف الجواهر؟ ولماذا لم يسمّ السرير إذن جوهراً فرداً لأنّه لو انقسم لزالت خصائص تأليفه؟ ولا تحسب أنّ التعرّض لكلمات شبلي وحاله من مهمّتنا هاهنا، لكن يهمّنا حال المعجبين بكلماته المرتعبين من تهويلاته وحماسه وهياجه، فأحببنا لفت اعتبارهم في هذا القليل؟

وإنّي أسأل من سماحة هؤلاء المحتفلين بكلّ كلمة تنسب إلى من يسمّى دكتور، أومستر، أومسيو، خصوصاً إذا نشرتها جريدة أو مجلّة قد كثر الاشتراك فيها، فصارت توصف بأنّها راقية: ألا تنظرون إلى تقلّب هذه الكلمات من القول بأصالة الجواهر الفردة وافتراض حركاتها، إلى القول بأصالة الأثير وافتراض زوابعه، إلى القول بأصالة القوّة المجهولة الحقيقة وحدوث المادّة من أعمالها وتلاشي المادّة بالرجوع إليها؟ فبأيّ هذه الأقوال المتناقضة تحتفلون؟ ولأيّ شهير من أصحابها تقلّدون؟ ولماذا لا تحتفلون بالرأي السائد في هذه السنين، وعليه دكتور ومسيو ومستر وسير، ونشر في المجلّات الراقية؟ ألا وهو أنّ القوّة المذكورة قد انكشف أنّها قوّة روحيّة. وهل يمنع من الاحتفال بهذا الرأي كونه قريب المسافة جدّاً إلى تجلّي الالهيّة على العقول ببراهينها الساطعة، وباباً لخيبة أرنست إرنان في أمانيه الكاذبة بسيادة الإلحاد؟ وهل يمنع منه كونه موقعاً بالانقياد إلى الشرائع الإلهيّة؟ لا، ينبغي أن يمنع، فإنّه لابدّ من الاستسلام والانقياد إلى تشريع، فلينظر الحرّ في أمره، ولا يخفى من ملاحظة ما ذكرناه ومراجعة كتب المادّيّين وبناء فلسفتهم أنّهم جارون على مقتضى حكم البداهة والفطرة من لزوم تعليل الكائنات بسبب وجودها، لكنّهم يختلفون مع الالهيّين في ذلك بأمرين:

[الأمر] الأوّل: أنّهم ينفون قصد الغاية للمؤثّر الموجد في إيجاد الكائن. وهذا المعنى هو الذي يعبّرون عنه بالصدفة، فلا أحسب أنّ أحداً منهم يقول: إنّ الكائن يوجد

اتّفاقاً وصدفةً من دون حاجة إلى العلّة وجريان على ناموس التعليل.

**الأمر الثاني**: لمّا كانت البداهة والفطرة تنادي في مرتكز الأفكار بفساد التسلسل في التعليل إلى غير النهاية فرضوا لهم قديماً ينتهون إليه في التعليل كالجوهر الفرد والأثير والحركة، ولكن هذا الفرض ودعوى القدم لا يجديان في انقطاع سلسلة التعليل ووقوف لزومه؛ وذلك لأنّ لزوم التعليل لم يكن من أجل كون الكائن في القطعة الخاصّة من الزمان والمقدار المتناهي منه وما بعد القدم، لكي ينقطع هذا اللزوم بالتقدّم على ذلك الزمان. أو ليس لزوم التعليل من أجل أنّ الكائن غير لازم الوجود لذاته فيحتاج إلى علّة ترجّح جانب وجوده؟ فلا تنقطع السلسلة إذن إلّا بالانتهاء في التعليل إلى لازم الوجود لذاته. وإن لم يثقل على القارئ قلت جرياً على اصطلاح الفلاسفة الإلهيّين: «واجب الوجود لذاته» مع تنزيهه عن كلّ ما ينافي وجوب وجوده، ثمّ ينظر في أحوال الكائنات وكيف يلزم أن يكون انتهاؤها إليه بالتعليل.

**الفصل الثاني**: فيما يعدّه الملحدون من الموانع من وجود الإله الخالق.

قال شبلي في مقدّمة الطبعة الثانية ص ٤٠:

> إنّ الخلق الخصوصي يقتضي ثبوت العوالم، وهذا الثبوت منفيّ. فقد ثبت أنّ كلّ موجود متغيّر. والأجرام السماويّة متغيّرة في هذا الكلّ المتغيّر. فليست خلقاً خصوصيّاً، وأنّ الأنواع متغيّرة.

أقول: هذه الشبهة مقتطعة من احتجاجنا على كون الإله خالقاً بالإرادة والاختيار، وإبطال كونه علّة موجبة للمخلوق بدون إرادة، حيث قال المتكلّمون وبعض الفلاسفة: إنّ الإله لو كان علّةً موجبةً بلا إرادة منه في خلقه، لكان إمّا علّة لمجرّد الحدوث وهذا باطل؛ لأنّه يلزم منه أن لا يبقى الموجود بعد حدوثه، والوجدان شاهد على بقاء الموجودات في الجملة، وإمّا علّةً للحدوث والبقاء وهذا باطل أيضاً؛ لأنّه يلزم

من ذلك أن لا تفنى الموجودات ولا تتغيّر، والوجدان شاهد على فنائها وتغيّرها. فشبهة شبلي لا يخفى سقوطها؛ لأنّ الخلق الخصوصي تابع لإرادة الخالق وتقديره في بقاء المخلوق، وفنائه فيبقى ما يبقى، ويفنى ما يفنى، ويتغيّر ما يتغيّر بإرادته وتقديره جلّ شأنه، وأنّ التغيير من الدلائل على وجود الخالق واحتياج العالم إليه، كما ستعرفه إن شاء الله.

**الفصل الثالث:** في قول المكاتب:

إنّ أعظم برهان على وجود الصانع إحكام نظام الكائنات، ووضع كلّ شيء موضعه الذي لا يليق به سواه، ممّا يدلّ على كون ذلك عن قصد واختيار. ولكن قام في هذا العصر رجال من أهل العلم التجربي ـ كما يقولون ـ فزعموا أنّ في الحيوان أعضاءً معطّلةً ليس بواحد منه فائدة تؤذن بأنّه وجد لأجلها.

أقول: وفي هذا الكلام ملاحظتان:

[الملاحظة] الأُولى: قد صال شبلي في الجزء الثاني من مجموعته ص ٢٦٣ ـ ٢٦٦ بهذا الاعتراض على صاحب الهلال، كما اعترض به في الجزء الأوّل ص ٢٤٤، وذكر ذلك في معرّب شرح بخنر ص ١٣٠ و ١٣١. وقد قدّمنا في النظرة السادسة وأُخريات الملاحظة الرابعة من الفصل الأوّل، والمثل الرابع من الملاحظة الثانية، والثامن من الملاحظة الرابعة من الفصل الثاني، وذكرنا من الشواهد واعترافاتهم ما يوضح سقوط هذا الزعم المذكور. ولو قالوا: إنّا مع سلفنا من المشرّحين لم نطّلع على حقيقة فوائد الأعضاء المذكورة، لكان أشرف لهم في العلم وأنفع لهم في الجدّ في الطلب والوصول إلى الحقائق، وأوفق باعترافاتهم التي ذكرنا بعضها في المثل الرابع من الملاحظة الثانية من الفصل الثاني. ولا تحسب أنّا نعتمد في أمرنا على الاعتراف، فإنّ وضوح الحقيقة في غنى عن ذلك، ولكن قصدنا بذلك مفاتحة بعض الأفكار بمألوفاتها التي تركن إليها تنبيهاً

لها وتأييداً للحقيقة. ونزيدك هنا أنّ شبلي قال في المجلّد الثاني من مجموعته ص ٣٣٩:

والحقّ أنّ الطبّ مهما دقّق في التحرّي للتأكّد من الموت الحقيقي، فلا يسعه إلّا الاعتراف بأنّ كلّ العلامات المعوّل عليها قد تخطئ، ماعدا علامة واحدة هي التعفّن. انتهى.

فإذ لم يكن في وسع الطبّ أن يمتاز عالمه عن سائر العوامّ والأطفال ـ بل وسائر الحيوان ـ في تحقيق علامة للموت لا تخطئ غير التعفّن، مع كثرة ظهور الموت ومقارنته للعيان، فكيف يصل إلى التصريح في الأعضاء الباطنة ويحيط بتمام الفوائد المقصودة منها، مع أنّ من الفوائد ما يكون في أوقات قليلة من العمر كحال الولادة، ومنها ما يكون للمحافظة على الأعضاء الأُخر، إلى غير ذلك ممّا يكون الاعتراف فيه بالجهل فضيلةً ومفتاحاً لعلوم أُخر، وإنّا نشكر سماحة شبلي وأمثاله إذا لم يجعلوا من نحو هذه الأعضاء كثيراً ممّا في الإنسان كبعض قنوات السمع وانتفاخاتها والعظم الركابي، وبعض ما في القوقعة من عصي كورتي التي تبلغ نحو الثلاثة آلاف، والكتل الترابيّة والمسمّاة بالحصى الأُذنيّة، والجزء الغددي من الصماخ. نعم لمّا لم يتعلّق لهم غرض في التحوّل بفرضها أثريّة سمحوا لها بالفائدة.

**الملاحظة الثانية:** أنّ افتراضهم لوجود الأعضاء الخالية عن الفائدة لا ينافي وجود الإله الخالق، ولا ينافي قصده واختياره، وإنّما يعترض لحكمته. وهذا التعرّض مبنيّ على الملازمة بين وجوده وحكمته، والدليل عقلي، وبمقتضى زعمهم أنّه من العقل المجرّد، فكيف صحّ منهم الاعتماد عليه والمقام لا يُكتفَى فيه بالجدل، مع أنّ الجدل معكوس عليهم؟ ومع ذلك فإنّا نشكر لهم الاعتراف بهذه الملازمة، ونهنّئهم بشرف علمها.

تنبيه: إنّ مطالب الكاتب من هاهنا إلى آخر كتابه مشوّشة الترتيب، قد تداخل فيها ما يتعلّق بالإله الخالق مع ما يتعلّق بالنبوّة والمعاد، فآثرنا أن نستخلص منها هاهنا ما يتعلّق بالإله الخالق.

## الفصل الرابع

قال المكاتب:

وإنّ في أفريقيّا صحارى واسعة شاسعة لا يعيش فيها حيوان ولا نبات، وفي بعض الأرض ظلمة دائمة، فأيّ حكمة في خلقها على هذه الحال الخالية من الجدوى؟

أقول: لا أعهد في بعض الأرض ظلمةً دائمةً، وإنّما يبلغ طول الليل فى أوّل المنطقة الباردة دورةً يوميّةً، ويزداد إلى أن يبلغ تحت القطب نحو الستّة أشهر، ويعاكسه النهار في جهة القطب الآخر، ويدور هذا التعاكس. وهذا وأوضاع بعض الأرض وخصائص صحارى أفريقيّا ونحوها من تأثيرات دوران السيّار ـ الأرض أو الشمس ـ على منطقة البروج. ولا تخفى حكمة هذا الدوران العظيمة ومنافع آثاره في نظام العالم الأرضي ومواليده، وتعديل أسبابها وما قدّر فيه من الفوائد المتنوّعة التي تبهر العلم و تحثّ سيره فيها؛ لاستجلاء أنوارها وتزهد فيها الغَفَلَة، فتقف على النفي. ليست الجدوى في الأرض أن تكون مسكناً لرجل، أو مسرحاً لغنمه، و ما يدري الغافل بما في الصحاري وما حوالي قطبي الأرض من القوى والتأثيرات المفيدة في العمران ومواطنه؟

## الفصل الخامس

قال المكاتب:

أيّ حكمة بإيلام هذه الأطفال وابتلائها بالحرق تارةً وبالخنق مرّةً وبالداء العضال المحزن، إلى غير ذلك من الآلام، وإحالة التبعة على آبائهم، كما قرّره صاحب الدعوة الإسلاميّة ممّا يضحك الثكلى؟ وأيّ حكمة في إيلام هذه الحيوانات الصامتة وتسليط الإنسان عليها؟ بل وأيّ عدل في تسليط بعضها على بعض، فينعم الذئب بتمزيق الشاة ـ مثلاً ـ ولا تعويض على هذه الحيوانات في الآجل؟ وأيّ حكمة في إيجاد الرزايا إلى حدّ ضاق الكون بها كثرةً، وسمج وجه

الحياة لأجلها، ممّا لا يكاد يخلو مخلوق منه، وإن كان نصيب البعض منها أكبر وأوفر من نصيب البعض الآخر، حتّى يشغله أحياناً كثيرةً عمّا في يديه؟ ولقد كان يكفي اختبارنا بتكاليفه الشرعيّة، ولا يجعلنا أرحم الراحمين عرضةً وغرضاً لهذه النوائب.

أقول: قد ذكر عن ابيقورس قوله: لا يمكن أن يكون العالم نتيجة عملٍ إلهي؛ لأنّنا لو سلّمنا بذلك لم نقدر أن نجد فيها أصلاً للشرّ.

ونقل عن داروِن التحيّر في التوفيق بين وجود الصانع وبين ثبوت صفة الرحمانيّة له؛ وذلك لما يراه ممّا يحسب أنّه شرور.

فاعلم أنّ كثيراً من الأُمور يعرفها العقل وتنكرها النفوس القيّمة، بل قد يشهد بها وجدان الإنسان وفطرته بالنظر إلى شأن غيره، ويغفل عنها، ويعمل على جحودها بالنظر إلى شأن نفسه. بل قد ترى الإنسان الواحد في اليوم الواحد يحتجّ بها، ويستقبح الغفلة عنها في معاملته مع غيره، ثمّ يغفل عنها أقبح الغفلة في معاملة الغير معه، أو عروض الشبهات له، أو حرصه على تلفيق الاحتجاج على أهوائه وفلتات أفكاره. وينبغي أن نذكر لبعض هذه الأُمور تنبيهات تتعلّق بالمقام:

**التنبيه الأوّل:** أنّ من أوضح الحقائق وأجلاها ـ لولا دواعي الهوى والحرص وخسة النفس ـ هو أنّ قطع النعمة الابتدائيّة والإحسان التفضّلي ليس بإيذاء ولا إيلام من المنعم، حتّى إذا كان قطع النعمة خالياً عن الحكمة، وإنّما يتألّم من تسلب منه بسبب علاقته ورغبته في النعمة وحرصه عليها. فهل ترضى من الذي أنعمت عليه أن يقف بين الناس ويذمّك ويتظلّم منك بأن ينسب أنّك آذيته وآلمته وأسأت إليه بقطع نعمتك عنه؟ وهل يرضى العقلاء منه بذلك؟ وهل ينفي أحد إحسانك السابق ويبطله بسبب قطعك اللاحق؟ كلّا بل يعود الذمّ واللوم على هذا الشاكي المتظلّم منك، ويعدّ كافراً للنعمة، لئيم الذات، قليل الحياء.

وهل يخفى على إلهي أنّ الوجود والحياة والصحّة والولد والمعيشة للإنسان، وكلّ حيوان إنّما هي نعمة ابتدائيّة وإحسان تفضّلي، حتّى أنّ الملحد ليعترف بذلك إذا قدّر وجود الإله الخالق، فلا يظنّ أنّ أحداً يقول: إنّ هذه الأُمور مستحقّة للإنسان والحيوان، ينالها باستحقاقه لها، وكذا المال والعزّ للإنسان.

التنبيه الثاني: هو أنّ خلق العالم بما فيه من الموت والفناء بأسبابهما، لا يعترض عليه بأنّه لماذا حكم الله على الموجودات بناموس الموت والفناء والانحلال؟ ولماذا لم يحفظها بناموس البقاء الدائم والخلود؟ فإنّ هذا الاعتراض ساقط؛ لأنّه لا يعترض على المعطي المتفضّل المبتدئ بالإنعام، ولا يقال له: لماذا لم تكن عطيّتك دائمةً؟ إذ لا استحقاق لمن نال العطيّة في أيّ مقدار منها، وأيّ مقدار كان منها هو رحمة ونعمة مهما قصرت مدّتها، كما يشهد بذلك الوجدان والعقل الهادي، وتشهد أيضاً به النفوس البشريّة بلسان أحوالها وأعمالها الفطريّة، وإن تدنّست بالغفلة والغضب والحرص والكفران

أما ترى النوع مع يقينه بأنّ حياته العاديّة في نوعه بحسب هذه الأدوار لا تتجاوز السبعين والثمانين سنةً، كيف يجد حياته إلى هذه الغاية محبوبةً ثمينةً مطلوبةً عنده، يتمتّع ويتلذّذ بها، ويهيّئ أسباب ملاذّه وشهواته لاستدامة حياته هذه بأنواع السعي والظلم والتكالب، وهو على هذا وإن انحطّت قواه وقلّت ملاذّه أو عمي أو أُقعِد، بل وإن أيقن أنّه لم يبق من عمره العادي إلّا عشر سنين ونحوها، بل وإن فقد ثروته وعزّه وولده الوحيد أو أعزّ خاصّته، فإنّه يسلوه سلوّ البهائم، ويعود إلى التمتّع بنعمة حياته المحبوبة الحريص عليها وإن كانت في المدّة القصيرة، حتّى أنّ من حكم عليه بالإعدام ليرغب في تأجيله شهراً أو يوماً أو ساعةً ويتمتّع بحياته فيها. وهكذا المال و أسباب التعيّش والأولاد والسيادة والشرف، فإنّ الإنسان لا يرضى بفقدان أدنى مراتب ذلك؛ لأنّه يجد بطبعه وفطرته أنّها نعمة محبوبة، فيها لذّة، وقضاء وطر من التمتّع.

وكم وكم وجدنا من يقول: أنا، أنا، بسيادته وشرفه وثروته إذا زال عنه ذلك زوالاً

مستمرّاً أو طويلاً أو قصيراً لعارض سفري ـ مثلاً ـ فإنّه يقتحم أرذل الوسائل وأخسّها لتحصيل سدّ الرمق، ويجد حصوله بها غنيمةً محبوبةً يتمتّع بما عنده، ويجده نعمةً محبوبةً. هذا كلّه مهما اقترنت الأحوال بخسّة الحرص وشَرَه الطمع، ومهما جرت على فلتات الألسن رذيلة الكفران. وإن رأيت أحداً متضجّراً ممّا له من الحياة أو المال مستحقراً له يتمنّى فقده، فذلك في الغالب كذب من تزوير الحرص، وفلتات الطمع، وتسرُّع الغفلة والحمق.

وقد يكون في النادر من الحماقة التي تؤدّي إلى الانتحار المذموم عند عامّة العقلاء، وإنّ في ذمّ العقلاء للانتحار لشهادة بأنّه كلّ ما كان للمنتحر فإنّه نعمة محبوبة يقبح رفضها بالانتحار، فما للإنسان الضعيف والتحكّم على المنعم المبتدئ بقوله: لماذا؟ ولماذا؟ وماذا استحقاقه هو وغيره في ذلك؟ نعم له من باب العلم أن يفحص حسب استعداده وتوفيقه عن الحكمة في عدم بقاء الموجودات وتفاوتها في مقادير النعم، مع التفاته إلى مقدار استعداده وخطوه بالعلم في ميدان جهله الطبيعي الواسع. ولا يجعل جهله بالحكمة دليلاً على عدمها، فيقول غير متأثّم ولا خجل: إنّه لو كان للعالم إله خالق، لكان خلقه للعالم على هذا النظام مقروناً بالحكمة، لكنّه لا حكمة في هذا النظام، عافانا الله جميعاً.

كيف يسوغ في شرع العقل والشرف للإنسان أسير الجهل الطبيعي المتدرّج في العلم تدرّج المقْعَد بتحيّر الأعمى؟! وكيف يليق به أن ينفي الحكمة في هذا النظام للعالم؟ فهل اطّلع على جميع الغايات الصالحة للحكمة بحيث لم تخف عليه منها خافية؟ ثمّ رأى أنّ هذا النظام للعالم خال منها بالمرّة من هو ذا؟ إذا أدخل إنسان أرصاد أميركا ولندن وباريس، ورأى آلاتها العظيمة في الكثرة واختلاف الصور، فهل يليق بقصوره أن يتجرّأ ويقول في آلة من آلاتها أو صورة من صورها: إنّها عارية عن الحكمة؟ وهكذا إذا دخل المعامل ورأى تراكيب المخترعات.

فنهج الصواب ـ إذا دلّ الدليل على وجود الخالق للعالم ولزم من وجوده حكمته ـ

هو أن يذعن الإنسان بوجود الحكمة إجمالاً وإن لم يهتدِ إليها؛ فإنّ من شرف الإنسان أن يعترف بجهله الطبيعي، ويعرف مبلغ تعلّمه. ألا وإنّ الجهل المركّب ـ وهو جهل الإنسان بجهله وإنكاره له ـ لهو من شرّ خصال الإنسان وأعدى الأعداء لمجد الإنسانيّة وشرفها وترقّيها.

ولعلّنا نجاهد في عرفان شيء من الحكمة، واللّه الهادي إلى سبيله، فنقول: إنّ أشرف علوم الإنسان وأحسنها دخلاً في مدنيّته الحقيقيّة وسعادته الأبديّة هي معرفته لخالقه ومالك أمره ووليّ نعمته، وماله من صفات الجلال والجمال، فيفوز من بركة ذلك باتّباع تعاليمه في المدنيّة الحقيقيّة والكمال الروحي. ألا وإنّ خلق العالم على هذا النظام باب تلك المعرفة، ودليل هادٍ في جميع الأحوال إليها؛ فإنّ الالتفات إلى ما في العالم ـ من دوام التوالد والفناء والحدوث والتغيّر والنموّ والتحليل والصحّة والمرض وعجائب التراكيب وغايات الأجزاء، وكيف يجري ذلك كلّه على نواميس منظومة الدوران، متناسقة الآثار، متماثلة الغايات، بحيث لا تنحلّ تلك النواميس ولا يختلّ دورانها في آثارها ـ ليهدي من لم يستأثر الغفلة والعناد أو الانهماك بالشهوات والغرور، ويرشده إلى أنّ لهذا العالم خالقاً واجب الوجود، عالماً بالحوادث والغايات؛ إذ رَبَط متماثلاتها ونواميسها على نسق دائر دائم وتماثل مستمرّ، فجعل التاليَ يحذو السابقَ تمام الحذو على نظام متقن وتقدير باهر.

وأيضاً فإنّ ناموس الفناء والمرض والانحلال ممّا يدعو الإنسان في مقام الرغبة في البقاء والمحافظة عليه والحاجة إلى عود صحّته وانتظام قواه ونموّه، ويهديه للالتفات في ضروراته إلى واهب نعمه ومالك أمره ومدبّر شؤونه ومسبّب الأسباب ووليّ أمرها، ويتّضح ذلك إذا رصد الإنسان نفسه أو غيره عندما يشتدّ ضيقه وينقطع أمله من الأسباب العاديّة، فإنّ نفسه بحسب الفطرة تفزع إلى منقذٍ تراه قادراً على إسعافها بالفرج رغماً على عوارض الأسباب العاديّة.

ومن الحكمة ـ والله العالم ـ أنّ الإنسان بعد اقتضاء الحكمة لخلقه مختاراً في أفعاله،

لو خلق دائم البقاء مستمرّ القوّة، لاستمرّ ظلم الأوائل واستبدادهم القاسي، وضاق على الأواخر أمرهم في المادّة والأدب، وكانوا في عبوديّة دائمة وقلق مستمرّ وشرائع قاسية ضالّة؛ فإنّ المعلوم من تتبّع الوجدان والمأثور أنّ الانقلاب إلى الشرائع العادلة والإصلاح الإنساني وتهذيب الأخلاق وانتشار المعارف وفكّ أغلال العبوديّة، إنّما يكون بعد هلاك الظالمين المستبدّين وأتباعهم، فعموم الرحمة اقتضى هذا النظام.

وهذا معنى المنقول عن قول الصادق ﷺ في حديث المفضّل من أنّه: «لولا حكم الله على عباده بالموت لضاقت الأرض بأهلها»[١]، فإنّ المقصود منه ـ والله العالم ـ هو الضيق من حيث العدل والاقتصاد والراحة، لا الضيق في المكان، ولو استقام التأمّل في هذه العبارة لما قلق الفكر منها. وإنّ النظر إلى حال قرن أو قرنين ـ وخصوص القرون القريبة ـ ليكفي في الشهادة على ذلك إذا جرى الاعتبار فيه على حقيقة.

**نتيجة التنبيه الأوّل والثاني:** وحاصلهما هو أنّ قطع المنعم لنعمته ابتداءً، أو لسبب عادي اقتضت جعلَه الحكمة النوعيّة لنظام العالم، ليس بإساءة ولا شرّ. وأمّا الآلام الحسّيّة عند مفارقة الحياة والصحّة، فإنّما هي من لوازم خلق الروابط وجعلها طبيعيّة بين نعمة الوجود والصحّة وبين النفس، ومن آثار خلق الله؛ لقوّة تعلّق النفس بنعمة الوجود والصحّة وإدراكها لها و رغبتها فيها؛ لتنال لذّتها منها وتبتهج بتنعّمها بها. ومهما تكن تلك الآلام فإنّها لا توازن النعم المقارنة لزمانها، فضلاً عن غيره. فليست الآلام إذن مجعولة بناموس ابتدائي مختصّ بها، لتكون شرّاً ومنافيةً للرحمة، بل هي لوازم طفيفة لنواميس النعمة العظيمة والرحمة العامّة والحكمة الفائقة في نظام العالم.

وأمّا قول بعض العلماء باستحقاق الجزاء على الآلام ـ نظراً إلى أنّ المولى يرعى بالألم مصالح خلقه بنيل الجزاء، كما يؤلم الطفل بتلقيح الجدري لغاية منفعته ونعمته

---

١. التوحيد للمفضّل: ١٧١.

بالسلامة من نكبات الجدري الابتدائي. وكما يؤلم الوالدُ ولده بقيد الذهاب إلى المكتب لغاية منفعته ونعمته بكمال القراءة والكتابة وتعلّم العلوم ـ فهذا القول بمفهومه الصحيح خصّوه بغير الآلام التي تقتضيها النواميس العاديّة التي جعلها الله في حكمة نظام العالم كما ذكرناه، حينئذٍ يشبه أن يكون قولهم هذا مفهوماً صحيحاً بلا مصداق خارجي معلوم؛ إذ لا نعلم ألماً خارجاً عن تأثيرات النواميس العاديّة المجعولة بحكمة نظام العالم ورحمة النوعيّتين.

**التنبيه الثالث:** أنّ خلق الإنسان قادراً على أفعاله مختاراً فيها، مطلقاً في الجري على إرادته، متنعّماً باختيار مرغوباته و ترقّيه في الكمال، هو من أعظم النعم وأظهر آثار الرحمة،بل هوالروح لنعمة وجوده،والمظهر للذّة حياته والابتهاج بكمالاته والمرقاة لفضائله، والباب لسعادته. ولا ينقص من فضل هذه النعمة وكرامة هذه الرحمة كون الإنسان بسببها قادراً على الشرّ، وأنّ بعض أفراده يختار المآثم ويرتكب الجرائم؛ وذلك لأنّ الأفعال التي يفعلها في الشرّ، والقوى التي تختلف بالعناوين والإضافات، والقوى هي تلك القوى، والأسباب تلك الأسباب، فصدّه عن أفعال الشرّ يكون بأحد أمرين:

[الأمر] الأوّل: أن يصرف الله إرادته قهراً وإلجاءً عن فعل الشرّ، بحيث يلتفت إليه ولا يقدر عليه لقبض الإلجاء على إرادته. وهذا وإن كان في بادئ الرأي لطفاً من جهة، لكنّه مكسور ومضمحلّ بالنظر إلى لطف آخر هو أدخل في النعمة والرحمة، وأظهر في الكرامة،وهو تعريض الإنسان بحسن اختياره لأعلى مراتب الكمال الروحي والعملي، وكرم الأخلاق، وشرف الأعمال، وحلية الفضيلة وجزيل المدح، وعظيم الابتهاج، والافتخار بالفضيلة، وتناول المثوبة العظيمة والتكريم الدائم بنحو اللياقة والاستحقاق، مع الابتهاج بفضيلة نزاهته الاختياريّة عن رذائل الأعمال ودناءة الأخلاق.

الأمر الثاني: هداية الله للإنسان، ودلالته بالعقل المرشد والأنبياء الهادين والواعظين، وبيان الوحي وحسن الموعظة، ومرغّب المدح والثناء والوعد بالجزاء،

وزاجر النهي والذمّ والتوبيخ والتهديد والوعيد، وأحكام السياسة الشرعيّة والتأديب، وشريعة النهي عن المنكر وتتابع العبر، بحيث تتمّ بذلك الحجّة على الشقيّ. وبالنظر إلى خواصّ هذين الأمرين يخرج الإلجاء عن كونه لطفاً حسناً:

أمّا بالنسبة إلى الإنسان الصالح فلأنّه يؤدّي إلى حرمانه من فوائد اللطف الثاني ونعمته، فيخرج الإلجاء عن كونه لطفاً في حقّه إلى ضدّه.

وأمّا الشقّي قبيح الأعمال ـ مع ما ذكرناه من الأمر الثاني بتفصيله وحجّته العامّة وعدم تأثيره لتمرّده وغيّه ـ فإنّه يخرج عن أهليّة اللطف بالإلجاء، ويخرج هذا اللطف عن حسنه إلى ضدّه؛ لكونه من وضع الشيء في غير محلّه ومع غير أهله، وإكرام من يستهين بالكرامة والمكرم. بل يلزم منه ضياع كرامة الكريم الكامل، وتمويه خسّة الشقيّ المتمرّد، مع أنّ له في الألطاف المذكورة في الأمر الثاني كفاية في الترغيب والزجر.

إذن فإلجاء البشر على ترك الأفعال القبيحة ليس ترك الله له شرّاً. ولا فيه قبح ولا منافاة للحكمة والرحمة، بل هو جار على الرحمة بالصالح والحكمة مع الشقيّ. نعم هناك بين ذلك ألطاف وترحّمات خصوصيّة جارية على الأهليّة والحكم والأسباب الخصوصيّة، وذلك كتوفيق المجاهد في الطاعة والصلاح وهدايته وإيصاله إلى فعل الخير وتهيئة أسبابه له، وكتسديده وتنزيهه عن المعاصي بصرف أسبابها عنه، وكمنع الظلم من بعض من يريدون ظلمهم رحمةً بالمدفوع عنهم ابتداءً، أو بسبب الدعاء أو الصدقة أو صلة الرحم ونحو ذلك. وهذا من معنى قولهم عليهم السلام: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين»[1]، بمعنى أنّه ليس في أفعال العباد جبر وإلجاء مطلق، لينافي ما ذكرناه في الأمر الأوّل والثاني. ولا تفويض مطلق تسقط معه الألطاف والترحّمات الخصوصيّة، التي ذكرناها، بل هو نحو جامع لجوامع الألطاف والرحمة والحكمة ووضع الشيء في محلّه.

---

١. الكافي ١: ١٦٠، باب الجبر والقدر، ح ١٣.

تتمّة هذا التنبيه: وهي أنّ الملائكة بالنسبة إلى الطاعة والمعصية النفسانيّتين مختارون، وعصمة غالبهم من الكفر والعصيان والتكبّر والحسد ونحوها من الأخلاق السيّئة النفسيّة إنّما هي بالاختيار، كعصمة الأنبياء وأوصيائهم الناشئة من لزومهم لاتّباع معارفهم ومعلوماتهم في حسن الحسن وقبح القبيح، فنالوا بذلك الملكات الراقية وفاقوا بها. ويمثّلها للذهن ويقرّبها للتصوّر ملكات بعض المتّقين وإن كان دونها في الرقيّ، فإنّ الذي يتصوّر ملكات المتّقين وتحصيلهم لها بالاختيار، يهون عليه أن يتصوّر أنّ الاختيار يوصل إلى ما هو أرقى وأرقى إلى أن تبلغ حدّاً يمتنع في العادة على قدس صاحبها وكماله من أن يختار المعصية، ويزيد الحال وضوحاً بالاعتبار بحال التائبين وتحصيلهم باختيارهم بعد المعاصي وملكاتها السيّئة ملكات التقوى والصلاح الفاضلة، بل يمكن الاعتبار بملكات بعض المخلصين بأعمالهم، فإنّك ترى من بعضهم ملكات يبعد عليها جدّاً أن يلوطوا أو يرقصوا أو يختاروا أن يُلاط بهم إلى غير ذلك.

هذا، والقرآن دالّ على أنّ الملائكة مختارون في طاعتهم، وربما دلّت الأحاديث على أنّ بعضهم قد يعصي ويسقط ويتوب ويغفر له. ومن أراد أن يستأنس لذلك بما في كتب العهدين من سقوط بعض الملائكة، فلينظر في الجزء الثاني من كتاب الهدى في الصفحة الرابعة والستّين وتتمّتها[١]، وإنّ العصمة الاختياريّة لا ينبغي أن يتشبّث بها العاصي لأغاليطه، بل هي حجّة عليه؛ تنادي بعاره، نعم تفترق الملائكة عن البشر بأنّ الحكمة اقتضت خلقهم على نحو لا تتعلّق بهم الشهوات الجسمانيّة، فهم من هذه الجهة كالفضّة والذهب ليسوا معرضاً للطاعة والمعصية والعصمة منها.

### تمام النتيجة من التنبيهات الثلاثة

وحاصل بيانها هو أنّه ليس في حوادث العالم شرّ من الله، وأمّا من حيث تعلّقه بالمظلوم فقد بيّنّا أنّه ليس بشرٍّ من الله إذا جعله بحكمة العادة أحد الأسباب التي يقطع

١. انظر الموسوعة، ج ٤، الهدى إلى دين المصطفى ٢: ٥٣٥ ـ ٥٤٢.

بها نعمته لحكمة نوعيّة أو خصوصيّة، كما ذكرناه في التنبيه الثاني. وأنّ قطع النعمة ليس بإساءة ولا شرّ، كما ذكرناه في التنبيه الأوّل. فالظلم والشرّ إنّما يتحقّق بين الخاطئ والمظلوم باعتبار نهي الله ومنعه عنه، وأنّ الله جعل ما للمظلوم حقّاً له بالنسبة إلى سائر العباد.

وأمّا من حيث يبيح ذلك، أو حيث لا تكليف، فلا ظلم ولا استحقاق جزاء؛ فإنّ الله معطي حياة الأنعام وغيرها، ومعطي صحّتها، فلا شرّ فيما إذا أباح وقدّر قطعها بذبح الإنسان لها لأجل نفعه، وكذا الكلام في حياة الشاة ونحوها إذا قدَّر قطعها بتسلّط الذئب ونحره، وإن لم نهتد إلى الحكم الخصوصيّة في هذا التقدير والتسليط.

وأمّا الألم فقد ذكرنا في التنبيه الثاني أنّه من لوازم العلاقة التي بها يتحقّق الالتذاذ والابتهاج بالنعمة، وأنّ الآلام لا توازن أقلّ التذاذ وابتهاج يقارنها فضلاً عن غيره.

وبصدق الاعتبار بهذه التنبيهات تسقط دعوى أبيقورس وشبهة دارِون، ويظهر الجواب عن أسئلة المكاتب، فيعرف الجواب من التنبيه الأوّل والثاني ونتيجتهما، عن قوله: «وأيّ حكمة بإيلام هذه الأطفال ـ إلى قوله: ـ عمّا في يديه».

وأمّا قول القائل: «ولقد كان يكفي ـ إلى قوله: ـ إلى النوائب» فهو مبنيّ على خيال من يتوهّم أنّ النوائب المشار إليها هي تعدٍّ من الله ـ جلّ شأنه ـ وسلبُ نعمة مستحقّة وعلى ضدّ الرحمة، لا تحتمل من الغرض إلّا الاختبار، فيكفي عنها الاختبار بالتكاليف، وتصفو الرحمة من كدر التعدّي وسلب الشيء المستحقّ للمسلوب عنه.

وهو توهّم ساقط، فإنّ الإنسان مهما كان لا استحقاق له بشيء من النعم، وليس له قدر يكبر عن أقلّها، ولا أهليّة تنافي نقصانها، وإنّما سجيّة الشره والحرص على الازدياد والكفران لما ناله ـ مهما بلغت نعمته ـ فيحسب بسوء أدبه ودناءة أخلاقه أنّ ما يناله دون ما يليق به، ولا يحسب أنّ ما بيديه نعمة يصغر قدره دونها، حتّى يضطرّه الضيق، فيعرف أنّ كسرة الخبز التي ينالها حتّى بالتكدّي هي نعمة تفضّل بها واهب النعم ومالكها أرحم الراحمين، الذي يبتدئ بالرحمة بما هو مالكه و خالقه، على من لا

حاجة به إليه ولا استحقاق له، بل ربّما يقابله بخسّة الشره واستحقار النعمة ووهم الاستحقاق ورذيلة الكفران والاعتراض.

هل يجد أحداً ملزماً لله في إدامة عطيّته ونعمته على معطاها الذي يغلب كونه يجهل قدرها ويضيع شكرها، ويحسب أنّه مالك أمرها قد نالها باستحقاقه لها و لما فوقها، طامح الحرص إلى المزيد، مضيّع على نفسه بالطمع والشره لذّتها، وما هو فضله على من لم يعط مثل نعمته؟ فليتذكّر الإنسان فيما له، وإن كابر بالجحود فيما عليه، ألا وهو الحكم البديهي بأنّ قطع النعمة الابتدائيّة ليس بإساءة ولا إيذاء ولا شرّ، ولا يحطّ من قدر النعمة قبل القطع. هذا لو خلا قطعها عن الحكمة، فكيف وإنّا على قصورنا ندرك شيئاً من حكمته التي هي نعمة على النوع أو على الشخص أيضاً! ألا ترى أنّ المغرور بنعمة الثروة والعدّة والعديد كيف أضرم في العالم نارَ الحرب الضروس والفتنة القاسية، وأنّ الغالب من الناس على هذه الوتيرة، لكن على قدر أهل العزم تأتي العزائم[1].

وهل ينقلب الأمر إلى قول القائل: لماذا أنعم المنعم؟ لا ينبغي ذلك، فإنّ الجواد الحكيم يجود وينعم حسبما تقتضيه حكمته في نظام العالم، وعلى المنعم عليه أن يحيّي النعمة بالشكر ويودّعها بالتسليم، ليس قطع النعمة للاختبار بل يكفي من حكمة قطعها تنبيه الإنسان من غفلة الغرور، وتوهّمه أنّه نالها بتسبيبه واستحقاقه، وصرف فكره بالحذر والعبر عن طغيان الغرور، وهفوات الحرص، وتكالب الطمع في المزيد، وكفرانها بالاستحقار إلى معرفة قدرها وحقّ التنعّم والتلذّذ بها، وحياطتها بالشكر والوداعة، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[2]، فجعل له أرحم الراحمين بالعبر منبّهاً زاجراً. وليست التكاليف للاختبار كما اختلج في ذهن القائل، بل إنّما هي ألطاف للتهذيب والتكميل والطهارة والمدنيّة والسعادة، فيسعد من سعد بإحسانه، ويشقى من شقي بسوء اختياره.

---

١. ديوان المتنبّي: ٣٠٦.

٢. العلق (٩٦): ٦ ـ ٧.

## الفصل السادس

قال قائل:

طالما تمدّح الباري تقدّس وتعالى بكونه حسب من توكّل عليه، وكهف من اتّقاه، ورازقه من حيث لا يحتسب، ومستجيب دعوة من دعاه، ولكنّ الواقع ليس كذلك، فلا تفاوت في البشر إلّا بتفاوت الجدّ والاجتهاد، كما هو مشاهد لكلّ ذي عين، ومسموع لكلّ ذي أُذن.

أقول: يحتمل هذا الكلام أن يكون اعتراضاً على تبليغ النبوّات بأنّ الله تمدّح بما ذكر، ويحتمل أن يكون اعتراضاً على وجود الإله القادر العليم، وأنّه لو كان موجوداً لحابى وكفى من توكّل عليه واتّقاه ودعاه، بقول المعترض. ولكنّ الواقع ليس كذلك، وقد أدرجنا هذا الكلام في هذا المقصد نظراً للاحتمال الثاني. ولعلّ هذا القائل سمع كلمات الشبهة من بعض الملاحدة، فغاظته فألقاها على علّاتها وسماجتها تحريضاً على رفع الشبهة، والله أعلم بأحوال عباده. أو أنّ أوهام الإلحاد تشبّثت في هذا المقام بالنقيضين، فقائل يقول:

كم عالمٍ عالمٍ أعيتْ مذاهِبُهُ	وجاهِلٍ جاهِلٍ تلقاهُ مَرزوقا
هذا الذي تَرَكَ الأوهامَ حائِرَةً	وصَيَّرَ العالِمَ النحرِيرَ زِنْديقا [١]

وقائل يقول المقالة المذكورة هاهنا: وقد أخطأ الناظم في استنتاجه؛ إذ يلزم من منظومه الاعتراف بأنّ الأُمور لها مدبّر تثنيها مشيئته عن الجري على أسبابها العاديّة التي جعلها أسباباً بتقديره. وقد جازف هذا القائل بدعواه هاهنا، فإنّا لسنا غبيّاً عن العالم، بل نرى نحن والناس وهذا القائل أنّه كم من ساعٍ بصير بالسعي عارف بالأسباب قد خاب سعيه، فكم ترى من إنسان بصيرٍ بالتجارة، عارف بالحساب، مجدّ في السعي وهو محارفٌ محروم تتقهقر أُموره؟ وكم من مغفّل لا يعرف الحسابَ

١. عمدة الحفّاظ ٤: ١٥١، «ن ح ر».

ولا بصيرة له بالتجارة ولا يسعى فيها على وجوه أسبابها، والأرباح والثروة تتدفّق عليه من كلّ جانب؟ وكثيراً مّا ينعكس الأمر عليه حينما تتحسّن أسبابه و بصيرته؟ وكم من عالمٍ كثير الجدّ، غزير التحقيق، جيّد التصنيف، جمّ الفوائد، جامع المحاسن، وهو في ذلك بمرأى من الناس ومسمع، وتراه قد أرخى عليه الخمولُ ستره وأخفى محاسنه، حتّى كأنّه لم يكن؟ وكم من هو دونه في جميع المحاسن لم ينل إلّا منصباً زهيداً وراتباً قليلاً مع تعب كثير؟ وكم من هو دونه يحظى عفواً بالمراتب العالية والرواتب الطائلة والجاه الكبير؟ وكم من ساعٍ بجدّه واجتهاده في انقلاب ديني أو سياسي، فيتناول منه رئاسته من كان يبغيه الغوائل في ذلك السبيل، ويقابله بالدسائس ويكافحه بالمعارضة؟ وكم وكم؟

تناوَلَ عفواً حظَّ ذي السَعْيِ قاعِدُ[١]

وشواهد هذا في العيان والتأريخ أكثر من أن تحصى، هذا كلومب مكتشف القارّة الرابعة كانت نتيجة جِدّه واجتهاده وفوائده أن بقي أنيساً لجدران السجون، محتبياً في دست الهوان وكرامة الإهانة إلى أن مات، ولم يحظ من التذكار إلّا بتسمية مقاطعة «كلومبيه»، وقد سُمِّيت تلك القارّة بأجمعها شماليّها وجنوبيّها «أمريكا» باسم «اميركوس»، وهو رجل جاءها كسائر الناس بعد دلالة «كلومب» واكتشافه.

وظنّي أنّك إذا راعيت الغفلة عن عصبيّة هذه الدعوى المذكورة في كلامك، واغتنمت فرصتها من كلّ واحد من الناس، وجدته يدّعي أنّ استفادته دون جِدّه واجتهاده واستحقاقه بكماله، وأنّ استفادة غيره فوق جِدّه واجتهاده واستحقاقه بكماله، وأنّ الآثار قد دام لها عدم الارتباط بالأسباب ومبالغ الجِدّ والاجتهاد. لكن هذا بكلّيّته تطرّف ناشئ من الإعجاب بالنفس وحسد الغير. كما أنّ الدعوى المذكورة تطرّف بعصبيّة الأهواء، وتغافل عن الوجدان والاعتبار بالذي بلغت به الحكمة ما شاءت من وضوح الحجّة.

---

١. لم نعثر عليه في المصادر التي بين أيدينا.

وأمّا مسألة كفاية الله لمن توكّل عـليه، ورزقـه للـمتّقي مـن حـيث لا يـحتسب، واستجابته لدعوة من دعاه، فإنّ أهل الصدق في التوكّل والتقوى والدعاء يرونها مـن أوضح الوجدانيّات لهم، وإن قلنا: منهم، هتف بنا هاتف الحقّ قائلاً:

إذا انبجَسَتْ دُمُوعٌ من عُيونٍ          تَبَيَّنَ مَن بَكَى مِمَّن تَباكَى[١]

وواسوأتاه إذا قال: «حنّ قدح ليس منها»، ليست هذه الآثار مما يترتّب على تـقديم أوراق الاستدعاء، ودورانها في المجالس، وتتابع التوقيع عليها، وتسجيلها في الدفاتر، وإعلانها في الجرائد، يحتجّ بها رسميّاً على المنكر، وإنّما هي أُمـور يـجلوها صـدق الاعتبار لعين الإنصاف، وتسترها ظلمات الأهواء والجحود.

وكيف تَرَى لَيلَى بعين تَرَى بها          سِواها وما طَهَّرْتَها بِالمدَامـعِ[٢]

ولعلّ القائل يقول: لم أر مـتّقياً ذا ثـروة طـائلة تـؤلّف المـلايين، فـإنّه يـقال: إنّ رزق المؤمن المتّقي الذي يرغب فيه الكفاف ويرضاه الله له هو مـا فـيه، و العـفاف والجلوس على عرش التنعّم واللذّة في مملكة غنى النفس الكريمة، لا تشـييد الدور والقصور وتنظيم الأثاث وتزيين الجنائن، بحمل متاعبها وهـمّها مـع مـبارحـتها فـي أغلب الأوقات، وتركها لتـنعّم النسـاء والخـدم وخـيانتهم بـالانشغال عـنها بـالبدن والنفس، والفكر في متاعب التجارة وجمع الأموال، ومخادعة المعامل وخيانة العامل، وتدليس الشريك وخطأ الكاتب وغلط الحاسب، ومراوغة المختلس ومدافعة الظـالم ومصانعة الحاكم، وخوف النـقصان و هـمّ الخسـران، وغـمّ التـلف وفكـرة الازديـاد ومعاناة فـقر النـفس، الذي يـمثّل كـلّ مـرتبة مـن الثـروة نـاقصةً نـقصاناً يشـوّهها ويكدّر صفوها. إذن فما هو أثـر الجِـدَة المـوهوم مـع مـعاناة هـذه الأحـوال وذلّـة فقرها النفساني ؟!

---

١. ديوان المتنبّي: ٥٦٩.

٢. الحماسة البصريّة ٢: ١١٩.

ولعلّ بعض القرّاء يثب و يقول: هذا من مضادّة الدين وأهله للمدنيّة والعمران؛ إذ يعلّم ببساطة العيش وبطالة الزهد. ولكنّه توهّم فاسد ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[١]؛ وإنّ الزهد هو الورع عن محارم الله، وإنّ الدين ليستحبّ التجارة، والجميل من طلب الرزق للتنعّم المباح والتوسعة على العيال وإعانة البشر، ويوصي بمساعدة البشر على العمران والإتقان، على أن يجري ذلك على روح المدنيّة والعدل وأسباب العمران والأخلاق الفاضلة، ولا يجري على الانهماك والحرص والأخلاق الرديّة التي تجرّ إلى الظلم والجور والشحّة، والأحوال التي تقصم ظهر العدل وراحة البشر والمدنيّة والعمران. ألا ترى كيف فعلت هذه الأحوال أفاعيلها الهائلة منذ سبع سنوات إلى هذا الوقت حتّى خسر البشر والمدنيّة والعمران خسارتها الفادحة؟

وهل يقتنع المشكّك إذا قال جماعات من الناس: إنّا ما انتفعنا برزق محتسب، وما كفانا مهمّاتنا إلّا الرزق من حيث لا نحتسب؟

ثمّ نقول: إنّا نجد كثيراً من الروحانيّين والمتّقين ليس لهم عشيرة تمنعهم ولا جند يحوطهم، ولا شوكة دنيويّة تذبّ عنهم، ولا سبب عادي يحمي جانبهم، وهم في سبيل الصلاح يكافحون الرئاسات والسياسات، وتراهم في عزّ منيع وهيبة مرعبة. ونرى كثيراً من الناس قد حملتهم طاعة الله على شديد الجرم مع الرئاسات، وقد تعدّاهم النكال إلى المخلّط ضعيف الجرم مازجه بالمصانعة والمداهنة. وهل هذا إلّا من كفاية الله لمن توكّل عليه وصدق في الانقطاع إليه بالدعاء؟ وإنّي أسأل باسم الإنصاف وطلب الحقيقة: كيف ترى هيبة الصالح المتّقي ومنعته، مع أنّه ليس له في ذلك سبب دنيوي؟

عفواً أيّها القارئ إذا طال الكلام، فإنّ لكلّ مقام نحواً من البيان وحقّاً من التأدية.

---

١. الأعراف (٧): ٣٢.

## الفصل السابع

قال المكاتب:

إذا جاز لسيادة صاحب كتاب الهدى إلى دين المصطفى في الردّ على المسيحيّين أن يعيب إلههم بتحمّل ذلّة الاضطهاد والصلب، فكيف لا يجوز للملحدين أن يعيبوا إله العالمين بتحمّل ذلّة التقيّة والتستّر في تعاليمه إلى هذا الحدّ وسبّه وشتمه وسبّ دينه وأنبيائه الذي لا يمرّ يوم يخلو منه، ويتحمّل الذلّة في تسلّط أعدائه على أوليائه في اغتصاب الأموال والأزواج والفروج و. و.و.و؟ ومجاهرة الملحدين بإنكاره والاستهزاء بمعتقديه، حتّى قال أرنست أرنان من ملحدي الإفرنج وفلاسفتهم: إنّ الدعوة الدينيّة لا يمكن نشرها إلّا بين الأُمم المتوحّشة، ولا تأتي نهاية القرن العشرين حتّى تعمّ فكرة الإلحاد الراقية. انتهى.

أيرى أيّده الله أنّ مثل هذا ليس من الذلّة في شيء؟

أقول: إنّي لم أعب إله المسيحيّين، ولم يجر كلامي في هذا المجرى، كيف وإنّ إلهي وإلههم واحد هو الله! وإنّما باحثتهم مباحثةً نتعاون بها على الإصلاح الديني بأنّ الإله لا يكون بشراً تحت آلام، ولا يعتريه تغيير، كما نطقت به صراحة كتبهم المكرّرة، فلا يجتمع لهم تأليه المسيح مع ما هو معلوم من كونه بشراً يتألّم ويجوع ويعطش ويحزن ويكتئب ويموت، كما نطقت به كتبهم التي ينسبونها إلى الإلهام، وزادت بأنّه بكى و استغاث واستقال من الموت، وقال: إلهي إلهي لماذا تركتني؟ وقصدي بذلك التنبيه على أنّ تأليه البشر نزعة وثنيّة برهميّة بوذيّة، وعدوى رومانيّة شوّهت أساسيّات الدين المسيحي وتعاليمه الحقيقيّة وكتابه الأصلي.

وأمّا ما ذكرتَ تعداده من الأُمور فإنّما توجب ذلّةً ونقصاً إذا وردت على من لا يقدر على دفعها ولا يمكنه رفعها، بل تركه العجز مقهوراً يعاني ثقل نيرها ولا حيلة له ولا

مغيث. وإنّ الملحد إذا فرض وجود الإله فرضاً يعترف بأنّه منزّه الجلالة عن هذا النقص والذلّة، بيده أمر خلقه في حياتهم وإهلاكهم وإمهالهم وجميع شؤونهم. نعم يبقى السؤال عن وجه الحكمة في إعطاء الاختيار للخلق والإمهال، وقد مرّت الإشارة إليه في خلال التنبيهات وغيرها، فالمدار إذن على الدليل على وجود الإله الخالق، وأمّا هذه المذكورات فلا تعارض الدليل ولا تضادّه، لجواز ورودها على الحكمة فضلاً عن وضوح ذلك.

ولك العبرة، ولله المثل الأعلى بالملك البشري الكبير النافذ السياسة التامّ السلطنة القادر على إلجاء رعيّته وتأديبهم وتقويمهم وإهلاكهم، وقد شاء لحكمة أو لا لحكمة أن يعطيهم الاختيار والإمهال إلى آجال بحيث إنّ أمر الاختيار في جميع الشؤون بيده في الحدوث والدوام، ليس للرعيّة فيه أدنى تأثير ولا قدر. فهل ترى مع ذلك كلّه عليه غضاضة وذلّة إذا جارى في تعاليمه وتنفيذ قوانينه المدنيّة جهل رعيّته وإمهالهم على فلتات جهلهم، مع كمال قدرته في جميع الحالات؟

وانظر إلى حالك مع أطفالك الصغار وطريقتك في تعليمهم وتأديبهم وإمهالهم على سوء آدابهم، فهل تجد في ذلك ذلّتك؟ هذا مع أنّ قدرتك تقلّ عن النسبة إلى قدرة الخالق، وحكمتك لا تكاد تشابه حكمة الإله.

وأمّا قول أرنست أرنان فهو كإلحاد واحد من الناس، وهو في الخطإ كتسمية الفوضويّةِ والاشتراك والتهتّك العرضي ودسائس الثورات مدنيّةً وعمراناً، ولا ضير في اسم الوحشيّة إذا كانت مبادئها ونواميسها ضدّ مبادئها القاضية على شرف الإنسانيّة وراحتها.

وأمّا أمانيه بعموم الإلحاد فلا حجّة له فيه، فإنّ الإلهيّة قد عمّت وسادت أُلوفاً من السنين في معادن المدنيّة الحقيقيّة. وإنّ الأزمان كمسارح اللهو والخلاعة، وأندية الشرف، تسود على المسارح خيالات السكر وخلاعات التهتّك وارتجاج أرداف السيّدات بالرقص واهتزاز أعطافهنّ وبروز محاسنهنّ الفتّانة وهيجان شهواتهنّ بين القريب والبعيد، فتنعقد الروابط وتتجدّد عهود الحرّيّة، ويسود على الأندية بهاء الشرف والوقار

وأفكار الصلاح والإصلاح وآثار الحكم. وإنّ مبادئ الإلحاد في الفوضويّة والاشتراك وأخلاق الإلحاد لتبشّر بالقضاء على جمعهم، كما قضت على اليونان وجمهوريّتهم، وحطّتهم من شوكتهم ومدنيّتهم و معارفهم، حينما علقوا بمبادئ ديمقريط وأبيكورس.

## الفصل الثامن

في التعرّض لما وجدناه من شبهات الإلحاد تتميماً للفائدة وإن لم يتعرّض لها الكاتب في أسئلته.

قال شبلي في آرائه:

> فإذا كان العلم يرى أنّ الموادّ والقوى الموجودة في الطبيعة، والمشتركة بين سائر كائناتها، كافية وحدها لتفسير جميع تحوّلاتها وأفعالها البسيطة والمركّبة، فأيّ حاجة بنا بعد ذلك إلى القول بقوى جزئيّة لا يدلّ عليها العلم، وليس لنا أقلّ دليل علمي كذلك على وجود غير منظور[١].

وأقول: إذا كان علم اليوم وأمس يرى حاجة البحث عن الحقيقة إلى التفسير والتعليل، فما الذي أغفله عن تفسير الموادّ والقوى المذكورة والطبيعة وعن تعليلها؟ مع أنّ العلم الحقيقي لا ينبغي أن يقف عن التفسير والتعليل لوجود الكائنات إلّا على ما هو واجب الوجود لذاته، بحيث يثبت له خواصّ الوجوب الذاتي وينفي عنه منافياته؟ وإن عرقله إعياء الجهل فشرفه إذ ذاك أن يقف على السكوت والسكون. فعلى ماذا وقف العلم في هذا المضمار؟ وماذا الذي ومن ذا الذي وجده واجب الوجود لذاته بحيث لا يحتاج إلى التعليل بالغير والتفسير لأسباب وجوده؟ أهو المادّة التي يتلاعب بها التغيير إلى الصور، كما هو من مقرّراتهم واعترافاتهم، أم هو القوّة التي آل أمرها إلى القول بحدوثها من الأثير، ومن انحلال المادّة وأنّها هي الحركة، أم هو الأثير الذي تزعجه الحركة، وتضطرّه إلى كونه زوابع، وتحوّله إلى المادّة المزعجة بالتغيير بالصورة

١. آراء شبلي شمّيل: ٩.

كما تقدّم؟ هذا كلّه في التتميم والتنبيه من أوائل هذا المقصد.

وأيضاً من أين لعلم اليوم ـ أو أمس ـ أنّ الموادّ والقوى التي في الطبيعة كافية بنفسها لتمام التفسير والتعليل في جميع الكائنات؟ ومن أين للعلم أنّ أعمال التكوين العجيبة النظام هي لا لغاية مقصودة في مواليدها وأدوارها؟ فهل نظام الكائنات في مواليدها وأدوارها على النسق المنتظم المتقن يدلّ على أنّه خبط عشواء من صدفة عمياء، أو قوى بكماء أو طبيعة لا شعور لها؟ وهل يكتفى في مثل هذه الدعاوي العظيمة في النفي والإثبات بدعوى القائل في قوله: « لا يدلّ عليه العلم، وليس لنا دليل علمي»؟ ولماذا يفتري على العلم من لا يقدر على حفظ نفسه وأصحابه من التناقض؟ قل إنّ الذي يقول بوجود الأثير وزوابعه والجوهر الفرد وحركاته أوهام التحوّل التي لا تحصى، ممّا يعترفون بعدم رؤيته، بل لا سبيل، وقد ادّعوا أنّ العلم يدلّ عليها مع هذا كلّه، كيف يقول ويكتب ويطبع وينشر قوله: «وليس لنا أقلّ دليل علمي على وجود غير منظور»؟!

## الغاية المقصودة من هذا المقصد

**تنبيه أقصر**: وهو تنوير العلم بذكر البرهان على وجود الإله الخالق العالم، وبعض ماله من صفات الجلال والجمال، متحرّين أبسطَ الوجوه مهما أمكن، رعايةً لعموم التلقّي وإن مسّت الحاجة إلى تكرار ما سبق، تاركين للتعمّق إلى حين ما يعترض علينا بالمناقشات التي نحيّيها بالترحيب وبيان ما لدينا من الجواب، بعون الله. وليقع التنبيه على مقدّمات:

[المقدّمة] الأُولى: أنّ من أوضح المسلّمات ـ كما أشرنا إليه ـ هو أنّ طريقة العقل والعقلاء والعلم في العالم أجمع هو البحث عن تعليل الموجود، رعايةً للقيام بواجباته العلميّة والعمليّة، كما اتّفق عليه المادّيون والإلهيّون في علومهم ومعارفهم في جميع الأعصار، وإن اختلف الناس في ذلك بين المتواني والمجدّ، والواصل والقاصر والمقصّر، والمحقّق والمتساهل.

**المقدّمة الثانية:** أنّ من الواضح في العلم وفطرة العقلاء هو أنّ البحث عن التعليل ليس لأجل كون الموجود في الزمان الفلاني، أو ما قبله أو ما بعده أو بعد التأريخ أو قبله، أو في الزمان المتناهي أو غير المتناهي، وإنّما البحث عن تعليل لجهة ترجع إلى ذات الموجود، وهو كونه ممكناً غير واجب الوجود لذاته. والدليل على تلك الجهة هو اقترانه بما ينافي الوجوب الذاتي لوجوده، وهو حدوثه المعلوم، أو ابتلاؤه بالتغيّر والانفعال والحاجة إلى غيره.

**المقدّمة الثالثة:** أنّ الواضح الوجداني هو أنّ العقل لا يتعبه ولا يعيبه في جهة إدراكه بُعد الزمان والمكان وكثرة العدد، فإنّه يدرك كلّ عدد وأنّه إمّا زوج وإمّا فرد. ويحكم على الأعداد بخواصّها مهما بلغت في الكثرة، ولو فرض خروجها إلى غير النهاية. ويحكم على الجسم بخواصّ الجسميّة مهما بلغ في البعد الزماني والمكاني، ويحكم على الموجود بخواصّ وجوده مهما بلغ في البعد الزماني في الماضي والمستقبل، أو البعد المكاني، أو كثرة العدد. وأنّ من أسهل أحكام العقل عليه وأوضحها لديه حكمه بأنّ كلّ موجود إمّا أن يكون واجب الوجود لذاته أولا، وأنّ كلّ موجود ليس واجب الوجود لذاته لابدّ من أن يكون معلولاً لغيره، ولا يمنعه عن حكمه هذا قدم الموجود، ولا كثرته، ولا بعده، ولا غير ذلك.

إذا تقرّر هذا قلنا: إنّ الوقوف بالتعليل إمّا أن يفرض على الجواهر الفردة وحركتها كما هو الرأي لقدماء المادّيين، وإمّا على الأثير وحركته كما هو رأي متأخّريهم، وإمّا على ذهاب سلسلة التعليل إلى غير النهاية، وإمّا على واجب الوجود لذاته، فللكلام والنظر إذن مقامات أربعة:

**المقام الأوّل:** لا يصحّ الوقوف بالتعليل على الجواهر الفردة وحركتها؛ لأنّها ليست واجبة الوجود لذاتها فهي محتاجة إلى التعليل، أمّا الجواهر ـ يعني الجسم الذي لا يقبل القسمة عقلاً ـ فإنّ وجوده غير معقول. وقد ذكرنا في التتميم والتنبيه اعتراف

شبلي بذلك في ص ٢٩٤ و ٢٩٧ من مجموعته، كما حقّق ذلك غالب الفلاسفة من المتقدّمين والجديديّين بالبراهين العلميّة والاعتبارات التجريبيّة، فراجع كتب الفلسفة الطبيعيّة.

وقد ذكرنا في التتميم المتقدّم أنّ ديمقريط مؤسّس دعوى الجواهر الفردة يقول: بأنّ لها أشكالاً هندسيّةً مختلفةً، ومقتضى ذلك قبولها للقسمة. والجسم المؤلّف من أجزاء لا يكون واجباً بالذات؛ لاحتياجه إلى أجزائه، واحتياج الأجزاء بعضها إلى بعض، وإلى علّة توجدها وتؤلّفها.

وأيضاً إنّ تمدّدها واختصاص كلّ واحد منها بمكان وحركة ينافي كونها واجبة الوجود بالذات؛ وذلك لأنّ وجوب وجودها الذاتي يستلزم أن يكون في ذات كلّ واحد منها جهة تستلزم وجوده، ولابدّ من أن تكون تلك الجهات متماثلة وإلّا لما اتّحد أثرها، مع أنّ أمكنتها وحركاتها المتعدّدة المختلفة تستلزم أن يكون في ذات الجواهر أيضاً جهات مختلفة في نفسها، تقتضي كلّ واحدة منها المكان الخاصّ لكلّ واحد من الجواهر، والحركة الخاصّة لكلّ منها؛ لأنّ الجهات المتساوية لا تقتضي آثاراً مختلفةً، فيلزم تركّب الجواهر من الأجزاء المتماثلة والأجزاء المختلفة، وتركيبها يمنع كونها واجبة الوجود بذاتها كما تقدّم.

فإن قلت: إنّ جعل الجواهر في أمكنة مختلفة ليس لجهة في ذات الجوهر حتّى يلزم ما ذكرت من التركيب، بل هو معلّل بأمر آخر.

قلت: إنّ هذه الأمكنة وجعل الجواهر فيها ملازمة ومقارنة لوجود الجواهر والجواهر محتاجة إليها، فيكون وجود الجواهر معلولاً لهذا الأمر الآخر، فلا تكون واجبة الوجود لذاتها، ولا ينتهي بها التعليل كما يدّعى ويُفرض.

**حركة الجواهر**

وأمّا حركة الجواهر فمن الواضح أنّه لا يعقل أن تكون واجبة الوجود لذاتها؛ لأنّها عبارة عن انتقالات يحدث اللاحق بعد انعدام السابق، ووجوب الوجود الذاتي

لا يجتمع مع الحدوث والانعدام. وأيضاً إنّ الحركة عرض يفتقر في وجوده إلى المعروض، فلا يكون واجباً بالذات.

**المقام الثاني في الأثير وحركته:** وممّا ذكرنا يعرف الكلام في الأثير وحركته، وأنّ فرضه صريح في أنّه مركّب مقداري من أجزاء كثيرة جسميّة، مهما فرضوا له من اللطافة والبساطة. مع أنّه لا يمكن أن يكون بسيطاً مع كونه واجب الوجود؛ لأنّ كلّ جزء من مقداره لابدّ من أن تكون فيه جهة تستلزم وجوده، وتكون هذه الجهات في الأجزاء المقداريّة متماثلة، وجهة أُخرى مغايرة لما في الجزء الآخر، تقتضي المكان الخاصّ له، فالأثير إذن مركّب في حقيقته، كما هو مركّب في مقداره، والمركّب لا يكون واجب الوجود.

فإن قلت: إنّ جعل أجزاء الأثير في أمكنة مختلفة ليس لجهة في ذات الأثير لكي يلزم تركّب حقيقته.

قلنا: إذن ما قلناه في أمكنة الجواهر فلا يكون الأثير واجب الوجود بالذات، ولا ينتهي به التعليل، مع أنّ قولك هذا لا يجدي شيئاً مع تركيب الأثير في مقداره، فإنّ المركّب مطلقاً لا يكون واجب الوجود بالذات.

وأيضاً إنّ ما فرضوه من حركة الأثير لا يعقل أن تكون طبيعيّة، ولجهة ذاتيّة فيه؛ وذلك لأنّ كونها لجهة ذاتيّة فيه يناقض ما فرضوه له من الزوابع، بل يلزم أن يتحرّك الأثير كلّه دفعةً واحدةً، ويتحوّل كلّه دفعةً واحدةً؛ لأنّ مقتضى فرضهم له أنّه ليس معه موجود آخر يعاوقه عن الحركة والتحوّل، فلا يبقى أثير حينما يحصل التحوّل إلى الصورة الأُخرى، وهي خلاف ما يفرضونه، فلابدّ من أن يلتزموا بأنّ حركة الأثير معلولة بشيء آخر.

إذن فعلى ذلك الشيء تجري سلسلة التعليل، فينظر في حاله وتعليله. هذا كلّه مع الإغضاء عمّا ذكره الفلاسفة والمتكلّمون من المنافيات لوجوب الوجود الذاتي.

المقام الثالث في الفرار بالتعليل إلى غير النهاية: وهو فرار من العلم إلى غير مفرّ؛ وذلك لأنّ العقل كلّما تصوّر موجوداً يجعله علّةً لابدّ من أن يلحظ كونه محتاجاً في وجوده، فيطلب علّته أيضاً، أو واجباً لذاته، فيقف على موقف علمي، بل إنّ هذا اللحاظ مقدّم في نظر العقل على التعليل؛ لأنّه لحاظ لذات الموجود ووجوده، والتعليل به نظر ثان إلى أفعاله وتأثيراته.

أتقول: إنّ العقل يعجز عن تصوّر القديم، والحكم عليه بأنّه إمّا واجب الوجود لذاته أو غير واجبه؟ إذن كيف تصوّر القديم وحكم عليه بأنّه علّة لما بعده؟ أم تقول: إنّ سلسلة العلل والمعلولات إذا ذهبت إلى غير النهاية، فإنّ العقل يوقفه العجز في الأثناء فلا يتصوّر موجوداً؛ لكي يتصوّر كونه واجب الوجود أو محتاجاً إلى الغير؟

فنقول: إنّ قولك هذا مناقض لدعواك التسلسل في التعليل إلى غير النهاية، فإنّك بدعوى هذا التسلسل تقول بأنّ العقل يتصوّر موجودات غير متناهية، يحكم على كلّ منها بآثار وجوده، وهي علّيّته للغير يحكم عليه باحتياجه إلى العلّة لكونه غير واجب الوجود بالذات. وإنّ فرضك للتسلسل اعتراف بأنّ العقل في مورده لا يعجز عن تصوّراته وأحكامه، كما ذكرناه في المقدّمة الثالثة، فيسقط غرضك المقصود من التسلسل بمجرّد فرضه.

وينبغي التنبيه على أُمور:

[الأمر] الأوّل: أنّ البناء على التسلسل في التعليل أُغلوطةٌ رفضَ البناء عليها جميع العقلاء حسب فطرتهم وبرهانهم؛ أمّا الإلهيّون فذلك ظاهر من طريقتهم وانتهائهم إلى الواجب بالذات؛ وأمّا المادّيّون فقد وقفوا على الجواهر الفردة والأثير، وإن تحمّلوا كلفة الاعتراض عليهم بأنّها إن لم تكن واجبة الوجود لذاتها لم يصحّ الوقوف عليها بل لابدّ من تعليلها هي أيضاً، وأنّ فرضكم لقدمها لا يرفع لزوم التعليل، ولا يصحّح الوقوف عليها، كما ذكرناه في المقدّمة الثانية.

وإن قلتم: إنّها واجبة الوجود لذاتها طالبناكم بسلامتها من الاقتران بما ينافي الوجوب الذاتي. وقد بيّنّا في المقام الأوّل والثاني أنّها ليست سالمة. هذا ولم يعرف الانتصار للتسلسل إلّا في مقام المناقشة في احتجاج الإلهيّين.

**الأمر الثاني**: أنّ نفس فرض التسلسل في التعليل إلى غير النهاية يوصل إلى بطلانه، فإنّ مقتضاه أنّ سلسلة المعلولات بلحاظ كونها معلولات تنقطع قبل سلسلة العلل، وأنّ سلسلة العلل تزيد عليها بواحد. ولا يخفى أنّه كلّ ما ينقطع أو يزيد على المنقطع بواحد فهو متناهٍ. وأيضاً فإنّ فرضه مبنيّ على حقيقة الاعتراف باحتياج الكلّ إلى المؤثّر، ولا يكون المؤثّر في جملة الكلّ نفس الجملة؛ لأنّ الشيء لا يؤثّر في نفسه، ولا جزءاً منها؛ لأنّ الشيء لا يؤثّر في نفسه وعلله المتقدّمة عليه بالرتبة والزمان، فلابدّ أن يكون المؤثّر موجوداً خارجاً عن الجملة، وليس هو إلّا واجب الوجود لذاته، [و] هو المطلوب، فينقطع التسلسل.

**[الأمر] الثالث**: أنّ نفس الفرض يسقط الغاية المطلوبة من التسلسل، فإنّه لا غاية لأُغلوطته إلّا السكوت عن التعليل بسبب الجهل بحال ما لا يتناهى، لكنّ الغاية المذكورة باطلة يكفي في بطلانها أنّ نفس العرض مبنيّ على حقيقة الاعتراف بأنّ العقل يدرك أنّ مجموع السلسلة المفروضة وجميع أجزائها محتاجة إلى التعليل؛ لأنّها ليست واجبة الوجود بالذات، ولا تنتهي إلى الواجب وإلّا بطل فرض التسلسل. إذن فكيف يدّعي جهل العقل بالحال وحيرته وسكوته عن التعليل؟

فإن قيل: إنّ غاية التسلسل هو الجهل بمآل التعليل، فإنّ التعليل إذا امتدّت سلسلته وعسر إحصاؤه تردّد العقل بين الانتهاء إلى الواجب بالذات، أو استمرار التعليل إلى غير النهاية.

قلنا: إن جوّزنا حصول هذا التردّد والحيرة في بادئ النظر، فإنّه لابدّ من زواله بالالتفات إلى ما ذكرناه من وجوه بطلان التسلسل إلى غير النهاية والسكوت عن التعليل، فيتمحّض الأمر لحكم العقل بالتعليل بالواجب.

هذا، ومقتضى الأمر الأوّل أنّ مغالطة التسلسل في التعليل ليس لها أهمّيّة في المقام،

لكنّا أطلنا فيه الكلام صوناً لحقائق العلم وتحقيق أهله من غوائل الشبهات، مع إصرار الأوهام على التشبّث بها في مغالطات المناقشة، فعذراً أيّها القارئ.

## المقام الرابع في شأن واجب الوجود بالذات

وفيه مسائل:

[المسألة] **الأولى:** قد بيّنا في المقام الأوّل والثاني أنّه لا يكون جسماً ولا مركّباً مقداريّاً ولا كيمياويّاً ولا عقليّاً، وذلك لأجل احتياج المركّب في وجوده إلى أجزائه، فيخرج الواجب عن كونه واجباً.

**المسألة الثانية:** أنّ وجوب وجوده الذاتي يستلزم كونه قديماً باقياً أزليّاً أبديّاً، وهو ظاهر.

**المسألة الثالثة:** أنّ انعدام الحوادث واختلافها في البقاء وأزمنة الحدوث دليل على أنّه مريد في خلقه يخلق بإرادته؛ لأنّه لو كان علّة موجَبةً بذاته للزم قدم الموجودات بأجمعها بحيث لا تتأخّر عنه إلّا برتبة المعلوليّة، ولزم أيضاً أحد أمرين: إمّا انعدامها أجمع آن حدوثها إن كان علّةً لمجرّد الحدوث. أو بقاؤها بأجمعها إلى الأبد أو إلى حدّ محدود من الزمان إن كان علّةً للبقاء المطلق أو المحدود. واللوازم كلّها بديهيّة البطلان، فالملزوم أيضاً باطل ووجه الملازمة واضح، فاختلافها فيما ذكرنا إنّما هو بإرادته جلّ شأنه.

وأيضاً إنّ وحدته وبساطته وتجرّده من المادّيّات يستلزم أن يكون معلوله بالإيجاب واحداً بسيطاً مجرّداً عن المادّيّات موجباً في تعليله أيضاً ـ وهلمّ جرّاً ـ فتكون جميع الموجودات في العالم بسائط مجرّدات عن المادّة، مسلوبة الإرادة، تعلّل معلولها بالإيجاب. واللازم باطل بالضرورة، فالملزوم باطل مثله.

بيان الملازمة هو أنّ العلّيّة بالإيجاب تلزمها المناسبة والسنخيّة بين العلّة ومعلولها، وهذا هو وجه العلّيّة، وتعدّد أفراد المعلول ـ أو تعدّد أجزائه ـ يلزم منه أن يكون في العلّة بالنسبة لكلّ فرد ـ أو جزء ـ مناسبة وسنخيّة تعلّله غير المناسبة والسنخيّة التي تعلّل الآخر، وتعدّ أنحاء المناسبات والسنخيّات دليل التعدّد والتركيب، وقد فرضنا أنّ

العلّة واحدة بسيطة لا تعدّد فيها أصلاً، إذن فلا يعقل أن يكون معلولها إلّا واحداً بسيطاً موجباً. ويجري الكلام في كلّ ما يفرض من المعلومات بالترتيب.

ثمّ إنّ الإرادة إن كانت من نحو العلم الذي لا يفكّك بينه وبين التجرّد، فلا وجه لسلبها عن الواجب، وإن كانت موجودةً أُخرى استحال ثبوتها لسائر المعلومات في مراتبها، لعين ما ذكرناه من أنّ مراتب التعليل بالإيجاب لا يكون فيها المعلول متعدّداً.

فإن قلت: إنّ بعض الفلاسفة قد جوّزوا صدور المتعدّد من غير الواجب وإن كان مجرّداً بسيطاً نظراً إلى تكثّر جهاته من حيث الإمكان الذاتي والوجوب بالغير ومعلوليّته لغيره.

قلت أوّلاً: إنّ هذه الجهات أُمور اعتباريّة انتزاعيّة لا وجود في الخارج إلّا لمنشإ انتزاعها، ومثلها لا يصلح أن يعلّل به الموجود الخارجي؛ إذ لا سنخيّة فيها ولا مناسبة.

ثانياً: لو أمكن التثبّت بهذه الانتزاعات لكثرة المعلول، للزم إجراء مثلها في الواجب على دعوى الإيجاب باعتبار ذاته ووجوبه ذلك ونحو ذلك.

**المسألة الرابعة** في أنّ الواجب الصانع عالم، ويدلّ عليه أُمور:

منها: أنّ الإرادة لا تنفكّ عن العلم بالمراد، وهذا ظاهر، وقد بيّنّا أنّ الواجب مريد في خلقه.

ومنها: وجود الموجودات العجيبة التراكيب، المتقنة الصنع والنظام، مراراً متتابعةً، وأدواراً عديدةً على نظام متناسق ومواليد منتظمة محكمة، يتجلّى منها لعلم البشر نور الحكم الباهرة والغايات الحميدة والتعليل الشريف، مهما سار العلم نحو مشرقها على رسله.

يَزِيدُكَ وجهُهُ حُسْناً　　　إذا ما زِدْتَـهُ نَـظَرا[١]

بحيث يتّضح للعقل أنّ هذا لا يكون إلّا عن علم الموجد وتقديره الإيجاد في مبتدئه وأدواره على الحكمة والنظام والنسق والغاية.

ويكفي في الاعتبار نظر المعتبر في حال الإنسان وما فيه من الأجزاء ودقائق

---

١. لم أجده في المصادر التي بين يديّ.

التركيب وخواصّ التأليف من ظاهر بدنه وحال تناسله.

وناهيك بما ينادي به مشراط المشرّح فيما تيسّر له من الوصول والإشعار من عجائب الصنع وبواهر الحكم والغايات في باطن الإنسان وعالمه العجيب، من العظام وأوضاعها المناسبة واتّصالاتها وأوضاع مفاصلها ورباطاتها، والعضلات والأغشية والشرايين والأوردة، والأعصاب وتشعّبها في البدن وانتشارها ووظائفها، وما يوجد من العجائب في جهاز السمع وجهاز البصر وجهاز التغذية وجهاز التناسل، وما أمكن وصول العلم إليه من الغايات الشريفة لهذه الأجزاء وأوضاعها في حفظ الشخص والنوع وانتفاعه، وربّما خفي من كلّ جزء وكلّ وضع كثير من الغايات الشريفة. وإنّ الجدّ في الطلب وجودة النظر وإمعانه في مرور الأيّام لتفتح للعلم باب الوصول إليها، كما أنّ اتّساع العلم في مبلغ وصوله إلى الحال الحاضر كان متدرّجاً بهذا النحو.

وعلى هذا النظام تجري مواليد الإنسان متناسقة الدور، مستقيمة المثال، وكذلك أنواع الحيوان، ونحو ذلك أنواع النبات، وهلمّ النظر إلى عالم النظام الشمسي والأفلاك وما فيه من الحركات العجيبة المستقيمة في دورها ونسقها على مرور الدهور، وما فيها من الغايات العظيمة في نظام العالم وتعديل الآثار وعموم الفوائد.

وليت شعري ما بال الناس يغفلون أو يتغافلون عن وجدانهم وعاداتهم النظريّة؟ فلو أنّ جماعةً وجدوا أوراقاً مكتوبةً جيّدة الكتابة، منظّمة السطور، حسنة الحروف، متقنة التركيب، مجدولة الصحائف، كتب فيها مقالةً من الهندسة بأشكالها وبراهينها على أحسن الإتقان، وباباً يرتبط بالحساب مع أشكاله والجبر والمقابلة، معقّباً بباب من الهيئة مع أشكالها ورسمها المتقن وإشارتها المصطلحة وحساب زواياها وجيوبها، ورأوا أنّ تلك الكتابة مكرّرة في الأوراق بذلك الخطّ وذلك النظام والإتقان، وتلك المطالب قد حفظت في مكرّراتها عناوين الابتداء والختام والفواصل والإشارات، فهل يحتمل واحد من الجماعة أنّ تلك الكتابة بمكرّراتها قد صدرت من طفل ابن ثلاث سنين لا يعرف القراءة ولا الكتابة، بل وجد قلماً ودواةً وقرطاساً فلعب بذلك بلا قصد

ولا تعقّل لا للمكتوب ولا للغاية ولا شعورٌ له بذلك، بل برز ما ذكرنا مع إتقانه وبواهر معارفه ووصفه وتأليفه ومكرّراته بمجرّد الصدفة؟ وهل يجسر أحد من الجماعة أن يبدي هذا الاحتمال؟ بل إنّ كلّ ما يجزم الناس بصدوره عن شعور وعلم وقصد للغاية، من نحو الكتابات والكلام والأعمال البشريّة يجوز على فاعلها الجهل والجنون المذهل، والغفلة عن الغاية، والمرض الموجب للحركة القهريّة، وغير ذلك من حيث إنّه إنسان معرّض لذلك؛ إذن فلماذا يجزمون بصدورها عن شعور وعلم وقصد لغايتها ويرتّبون عليها الآثار العظيمة؟ أو ليس ذلك لأجل انتظامها وإتقانها وإن لم تكرّر متناسقة النظام والإتقان، حيث إنّ العقل والوجدان والعادة الفطريّة تحكم وتهدي في مثل ذلك إلى شعور الفاعل وعلمه وحكمته وقصده للغاية؟

وترى أنّ دعوى الصدفة سفسطة جزافيّة، ولعمر الإنسانيّة والشرف إنّ ماذكرناه من الأمثلة دون نظام العالم وبواهر آياته وعجائب صنعه وإتقانه وتناسقه في كلّ ذلك في مكرّراته، ودونه بمدى لا يدرك. وقد احتجّ الله جلّ اسمه على عباده بمقتضى وجدانهم وعاداتهم الفطريّة التي يجرون عليها في أُمورهم مدى أعمارهم ورشدهم، ووبّخهم بقوله تعالى في سورة الملك: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[١].

**المسألة الخامسة:** أنّ علمه ووجوب وجوده وإتقان نظام المخلوقات تدلّ على حكمته بجميع معاني الحكمة؛ لأنّها إن كانت عبارة عن العلم بمواضع الأُمور اللائقة بها فهو العالم بحقائق الأُمور، وإن كانت جعل الأُمور في مواضعها فإنّه يستحيل عليه خلافه؛ لأنّ المخالفة إمّا أن تكون من الجهل، وهو ممتنع بالنسبة إليه جلّ شأنه، أو من الحاجة، وهي ممتنعة أيضاً في شأنه؛ لأنّه واجب الوجود الغنيّ عمّا سواه، أو من العبث فهو أيضاً ممتنع في حقّه؛ لأنّ العبث قبيح وناشئ من الجهل أو الحاجة. وإن كانت عبارة عن الإتقان، فناهيك بما يشهد به الوجدان من إتقان النظام في المبتدع وأدواره. ولنكتف من مباحث الإلهيّات بهذا المقدار.

---

١. الملك (٦٧): ١٤.

# المقصد الثالث

## في النبوّة

وفيه فصول:

### الفصل الأوّل

من الواضح المعلوم أنّ الإنسان مدني الطبع محتاج في اجتماعه إلى قانون ينظّم مدنيّته، وأنّ طريقة العقل والعقلاء وحكم الفطرة وعمل الناس إلهيّهم ومـادّيّهم جـارية عـلى إرجاع أمر التقنين والتشريع ـ حسب الإمكان ـ إلى من هو أعرف بمواقعه ومناسبات المصالح والمفاسد والموازنة والتعديل بين الشخصيّات والنوعيّات، فإنّك ترى التشريع الديمقراطي وغيره يرجعون أمره بحكم فطرتهم وحسب جهدهم إلى جماعة من ثقاتهم وعقلائهم، العارفين في الجملة بمصالح الشعب ومفاسده مـن حـيث المـادّة والأدب والبيئة والاستقلال، والمناسبات مع غيرهم من الشعوب. وغرضهم من تعدّد المشرّعين هو الثقة بالنصيحة، وتعاضد الأفكار بالبحث، والوصول إلى معرفة الصواب. وكم، وكم يقع في ذلك، من زلّات الخطإ الذي ربما يتدارك شيء منه بالتعديل والتبديل، ومـن اختلاسات الأهواء والمحاباة. وإنّ الإشارة إلى مواقع ذلك، وبيان رفض الفطرة والشرف له ليحتاجان إلى موقف غير حرج.

وبهذا الوجه الواضح في البداهة يكون الله ـ جلّ جلاله ـ هو المرجع الوحيد في أمر التشريع دون غيره بحكم العقل والفطرة وطريقة العقلاء في عملهم أجمع؛ لأنّه جـلّ اسمه هو العالم بحقائق جميع الشؤون. وبيان التشريع للناس ممكن في حقّه جلّ اسمه بواسطة إرسال الرسل، وواجب في لطفه وحكمته وكماله التامّ، فإنّ الإخلال به قبيح.

وأنسب من يكون من الرسل هو من تألف له نفوس البشر وتركن إليه، وتعرف أحواله وأطواره، وهو الإنسان الممتاز بالصلاح والثقة وشرف النفس وكرم الأخلاق، فإذا ادّعى الرسالة ولم يكن من أحواله وأقواله ما يكذّب دعواه احتاج حينئذٍ إتماماً للحجّة إلى شهادة المعجز، وهو الخارق للعادة البشريّة الرافع للاسترابة من خفايا أحوال المدّعي وطواياه، وذلك يختلف بحسب أحوال المرسل إليهم وزمانهم ورائج معارفهم.

وإنّ الخارق للعادة ليس هو تمام الحجّة والشاهد على الرسالة، بل إنّ حقيقة مفاده وغاية بيانه هو أنّ ما يعرف من مدّعي الرسالة، من الصلاح والثقة والصدق وشرف الأخلاق هو حقيق عامّ لا ريب فيه، وليس وراءه خفية تنافيه، فإذا لم تعرف منه الأخلاق الفاضلة لم يكن لخارق العادة أثر في الاطمئنان وعدم الريب في صدقه، فضلاً عمّا إذا عرف منه الكذب والتناقض والخيانة وفساد الأخلاق في الأمر الحقير أو الخطير. وفضلاً عما إذا لم يدّع الرسالة، إذا جاءك شخص تعرف فساد أخلاقه وكذبه وخيانته، أو عرفته من كلامه ودعواه، وقال لك: فوّضني على شؤون أموالك وعائلتك ونفسك؛ لأحفظ لك ما ينبغي حفظه وصونه بأمانتي وصدقي. فهل تترك علمك بحاله و تلتفت إلى شهادة الشهود لدعواه، وتفوّض إليه مهمّاتك الماليّة والعرضيّة والنفسيّة؟ وإنّ القضاء الشرعي والتشريعي ينظر أوّلاً إلى كون الدعوى مقبولة لا يكذّبها المدّعي بأحواله وأقواله ولا تكذّبها الأُمور المعلومة، ثمّ بعد ذلك ينظر إلى حال الشهادة عليها.

والحاصل أنّ دعوى النبوّة أو الإمامة إذا كانت ممتنعةً ـ بما ذكر هاهنا، وفي الجزء الأوّل من كتاب الهدى[1]، وفي رسالة نصائح الهدى[2] ـ كان ما يتراءى كونه معجزاً لا يفيد شيئاً، بل يقع الريب في خرقه للعادة. وكذا إذا لم يدّع النبوّة مع فرض إمكانها في

١. المسمّى بـ«الهدى إلى دين المصطفى».

٢. رسالة نصائح الهدى في الردّ على البابيّة من القرآن الكريم والأحاديث، وتناقض مؤسّسي دعوتهم وكذب دعاويهم بمقتضى اعترافاتهم وأقوالهم وامتناع صدقهم في شؤون دعوتهم، مع استقصاء البحث والبيان والاختصار، وقد خرج من الطبع بحمدالله. وسوف نعيد طبعه إن شاء الله تعالى بعد إكمال طبع الهدى. (منه ﷺ).

حقّ الشخص بحسب حاله وزمانه. وغاية ما يحمل أمره على التبشير بالنبوّة المستقبلة، فينظر في حالها وحال مدّعيها بعد ذلك.

وممّا ذكرنا يعرف الجواب للمكاتب في قوله:

فمنذ أربع سنوات أتى إلى بيروت رجل بلغاري يدعى إسكندر، يدقّ المسمار الضخم الطويل في الحجر الأصمّ بيده حتّى يغيب فيه، وهذا من بعض أفعاله العجيبة.

### تكملة وإرشاد

والغرض من المعجز الذي يجب بسببه على لطف الله إنّما هو إتمام الحجّة على البشر على نحو الاقتضاء، بحسب ما منحهم به من العقل، ولا يلزم فيه رفع الموانع التي احتجبوا بها عن نور عقولهم بسوء اختيارهم لاتّباع الهوى والعصبيّة والتقليد في أمر الدين، ممّا لم يحتجبوا به في القليل والكثير من أُمور معاملاتهم وأموالهم ومنازعاتهم، بل ترى لهم في ذلك رشداً وجودة تمييز وصحّة استدلال واعتماداً على العقل. وقد أُشير إلى نحو هذا المضمون في الجزء الأوّل من كتاب الهدى ص ٢٠٥.

ولا يلزم على الله إظهار المعجز في كلّ زمان لكلّ أحد عند كلّ شبهة بكلّ اقتراح، وغاية ما يتوهّم للزوم ذلك هو التشبّث بمسألة اللطف، وهو توهّم ساقط؛ لأنّ إكثار المعجز ـ على ما ذكرنا ـ يخرج عن حدّ اللطف والحكمة، وأنّ متّبع عقله لا يحتاج في مستقلّاته العقليّة والاستنتاج إلى معجز، بل هي في أُصول الاعتقاد أجلى وأوضح من وجه دلالة المعجز في العقليّات، وإنّما يحتاج إلى المعجز وتتّضح دلالته في تصديق الرسالة والمنقول بها ممّا يخفى على العقل، مع أنّ هذا المقام أيضاً توزن فيه دعوى الرسالة وحال مدّعيها ومنقوله ومعجزه بالميزان العقلي، فلا يصدّق بالممتنع والمتناقض مهما اقترن بخارق العادة، وأنّ الذى يحتاج إليه في تصديق الرسالة ومنقولها هو العلم بالمعجزة خصوص مشاهدته ولا تكراره، وأمّا من راغم عقله وكابر بديهيّاته في أمر الدين باتّباع الهوى والعصبيّة والتقليد والإصغاء إلى كلّ ناعق، فإنّه بسوء اختياره

ومعاملته للدين قد أسقط نفسه عن كونه محلاً للطف، بل تخرج إجابة هذه الاقتراحات الأهوائية عن كونها لطفاً وموافقةً للحكمة، كما مرّ نحوه في الأمر الثاني من التنبيه الثالث من المقصد الثاني.

وأيضاً إنّ دلالة المعجز على الدينيّات العقليّة تحتاج إلى نظر ومقدّمات عقليّة، إن تمّت وانتظمت فهي خفيّة بالنسبة للبراهين العقليّة على وجود الإله الخالق ووجوده وعلمه وحكمته، وباقي الأُمور الدينيّة العقليّة. إذن فكيف يذعن لها من أعرض عن الجليّ من أحكام العقل في أمر الدين؟ بل وكيف يذعن لها من سدّ باب العقل والمعقول وعابهما باسم العقل المجرّد وبخطإ بعض الناس؟ كما أوضحنا الحال في النظرات التمهيديّة والمقصد الأوّل. بل كيف يذعن بها من اعتنى وتهوّل من شبهة عيب العقل المعقول بما ذكرناه؟

وأيضاً إنّ إظهار المعجزات وخوارق العادات لأحد الناس في زمان في كلّ أمر ديني وعند كلّ شبهة بكلّ اقتراح، يؤدّي إلى اختلال نظام الكون وسقوط العادات، فينتفي موضوع المعجز وتستحكم شبهة الطبيعة والصدفة العمياوين. وإنّ اقتراح التقليل بالتبعيض يستلزم الترجيح من دون مرجّح، مع اشتراك الجميع في فرض الأهليّة للّطف وحقيقة الخروج عنها.

وممّا ذكرنا يعرف جواب المكاتب في سؤاله وتفريعه على أثر قوله الذي ذكرنا في تتميم الفصل الثاني من المقصد الأوّل، فراجعه فإنّه بعد قوله «تلوّن الحرباء»[١] قال:

أفليس من الواجب لطفاً إزاحة العلّة بإظهار معجز في كلّ عصر، وإنّ ظهور المعجز على يد النبيّ ﷺ لا سبب له سوى إرادة تأييد الدين، وهذا السبب لا ينحصر في وقت دون آخر؟

انتهى مقدار الحاجة.

---

١. راجع ص ٣٨.

وإنّ نفس المكاتب بتفريعه هذا الكلام على ذلك الكلام قد أسقط سؤاله، فإنّ من أسقط جميع المسائل العقليّة بحيث يدّعي أنّه لا ينبغي للعاقل أن يثق بها، فمن أين يأتي بأنّ المعجز دليل الصواب في المشكلات العقليّة؟ وماذا يجدي فيه المعجز؟ وإنّ الوجه العقلي في دلالة المعجز على صدق النبيّ قد تشعّبت فيه الآراء بين الصحيح والسقيم، فكيف يثق به؟

رعاك الله أيّها المكاتب إذن فماذا يجدي المعجز؟ أتراه يجدي مع المادّيّين وأتباعهم المهرولين إلى الجديد وخلع القيود، الذين جاهروا برفض العقل والمعقول وعابوهما، سدّاً لباب الحجّة، وحياطةً لمزاعم أهوائهم، على رغم وجدانهم وعلمهم وشرف الاستقامة والسلامة من التناقض، وآمنوا بمونيرهكل وأدواره الجنينيّة، وتحوّل دارون، وجواهر ديمقريط، وزوابع طمسن ، وأثير لبون، وتخمينات الحفريّين، مع أنّ هذا كلّه لا ينافي وجود الإله الخالق بمشيئته؟

سدّدك الله إنّ دلالة المعجز في موضوعها إنّما تناسب الاستقامة في اتّباع العقل والوجدان، وعدم الانهماك بالتخليط والاضطراب، ولك العبرة لما ذكرناه بحال أهل الأديان الثلاثة المعروفة القاطعين بصحّة أديانهم ورسالتها وكتبها التي ينسبونها إلى الوحي بقول لا يرتابون فيه، وتراهم كيف يخضعون للتقليد في الشبهات الحادثة الواهية، فيراغمون ويكابرون أساسيّات دينهم الذي يحامون عنه ويرتبطون بروحانيّته.

فمن ذلك أنّ جماعة من المسلمين المعتقدين بالله وبرسالة رسوله محمّد بن عبدالله ﷺ وبأنّ القرآن كتاب الله، وبأنّ الأئمّة حجج الله، كيف راغموا هذا كلّه إذا جاءهم رجل يعرفون أُمّه وأباه، ويعترف هو أيضاً بأنّ محمّداً ﷺ رسول الله وخاتم النبيّين، وأنّ القرآن كتاب الله، وأنّ الأئمّة حجج الله. وهو عليّ محمّد صاحب دعوة البابيّة، فادّعى أوّلاً أنّه نائب المهديّ عليه السلام صاحب الزمان المعروف عند الشيعة وبابه، وأنّ صاحب الزمان حجّة الله مولاه، ويدعو له بتعجيل الفرج ـ كما وقع ذلك في مكاتباته في أوّل أمره للملّا محمّد عليّ المازندراني، وقرّة عينه زرّين تاج ـ ويخاطب

صاحب الزمان في كتابه قيّوم الأسماء الذي كتبه في كربلاء بقوله: «يا بقيّة الله فديت لك بكلّي، ورضيت السبّ في سبيلك، وما تمنّيت إلّا القتل في محبّتك». ويدّعي في أوّل كتابه الذي هو أوّل كتبه أحسن القصص بأنّه نزل عليه من عند مولاه محمّد بن الحسن، وعدّ آباءه العشر المعصومين الطاهرين إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ.

ثمّ ادّعى بعد ذلك في كتابه البيان وغيره أنّه هو المهديّ المنتظر صاحب الزمان. ثمّ ادّعى أنّه رسول الله. ثمّ افتخر بكتابه على محمّد رسول الله ﷺ وادّعى الإعجاز بكتابه الذي لا هو عربي ولا كردي ولا زنجي قد جاوز حدّ الغلط والألحان والتخليط، وأبطل الشريعة الإسلاميّة، وأنكر المعاد الجسماني والجنّة والنار، وأمر بإعدام القرآن وكلّ كتاب في الدنيا ما عدا كتبه. ثمّ ادّعى أنّه الله.

ثمّ جاء بَعْدُ حسن عليّ نزيل عكّا ونسج على منواله، وكان في بدء أمره داعيةً وبوّاباً لأخيه يحيى نزيل قبرص ومروّجاً لخلافته عليّ محمّد. ثمّ نازع أخاه الأمر وتراميا بالكفر. ثمّ ادّعى أنّه هو الحسين السبط، والمسيح، ورسول الله، وأنكر حقيقة معجزات المسيح. ثمّ ادّعى أنّه الله وكتب كتاب شريعة جديدة. وجاهر في أواخر كتابه إيقان في وصف حسين البشروئي بأنّه الذي لولاه لما استوى الله على عرش رحمانيّته، ولا استقرّ على كرسيّ صمدانيّته.

ومع هذا كلّه قد تهافت الناس على اتّباع هذين الشخصين مع ما يجدونه منهما من التناقض والتهافت، وتكذيب أنفسهما باعترافاتهما، ومخالفة المعقول، ومخالفة القرآن الكريم، وضروريّات دين الإسلام، ومتواترات الأحاديث ، مع أنّهما يبنيان أمرهما بالتمويه على أساسيّات دين الإسلام.

ومن الغريب ـ ولا غرابة من شطط الإنسان وانخداعه للشيطان ـ أنّ أتباع هؤلاء والدعاة إلى نحلتهما وجدوا أنّ كتب عليّ محمّد هي عار وشنار على الإنسانيّة؛ لما شحنت به من الغلط والألحان والهذيان والتناقض ودعاوي الكفر، فأخفوها أشدّ الخفاء على رغم أمره في البيان بأن يواظب كلّ واحد منهم في كلّ يوم على تلاوته، وأن

يكون منه عند كلّ واحد لا أقلّ من ألف سطر. وإنّك لترى البيان وأحسن القصص وقيّوم الأسماء وجملةً من كتابات حسين عليّ مستورة بأشدّ الستر عن غالب أصحابهما. وهل سمعت في ملّة أو نحلة تجاهد بدعوتها أنّ الكتاب الذي يعدّونه أساس الدعوة وراية الحجّة وقاموس المعارف وناموس الشريعة، يُخفى عن غالب متّبعيه، ولا يسأل متّبعوه عن ستره ومنشئه الذي لا يخفى؟

ها أنا ذا أقول: أخفوها لشناعتها، فليكذّبوني بإظهارها.

ومن ذلك أنّ جملةً من أصحابنا النصارى قد أقنعتهم شبه الإلحاد بأنّ عبور موسى النبيّ عليه السلام وبني إسرائيل ونجاتهم من البحر وغرق جيش مصر لم يكن من المعجز الخارق للعادة، بل إنّما كان بناموس طبيعي من حادثة المدّ والجزر، حتّى أنّ الروحانيّين منهم في رسوم مقدّساتهم، ومنها رسم كتاب مغني الطلّاب في مواضيع الكتاب قد رسموا سير بني إسرائيل على نحو لا يمرّ بعرض البحر ولا يعبره، بل رسموا خطّه مارّاً في البرّ على الطرف الشمالي من الخليج الغربي إلى الساحل الشرقي. وهذا كلّه مراغمة ومضادّة لصراحة توراتهم في أنّ موسى عليه السلام مدّ يده بأمر الله إلى البحر، فانشقّ الماء وجعل البحر يابسةً، ودخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم ويسارهم، وتبعهم المصريّون ودخلوا في وسط البحر، فمدّ موسى يده بأمر الله على البحر، فرجع إلى حاله الدائمة وأغرق المصريّين. فانظر صفحة إلى الفصل الرابع عشر من سفر الخروج، وتأكيد ذلك في كتب العهدين (مز[1] ٧٨: ١٣ و ٦٦: واش[2] ٥١: ١٠ و ٦٣: ١٢ و ١٣ ونح[3] ٩: ١١ وعب[4] ١١: ٢٩) وأرجو أن يراجع هذا المقام في الموارد المذكورة، ليرى أين يكون هذا من حادثة المدّ والجزر؟

---

١. أي مزامير داود.
٢. أي صحيفة إشَعْياء.
٣. أي كتاب نحميا.
٤. أي رسالة عبرانيّان.

ومن ذلك أيضاً أنّ كثيراً منهم اقتنعوا بالمبادئ المادّيّة وتخمينات الجفريّين، وحملوا الستّة أيّام في التوراة في خلق الله السماوات والأرض، وأوّلوها بستّة دهور طويلة. ومن جملتهم جرجي زيدان في عجائب المخلوقات ونقله عن كثير منهم.

وهذا مراغمة لصراحة التوراة بأنّها من الأيّام العاديّة التي هي عبارة عن ظلام ليل و نور نهار، لقولها: فكان مساء وكان صباحاً يوماً واحداً وفي الأصل العبري: «يوم أحد». وكان مساء وكان مساء يوماً ثانياً. وفي العبري: «يوم شنى». وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً وفي العبري: «يوم شليشي». وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً. وفي العبري: «يوم ربيعي». وكان مساء وكان صباح يوماً خامساً، وفي العبري: «يوم خميشي». وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً وفي العبري: «يوم هششي». إلى اليوم السابع يوم السبت، بمعنى الفراغ من العمل والاستراحة. فلتراجع صراحة الفصل الأوّل من سفر التكوين مفتتح التوراة، ويؤكّد ذلك بمراجعة المقامات التي ذكر فيها السبت وتقديسه من التوراة.

## الفصل الثاني

قال المكاتب:

وما ينقل من معجزات الأنبياء لا يقوم حجّة الآن، فإنّا كثيراً مّا سمعنا ممّن نقول بكفرهم وكفر زعمائهم نقل صدور المعجزات من زعمائهم في هذا العصر وقبله، ونراهم مطمئنّين بها معتقدين لها. فكيف يبقى لنا اعتماد على النقل والتواتر؟ ومن لي بالوقوف عليه؟ يعسر بل يستحيل الاطّلاع على جميع طبقاته، كما يستحيل الاطّلاع على الحالة التي لا يتوقّف العلم لأجلها على عدد مخصوص، بل بها يحصل القطع، مثل أن نعرف أنّ نقل كلّ طبقة ليس أمراً دبّر بليل. وكم من خبر في هذا العصر وقبله قد اشتهر اشتهاراً عظيماً، وتناقلته الألسن الكثيرة، ثمّ ينجلي الواقع عن كذبه.

أقول: أمّا معجزات رسول الله خاتم النبيّين ﷺ فسيأتي الكلام عليها إن شاء الله. وأمّا معجزات من قبله من الأنبياء فدعها لم تثبت بالتواتر، لكن ثبوت نبوّة رسول الله ﷺ يستلزم ثبوت النبوّة والمعجزة التي نصّ عليها القرآن الكريم. وإذا كان لتلك النبوّة أثر علمي اعتقادي أو عملي ثبت، والمعجز من حيث ذاته لا يهمّ اعتقاده والإيمان به. والنبوّة التي انقطع طريق العلم بها ـ بلا تقصير في تحصيله ـ يعذر الإنسان في جهلها.

وعلمك ودليله بكفر من ينقل صدور المعجز منه، بل علمك بكذبه دليل كذب النقل، أو أنّ الصادر ليس من نحو المعجز. وإنّ كثيراً من الأنقال ما يدعو الضلال إلى التواطؤ على الكذب فيه، وكم من نقل دبّر أمره بليل، وإنّ كثيراً من الشائعات على الألسن تكون بلا حقيقة. ولكن ذلك كلّه لا يسدّ باب التواتر، فكم لديك من معلوم بالتواتر لا تشكّ فيه من أجل وجود الأنقال الكاذبة القياس عليها، بل تستهزئ بمن يحاول تشكيكك فيها ويحتجّ عليك بهذا القياس الفاسد.

وأمّا ما قلت فيه: «من لي» فإنّ الإنسان معذور في مثله إذا كانت له حقيقة لم يقصّر في طلبها، كفى بالله رقيباً عليه.

وأمّا قولك: «يستحيل... كما يستحيل» فيكفينا في جوابه سؤالنا عن علمك بوجود الصين واليابان وأمثالها، ووجود نابليون وحرب السبعين، ووجود هارون الرشيد وأميرالمؤمنين ومعاوية وحرب صفّين. ويزيد والنعمان والأكاسرة، ونحو ذلك. وليس مثلك من يجيء بفصل الخطاب ويقول: رأيت ما ذكرته ونحوه بعيني ولمسته بيدي. أو يقول: لاعلم لي بشيء من ذلك أبداً إلّا ما أراه بعيني أو ألمسه بيدي.

رعاك الله إنّ دعوى الاستحالة هاهنا ليست هيّنة على التروّي والشرف، وقد حملتك على أنّك تريد أن تمتحن بذلك شعور غيرك. وكيف كان فلي العتبى على قلمك وشعورك.

## الفصل الثالث: في قول المكاتب:

ولأيّ الأُمور خصّ الحكيم العليم بإرشاده جهة من الأرض، وأهمل قارّةً عظيمةً، وهي أميركا، فلم يبعث فيها رسولاً، ولا بلغتها دعوةً من رسول إلى حين اكتشافها.

فأقول: ما كنت أظنّ أحداً يقدم على هذه الدعوى النافية بالكلّيّة إلّا أن يستند فيها إلى إخبار نبوي أو يدّعي النبوّة أو أنّه إله متجسّد، فإنّ دعوى العلم بمثل هذا النفي لا يكفي فيها الجهل. فما هي الحجّة القاطعة على هذه الدعوى الكبيرة؟

ولا يحسن التشبّث لها بخلوّ التوراة الرائجة من ذكر أميركا ونبوّاتها؛ وذلك لجواز أن لا تكون أميركا مسكونة في زمان موسى، بل اتّفق العبور إليها من جزائر اليابان أو من بوغازبيرين أو غير ذلك، كما ذكر عبور جماعة من إيسلاند إلى «كرينلاند» من أميركا في القرن الثامن أو التاسع للمسيح؛ أو لأنّ ذكر «أميركا» ونبوّاتها لم يدخل في حكمة التوراة الأصليّة؛ أو لأنّ ذكرها سقط من التوراة التي تفرّد بها حلقيا في أيّام يوشيا انظر الجزء الأوّل من كتاب الهدى ص ٤٣ ـ ٤٨.

ولا يمكن التشبّث بخلوّ القرآن الكريم من ذلك، فإنّ التصريح بذكر أميركا ونبوّاتها ممّا ينافي حكمة القرآن الكريم ومداراته لجهل الناس، ولكنّه بعد أن ذكر الرسل قال في سورة النساء المدنيّة: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[1]، كما قال في سورة المؤمن المكّيّة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[2]، فالقرآن صريح بأنّه لم يستوعب ذكر الرسل، ألا وإنّ المؤمن الذي يعترف لله بعموم الرحمة وقيام الحجّة لابدّ له من أن يذعن إجمالاً بعموم الرحمة وقيام الحجّة على أهل أميركا، وإن لم يعرف وجه ذلك تفصيلاً، وإنّ التأريخ يذكر عن قارّة أميركا بنوعها وأقطارها قبل انكشافها شيئاً من التديّن

---

١. النساء (٤): ١٦٤.

٢. المؤمن ـ غافر ـ (٤٠): ٧٨.

بالإلهيّة والعبادة والصلاة والصوم، والمعموديّة والاعتماد على المخلص، والتخليص من الجحيم وإغواء الشيطان، وبقاء النفس بعد الموت وغير ذلك من التقاليد، كما في المكسيك والبيرو والبرازيل وكندا ومايانوكاتلن والاير وكويسيّين وأديسيوا والأحبوايو ونوع أميركا.

وهذا يقوّي الظنّ بأنّ مادّة هذه التعاليم والديانات إنّما هي من دعوة نبويّة رسوليّة نشأت في قارّتهم، أو بلغتهم من قارّة أُخرى، ولكنّ الأهواء شوّهت صورتها بتلويث التوحيد بالتثليث والعبادة الأصناميّة وتأليه البشر، ويلزم من هذه الأهواء تبديل الشريعة، كما هي العادة الأهوائيّة، وابتلاء الأديان بعواصفها الوبيئة. كما وقع ذلك في فرقة الباطنيّة ونحوهم من المسلمين، وفي مشركي العرب بالنسبة إلى دين إبراهيم الذي لم يبق عندهم من رسومه إلّا الختان ومادّة الحجّ دون صورته. وكما وقع في النصرانيّة وكثير من أجيال اليهود.

ثمّ إن كان نظر الكلام إلى بلوغ دعوة الإسلام إلى أميركا، فلا يعلم تأخّره إلى حين اكتشافها، ومن الممكن بلوغ الدعوة حينما ارتبطت كرينلاند بحماية نروج، وكثرة تردّد أهل الشمال إليهما، كما يقال. ولا يلزم في بلوغ الدعوة وصول مبشّريها، بل يكفي في بلوغها وقيام الحجّة في لزوم النظر في أمرها مجرّد وصول خبرها، وإن كان من جاحديها. ولو قلنا بتأخّر بلوغها إلى أميركا إلى حين اكتشافها لم يلزم من ذلك إلّا كون الفترة عندهم أكثر من الفترة في أقطار القارّات الأُخر، حسبما اقتضته حكمة الله في الإرسال وسير الدعوة بالمسرى الطبيعي العادي في الأقطار.

## الفصل الرابع في نبوّة رسول الله محمّد خاتم النبيّين ومعجزه ﷺ

قال المكاتب:

والمعجز الذي يتلقّاه العقل بالقبول، هو ما يستحيل العقل جوازه على القوّة البشريّة، ويسهل على كلّ مكلّف معرفة وجه إعجازه، لا ما يتفوّق به أحد الناس

على جميعهم كزيادة الأيد والفصاحة مثلاً. والتفاوت بين الرجال عظيم جدّاً لا يمكن تحديده حتّى يمكن تمييزه عن الإعجاز.

أقول: ليس المعجز ما يمتنع عقلاً صدوره على يد البشر، ولو كان كذلك لما صدر؛ لأنّ الممتنع عقلاً لا يوجد ولا يصدر، بل المعجز هو ما يمتنع عادةً على القوّة البشريّة، باعتبار حدودها المجعولة لنوع البشر بحيث يعجز عنه نوعهم، فيكشف صدوره من مدّعي النبوّة المنزّه عن موانعها عن عناية خاصّة به من الله ـ جلّ اسمه ـ وتفويق له على عامّة البشر بتأييد دعوته بدلائل التصديق. ولا يخفى أنّ وجه دلالة المعجز على صدق النبوّة ليس هو إلّا أنّ مدّعي النبوّة إذا كان ظاهر الصلاح موصوفاً بالأمانة معروفاً بالاستقامة، لا يخالف العقل في دعوته و أساسيّاتها، وكان مع ذلك كاذباً في دعوى النبوّة، فإنّه يكون حينئذٍ تخصيص الله له بالعناية والتفويق على نوع البشر إغراء للناس بالجهل، وتوريطاً لهم في متاهة الضلال، وهذا قبيح ممتنع على جلال الله وقدسه.

وتوضيح ذلك هو أنّ الناس بحسب فطرتهم السالمة عن رذائل الأهواء والعصبيّة، إذا ظهر لهم صلاح الشخص وصدقه وأمانته واستقامته فيما يظهر لهم من أحواله وأطواره، توسّموا بباطنه الخير وموافقته لصلاح الظاهر. وكلّما ازدادوا خبرة بصلاح ظاهره ازدادوا وثوقاً بصلاح باطنه، إلّا أنّه مهما يكن من ذلك فإنّه لا يبلغ بهم مرتبة العلم والاطمئنان الثابت بعصمته عن الكذب في دعواه ودعوته. ويتثبّت اليقين بذلك بالنظر إلى أنّه يمتنع على جلال الله وقدسه في مثل هذه المزلقة أن يظهر المعجز والعناية على يد الكاذب المدلّس بصلاح ظاهره؛ لأنّ إظهاره حينئذٍ يكون مساعدةً للمدلّس على تدليسه، وإغراءً بالجهل، لما ذكرناه من مقتضى فطرة الناس السليمة. فالمعجز الشاهد بصدق النبيّ في دعوته هو ما يقوم بهذه الفائدة في مثل هذا المقام لهذا الوجه. فليس لمن يتوقّى من منقصة الجهل المركّب أن يتمحّل ويقترح كون المعجز ممّا يستحيل عقلاً صدوره من البشر، كاستحالة اجتماع النقيضين. إذن فكيف يصدر؟

ولا يخفى أيضاً أنّ حصول الفائدة المذكورة من المعجز بالوجه المذكور يختلف كثيراً باختلاف أحوال الناس الذين تبتدئ بهم الدعوة، بحسب أطوارهم ومعارفهم ومألوفاتهم وعقولهم، وحيث إنّ المصريّين كانوا متقدّمين وراقين في علم السحر والشعبذة والأعمال الغريبة، كانوا يحدّونها بحدودها، فيعرفون الأعمال الخارجة بغرابتها عن حدود القدرة البشريّة، والعمليّات المبتنية على النواميس العمليّة؛ فلأجل ذا جعل الله تعالى معجز موسى عليه السلام بالعصا واليد البيضاء من النحو الذي يسهل على المصريّين أن يذعنوا بسلامة الطبع بأنّه من عناية الله الخاصّة بموسى عليه السلام، الخارجة عن حدود القدرة المجعولة للبشر، تصديقاً لدعوته.

ولأجل أنّ السوريّين في زمان المسيح عليه السلام من الإسرائيليّين، والنزلاء من الرومانيّين واليونانيّين كان لهم تقدّم في الطبّ، وتقرّرت في كهانة الإسرائيليّين شريعة التطهير والشفاء من البرص ونحوه، وكانوا يحدّون هذه الأُمور بحدودها، جعل الله معجزة المسيح عليه السلام من النحو الذي يذعن سليم الطبع من السوريّين بحسب معارفهم بأنّه من عناية الله الخاصّة بالمسيح عليه السلام، الخارجة عن حدود القدرة المجعولة للبشر تصديقاً لدعوته.

إذن فانظر إلى حال العرب الذين ابتدأت بهم الدعوة الإسلاميّة وإلى معارفهم وانحصارها في صناعة لسانهم وفنون الفصاحة والبلاغة، فلا يميّزون في غير ذلك ما هو خارج عن حدود القدرة المجعولة للبشر، وما هو داخل فيها، فكلّ ما يرد عليهم ممّا هو غريب في معارفهم يجعلونه من السحر، أو التقدّم في المعارف الخالين منها؛ فلذا كان أنسب شيء في الحجّة عليهم ما تميّزه معارفهم التي تقدّموا فيها في العصر الذي زهت فيه وسما مجدها ورقت صناعتها و عقدوا المحافل والمواسم المفاخرة بالرقيّ فيها، ألا وهو الكلام المعجز بفصاحته وبلاغته، فإنّه هو الذي تصل أفكارهم وعقولهم إلى معرفة كونه معجزاً خارجاً عن حدود القدرة المجعولة للبشر، صادراً عن عناية الله الخاصّة بصاحب الدعوة المعروف عندهم بالصلاح، تصديقاً لدعوته. فالكلام المعجز بفصاحته و بلاغته هو الذي يقوم بهذه الفائدة عند نوع العرب الذين ابتدأت بهم الدعوة

دون غيره، فإنّ النبيّ ﷺ لوجاء العرب بمعجزة موسى ؑ أو عيسى ؑ ونحوهما لقالوا: إنّه من السحر، أو من التقدّم والرقيّ في معارف البلاد الأجنبيّة ونواميس صنائعها التي يشترك في عمليّاتها من هذا النحو كلّ راق فيها. فالذي يدخل في حكمه المعجز والإعجاز في دعوة العرب، وتتمّ به فائدة المعجز على وجهها، إنّما هو القرآن الكريم دون غيره.

مضافاً إلى أنّه امتاز عن غيره من المعجزات بأكبر الأُمور الجوهريّة في شؤون النبوّة والرسالة.

فمنها: أنّه باق مدى الأيّام ممثّل لكلّ من يريد أن يطّلع عليه ويعرف أمره وكنهه وحقيقته وينظر في شأنه، فهو بادٍ لكلّ من يطلب الحجّة على النبوّة والرسالة والنظر في حقيقة المعجز ماثل لكلّ من يريد التبصّر في الحقائق. ولا تحتاج معرفة حقيقته ووجه إعجازه إلى النقل والركون إلى القيل، ولا يحتمل أمره أنّه دبّر بليل، ولا يستراب من أمره بالتمويه، بل ينادي هو بنفسه في كلّ زمان ومكان:

ها أنا ذا، هذا جناي وخياره فيه[1]

ومنها: أنّه بنفسه و صريح بيانه ولسانه قد تكفّل بثبوت جميع المقدّمات التي بانضمامها يكون خارق العادة معجزاً شاهداً بالنبوّة والرسالة وحجّةً عليها، ولم يوكل أمرها إلى غيره ممّا يختلج فيه الريب والشبهات وتطول فيه مسافة الاحتجاج، فالتفت في ذلك إلى أُمور:

[الأمر] الأوّل: أنّه تكفّل ببيان دعوى النبوّة والرسالة، ولم يوكل أمرها إلى النقل والنظر في شأن تواتره وعوارض انقطاعه و مواقع الريب فيه، كما في سائر النبوّات.

[الأمر] الثاني: أنّه تكفّل في صراحة بيانه بالشهادة بالنبوّة والرسالة، فلم تبقَ حاجة إلى النظر في دلالة العقل ودفع الشبهات عنها.

---

١. جمهرة الأمثال ٢: ٢٨٨، ٢٣٥؛ المستقصى في أمثال العرب ٢: ٣٨٦ / ١٤١٩، وهو بيت من الرجز.

[الأمر] الثالث: أنّه تكفّل في صراحته ببيان كمالات مدّعي الرسالة وصلاحه وأخلاقه الفائقة بحيث يكون ظهور المعجز على يده لو كان كاذباً من الإغراء بالجهل الممتنع لقبحه على جلال الله تعالى شأنه. وإليك فاستمع بعض ما جاء في القرآن الكريم في بيان هذه الأُمور الثلاثة: ففي سورة الأعراف ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1]، وفي سورة النجم المكّيّة ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[2]، وفي سورة الفتح ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾[3]، وفي سورة الأحزاب ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[4]، وفي أوائل سورة القلم المكّيّة ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ * فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[5]، وفي سورة الأعراف ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[6]، وفي سورة الأحزاب ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[7].

الأمر الرابع: أنّه تكفّل بنفسه برفع الموانع عن الرسالة؛ إذ بيّن موادّ الدعوة وأساسيّاتها ومعارفها وقوانينها الجارية بأجمعها على المعقول من عرفانيّها واجتماعيّها وسياسيّها، فلا يوجد فيها ما يخالف المعقول ليكون مانعاً من الرسالة. وفي سورة

---

١. الأعراف (٧): ١٥٧.

٢. النجم (٥٣): ٢ ـ ٤.

٣. الفتح (٤٨): ٢٩.

٤. الأحزاب (٣٣): ٤٠.

٥. القلم (٦٨): ٢ ـ ٤ و ٧ ـ ٩.

٦. الاعراف (٧): ١٥٧.

٧. الأحزاب (٣٣): ٤٥ ـ ٤٦.

الإسراء المكّيّة ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[١]، ودونك القرآن الكريم وما تضمّنه من هذه الموادّ.

[الأمر] الخامس: أنّه زاد على كونه معجزاً بنفسه بأن نادى بلسانه وبيانه بإعجازه، وتحدّى الناس ونادى بالحجّة، وهتف بهم هتافاً دائماً مؤكّداً بأن يعارضوه لو لم يكن معجزاً ويأتوا بمثله، أو بعشر سور، أو سورة من مثله إن كان ممّا تناله قدرة البشر النوعيّة المحدودة، وقد نادى بقرار الإنصاف والمماشاة، وجعل لهم بهتافه إن عارضوه ـ أو أتوا بعشر سور أو سورة من مثله ـ أن تسقط عنهم هذه الدعوة، ويدّعوا ما يشاؤون ولهم في ذلك المهلة والأناة والمظاهرة والتعاون في سورة هود المكّيّة ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۞ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[٢]، وفي سورة يونس المكّيّة ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[٣]، وفي سورة البقرة ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾[٤]، وفي سورة الأسراء المكّيّة ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٥].

هذا، وقد مضت لهم مدّة وأعوام ودعوة الرسالة والإعذار والإنذار دائمة عليهم، وهم في أشدّ الضجر منها والكراهية لها والخوف من عاقبتها والتألّم من آثارها وتقدّمها وظهورها، وفي أشدّ الرغبة في أهوائهم وعوائدهم ورئاساتهم والعكوف على معبوداتهم، ومع ذلك لم يستطيعوا معارضة شيء من القرآن الكريم ولا الإتيان بسورة

١. الإسراء (١٧): ٩.

٢. هود (١١): ١٣ ـ ١٤.

٣. يونس (١٠): ٣٨.

٤. البقرة (٢): ٢٤.

٥. الإسراء (١٧): ٨٨.

من مثله، لكي تظهر حجّتهم وتسقط حجّة الرسول، ويستريحوا من عنائهم من الدعوة التي شتّت جامعتهم الأوثانيّة، وقاومت رئاساتهم الوحشيّة وتشريعاتهم الأهوائيّة، وفرّقت بين الأب وبنيه، والأخ وأخيه، والزوج وزوجه، والقريب وقريبه، وكدّرت صفاء قبائلهم، ونافرت بين عواطفهم. ولم يجدوا لذلك حيلةً إلّا الجحود الواهي والعناد الشديد، والاضطهاد القاسي، والاستشفاع بأبي طالب وغيره تارةً، والمثابرة الوحشيّة أُخرى، مع تقحّم الأهوال وقتال الأقارب ومقاساة الشدائد وأهوال المغلوبيّة؛ فلماذا لم يتظاهروا بأجمعهم عشر سنوات ـ أو أكثر ـ ويأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم، ويفاخروه ويحاكموه في المواسم والمحافل التي أعدّوها لمثل ذلك، فتكون لهم الحجّة والغلبة في الحكومة وقرار النصفة، وينادوا بالغلبة، ويستريحوا من عناء هذه الدعوة، وهم هم؟ وموادّ القرآن في مفرداته و تراكيبه من لغتهم، وأُسلوبه من صناعتهم التي لهم التقدّم والرقيّ فيها، ولله الحجّة البالغة.

أيّها المكاتب، وإنّ إعجاز القرآن الكريم لم يكن بمجرّد الفصاحة والبلاغة، وإن كفى ذلك في الإعجاز والحجّة على دعوى الرسالة على أتمّ الوجوه في المعجز وأعمّها، فأين أنت عن عرفانه العظيم الذي هو لباب المعقول وصفوة الحكمة؟ وأين أنت عن أخلاقه التي هي روح الحياة الأدبيّة والاجتماعيّة؟ وأين أنت عن قوانينه الفاضلة وشرائعه العادلة ومحلّها من العدل والمدنيّة؟ وأين أنت عن إنبائه بالغيب التي ظهر مصداقها في المستقبل؟ وهلمّ النظر إلى أقصر سور القرآن وما عرفناه من عجائبها الباهرة، انظر إلى سورة التوحيد وأنوار عرفانها الحقيقي في ذلك العصر المظلم. وانظر إلى سورة تبّت وإنبائها بهلكة أبي لهب وامرأته بدخول النار، وظهور مصداق ذلك بموتهما على الكفر وحرمانهما من سعادة الإسلام الذي يجبّ ما قبله. وانظر إلى سورة النصر وإنبائها بغيب النصر والفتح، كما ظهر مصداقه بعد ذلك. وسيأتي لهذا مزيد.

وأين أنت عن جامعيّته واستقامته في جميع ذلك، من دون أن تعترضه زلّة اختلاف

أو عثرة خطإ أو كبوة تناقض؟! فإنّ في ذلك أعظم إعجاز يعرفه الفيلسوف والاجتماعي والسياسي المدني ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[١]. فهل يكون كلّ ذلك من إنسان لم يقرأ ولم يكتب ولم يَتَرَبَّ في البلاد الراقية؟! وإنّما كان بدويّاً من البلاد المنحطّة في كلّ أدب، المدرسة الابتدائيّة في موطنه إنّما هي بساطة أعراب البادية وخلوّهم عن المعارف، والمدرسة الكلّيّة تنظم تعاليمها من الوثنيّة الأهوائيّة وخشونة الوحشيّة، والجبروت الاستبدادي والعدوان وعوائد الضلال والجور والشرائع القاسية؟ ولئن سمعت الاحتجاج بإعجاز القرآن في فصاحته وبلاغته، فإنّما هو لأجل عموم هذا الإعجاز، وأنّه هو الذي يذعن به العرب الذين ابتدأهم بالدعوة، وتناله معرفتهم حسب ما عندهم من الأدب الراقين فيه، فتقوم الحجّة عليهم وعلى غيرهم، وتبقى سائر وجوه الإعجاز للفيلسوف والاجتماعي والسياسي المدني يأخذ منها كلّ منهم بمقدار حظّه من الرقيّ.

ولا غاب عن خبرك أنّ هناك معجزات كثيرة من نحو ما اقترحته في مضمون كلامك، ولكنّها حيث كانت كسائر معجزات الأنبياء خصوصيّة وقتيّة، تحتاج في عصرها ـ فضلاً عن غيره ـ إلى النقل الذي يعتريه ما يعتري سائر الأنقال لمثلها من الخدشة في التواتر أو تغيّر صبغته أو المكابرة فيه بدعوى انقطاعه والتشكيك في حقيقة المنقول، فلأجل ذلك ترك الاعتماد في الاحتجاج عليها استغناء بغيرها، وإن كانت أبعد عن التشكيك في نقلها وحقيقتها، وأقوى على مرور الزمان وكوارثه من سائر معجزات الأنبياء المنقولة بغير نقل القرآن الكريم.

فمنها: تظليل الغمامة له في مسيره[٢]، وشقّ القمر[٣]، والتصاق الحجر بكفّ أبي جهل

---

١. النساء (٤): ٨٢.

٢. الخرائج والجرائح ١: ٣٠، الرقم ٢٤؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٦٥؛ بحار الأنوار ١٧: ٣٥٥، ح ٩.

٣. إعلام الورى ١: ٨٤؛ مجمع البيان ٩: ٣١٠، ذيل الآية ٢ من سورة القمر (٥٤)؛ بحار الأنوار ١٧: ٣٤٧ ومابعدها.

لمّا أراد أن يرميه به[١]، ونسج العنكبوت،[٢] وتفريخ الحمامة في ساعة على باب الغار[٣]، ونزول قوائم مهر سراقة بن جُعشم[٤] في الأرض وخروجها منها بدعائه لمّا تبعه[٥]، ومسحه على ضرع العنز الحائل حتّى درّ لبنها وارتووا منه[٦]، وكذا شاة أُمّ معبد وغيرها[٧]، ونبع الماء من أصابعه[٨]، وتسبيح الحصى في كفّه[٩]، وإقبال الشجرة إليه ورجوعها إلى محلّها حسب أمره[١٠]، وحنين الجذع لفراقه وسكونه بمسحه عليه[١١]، وردّه لعين قتادة بن النعمان إلى موضعها بعد ما قلعت فصارت أحسن عينيه[١٢]، وإبراؤه المجذوم من جهينة بمسحه بالماء الذي تفل فيه[١٣]، وإبراؤه رجل عمرو بن معاذ يوم

---

١. الخرائج والجرائح ١: ٢٤، الرقم ٣؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٨؛ بحار الأنوار ١٨: ٥٦ ـ ٥٧، ح ١٠.

٢. الخرائج والجرائح ١: ١٤٣ ـ ١٤٥، الرقم ٢٣١؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٧٠؛ إعلام الورى ١: ٧٨ ـ ٧٩؛ بحار الأنوار ١٨: ٧٣، ح ٢٧، و ١٩: ٤٠، و ٧٢ ـ ٧٤، ح ٢٦.

٣. مناقب آل أبي طالب ١: ١٧٠؛ إعلام الورى ١: ٧٩؛ بحار الأنوار ١٩: ٤٠.

٤. في الأصل والكافي المعتمدة: «جشعم» بدل «جعشم». ولكن في نسخة أُخرى من الكافي ٨: ٢٦٣، ح ٣٧٨ «جعشم» كسائر المصادر.

٥. الكافي ٨: ٢١٨ ـ ٢١٩، ح ٣٧٨؛ الخرائج والجرائح ١: ١٤٥ ـ ١٤٦، الرقم ٢٣٣؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٣ ـ ١٠٤؛ إعلام الورى ١: ٧٧ ـ ٧٨ و ١٤٩؛ بحار الأنوار ١٩: ٨٨، ح ٤١.

٦. الخرائج والجرائح ١: ١٠٢ ـ ١٠٣، الرقم ١٦٦؛ بحار الأنوار ١٨: ٣٠، ح ١٨.

٧. الخرائج والجرائح ١: ٢٥، الرقم ٦، و ١٤٦، الرقم ٢٣٤؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٦٢؛ إعلام الورى ١: ٧٦ ـ ٧٧، و ١٤٩؛ بحار الأنوار ٤٣١٨، ح ٣٠ و ١٩: ٤١ و ٧٠.

٨. الخرائج والجرائح ١: ٢٨، الرقم ١٧؛ إعلام الورى ١: ٧٥؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٤٤؛ بحارالأنوار ١٨: ٢٧، ح ١٠.

٩. الخرائج والجرائح ١: ٤٧، الرقم ٦١؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٢٦، بحار الأنوار ١٧: ٣٧٧، ح ٤٢، و ٤١: ٢٥٢، ح ١٠.

١٠. الخرائج والجرائح ١: ٢٥، الرقم ٨؛ إعلام الورى ١: ٧٤ ـ ٧٥؛ بحار الأنوار ١٧: ٣١٦ ـ ٣١٧، و ٣٧٦ ـ ٣٧٧، ح ٣٩ ـ ٤٠.

١١. الخرائج والجرائح ١: ٢٦، الرقم ١٠؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٢٦ ـ ١٢٧؛ إعلام الورى ١: ٧٦؛ بحار الأنوار ١٧: ٣٧٥، ح ٣٣.

١٢. الخرائج والجرائح ١: ٤٣، ذيل الرقم ٥٠؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٥٧؛ بحار الأنوار ١٨: ٩، ح ١٢.

١٣. الخرائج والجرائح ١: ٣٦، الرقم ٣٧؛ بحار الأنوار ١٨: ٨، ح ١٠.

قطعت إذ تفل عليها[١]، ويد معاذ بن عفراء في بدر[٢]، وضربة سلمة بن الأكوع يوم خيبر[٣]، ويد جرهد المصابة[٤]، وإشباعه الجمع الكثير من الطعام القليل مراراً عديدةً في مكّة والمدينة[٥] ـ كما هو مذكور في الكتب بتفصيله ومعجزه ـ وفيض الماء القليل إذ رمى فيه مضمضته، واستمراره على الكثرة مدّةً طويلةً، كما في بئر الحديبيّة وغيرها[٦]، وإرواؤه الجيش الكثير من ماء قدح[٧].

ومن ذلك إخباره بالغيب الذي تجلّت حقيقته، كإخباره في القرآن الكريم بأنّ الله كفاه المستهزئين[٨]، وبظهوره على الدين كلّه[٩]، وبدخول المسلمين المسجد الحرام آمنين محلّقين ومقصّرين[١٠]، وبغلبة الروم في بضع سنين[١١]، وإخباره ـ وهو محصور في الشعب ـ بشأن صحيفة قريش القاطعة[١٢]، وإخباره أصحابه بالظفر بإحدى الطائفتين في حادثة بدر، وقول أصحابه إنّ العير وهي ذات الشوكة تكون لهم[١٣]، كما ذكرهم بذلك القرآن الكريم[١٤].

---

١. الخرائج والجرائح ١: ٥٠، الرقم ٧٠؛ بحار الأنوار ١٨: ١٠، ح ١٨.

٢. الخرائج والجرائح ١: ٥٠، الرقم ٧١؛ بحار الأنوار ١٨: ١٠، ح ٢٠.

٣. الخرائج والجرائح ١: ٤٢ ـ ٤٣، الرقم ٥٠؛ بحار الأنوار ١٨: ٩، ح ١٢.

٤. الخرائج والجرائح ١: ٥٤، الرقم ٨٦؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٥٩؛ بحار الأنوار ١٨: ١٢ ـ ١٣، ح ٣١.

٥. الخرائج والجرائح ١: ٢٧ ـ ٢٨، الرقم ١٤ ـ ١٥؛ إعلام الورى ١: ٨٠ ـ ٨١؛ بحار الأنوار ١٨: ٢٦ ـ ٢٧، ح ٧ ـ ٨.

٦. الخرائج والجرائح ١: ٥٨، الرقم ٩٨، و ١٠٩ ـ ١١٠، الرقم ١٨٢؛ بحار الأنوار ١٨: ٢٩ و ٣١، ح ١٥ و ٢١؛ دلائل النبوّة ٤: ١١٠ ـ ١٢٨.

٧. الذخيرة للسيّد المرتضى: ٤٠٤؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٥٤؛ بحار الأنوار ١٨: ٣٩.

٨. الحجر (١٥): ٩٥.

٩. التوبة (٩): ٣٣؛ الفتح (٤٨): ٢٨؛ الصفّ (٦١): ٩.

١٠. الفتح (٤٨): ٢٧.

١١. الروم (٣٠): ٣.

١٢. قصص الأنبياء للراوندي: ٣٢٧، الرقم ٤٠٩؛ الخرائج والجرائح ١: ٨٥، الرقم ١٤١؛ إعلام الورى ١: ١٢٥ ـ ١٢٨؛ دلائل النبوّة ٢: ٣١١.

١٣. تفسير القمّيّ ١: ٢٥٦ و مابعدها؛ بحار الأنوار ١٩: ٢٤٤ ومابعدها.

١٤. الأنفال (٨): ٧.

وإخباره بفتح المسلمين مصر[١] والشام[٢] والعراق[٣]، وبموت كسرى في يومه[٤]، وكذا موت النجاشي[٥]، وبأنّ فاطمة ابنته أوّل أهله لحوقاً به[٦]، وأنّ عليّاً عليه السلام يقاتل الناكثين[٧] والقاسطين والمارقين، وبأنّ أباذرّ يموت وحده ويسعد بدفنه جماعة من أهل العراق[٨]، وأنّ إحدى نسائه تنبحها كلاب الحوأب[٩]، وبقتل أهل النهروان وذي الثدية[١٠]، وأنّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية، وآخر شرابه ضياح لبن[١١]، وبقتل عليّ عليه السلام في شهر رمضان[١٢]، وأنّ كريمته الشريفة تخضب من دم رأسه[١٣]، وأنّ ولده الحسين عليه السلام يقتل بكربلاء[١٤]، إلى غير ذلك.

ومن معجزاته استجابة دعائه وسقيا المطر باستقائه، في موارد كثيرة جدّاً[١٥].

---

١. مناقب آل أبي طالب ١: ١٤٩؛ الخصائص الكبرى ٢: ١٨٨ ـ ١٨٩.

٢ و ٣. الخصائص الكبرى ٢: ١٨٧ ـ ١٨٨.

٤. الخرائج والجرائح ١: ٦٤، الرقم ١١١، و ١٣٢ ـ ١٣٣، الرقم ٢١٨؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١١٣؛ بحار الأنوار ٢٠: ٣٨٠، ح ٤، و ٣٨٩ ـ ٣٩١.

٥. مناقب آل أبي طالب ١: ١٤٦؛ الخصائص الكبرى ٢: ١٦٨.

٦. الخرائج والجرائح ١: ٦٥، الرقم ١١٤؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٤٩؛ بحار الأنوار ١٨: ١٣٢.

٧. مناقب آل أبي طالب ١: ١٤٩؛ إعلام الورى ١: ٩٢؛ بحار الأنوار ١٨: ١٢٤؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١١٥ ـ ١١٦، ح ٤٧٢٩ ـ ٤٧٣٣.

٨. السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ١٦٨؛ المغازي للواقدي ٢: ١٠٠٠؛ الطبقات الكبرى ٤: ٢٣٥.

٩. الذخيرة للسيّد المرتضى: ٤٠٥؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٤٩؛ إعلام الورى ١: ٩١؛ بحارالأنوار ١٨: ١٢٣ و ١٣٢ و ١٤٢.

١٠. تأريخ الطبري ٤: ٦٠ ومابعدها؛ الكامل في التأريخ ٣: ٢١٨ ومابعدها في حوادث سنة ٣٧هـ.

١١. الذخيرة للسيّد مرتضى: ٤٠٥؛ إعلام الورى ١: ٩١؛ بحار الأنوار ١٨: ١٢٣ و ١٣٢ و ١٤٢.

١٢. الأمالي للصدوق: ٨٤ ـ ٨٦، المجلس ٢٠، ح ٤؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٥ ـ ٢٩٧، الباب ٢٨، ح ٥٣؛ بحار الأنوار ٤٢: ١٩٠ ـ ١٩١، ح ١.

١٣. الخصائص الكبرى ٢: ٢١٠ ـ ٢١١؛ بحار الأنوار ٤٢: ١٩٠ ـ ١٩٨.

١٤. بحار الأنوار ٤٤: ٢٥٠ ـ ٢٦٦؛ دلائل النبوّة ٦: ٤٦٨ ـ ٤٧٢.

١٥. إعلام الورى ١: ٨٢ ـ ٨٣؛ الخصائص الكبرى ١: ١٣٦ ـ ١٣٧، و ٢: ٢٧٥ ـ ٢٧٨؛ بحار الأنوار ١٨: ١ ـ ٢ و ٢٠: ٢٩٩.

وقد أنهت كتب الحديث والتأريخ موارد معجزاته ﷺ وكراماته من نحو ما ذكرناه وغيره إلى أكثر من ثلاثة آلاف، وأنّ الكثير منها في عصره وما بعده هو قسم المستفيض، أو المشهور، أو المتواتر، ولكن عادة المصنّفين على الاقتصار على سند المشيخة، فكست هذه العادة في الظاهر ثوب رواية الآحاد، لكنّ الإعجاز المشترك بينها الشاهد على الرسالة يزيد على حدّ التواتر ويبلغ درجة الضروريّات، وها هي كتب الحديث والتأريخ، وقد ألجأنا المقام إلى إطالة الكلام على خلاف ما نؤثره في هذا المختصر.

## الفصل الخامس في دفع الاعتراض

قال المكاتب:

إنّ كفّ النفس عن الشهوات الحيوانيّة من أسمى الفضائل، فأيّة حكمة دعت النبيّ ـ على جلالة شأنه ـ لتزوّج الأزواج الكثيرة، والإكثار من هذا الفعل الداني بحقّ مثله ولو مرّة، حتّى صيّر نفسه غرضاً لانتقاد الإفرنج وتسميته بكثير الزوجات. إن كان قصد حفظ روحه الشريفة من الفناء في عالم الفكر في الله ـ كما قال بعض العلماء ـ فإنّ له من مجالسة أصحابه وتدبير شؤون الملّة ما فيه غنى عن ذلك، ومن ضَمِن له العصمة من الناس قادر على إمساكها مهما استرسلت في فضاء الفكر والمناجاة. وإن كان القصد تسهيل سبيل التعليم للنساء بأخذهنّ الأحكام من أزواجه الكثيرات ففي الأربع ما فيه الكفاية، وبإمكان كلّ امرأة أن تأخذ عن زوجها الحكم فيما تستحي منه، وأن تبعثه إلى النبيّ ﷺ سائلاً عمّا جهل.

أقول: وفي هذا الفصل ملاحظات:

[الملاحظة] الأُولى في قوله: «إنّ كفّ النفس»، إلى آخره، فإن أُريد بذلك كفّ النفس عن الإقدام بشره النفس على قضاء وطر الشهوة والميول النفسانيّة بما لا يحلّ، وبما ينافي نواميس العفّة والشرف ونظام الاجتماع وكرم الأخلاق، قلنا: نعم. ولكن

تعدّد الزوجات ليس ممّا لا يحلّ بحسب هذه المذكورات وإن كـان لا يـحلّ بـحسب اقتراح رسالة كورنثوس الأوّل وحرص السيّدات المتزوّجات، وما للحقائق وذلك.

وإن أُريد بذلك أنّ فضيلة الإنسان بأن لا يـتناول ولا يـفعل مـا تـحتاجه طـبيعته البشريّة في حياته وصحّته، ودفع ألم الجوع والعطش وهيجان قوّة التناسل حتّى ممّا هو حلال بحسب الأُمور المتقدّم ذكرها، فلا يخفى على ذي رشد أنّ هذا تصوّف بارد تافه يبطل فوائد الحياة والصحّة وحسـن الاجـتماع ودوام النسـل والعـمران والقـيام بالأعمال الجليلة الكبيرة؟

وإن أُريد بذلك أنّه لا يحسن للإنسان أن يسرف في ذلك ويتناول فوق حاجته بحسب طبيعته الشخصيّة، فإنّ الزيادة تعدّ من الشره والانقياد للشهوة، وهذا خلاف الفضيلة.

قلنا: إنّ الناس مختلفون بحسب طبائعهم الشخصيّة وقواهم الخـاصّة وحـاجاتهم فيها، فمنهم من يكفيه الرغيف فما دون في رفع جوعه، ومنهم من لا يكفيه إلّا الرغيفان فما فوق. وإنّ الرجال في أمر الجماع لمختلفون بحسب ما جعله الله لهـم مـن القـوّة وغزارة المادّة، كاختلاف الناس في الحاجة إلى الأكل والشرب والنوم، فمن الناس من لا يميل إلى الجماع و لا يقوى عليه إلّا مرّة في الشهر، ويختلف الرجال في ذلك إلى أن يكون منهم من يقوى عليه ولا يصبر عنه في الأُسبوع ـ بل اليوم ـ ويتألّم من تركه.

هذا، وقد كان رسول الله ﷺ من أتمّ الناس خلقةً في قوى الإنسانيّة والرجوليّة، كما يشهد به تأريخ العدوّ والصديق، فكان ينال من الجماع بحسب حاجته الضروريّة في قوّته البشريّة وغزارة المادّة و زيادتها، ولم يكن تكلّفاً وتشهّياً وكلّاً على قواه لأجـل الانقياد إلى شره الشهوات ومتابعة الميول الأهوائيّة. ويشـهد لذلك أنّ مـقاربته التـي يصفها الخصم بالكثرة قد بلغ عليها الستّين من عمره الشريف، ولم تؤثّر في قوّته ضعفاً، ولا حواسّه خللاً، ولا في أعضائه وهناً، ولا في نضارته ذبولاً. وإنّ الجماع ليس بأدنى من البول والتغوّط مع اطّراد حاجة النوع إليهما في كلّ يوم، وبالتدقيق لا تجد الجماع بحسب ذاته وماهيّة حركاته من دوام المشغوليّة وتتابع حركات الفكّ واللحية، وبماذا

يكون أدنى من الامتخاط بين الناس؟ وبماذا يكون أدنى من النوم الذي لا ينفكّ عن الشخير والنفخ وتعطّل الحواسّ وضعف الماسكة؟ فما هو إلّا كسائر الأحوال التي طبعت عليها الطبيعة البشريّة، وإنّما صار التستّر به عادةً وشريعةً فلناموس حفظ العفّة والحقوق وحسن الاجتماع العائلي بل البشري. فليس الاعتراض على الرسول البشري بذلك إلّا من قولهم: ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[1]، وقولهم في المسيح عليه السلام على نقل الإنجيل: «أكول». وحاشاه من قوله: «وشرّيب خمر».

فإن قيل: هل من حكمة زائدة على المنحة بزيادة قوّة الرجوليّة؟

قلت: يمكن للملتفت أن يستشعر من ذلك حكماً جليلةً.

منها: تلقين الله لأهل النظر والاعتبار بتأييد الله لنبيّه بالملكات الفاضلة في العفّة والأمانة، فإنّ من كان بهذه القوّة المستمرّة إلى الستّين من عمره، مع استمراره على مقاومتها من الأربعين وما قبلها بكثرة الصوم ومتاعب قيام الليل والعبادة والغزو والجهاد والجوع وخشونة المأكل، لو كان غير مؤيّد بالملكات الفاضلة لكثرت منه الخيانة وفلتات الشهوة في شبابه وكهولته، وإنّ جمال صورته الفائق ليذلّل له بالطبع صعاب هذه الأُمور. مع أنّه صلوات الله عليه لم يكن لقائل في قدسه مغمز، ولا لأحد فيه فلتة غميزة، وقد تألّب الناس على حسده وعداوته والخدشة بمقامه النبوي إلى الآن نحو ثلاثة عشر قرناً، ولم تبدر من أحد في قدسه وعفّته فلتة قدح، ولا كفلتة إنجيلي لوقا ٧: ٣٧، ويوحنّا ١٣: ٢٢ ـ ٢٦ في قدس المسيح، فضلاً عن مثل فلتة العهد القديم في قدس لوط وداود، بل وسليمان. وغاية ما انتقد بعض أعدائه في ذلك أنّه كثير الزوجات، وستعرف الكلام في تفاهة هذه الانتقاد وسقوطه.

ومنها: أنّ الله يعلم أنّه يكون أُناس كثيرون من أعداء رسوله الجاحدين لرسالته لا يجدون سبيلاً للخدشة في أمانته وصدقه واستقامته وشرف أخلاقه الفاضلة ولا

---

١. الفرقان (٢٥): ٧.

مانعاً من نبوّته، فيتوسّلون للخدشة بنبوّته بدعوى أنّه كان مدّة عمره مبتلى بمرض الجهاز العصبي، فيعتريه على الدوام منه تشنّج يزعج أحواله ويشوّش مشاعره ويهيج في مخيّلته خيالات صورية، يحسب أنّها نبوّة وليس من النبوّة في شيء، كما ذكره كثير من النصارى ومبشّريهم، وغيرهم في كتبهم. ويتشبّثون لذلك بدهشة بدنه الشريف عندما يتجلّى الله له بالمناجاة ،ألا وهي السنّة الجارية في الأنبياء عند تجلّي الله لهم، على ما ذكره العهدان وبيّنّاه في الجزء الأوّل من كتاب الهدى ص ٢٩ ـ ٣٥.

فأراد الله أن يفنّد مزاعمهم ويقيم عليهم الحجّة في شططهم هذا بالمقرّر بالتجربة والطبّ، ألا وهو إضرار الجماع بالجهاز العصبي الصحيح وخصوص الدماغي، فكيف بالمريض من الصغر المبتلى بنوبة التشنّج الدائمة. ولو كان الأمر كما يقولون لما بلغ الأربعين من عمره الشريف إلّا وقد استولى عليه التشنّج المهلك أو الجنون المطبق أو تعطّل بعض أعضائه، ولا أقلّ من ذهاب حاسّة السمع أو البصر أو ضعفهما باختلال العصب السمعي أو البصري، فكيف بهم وقد كان رسول الله ﷺ ممتّعاً بصحّة الجسم وكمال القوى والمشاعر، وحصافة العقل وسداد الرأي، إلى حين شيخوخته وأيّام وفاته ـ كما يعترف به كلّ أحد ـ مع استمرار قوّته في أمر الجماع على حالها؟ ولله الحجّة البالغة.

**الملاحظة الثانية**: في قول المكاتب: «فأيّة حكمة»، إلى آخره. ولا يخفى أنّ التدبّر فيما ذكرناه في صدر الملاحظة الأُولى لا يترك محلاً لقول القائل: «فأيّة حكمة»، ويدع الكلام الأوّل هذا التفريع لانتقاد العلم والأدب، أفلا يكفي في المباح حكمة إباحته، وأنّ العقل السليم والقرآن الكريم ليقولان بلسان الإنكار والتوبيخ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّـهِ ٱلَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾[1]؟ وهل حكم العقل أو إحدى الشرائع بأنّ للزوجة حقّ المقاربة في كلّ يوم أو يومين أو ثلاثة أو أُسبوع أو شهر؟ وهل كان قرار الزواج مبنيّاً

---

١. الأعراف (٧): ٣٢.

على ذلك؟ إذن فما الفرق بين أن لا يقاربها أو يقارب غيرها ممّا أباحته الشريعة؟ أم تقول كما قالت رسالة كورنثوس الأُولى ٧: ٤: «وكذلك الرجل ليس له تسلّط على جسده بل المرأة»، من أين جاءت الرسالة المذكورة بذلك والأناجيل تنادي بقول المسيح: «ما جئت لأنقض الناموس؟» دع عنك الرسائل المنسوبة لبولس، فإنّها يكفيها مقاومتها للشريعة الموسويّة والاستهزاء بها ورميها بالعيب، لكي يسلم له الاستبداد بالتشريع.

هذا، ومن الممكن أن نهتدي لمعرفة شيء من الحكم في إكثار الزوجات:

فمنها: إرادة كشف حقيقته و بيان سرّه وعلنه للقريب والبعيد، وإعلام الناس من طريق العادات بأنّه ﷺ لم يكن في أعماله الكريمة وأخلاقه الفاضلة وعباداته تفاوت رياء واختلاف تزوير، ولا في دعوته تمويه، ولا في أحواله تلوّن، ولا في أُموره تدليس، وذلك أنّ المرأة الواحدة مع زوج بكارتها وأبي أولادها ومحبوبها المختصّة بخيره، والذي تتعصّب له وتستر أمره، لابدّ أن يظهر على فلتات لسانها ـ عند الغضب أو الغيرة أو الشكوى أو مسامرات أقاربها أو جاراتها ـ ما تخفيه من معائبه الخفيّة أو ريائه أو تزويره أو دناءة أخلاقه أو مخالفة خلواته لظاهره، فكيف بمن كان عنده تسع ضرائر جلّهنّ ثيّبات لم يلدن منه تزوّجهنّ في أواخر كهولته، وطالما يكون بينهنّ الكدورة والغيرة والتعب على رسول الله، ويصدر منه التوبيخ والتأديب لهنّ والعزم على مفارقتهنّ، وإنّ جملةً منهنّ موتورات لرسول الله ﷺ ودعوته بأقاربهنّ. ومع هذا كلّه لم تجد واحدةً سبيلاً لأن تقول شيئاً يمسّ قدس رسول الله ﷺ وموافقة خفيّاته لظواهره. ومقتضى العادة القطعيّة أنّه لو كان شيء من ذلك لبان واشتهر على طول السنين معهنّ واختلاف الأحوال. فجعل الله تعدّد الزوجات لرسوله طريقاً للعلم العادي للناس بقدس رسوله وشرف أخلاقه في الخفاء والعلن، لتقوم بذلك الحجّة مدى الأيّام.

ومنها: تعليم الناس بعمله لعدل السيرة والمساواة في الحقوق، وحسن الرعاية والولاية ومجاملة العشرة ومداراة العائلة، والالتزام بالقوانين الشرعيّة وعدم الميل

مع الهوى، ليكون أُسوةً وحجّةً في العمل كما أنّه الهادي في البيان، حيث أجرى ما ذكرناه في معاملة تسع ضرائر مختلفات في الجمال والسنّ والأحوال من النساء الناقصات العقول.

ومنها: حكم شريفة خصوصيّة متنوّعة باعتبار الزوجات ترجع إلى نصر الإيمان وإكرام المؤمنين والقيام بحقّ الشرف، فمنهنّ من تزوّجها تألّفاً لقبيلتها بعلاقة المصاهرة التي لها نوع حرمة عند العرب بل الناس. ومنهنّ من تزوّجها للمكافأة لذويها على النصرة والمتابعة. ومنهنّ مؤمنة مهاجرة ترمّلت وهي مبتلاة بأطفال في بلاد غربة ولها رحم، فآثر أن يضمّها إلى بركة عيلته. ومنهنّ من هي من نسل نبوي وسبط شريف، قد أصابتها وقومها صدمة المحادّة لله ورسوله، فآثر أن يجبر شرفها بشرف مصاهرته وكرامة عنايته.

ومنها: مقاومته بالعمل ـ زيادةً على البيان ـ للتشريع الساقط في منع تعدّد الزوجات، والتزوير في حجّته بدعوى قبحه العقلي وظلم الزوجة حقّها، كما ذكرناه عن كورنثوس الأُولى ويلهج به من تبعوا هذا التشريع بحيث يرجع بالتشنيع على شريعة موسى والتوراة، والطعن في قدس أنبياء الله الصالحين إبراهيم ويعقوب وداود وسليمان، بل و جدعون المقدّس بمقتضى العهد القديم.

**الملاحظة الثالثة:** في قوله: «حتى صيّر نفسه غرضاً لانتقاد الإفرنج وتسميته كثير الزوجات». فليت شعري من ذا يعني من الإفرنج؟ فإن كان يعني ملاحدتهم، فهو منهم اعتداء على ناموس الحرّيّة الطبيعيّة، ولئن كان متروكاً في دور الانحطاط الفردي الوحشي فهو معمول عليه في دور الارتقاء الإنساني الاجتماعي. وإن كان يعني نصاراهم فإنّا نشكر لهجتهم بهذا الانتقاد الساقط بحسب العقل والشريعة الموسويّة والإسلاميّة وعمل الانبياء، كسقوط حجّته في «كورنثوس» الأُولى. ونستعفيهم من تمجيد رسول‌الله بمثل تمجيد إنجيلهم للمسيح بما في لوقا ٧: ٣٧، ويوحنّا ١٣: ٢٢،

وسائر ما ذكر في الجزء الأوّل من كتاب الهدى ص ٢٧٩ ـ ٢٨٢، وحاشا قدس المسيح من جميع ذلك.

وليت شعري متى كان رسول الله ﷺ في أمر الدين والشريعة والعمل مداهناً للأهواء، ولو كان كذلك لما بلغ عن قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾[1] ولداهن الأناجيل الرائجة بتحريم الطلاق وإباحة شرب الخمر الذي تنسبه للمسيح، ألا تسألهم عن تعدّد الزوجات أهو شريعة باطلة شرّيرة لا يمكن أن تكون من الله في دور من الأدوار، وهو منقصة تنافي مقام النبوّة؟ إذن فما يقولون بشريعة موسى والتوراة في ذلك؟ وماذا يقولون في نبوّة إبراهيم ويعقوب وداود وسليمان؟ وأين تكون المزامير؟ وإن قالوا: إنّه يمكن أن يكون شريعةً ولا ينافي مقام النبوّة إذن فهو شريعة رسول الله ﷺ فليؤمنوا به، وإن انتقدت عليه سيّداتهم مالا ينافي مقام النبوّة ووجوب الإيمان به وبشريعته. أيّها المكاتب لماذا تتهوّل من كلّ ما تسمع؟ فسبحان ربّك ربّ العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

(٢)

# البلاغ المبين

تحقيق

السيّد محمّد عليّ الحكيم

[بسم الله الرحمن الرحيم]

وله الحمد، وهو المستعان، والصلاة والسلام على جميع أنبيائه ورسله، وخصوص خاتمهم، وآله الطاهرين.

## لسان حال وتخييل

عبد الله: جمعتني مرحلة هذه النشأة مع مسافر لا يَعرفُ غايتَه، و غير غريب من عاطفة الإنسانيّة وحبّ الخير للبشر وواجب الحقيقة، أن تلجئني إلى إدارة الكلام بيني وبينه في الشؤون النافعة، لعلّما نستثمر من مخض الكلام زبدةً، ونجني من غراسه ثمراً؛ فقلت له: هل لك ميل إلى المُحادثة فيما يُرجى نفعه ويُؤدّى به واجب هذا السفر وهذه الصحبة؟

رمزي: أجل! وليكن الكلام فيما نقضي به الوقت وأنال به لذّة!

عبد الله: إنّ العُقلاء من البشر يعملون أعمالهم ويتكلّمون بكلامهم؛ لأجل أن تكون غراساً صالحاً للاستثمار في المستقبل، في نظام الحياة، ونيل الفضيلة في المعارف والأخلاق الفاضلة.

وأمّا ما لا غاية فيه إلّا اللذّة الوقتيّة و تقضّي الوقت، فإنّ العمر الشريف يذهب به ضياعاً. وربّما تعدّى عنه الخسران إلى رذيلة الانحطاط والضرر الباهظ في المستقبل!

رمزي: ما علينا بِكيت وكِيت، حدِّثني بما يؤنسني من التأريخ وأحوال البلدان.

عبد الله: من الممكن أن أؤدّي واجب الحقيقة وأُؤانسك.

رمزي: يا صاحبي ما اسمك؟

عبد الله: اسمي عبد الله.

رمزي: أليس من العجيب أنّ الإنسان يُلقي نفسه في أسر العبوديّة و قيود المحكوميّة؟!

عبد الله: هل تسمح بأن نخوض في هذا الشأن، وتُقْبِل على كلامي بسمعك وشعورك؟

رمزي: لا يهون عليَّ أن أُكدِّر صفاء لذّاتي، وأُهدّد حُرّيّتي بما تحاول أن تجعلني به تحت نير عبوديّة، وأغلال طاعة، وقيود «افعل هذا، لا تفعل هذا» حدِّثني بما يؤنسني من التأريخ وأحوال البلدان.

عبد الله: نعم، ومن الممكن أن لا يكون الحديث أجنبيّاً عمّا يجب عليَّ للحقيقة والإنسانيّة.

كان أهل البصرة يشترون كثيراً من العبيد والإماء من سودان إفريقا، ويجعلونهم عَمَلَةً في بساتينهم وسفنهم النهريّة والبحريّة وفي محالّ تجارتهم، ويزوّجون العبيد بالإماء محافظةً على عفّتهم، فيتناسلون ويكونون ذوي بيوت وأولاد وإدارات، و كلّهم يأكلون من نفقات مواليهم، ويتدرّجون بالتعليم والتربية قليلاً قليلاً في الحضارة وآداب المدنيّة.

رمزي: إنّي قرأتُ في المدرسة جغرافية البصرة الطبيعيّة، فأتمِم حديثك في جغرافيتها الاقتصاديّة.

عبد الله: و قد كان في بساتين شخصٍ من أهل البصرة وسفنه ومواقع تجارته جماعة كثيرة من هؤلاء السودان، ومن جملتهم جماعة ممّن نشأ في وطنه من بلاد السودان وآنَسَ بعاداتهم الوحشيّة، وكلّ واحد من هؤلاء يتألّم كثيراً ويشكو إلى أبناء جلدته من قيود عادات البصرة، من نحو تأديب الموالي، وتعليمهم للعبيد آداب الحضارة، ومن تعلّم الأعمال والأشغال، والاشتغال بتحصيل الأموال، وترتيب إدارة البيت، والنظر في العواقب، ومداراة العيال والأولاد، وتربية الأولاد وتأديبهم.

وكثيراً ما كانت هذه الجماعة يتمنّون الفرار من هذه الأحوال المدنيّة التي يـرونها قيوداً باهظة، فيتلهّفون على الرجوع إلى وحشيّة إفريقا، ويدور ذلك في حديثهم مـع أصحابهم السودان المتولّدين في البصرة.

رمزي: وما هي وضعيّة السودان وحالهم في براري إفريقا؟

عبد الله: قبائل البمباس والزنج في براري إفريقا، كلّهم رجالاً ونساءً، عـراة ليس عليهم لباس و لاساتر أصلاً!

نعم، المرأة منهم في أيّام حيضها تضع على عورتها ورقةً من بعض الشجر علامةً على أنّها حائض.

وإنّ الرئيس منهم لا يزيد على أن يتوشّح بوشاح من قماش أبيض لا يزيد عرضه على أربعة أصابع أو خمسة، يجري مجرى حمائل السيف؛ لكي يكون وساماً للرئاسة.

وربّما يكون بعضهم خادماً عند النزلاء في جزيرة زنجبار، فيلجئه المـخدوم إلى ستر عورته فيتّزر بمئزر، فإذا سخط على مخدومه، وعزم وجزم على مفارقته والرجوع إلى أرضه ووحشيّته، كانت العلامة على إصراره على المفارقة النهائيّة أن يحلّ المئزر و ينزعه من وسطه، ويطويه و يرمي به في وجه مخدومه!!

ولهم في طرف النهار مسارح رقص، يجتمعون فيها رجالاً ونساءً، ويسمّون هـذه المراقص: «هيوة»، ولهم مسكر مخصوص يسمّونه: «بوزة» وبحالة السكر وطـرب الهيوة ـ وهم عراة على العادة ـ يرقص نساؤهم ورجالهم معاً!

ومن أحوال رقصهم، أن يلصق كلٌّ منهم عجيزته بعجيزة الآخر، سواء كان رجلاً أم امرأةً!

ومن شدّة السكر والطرب والرقص الماعزي السخالي تزبد أفواههم، فيعلو من ذلك على شفاههم ووجوههم السود ما يكون له منظر غريب مضحك!

رمزي: إنّ هذا لتوحّش غريب!

عبد الله: يا للعجب! أَوَأنت تقول ذلك؟!!

رمزي: و ماذا كان من حكاية سودان البصرة؟

عبد الله : و لم يزل أُولئك السودان الناشئون في إفريقا يحاورون أصحابهم من السودان الناشئين في البصرة، ويحسّنون لهم أحوال بلادهم في إفريقا وأوضاع السودان هناك، حتّى حصلوا على موافقتهم في الرأي، واستقرّ رأيهم جميعاً على الفرار.

فعيّنوا لهم سفينة بحريّة من سفن مولاهم، وخصّصوا واحداً منهم ربّاناً للسفينة وبعضهم نواتي «ملّاحين»؛ لكي يصلوا بأجمعهم من طريق البحر سريعاً إلى براري السودان من إفريقا.

وبعد هزيع من الليل خرجوا جميعاً، رجالاً ونساءً وأطفالاً، من غير استعداد للسفر ولا زاد، ودخلوا السفينة وقد شربوا من مسكرهم «البوزة» حتّى أخذهم السكر، وفي خيالات السكر رفعوا شراع السفينة من دون أن يحلّوا رباطتها ويقلعوا مراسيها وأناجرها.

هذا، وخيال السكر و الحمق السوداني يخيّلان لهم أنّ السفينة تجري بسرعة فائقة، مع أنّها واقفة راسية لا تزول من مقرّها إلّا بمقدار ما تهزّها الأمواج العادية.

وبعد سويعة سألوا الربّان قائلين: أين وصل بنا سيرنا السريع ؟

فقال: قد تجاوزنا الفاو[1] ودخلنا البحر.

فعند ذلك صفّقوا تصفيقاً حادّاً، ونزعوا بأجمعهم ـ رجالاً ونساءً ـ كلَّ ما عليهم من اللباس ورموا به في الماء، وصاروا بأجمعهم عراة بلا ساتر للعورة، واشتغل رجالهم ونساؤهم بالرقص والنشيد السوداني.

رمزي: وماذا كان نشيدهم ؟ ألا تترجمه لي بالعربيّة ؟!

عبد الله: نَشيدُهم: نمضي بحرّيّتنا أحراراً... وليس لنا مولى... كلّ واحد حرّ... برئنا من الملابس... من هو المولى ومن يكون ؟! ما هي البصرة ؟! ما هي الدار والغرف ؟! ما هي البستان ؟! ما هي التجارة ؟! ما هي الأعمال والصناعات ؟! نحن غزلان الفلاة... لتحيا الهيوة... لتحيا البوزة!

---

١. الفاو: مدينة في أقصى جنوب العراق، تقع على مصبّ شطّ العرب بالخليج الفارسي.

رمزي: وماذا صار من أمرهم؟

عبد الله: وإذ كانت الريح تلاعب الشراع من سفينتهم الواقفة، أخذهم الأُنس والطرب، وخَيّل لهم السكرُ أنّ السفينة تسير بهم كالبرق الخاطف! فسألوا الربّان قائلين: أين بلغ بنا هذا السير السريع السعيد؟

فنظر الربّان بخيال السكر إلى دور العَشّار[1] والنخيل، فقال: ما لكم؟! ألا تنظرون ذات اليمين إلى دور البحرين ونخيلها؟!

ثمّ مضت سويعة، فسألوا الربّان قائلين: أين بلغ بنا سيرنا السريع المبارك؟

فنظر ذات اليسار، فرأى شبح الجانب الشرقي المقابل للعَشّار، فقال: قد قابلنا بندر عبّاس[2]، وقارَبْنا بوغاز هرمز![3]

وبعد ساعة غلب النعاس وخيالات السكر على عينَي الربّان فصاح بالنواتي: غَيِّروا وضع الشراع، غَيِّروا وضع الشراع سريعاً، لكي نبعد عن مَسقط، فإنّ في قربنا إلى مَسقط مخاطرة كبيرة، ولعلّنا قبل الصبح بهذا السير السريع السعيد نجاوز باب المندب إلى سواحل إفريقا، فنستريح من بحر العرب وأخطاره، صفِّقوا صفِّقوا... ارقصوا ارقصوا!

فلمّا أصبح الصباح، جاء أهل العَشّار إلى الشاطئ فرأوا سفينة راسية واقفة مربوطة، وشراعها مرفوع يخفق، وهي مملوءة من أشباه الماعز والسخال، من السودان العراة، وهم مشغولون بالتصفيق والرقص والنشيد بأشنع منظر مضحك!

فجاء خدّام مولاهم، فساقوا أُولئك السود بأجمعهم كقطيع الماعز، على تلك الحالة الشنيعة المضحكة إلى مولاهم ونكال الجزاء!

رمزي، صار يضحك كثيراً ويقول: يا للعجب من وحشيّة هؤلاء وعدم شعورهم!

---

١. العَشّار: حيٌّ من أكبر أحياء البصرة.

٢. بندر عبّاس: من أكبر موانئ إيران، يقع إلى الجنوب الغربي منها على شواطئ الخليج الفارسي.

٣. هو مضيق هرمز.

عبد الله ـ يقول له[١] ـ : عجباً!! ينظر في مرآته، ثمّ لا يعرف منها صورته!!

## [ما معنى تسميتك بعبدالله؟]

رمزي : قد فرغنا من هذا الحديث المضحك؛ فقل لي ما معنى تسميتك بعبدالله؟

عبد الله : إنّي منزعج من أحوال بعض الأشخاص، بحيث لم يُبْقِ لي الانزعاج حالاً وفِكراً لردّ جوابك، وسأذكر لك حال هذا الشخص لكي تعتبر وتعرف أنّه إلى أيّ حدٍّ يبلغ اتّباع الهوى والضلال والشقاء وعدم الحياء!

رمزي : نعم، إنّ حال بعض الناس في الغيّ لا يكاد يوزن بميزان، ولا يقف في السوء على حدٍّ محدود؛ فاذكر لي حال هذا الشخص الذي أزعجك.

عبد الله : هذا ولد يعيش بالرغد والرفاهيّة في نعمة أبيه الرؤوف، وأبوه ذو علم وكمال فائقَين، ومن أجل كماله ورأفته وحبّه للخير هيّأ لولده جميع أسباب الرقيّ والسعادة والتربية الصالحة، فأعدّ لولده معلِّمين كاملين ومرشدِين صالحين، وجعل له صاحباً ملازماً ناصحاً عاقلاً مشفقاً خبيراً، وعرّفه جميع أسباب الترقّي والانحطاط والسعادة والشقاء.

وأكملَ ذلك بكلّ ما يبعث على أعمال الخير والصلاح من الترغيب والوعد الصادق بالجزاء، وبكلّ ما يزجر عن أعمال السوء من الإرهاب والوعيد والإنذار.

وهذا الولد لا استغناء له عن نعمة أبيه في حال من الأحوال، وهذا الأب لا حاجة له إلى هذا الولد بوجه من الوجوه، ولم يكن له في تكميل الولد وتهذيبه حاجة ولا غرض إلّا حبّه للخير والصلاح والكمال وترقّي الولد في معارج السعادة، والولد يعرف هذا كلّه؛ فإنّه أمر لا تستره الغباوة.

ولكنّ هذا الولد الشقيّ لا يزال يقابل هذا الأب الكامل المحسن الرؤوف بأنواع

---

١. أي يقول له في نفسه، ولم يبدِه له.

أعمال السوء والفحشاء، وبالأخلاق الرذيلة بتمام الصلافة وعدم الحياء.

ومن الاتّفاق أنّي رأيت هذا الولد مشغولاً ـ بمرأىً ومسمع ومحضر من الأب ـ بأعمال الشرّ والقبائح والفساد والأخلاق القبيحة!

فقلت للولد: يا للعجب!! حتّى متى تتمادى في هذا الغيّ؟! أما تستحي من هذا الأب الجليل الكامل، وليّ نعمتك والرؤوف بك، ولا تخاف من غضبه ونكاله وأنت تعمل بمحضره ومرآه كلَّ ما تريد من الأعمال الرديئة الذميمة من دون حياء ولا مبالاة؟!!

فقال لي: لا أرى لي أباً!

فقلت له: ليس بينك وبينه مسافة بعيدة، ولا حائل، ولا ظلام، وها هي الشمس مشرقة، فكيف لا ترى أباك؟!

فقال: لا أراه أصلاً ورأساً! وإنّ الشمس إلى الآن لم تظهر من الأُفق!

فقلت له: ها هي الشمس مشرقةً في وسط السماء، وليس بينك وبينها حاجب أو غيم!

فقال: لا أرى شمساً أصلاً!

فتخيّلت من كلامه هذا أنّه قد فاجأه العمى فعميت عيناه دفعةً واحدةً! فأردت أن أمتحنه وأستعلم الحال، فقلت له: إنّ معي مكتوباً ضئيل الكتابة جدّاً فهل تقدر على قراءته؟

فقال: هل في قراءة الكتابة عجب؟!

قلت: هل معك نظّارة مكبّرة؟ فإنّ معي خاتماً ضئيل الكتابة جدّاً.

فأخذه وقرأه من دون نظّارة! وأجريت معه من هذا القبيل امتحانات كثيرة، وهو في جميع ذلك يبصر إبصاراً حسناً!

وقال: هل عندك فوق هذا ممّا تمتحن به بصري؟! لماذا لا أُبصر أمثال هذه؟! والحال أنّ عينَيَّ صحيحتان قويّتان، والجوّ صافٍ منير، والشمس مشرقة في وسط السماء قريب الهاجِرة[١]!

---

١. الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحرّ. لسان العرب ٥: ٢٥٤، «هـ ج ر».

فقلت له : إذاً كيف قلت قبل سويعة : إنّي لا أرى لي أباً ، ولا أرى شمساً ؟ !

فقال : دع عنك هذه الأقاويل التي تريد أن تكدّر بها صفاء لذّاتي وحرّيّتي في شهواتي ... أنا ليس لي أب ! خرجت من ثقب الجدار ! اتركني لحالي ؛ لكي أنال لذّاتي براحة فكر ، من دون تصوّر تهديد وعراقيل مكدّرة لعيش الأهواء .

رمزي : يا للعجب لهذا الإنسان الساقط الذي لا حسّ له ولا شعور ، ولا شرف إنسانيّة ولا حياء !

عبد الله : عجباً ! ! ينظر في مرآته ، ثمّ لا يعرف منها صورته ! !

رمزي : إنّي أسألك سؤالاً وأنت تلهيني وتحيد عن جوابي ، وتحكي لي قصّة إنسان ساقط ، عديم الشعور والشرف والوجدان ، قل لي : ما معنى تسميتك بعبد الله ؟ !

عبد الله : ما ألهيتُك ولا حِدْت عن جوابك ، وما خرجت عن مقام الجواب ، ولكنّي أُكرّر قولي ويا للأسف : عجباً ! ! ينظر في مرآته ، ثمّ لا يعرف منها صورته ! !

رمزي : لا تتكلّم بالألغاز حياداً عن الجواب ، أجبني عن سؤالي بالصراحة !

## [احتياج الأشياء في وجودها إلى العلّة]

عبد الله : قبل مائتَي سنة ، هل كنّا أنا وأنت موجودين ؟ !

وهذه النخيل والأشجار والحبوب ـ التي نأكل منها طعاماً شهيّاً وثماراً جَنِيّةً ـ هل كانت موجودةً ؟ !

وهذا الصوف والحرير والقطن ـ التي اتّخذنا منها لباسنا ـ هل كانت موجودةً ؟ !

رمزي : لماذا تقول : قبل مائتَي سنة ؟ ! كلّ هذا الذي ذكرتَ لم يكن موجوداً قبل مائة سنة .

عبد الله : الأشياء التي لم تكن موجودةً قبل مائة سنة ، أفلا تحتاج في وجودها إلى علّة توجدها ؟ !

رمزي : أجل ، لا شكّ في أنّ الموجود الحادث بعد عدمه محتاج إلى علّة موجدة

له؛ فإنّ الموجود الحادث لا يُمكن ولا يُتصوَّر أن يوجَد بلا علّة توجده؛ وإنّ جميع الموجودات العالميّة جارية على هذا المجرى.

وهذا الأمر بديهي وفطري، يجري على فطريّته حتّى الأطفال الرضّع والحيوانات، ترى الطفل الرضيع والحيوان إذا سمع صوتاً أو جَلَبَةً فإنّه يعلم أنّه له علّة أوجدته؛ ومن أجل ذلك يصير يتجسّس عن العلّة؛ لكي يعرف ما هي، فيستنتج نتيجته في رجائه وخوفه ومستقبله، هذا أمر بديهي ليس لأحد فيه كلام.

عبد الله: إذاً فالعلّة والمُوجِد ـ الذي أوجدني وأوجدك وأوجد كلَّ إنسان وحيوان ونبات، وجميع العالم العلوي والسفلي ـ هذا هو الإله ربّ العالمين، ومِن أسمائه المقدّسة: «الله».

إذاً فأنا وأنت، وكلّ إنسان، وحياةُ كلِّ حيّ وبقاؤه، ولوازم المعيشة، وأنواع الفوائد والمنافع؛ هذه كلّها من نعمة هذا الإله الخالق؛ فكلّ إنسان هو «عبدالله» ولأجل شكر النعمة والاعتراف بالحقيقة سمّاني أبواي «عبدالله».

رمزي: من أين علمتَ أنّ علّة الإيجاد وموجِد العالَم أوجدَ الكائنات بإرادةٍ وعلمٍ وحكمةٍ؛ لكي يكون خالقاً منعماً؟!

ولعلّ علّة الإيجاد تُعلَّل بالتعليل الطبيعي بلا إرادة، ولا شعور بالغاية، ولا علم، ولا حكمة. وفي هذه الصورة لا يكون في البين إنعامٌ، ولا خالقٌ بإرادة، ولا منعمٌ!!

عبد الله: إنّي قد قلت ما قلته عن علم وحجّة واضحة؛ فأصغِ إليَّ بسمعك، وتوجّه إليَّ بشعورك وقلبك؛ لكي أُنبّهك على حجّتي فيما قلته لك؛ فإنّ ما أقوله واضح جليّ لا يحتاج إلى تعمّق في الحجّة وإتعاب للفكر.

نعم، لا ينبغي للإنسان هاهنا أن يعشو عشوة الخفّاش في ضياء الشمس، ولا يطفر بعناده طفرات عديمي الشرف بالجحود الأعمى.

رمزي: لا تتعب نفسك، فإنّه يقال: لا علّة لوجود العالَم إلّا الطبيعة العمياء البكماء

عديمة الشعور والإرادة، ولا تعليل إلّا بالتعليل الطبيعي، فأين الخالقيّة بالإرادة ؟ ! وأين الخالق ؟ ! وأين الإنعام والمنعِم ؟ !

أفلا ينبغي الأسف على إنسان عاقل؛ إذ يجعل نفسه باختياره ـ من دون وجه ولا داع ـ في أسر العبوديّة لهذه الطبيعة العمياء فاقدة الشعور ؟ !

عبد الله : دع عنك يا رمزي هذه الشفقة التافهة السخيفة ؛ فإنّه ليس في حجّتي تعب، وليس علَيَّ في احتجاجي للحقيقة كلفة، ولا في إقامة أدلّتي مشقّة، بل إنّ البيان ـ الذي هو من فرائض الحقيقة وواجبات الإرشاد ـ يلزم أن يقال؛ لكي تتنوّر به الأفكار ويُهتدى به في سبيل الصواب ؛ وليَ الشرف والابتهاج في ذلك.

رمزي : قل ما عندك، وأنا أيضاً أقول ما عندي ؛ فإنّ حقّ الكلام ليس لك وحدك !

عبد الله : نعم، إنّ حسن التفاهم ورفع معاثر الشبهات يقتضيان أن أقول ما عندي وتقول ما عندك ؛ لكي يصفو جوّ الحقيقة من غبار الشبهات وأوهام الشكوك.

ولكن يا صاحبي ! إنّك تعلم أنّ الإنسان معرّض للأمراض الدماغيّة، من أنواع الماليخوليا ونحوها من فنون الجنون، ومعرّض لاغتشاش الحواسّ والشعور.

وأيضاً : ربما يكون الإنسان لا يريد أن يتكلّم مع صاحبه بالكلام الجدّي لقصد الإفهام والتفهيم، بل يريد أن يضيّع الوقت ويضطهد الإنسانيّة بالكلام الاستهزائي الفارغ، فيسرد الألفاظ الكثيرة بدون معنىً مقصود.

ومع هذه الأحوال، من أين وبأيّ وجه وميزان أعلم أنّك تتكلّم معي عن عقل وشعور، وإرادة واختيار، وجدٍّ وقصدٍ للتفهيم ؟ !

وأنت أيضاً من أين تعلم أنّ كلامي معك على هذا النهج ؟ ! لكي يتبادل التفاهم بيننا، ولا يذهب الوقت والحقيقة علينا ضياعاً ؟ !

أفلا يلزم في مقام الاحتجاج والمكالمة أن يكون كلٌّ من المتكالمَين يعلم أنّ صاحبه تكلّم عن شعور وإرادة وجدٍّ في قصد التفهيم ؟ !

رمزي : نعم، يلزم ذلك.

عبد الله: إذاً أفلا يلزم أن نعرف الميزان الذي يبيّن لنا أنّ هذه الأعمال والأقوال صادرة عن إرادة وشعور وعقل وجدٍّ وحكمة وقصد للغاية، ويميّزها من الأعمال والأقوال اللاغية الفاقدة لهذه المزايا، والصادرة لا عن إرادة ولا شعور ولا حكمة ولا جدٍّ؟! لكي نميّز بهذا الميزان كلامنا الذي يدور بيننا. فنسير في سبيل التفاهم وطلب الحقيقة على نهج مستقيم وأُصول ممهَّدة.

وإن لم يكن بيدنا هذا الميزان في مكالمتنا، فمن أين نميّز وجوه الكلام فيها؟!

أم هل يصحّ للعاقل أن يضيّع وقته بلا استناد إلى دلالة ميزان مميّز يحصل بتمييزه نتيجة، ويعتصم به عن الاشتباه؟!

رمزي: يا للعجب من هذا الكلام!! ألا ترى كلّ أفراد البشر، من الكبير إلى الطفل ـ دائماً ـ يسمع بعضهم كلام بعض، ويرى بعضهم أعمال بعض، فيتيقّنون بدون شكّ وشبهة بأنّ ذلك الكلام وتلك الأعمال صادرة عن شعور وإرادة لأجل الوصول بها إلى غاية وغرض مقصود على الحكمة؟!

ترى الخيّاط بيده المقراض، وبيده الأُخرى قطعةً ثمينةً من الحرير المزركش، أو الشال الكشميري الفاخر، أو نحو ذلك من المنسوجات الثمينة، وهو يقطعها بمقراضه قطعاً، صغاراً وكباراً، بقرض مستقيم ومعوَجّ ومُوَرَّب[1].

ترى البنّائين مشغولين بالجصّ أو الطين والحجارة ونقل التراب، ويتحمّلون في ذلك التعب في الحرّ والبرد، وترى النتيجة أن يجعلوا حجارةً على حجارة، ونحو ذلك.

وترى عَمَلة الخطّ الحديدي، جماعة يحملون التراب من مكان ويلقونه في مكان آخر، وجماعة يحفرون في الأرض ويلقون التراب في مكان بعيد، وجماعة يعانون المشقّات والأخطار في ثقب الجبال.

وترى في حرّ الصيف جماعة في مقابل النار الملتهبة، بأيديهم المطارق الثقيلة،

---

١. المورّب: هو ما قُصَّ من القماش زيادة عن الحاجة ممّا لا فائدة منه. تاج العروس ٢: ٤٦٧، «و ر ب».

يضربون دائماً على حديدة محماة على السندان والعرق يسيل من أطرافهم.

وجماعة يأخذون قطعةً من ذهب، ويعالجونها بالنار والمطرقة وبعض الآلات، فيجعلونها بعد العناء صفيحةً أو خيطاً طويلاً، وبعد هذا يأخذون المقراض، فيجعلونها قطعاً صغاراً.

يتكلّم الناس معك في المعاملات وغيرها، وتستمع إلى خطبة فلان ودرس فلان.

مع أنّك في جميع هذه الموارد تتيقّن بلا شبهة ولا شكّ بأنّ جميع ما ذكرناه من الأعمال والأقوال صادرة من فاعلها عن عقل وشعور وحكمة وقصد للغاية، وليست من حركة قهريّة طبيعيّة ولا اختلال شعور.

لستَ وحدك تتيقّن بذلك، بل كلّ بشر له تمييز، حتّى الطفل بالنسبة لكلام مربّيه ومدرّسه وغيرهم؛ وكذا بالنسبة إلى أفعالهم.

يا صاحبي! فكيف تقول لي: «من أين أعلم أنّك تتكلّم عن شعور واختيار وجدٍّ وقصد للغاية؟!».

يا صاحبي! هل أنت إلى هذا الحدّ قليل الفهم؟! أو أنّك لم ترَ الدنيا وأهلها، ولم تَتَرَبَّ في عالم البشر؟!

عبد الله: لا أُنكر حصول اليقين في هذه الموارد وأمثالها، ولكنّ كلامي وسؤالي كان عن منشإ اليقين وميزانه؛ وإنّي الآن ـ أيضاً ـ أسأل هذا السؤال حتّى في هذه التي ذكرتها أنتَ؛ فإنّ كلّ هؤلاء الذين ذكرتهم إذا عملوا أعمالاً لا عن شعور وقصدٍ للغاية فإنّا نعرف أنّها لا عن شعور ولا قصدٍ للغاية وإن كانت من نحو الأعمال التي تذكرها، وكذا في بعض كلامهم.

فبأيّ وجه، وبأيّ ميزان ميّزنا بين أعمالهم وكلامهم، وجعلنا بعضها عن شعور وقصد للغاية وبعضها ليس كذلك؟!

هؤلاء المجانين، نرى جملةً من أفعالهم وكلامهم فنتيقّن أنّها لا عن شعور ولا قصد للغاية، ونرى بعض أفعالهم وكلامهم فنتيقّن أنّه عن شعور وقصد للغاية، ونعاملهم على ذلك.

فبأيّ ميزان ميّزنا بين القسمين من أقوالهم وأفعالهم؟

وإنّا نجد أيضاً أنّ كلام الأطفال وأعمالهم مشتمل على القسمين يقيناً، ونميّز باليقين بين ما يصدر منهم عن شعور وقصد للغاية وبين غيره؛ فهل كان تمييزنا اليقيني بين ذلك تشهّياً جزافيّاً، أو هو جارٍ على ميزان معقول يجري عليه العقلاء في تمييزهم؟!

إذاً فما هو الميزان في جميع الأُمور المذكورة؛ لكي نزن به الأعمال والأقوال والآثار في جميع الأُمور، وفيما عزمنا عليه من الاحتجاج؟!

رمزي: يرى الناس في الحصى وصخور البرّ صخوراً كثيرةً على أشكال هندسيّة موزونة، كالكروي، والعدسي، والمثلّث بأقسامه، والمربّع، والمخروطي، وغير ذلك؛ وكلّهم يعلمون أنّ تلك الأشكال لم تكن بصناعة بشر، بل حدثت بتكوين الحجر وناموس الاستحجار.

ومع ذلك، لمّا رأوا في الحفريّات تحت الأرض أحجاراً لها أشكال خاصّة، كالمنشار، والفأس، والسكّين، والخنجر، وسنان الرمح، ونصل السهم؛ تيقّنوا بلا ريب بأنّ هذه أدوات ليست من ناموس الاستحجار، بل هي صناعة إنسان له شعور وحكمة، صنعها لأجل غاياتها التي يتصوّرها، مع أنّ الناس لم يروا صانعها حين صنعها، ولا أخبرهم بذلك أحد عنه، مع أنّ ناموس الاستحجار لا قصور فيه عن إحداث مثل هذه الأشكال.

ترى علماء الغرب والشرق وجميع الناس يتيقّنون بلا شكّ بأنّ هذه أدوات صنعها الإنسان لحكمةِ غاياتها منذ عصر قديم، وسمّوا ذلك العصر بالعصر الحجري والصواني.

وأيضاً وجدوا في حفريّات مصر وسويسرا تحت الأرض صخوراً متعدّدةً بصور أغنام ودجاج وديكة وحمام، وغير ذلك من صور الحيوانات الأهليّة ولم يقل أحد - حتّى من القائلين بالانتخاب الطبيعي -: إنّ هذه الأشكال من عمل الطبيعة وناموس الاستحجار.

بل لم يختلج الريب في أنّها صنعة أُستاذ ماهر متمدّن، صنعها عن شعور وعِلم وقصد للغاية.

عبد الله: يا صاحبي! لا تتكلّم بانزعاج وحدّة، ولا تكثر بالأمثلة؛ فإنّي أسألك أيضاً أنّ علماء الغرب والشرق بأيّ ميزان حكموا في هذه الصخور المذكورة بأنّها من صناعة إنسان أُستاذ ماهر ذي شعور وتصوّرٍ للغاية، وقد صنعها لأجل غاياتها؟!

فإنّي لا أُنكر اليقين في هذه الموارد، ولكنّي في الجميع أسأل عن سبب اليقين وميزانه!

فقل: ما هو السبب والميزان عند العقلاء لهذا اليقين؟!

هل يتيقّن العقلاء بلا سبب وبلا وجه وبلا ميزان عقلائي يجرون عليه في علومهم ويقينهم؟!

هل يكون ذلك عند العقلاء؟!

رمزي: عجباً منك يا صاحبي! وعجباً من ابتلائي بك! إذا رأيتَ في برّيّة بعيدة عن المسكون صخرةً عظيمةً جدّاً ذات شكل مخصوص، محيطها بشكل سور عالٍ متقنٍ مستقيمٍ متساوي الانتظام، فيه أبواب ذات مصاريع وأغلاق متقنة، وكلّها صخريّة، وفي الوسط إيوانات[1] منتظمة ظريفة الوضع، وغرف منتظمة ذات أبواب وشبابيك متناسبة، وكلّها صخريّة، وحياض مع فوّاراتها من صخر، وآبار وبالوعات، وحِباب للماء وأغطيتها، ومواضع للطبخ مع مواقدها، ومنافذ دخانها إلى فوق، وسراديب وجاذبات للهواء إليها، منتظمة وموجّهة إلى جميع مهابّ الرياح، ودعائم، وسلالم، وسطوح ممهّدة وستائر لها وميازيب، وفي الغرف والأواوين والسراديب والسطوح كراسٍ وعروش منتظمة ظريفة الشكل والترتيب، ومخازن تناسب الحاجة.

وكلّ هذه من صخر على أظرف شكل وأتقنه وأوفقه بالنفع.

ثمّ سرتَ في تلك البرّيّة فوجدت صخوراً كباراً كثيرةً جاريةً على ما وصفناه من النظام والصفة والوضع والظرافة.

---

١. إيوانات وأواوين، جمع إيوان ـ بكسر الهمزة ـ: وهو الصُفّة العظيمة كالأَزَج، وهو البيت الذي يبنى طولاً غير مسدود الوجه. انظر: الصحاح ٥: ٢٠٧٦؛ لسان العرب ١٣: ٤٠ و ٢: ٢٠٨؛ تاج العروس ١٨: ٤٠، و ٣: ٢٨٧، «أ و ن» و «أ ز ج».

فهل يختلج في بال أحد من الناس أنّ هذا كلّه من صدفة الطبيعة العمياء وناموس الاستحجار ؟ !

أو أنّ كلّ عاقل يرى ذلك أو يسمع به يتيقّن بأنّه من صناعة أُستاذ ماهر حكيم، قد نحت كلّ الذي ذكرنا بالإرادة والنظر إلى الغايات، وكلّ أحد يقول في شأنه : ما أحسن صناعته وقدرته وحكمته ! ومن بني أيّ عصر هذا الأُستاذ ؟ ! فإنّه لا يوجد في عصرنا مثله أُستاذ ماهر قادر حكيم متمدّن !

عبد الله : نعم، كلّ عاقل يتيقّن بذلك، وما أنا بمنكر لليقين فيما تذكره وأمثاله، ولكنّي أسأل عن سبب اليقين وميزانه ؟ وأسألك أيضاً عن ميزان اليقين مهما كرّرت بالأمثلة !

رمزي : إنّ الإنسان الموقّر الموزون ـ في الظاهر ـ إذا تكلّم بكلام، أو عمل عملاً، فإنّه لا يحمله الناس على السُكر واختلال الشعور، أو الهذيان، أو المسخرة والعبث ؛ بل يحمل بظاهره على السلامة والصحّة، وأنّ كلامه صدر عن شعورٍ وقصدٍ للغاية .

هل أنت غير مُتربٍ في الناس ؛ لكي تعرف الحال ؟ !

وهل بعد هذا البيان تسأل عن سبب اليقين وميزانه ؟ !

عبد الله : يا صاحبي لا تنزعج، فإنّه لا يخفى أنّ ظاهرَ الحالِ ظاهرُ الصحّةِ والسلامة الوقار، أتمنّى صحّته وسلامته، أُعيذه من المرض واختلال الشعور، حاشاه من السخريّة والاستهزاء .

هذه كلّها لا توجب اليقين الذي نتكلّم فيه، وإنّما توجب شيئاً من الظنّ المبنيّ على الظاهر، وإنّي أسألك عن السبب الذي يوجب اليقين والميزان المميّز .

وأيضاً ، فإنّ المجانين الذين يكثر منهم الهذيان والكلام، الذي لا يصدر عن قصدٍ لغاية، نجد أنّهم ـ في أثناء ذلك ـ يتكلّمون بكلام يتيقّن سامعوه ـ حتّى الأطفال ـ بأنّهم تكلّموا به لغرض معقول وقصدٍ للغاية .

وقد يتكلّم العاقل، الموقّر الموزون، الصحيح في الظاهر ، فيحصل اليقين ـ حتّى

للأطفال ـ بأنّه تكلّم عن اختلال شعور بهذيان فارغ لم يقصد به غايةً، أو تكلّم هازلاً أو متمسخراً.

إذن فما هو السبب لليقين فيما ذكرناه؟!

وما هو الميزان المميّز في ذلك وأشباهه؟!

فإنّ الوقار وظاهرَ الصحّة لم ينفعاك في الميزانيّة كما شرحناه!

وأيضاً: فإنّ الوقار وظاهر الصحّة، هذا الوجه الذي ذكرته أنت، لا يجري أصلاً حتّى في إفادة الظنّ، ولا ينفع في مثل ما ذكرته من الآلات الصوانيّة، والصور الصخريّة، والصخور الكبار المنحوتة على شكل دار أو مدينة؛ فإنّ واحداً من الناس لم يَر لها صانعاً أصلاً، فكيف تيقّن الناس أنّها من صناعة إنسانٍ ما، هو حكيم، صنعها بإرادةٍ وقصدٍ للغاية؟!

إذن فأسألك عن السبب لحصول اليقين في جميع هذه الأُمور وغيرها؟! وعن الميزان المشترك العامّ الذي نعتمد عليه في الأقوال والأفعال والموجودات، فيفيد اليقين بأنّها من إيجاد شاعر أوجدها بعلمه وقدرته وإرادته لأجل غاياتها؟!

فما هو السبب والميزان العامّ لليقين في الجميع؟!

رمزي: لو أنّ الناس يرتّبون الأثر على احتمال السكر والجنون والعبث وعدم الشعور، لاختلّ نظام المعيشة والاجتماع في العالَم! ولكنّ الناس لأجل ضرورات تعيّشهم ونظام اجتماعهم يُضطَرّون إلى عدم الاعتناء بهذه الاحتمالات، فهل تسأل أيضاً عن سبب اليقين وميزانه؟!

عبد الله: ضرورة التعيّش، ضرورة الاجتماع الاضطراب، هذه كلّها لا توجب اليقين، ولا تكون سبباً له، بل إنّما تُلجئ المضطرّ إلى العمل على الظنّ والشكّ إلجاءً.

وأيضاً: لا ربط لهذه الضرورة بحال ما وصفته أنتَ من الآلات الصوانيّة والصور والدور الحجريّة!

فإنّه لا يُضطرّ أحد في معيشته وحياته واجتماعه إلى البناء على أنّ صانعها إنسان

شاعر قاصد للغاية، لا ناموس الاستحجار!

إذاً فمن أين، وبأيّ ميزان حصل ذلك اليقين الذي ذكرته في أمثلتها؟!

وإنّي أُعيد وأُعيد عليك قولي المتقدّم، وأسألك قائلاً: ما هو السبب والميزان لليقين المذكور في هذه الأُمور وغيرها؟!

رمزي: إنّ تكرار سؤالك واضطهادك للحقيقة قد أضجرني، مع أنّ سبب اليقين المشترك والميزان العامّ له في جميع الأُمور ظاهران متجلّيان لمن له فطرة سالمة من تلويث الهوى والعصبيّة.

نعم، إنّ تكرار سؤالك قد اقتضى تمحيص الحقيقة وتجلّيها بمظهرها الحقيقي ووجهها الوضّاح وصراحة البيان؛ فدع العناد جانباً، وأصغِ إلى بياني بسمعك وقلبك وصفاء فطرتك، وحقّق ما شئت فيما أقوله!

## الميزان العادل الحقيقي العامّ

هل ينبغي أن يخفى على ذي شعور أنّ كلّ موجود يكون وضعه وأوضاع أجزائه وتركيبه وترتيبه ونظمه مرتبطةً بالفوائد والمقاصد والغايات؟

فإنّ هذا الارتباط الذي يُعرف منه يكون دليلاً على أنّ ذلك الموجود بمزاياه الخاصّة هو من إيجاد عالِمٍ بفوائده، متصوِّرٍ لغاياته؛ ولأجل تلك الفوائد والغايات أوجَدَ بإرادته وقدرته ذلك الموجود.

وكلّما ازدادت المعرفة بارتباط ذلك الموجود بالغايات ـ باعتبار وضعه وأجزائه وشؤونه وشرف غاياته وفوائده ـ ازداد العِلم قوّةً بأنّ صانعه عالِمٌ بفوائده، وقد صنعه لأجلها إلى أن يبلغ العِلم أعلى مراتب اليقين.

ويزيد ذلك بياناً ووضوحاً إذا تعدّدت أمثال ذلك الموجود وأفراد نوعه، وهي جارية على ذلك التركيب والترتيب، والوضع، والمزايا المرتبطة بالغايات على قانون واحد.

فإنّه لو كان ما وجدوه في الحفريات من الآلات والصور الحجريّة من كلّ نوع فرداً واحداً لَما بلغ اليقين بأنّها صنع إنسان عالِم صنعها لأجل غاياتها، كما بلغ من القوّة حينما وجدوا من كلّ نوع أفراداً كثيرةً، كلّها جارية على ما وصفناه من الارتباط بالغايات على قانون واحد.

ويزداد الحال وضوحاً وبداهةً إذا تتابعت في الأزمنة أفراد النوع بالوجود تتابعاً بكثرة، وهي بأجمعها جارية على ذلك الناموس وذلك القانون في التركيب والترتيب وسائر الشؤون المرتبطة بالغايات.

فإنّه يتجلّى من ذلك بالبداهة للبصيرة والرشد نورُ الدلالة على إرادة الموجِد، وحكمته، وقصده للغاية في إيجاده.

يتجلّى ذلك بنور اليقين، ويشرق للبصيرة والشعور بأضوإ من إشراق الشمس في رابعة النهار.

عبد الله: يا رمزي، قد ذكرنا لك آنفاً في حكاية ذلك الولد الشقيّ، أنّه قد جحد طلوعَ الشمس وضوءَها مع صحّة بصره وإشراق الشمس في ضحاها؛ فهل ينفع مع جحود العناد ما يتجلّى للبصيرة بمثل إشراق الشمس؟!

رمزي: إنّا الآن نتكلّم في مقام عرفان الحقيقة بدلائلها المتجلّية، ونتّبع البيان بشرف الإنسانيّة و زينة الفضيلة.

وأمّا جحود العناد والأهواء، فهو داء لا دواء له، وإذا لم يردع عنه الشرف والحياء فهو الداء المهلك!

عبد الله: إذاً فاثبت على هذا المبدأ الصالح، وعُدْ إلى بيانك يا رمزي.

رمزي: أُكرّر البيان وأقول: كلّما ازداد ارتباط الموجود بالغايات ظهوراً ووضوحاً بحسب تركيبه ووضعه وأجزائه وشؤونه وكثرة أفراده وتكرّر مواليد نوعه، فإنّ دلالته على عِلم الموجِد وحكمته في إرادته وقصده للغاية تزداد أيضاً وضوحاً وبداهةً إلى أن تصل إلى حدٍّ لا يختلج فيه الشكّ.

وأمّا الجحود العنادي، فإنّه يفضح صاحبه ويبيّن أنّه عديم الشرف والحياء وإنْ كثر أصحابه والمحبّذون لعناده وضلاله.

وإن اختلج في ذهنك الشكّ فيما ذكرته لك، فإنّي أُعزّز البيانَ بذِكر بعض الأمثلة:

١ ـ إذا رأيتَ قطعتين من الحديد متّصلتين بنحو الذكر والأُنثى ـ نر، مادة[1] ـ بمحور مناسب يدوران عليه على وفق الغرض والحاجة في الاستعمال، مثقوبتين بثقوب مناسبة منتظمة تناسب وضع المسامير أو البراغي فيها حسب الحاجة، فإنّك لا تجد أحداً يشكّ في كونهما صنعَ حكيمٍ بإرادته لأجل منافعها وغاياتها.

٢ ـ وإذا شاهدتَ جهازاً من آلة الرسم ـ الفوتوغراف ـ وذلك الجهاز موضوع على محلّ مرتفع في غرفة بقدره، وهي في غاية المتانة والكفاية لحفظه ونجاح عمله، لها باب متقن ذو مصراعين، وآلة تفتح الباب عند الحاجة وتسدّه عند الاقتضاء، وتدير الجهاز إلى مقابلة الشبح؛ لكي يأخذ صورته ورسمه.

وذلك الجهاز لا يحتاج في أعماله المتكرّرة إلى تغيير الزجاجة، بل فيه قوّة تزيل الصورة عنه بعد زمان يسير وتودعها في مستودع آخر لوقت الحاجة إليه.

فبحسب ارتباط هذا الجهاز ومزاياه في وضعه وأجزائه وتركيبه بالغايات والفوائد الكبيرة، يكون من الضروري أن يحصل لك اليقين من دون أدنى شكّ بأنّ هذا الجهاز من صناعة عالِمٍ حكيم، صنعه بحكمته وإرادته لأجل غاياته وفوائده الكبيرة.

يحصل لك اليقين بذلك حتّى لو وجدته في برٍّ لا يذكر التأريخ وجود بشر فيه.

٣ ـ يا صاحبي، وإنّك ترى الهاتف ـ التلفون ـ وتعرف فوائد أجزائه وحكمة تركيبه.

٤ ـ وترى صندوق الأصوات ـ الفونغراف ـ وتعرف فوائد أجزائه وحكمة تركيبه.

فهل يختلج في ذهنك أن لا يكون موجِدهما حكيماً أوجدهما بإرادته لأجل غاياتهما التي تَصوَّرها؟!

---

١. نر و مادّة ـ لغتان فارسيّتان ـ يعني الذكر والأُنثى.

٥ ـ إذا رأيتَ جهاز الكيمياويّين واشتماله على أجزاء متعدّدة وأوضاع مختلفة، من أقسام القدور والإنبيق وآلات الحرارة، والآلات المقطّعة والطاحنة للمعمولات التي تُلقى في القدر الأوّل ليعمل عمله، ثمّ تُلقى بأحسن تدبير من قدر إلى قدر، وهكذا.

وفي أثناء ذلك تعمل فيه أعمال ذلك الجهاز أعمالها، من العصر والتصفية وأنحاء التصعيد والتقطير والتحليل والعقد واستخراج الخلاصة وغير ذلك، وكلّ واحدة من هذه النتائج يودعها ذلك الجهاز في محافظ لائقة بها، ويصرفها في محالّ الحاجة من الاستعمال.

وفي أثناء ذلك تترامى آلاته بالفضول الضارّة إلى أن تخرجها من معملها.

ومن أجل مشاهدة هذا الجهاز وهذه الآلات بما لَها من الأوضاع والتراكيب الفلسفيّة المرتبطة بالأعمال الكيمياويّة ونتائجها المفيدة وغاياتها الشريفة في العلم، يكون من الضروري أن تتيقّن بأنّ هذا الجهاز من صناعة عالِم حكيم، ومن نتائج الإرادة والقدرة وقصدِ الغاية.

٦ ـ وأيضاً: إذا نظرتَ إلى طلمبا ـ مضخّة ـ تجذب من طرف، وتعطي مجذوبها من طرف آخر إلى أُنبوب كبير متدرّج في التشعّب والانقسام إلى أنابيب كثيرة ـ كانقسام جذع الشجرة إلى أغصان كثيرة ـ وكلّ أُنبوب له في محلّ التشعّب باب ذو مصاريع ينفتح وينسدّ بحسب الحاجة.

وما بين كلّ أُنبوبتين من الأغصان المتشعّبة أُنبوب احتياطي معترض واصل ما بين الشعبتين؛ لكي يوازن عملهما، ويقوم بالوظيفة إذا انسدّت إحدى الشعبتين، أو طرأ عليها عيب، فيعطي ذلك الأُنبوب ما فوق السدّ أو العيب.

ومع هذه الطلمبا «المضخّة» ـ لإدامة عملها ـ طلمبا أُخرى على ذلك النحو من التشعّب والأبواب والاحتياط، ولكنّها بعكس الأُولى في الجذب والدفع؛ فإنّها تجذب من أُنبوبها الكبير الجاذب من أغصانه وتدفع في وعاء آخر، وقد وُصِلَ ما بين هاتين المضخّتين بأنابيب ومضخّة أُخرى تديم عملهما وتقوم بعمل آخر كبير الفائدة.

٧ ـ وانظر إلى السيّارة ـ الأُتومبيل ـ وتَحقّق في وضعها وأجزائها وأوضاعها

العجيبة، وارتباط تركيبها وأوضاع أجزائها بالفوائد والغايات الكبيرة المشاهدة. وقل: كيف يتجلّى من ذلك لك اليقين بحكمة صانعها وإرادته وقصده للغاية؟ حتّى لو رأيتَ السيّارة في بيداء لا يذكر التأريخ أنّها طَرَقها بشر.

ولو قال لك أحدٌ: إنّ ما ذكرناه في الأمثلة لم يصدر عن شعورٍ وإرادة وقصد للغاية، بل صدر من صدفة الطبيعة العمياء، لَعدَدتَ ذلك القائل يزيد على البهائم في الجهل والحمق، أو أنّ له غرضاً لا يستحي معه من العناد ومكابرة البداهة.

لا تضجر ولا تملّ من كثرة الأمثال!

افرض أنّك ترى سيّارةً فيها ما ذكرناه من جهاز الرسم، والهاتف، وصندوق الأصوات، والجهاز الكيمياوي، والطلمبات، لكي يكون جهاز الرسم مع الهاتف وصندوق الأصوات، لأجل رؤية مدير السيّارة وسماعه.

والجهاز الكيمياوي مع الطلمبات، لأجل إيصال النتائج الكيمياويّة إلى جميع أجزاء السيّارة؛ لكي يكون بعض النتائج المذكورة بمنزلة الدهن والبانزين والماء في تحريك السيّارة.

وبعضها لإصلاح أجزاء السيّارة بجميع أنواعها من جميع ما ذكرناه فيها، تزيل عنها الصدأ وما فسد بالاستعمال ومرور الزمان وترمي بها إلى خارجها، وتوصل إلى جميع الأجزاء المذكورة ما يناسب أنواعها، لكي ينميها ويجدّد فيها خلفاً صالحاً يقوم مقام الفاسد الذي أُزيل عنها، تقوم بإصلاح ذلك كلّه بأنواعه، سواءً كان الجزء من حديد أو معدن آخر أو خشب أو قماش أو صمغ مرن.

يا صاحبي، إنّ الذي يشاهد هذه الأجزاء العجيبة، وهذه التراكيب الباهرة، وهذه الأعمال المدهشة، وارتباط الجميع ـ بالحكمة البالغة، والغايات الكبيرة ـ بهذا الارتباط الشديد الفائق، لابدّ من أن يغرس ذلك الارتباط في فكره حقّ اليقين بأنّ صانعها صنعها بإرادته وحكمته لأجل غاياتها.

وماذا تقول إذا رأيت أُلوفاً من السيّارات على النهج الذي ذكرناه في فرض صنعها،

وعلى ذلك القانون في الوضع والارتباط بالغايات والحكمة ؟

يا صاحبي ، بهذا السبب يحصل اليقين بشعور الموجِد أو المتكلّم وإرادته الجدّيّة وقصده للغاية .

وهذا هو الميزان العادل لحصول اليقين .

وهذا الميزان غير مختصّ بالأفهام العالية، بل إنّ عمل البشر من الصغير والكبير على ذلك، بل حتّى الأطفال والمجانين ؛ فإنّهم أيضاً بهذا الميزان يميّزون بين الجدّ والهزل، والقصد والغفلة، من أقوال أوليائهم وأعمالهم .

فهل بعد هذا البيان وتحقيق الميزان تقول : « ما هو السبب في حصول اليقين ؟ وما هو الميزان ؟ ومن أين أعرف أنّ كلامك عن شعورٍ وقصدٍ وجدّ ؟ ».

عبد الله : يا رمزي ، هذا البيان، وهذا الميزان، وهذا الاحتجاج، هل تقدر أن تطبّقه على ميزان المنطق ؟

رمزي : نعم ؛ لأنّا نقول : هذا الشيء ـ أو هذا الكلام ـ بوضعه وأجزائه وتركيبه ومزاياه، مرتبط بالغايات ببداهة الشعور والحسّ ، وكلّ ما كان كذلك، فبالبداهة الفِطريّة يجب أن يكون موجِده عالِماً بالغايات، قد أوجده بإرادته لأجل غاياته .

إذاً فهذا الشيء يجب أن يكون موجِده عالِماً بغاياته، قد أوجده بإرادته لأجلها .

وهذا القياس يجري في كلّ ما ذكرناه من الأمثلة وغيرها ممّا يرتبط بالغايات، سواءً كان كلاماً أم فعلاً أم شيئاً موجوداً كالآلات الصوانيّة وما ضاهاها، خصوصاً ما كان مستعملاً في الغايات الكبيرة من بدء وجوده .

## الوجود على طِبق القوانين

عبد الله : يا رمزي ، وهل تقدر أن تؤكّد احتجاجك هذا بوجه آخر ، وتجري فيه على ميزان المنطق ؟

رمزي : أجل ، كلّ واحد من هذه الأمثلة التي ذكرنا وأمثالها إذا رأيتَ لنوعه أفراداً

كثيرةً كلّها جارية في وجودها أو أوضاعها أو أحوالها أو أجزائها على قانون منتظم، فإنّ جريانها على القانون يدلّ على أنّ موجِدها عالِم قد طبّق شؤونها بعلمه وقدرته على القانون المعقول له.

وكذا إذا رأيتَ موجوداً واحداً جارياً في أحواله، أو أوضاعه، أو حركاته على قانون منتظم.

عبد الله: من أين هذه الدلالة؟!

رمزي: لأنّ القانون إنّما هو عنوان كلّي من الأُمور المعقولة التي لا يتحقّق لها وجود ولا كيان إلّا في معمل العقل، بصناعة الإدراك المحيط بتطبيقاته.

نعم، قد تُرسم الإشارة إلى ذلك القانون للدلالة عليه في سجلّات القوانين وكلّيّات العلوم؛ ولكنّ القانون نفسه لا وجود له إلّا في العقل والتعقّل!

إذاً فكلّ موجود رأيناه جارياً في نوعه أو جهة من جهاته وأحواله وأعماله على قانون منتظم، علمنا ودلّنا ذلك على أنّ موجِدَه مدركٌ للقانون، وبإدراكه وقدرته طبّق إيجاده وشؤونه على ذلك القانون.

فإنّك إذا نظرتَ ـ على الأقلّ ـ من الأمثلة إلى ساعة صناعيّة واحدة، ورأيتَ في أيّام متعدّدة مسير عقاربها وتقسيمها للزمان جارياً على قانون سيّال منتظم، فلابُدّ من أنّك تعلم بالبداهة أنّ موجِدها مُدرك لقانون الحركة والتقسيم ومسير العقارب، وبإدراكه وقدرته في إيجادها طبق أوضاعها وأوضاع عقاربها ومسيرها على ذلك القانون السيّال المنتظم.

عبد الله: وهل تقدر يا رمزي أن تزن احتجاجك هذا بميزان المنطق؟

رمزي: أجل، فإنّا نقول: هذه الأشياء جارية في أنواعها وأجزائها وأعمالها على قانون كلّي منتظم؛ وذلك بالحسّ والمشاهدة وبداهة العلم؛ وكلّ ما كان كذلك يمتنع أن يكون وجوده غير مستند إلى مُدرِك للقانون، عالِم بتطبيقاته.

وذلك لِما أوضحناه من أنّ القانون والتطبيق عليه من الأُمور المعقولة، كما تقتضيه

البداهة والالتفات إلى كيان القانون وهويّته وهويّة التطبيق عليه.

إذاً فكلّ واحد من هذه وأمثالها يمتنع أن يكون إيجادها غير مستند إلى مُدرِك للقانون والتطبيق عليه، فلابُدّ من أن يكون موجِدُها عالِماً بالقانون، قد طبّق وجودها وشؤونها ـ بإرادته ـ على ذلك القانون.

عبد الله: لا تضجر إذا سألتك من باب التمحيص للحقيقة، ولا تغضب إذا قلتُ لك: إنّ ماكينة الحياكة توجد القماش على قانون منتظم في نسجه وتطريزه ووضعه، وكذا ماكينة المطبعة، فإنّها تطبع وتوجِد مطبوعاتها على قانون منتظم، إلى غير ذلك من الماكينات.

فهل تقول: إنّ الماكينة مدرِكة للقوانين المعقولة فأوجدت معمولاتها بالتطبيق على تلك القوانين التي تدركها هي؟!

رمزي: لا ينبغي أن يغيب عن الشعور أنّ الماكينة ليست هي الموجِدة للمعمولات، بل إنّما هي آلة للإيجاد على طبق القوانين، وكلُّ ذي شعور يرى تركيب أجزائها وجريان حركاتها وإعمالها على القوانين، فإنّه لا يشكّ بأنّ وجودها مستند إلى مدرك للقوانين وللتطبيق عليها.

وكلّ من يرى إعمالها ومعمولاتها جارية على القوانين، فإنّه لا يشكّ بأنّ إيجادها ووجودها وإعمالها ومعمولاتها إنّما هي من نتائج العلم بالقوانين والتطبيق عليها والقدرة على التطبيق، بل والعلم بالغايات والقدرة على إيجاد ما يصلح لها.

أوَلا تعلم؟! أوَلا تسمع بأنّ هذه المصنوعات في التمدّن الحديث إنّما هي من آثار العلم، ومظهر من مظاهر مجده؟! وما ذلك إلّا لجريانها على القوانين ودلالة هذا الجريان على أنّ إيجادها إنّما هو نتيجة العلم بالقوانين والغايات.

يا صاحبي، وهل لك بعد هذا البيان وهذين الميزانين سؤال وكلام في الدلالة على شعور الموجِد أو المتكلّم وإرادته وقصده للغاية؟!

هذين الميزانين البديهيّين اللذَين لا يشكّ في ميزانيّتهما وبداهتهما إلّا فاقد الشعور، ولا يجحد ذلك إلّا عديم الشرف، ساقط الإنسانيّة.

# خِلقة العالَم
## ودلالتها على أنّ صانعه إله حكيم عليم

عبد الله : أقول لك ولأمثالك ـ مع كمال الأسف عليكم ـ : إنّ الإنسان الذي يبني في أُموره يقينه بإرادة الموجِد وعلمه وقصده للغاية على هذا الأساس، ويزنه بهذين الميزانين العادلين، ويعرف أنّهما الميزانان الفِطريّان اللذان جرى على ميزانيّتهما كلُّ ذي شعور، حتّى الأطفال والمجانين.

ويُمثّل لبداهة اليقين بحسب هذه الموازين بالأمثلة المتقدّمة، ويتكلّف في أمثلته بفرض سيّارة موهومة.

هذا الإنسان ـ ويا للعجب! ـ كيف يغفل أو يتغافل ويغمض عينَي بصيرته وفطرته عن أوضح الأُمور وأجلاها في ذلك؟!!

ألا وهي خلقة هذا العالَم الكوني الكبير، وخصائص موجوداته وأجزائها وأحوالها، ومواليده المتماثلة بالناموس، والمتّحدة في جريانها على قانون.

وكيف يُغفل أو يُتغافل عن صغير الموجودات، وكبيرها، وأجزائها، وتراكيبها، ومزاياها، وبداهة ارتباط كلٍّ منها بأحسن الغايات على أحسن ارتباط وأوضحه، ووضوح جريانها على القوانين الفائقة البديعة بأتقن جريان باهر؟!

فأين مضى ذانك الميزانان العادلان الفطريّان؟! ماذا صنع الدهر بهما؟!

نعم، مرض الأهواء وأغراض النفوس يبعثان في تسويلهما على مغالطة الفطرة والبداهة والتقهقر عنها!

يا صاحبي يا رمزي، لا أمضي بك بعيداً فأتكلّم معك في الحكمة الباهرة والغايات الكبيرة، والقوانين الشريفة، فـي خـلقة الشـمس، وشأن مـنطقة البـروج وخـصائص المدارات وفوائدها، أو في خلقة القمر ومسيره، أو الأرض وما ينسب لها من الحركات، أو الجبال وخصائصها وعيونها، أو البراكين وأسبابها وغاياتها، أو البـحار وتـيّاراتـها الحارّة والباردة ومخارجها وتوجّهاتها وأعمالها وغاياتها، أو في خلقة السحاب والمطر والنبات والأشجار، وحسن انتظام العالَم وجريانه دائماً على القوانين والغايات.

بل لنترك الكلام فعلاً في هذا كلّه وإنْ كان العالَم ـ بموجوداته وأجزائه وغاياته ـ يهتف بذلك، فلا تتعب ذهنك بالتعرّض له.

ولكن انظر وتبصّر في خلقتك أنتَ وكلّ إنسان، وجريانها على أبدع الصنع وأتقنه وأعجبه! مرتبطة بالغايات أيَّ ارتباط! وجارية على القوانين الفائقة أيَّ جريان! لكي تسمع من لسان حالها في ذلك هتافها باسم الإله الخالق العليم الحكيم.

فإنْ كانت الأهواء الوخيمة لا تهيج جحودك وفلتات العناد، فاسمع ما أقوله لك.

ألا وإنّ كلّ مثال ذكرتَه أنت للدلالة البديهيّة الفِطريّة على شعور الموجِد وإرادتـه وقصده للغاية، وبنيتَه على ما ذكرته أخيراً من الأساس للسبب والميزانَين لليقين، هذه الأمثلة كلّها ـ بأحسن وجه، وأحسن حكـمة، وأحسـن ارتـباط بـالغايات الكـبيرة، وأحسن جريان على القوانين الفائقة ـ بأجمعها موجودة في بدنك وبدن كلّ إنسان.

فهل نسيت قولك في كلّ واحد من أمثلتك أنّه كافٍ في الدلالة البديهيّة على إرادة الموجِد، وحكمته، وعلمه بالغاية، وقصده لها في إيجاده؟

إذاً فأصغِ لي، وتمسّك بشعورك وشرف إنسانيّتك؛ لكي أذكر لك أقلّاً أمثلتَك التي ذكرتَها أنت آنفاً:

١ ـ **القطعتان من حديد ونحوه**، الموصَلَتان بشكل أُنثىً وذكر ـ نر، مادة ـ

فانظر إلى أمثال ذلك في بدن الإنسان والحيوان بأحسن أوضاع صناعيّة جـارية على دقّة الحكمة في المناسبات اللازمة للحركة والعضو المتحرّك.

وإنْ شئتَ أن تراها على نحو التفصيل فانظر أقلّاً إلى مفاصل الذبائح وأوضاعها، من الرقبة إلى مفاصل الأكارع.

وتبصّر في رعاية المناسبات بحسب أوضاعها، واعجب من أسرار الحكمة والقدرة، وأنّ النرمادة الحديدة توصل بمحور من حديد تدور عليه، ولكن وضع هذا المحور في مفاصل الإنسان والحيوان مضرٌّ بحاله، مانعٌ من جملة من أوضاعه وما يراد منه، ومخالفٌ للحكمة ورعاية الغاية، فاقتضت الحكمة أن توصل المفاصل ونرماداتها بالرباطات التي لا يخفى كثير من حكمها.

٢ ـ **الدار الصخريّة** ومهما بالغت في وصفها وحسن صنعتها وترتيبها، فاعلم أنّ أوضاع بدن الإنسان والحيوان أعجب وأجلى في الدلالة على الحكمة والصناعة الباهرة؛ فإنّ كلّ ما قلته وفصّلته من أجزاء تلك الدار الصخريّة هو موجود في بدن الإنسان والحيوان، ويوجد فيه أكثر ممّا ذكرته وأكثر، بأتقن صناعة وأظرفها وأنسبها بالحكمة!

انظر أقلّاً إلى صناعة عظم الرأس؛ تعرف أنّ لمحلّ الدماغ أيّ صنعة عجيبة جارية على الحكمة!

وانظر إلى التجويف الحجاجي ـ محلّ العينين ـ واعرف ما له من حسن الصناعة المناسبة لمنفعة العينين وحكمتهما!

وانظر إلى فقرات الرقبة والظهر ـ محلّ النخاع ـ لكي تعرف بعض حكمتها وحسن صناعتها المناسبة لمنافع نوعها وأفرادها!

وحيث إنّ النخاع مثل سائر الأجزاء من البدن محتاج لأنْ تصل إليه الشرايين والأوردة، لأنْ تزوّده بالموادّ الغذائيّة المنمّية، وتزيل عنه فضول التحليل، فلأجل ذلك جعلت له حكمة الصانع ثقوباً مناسبةً في بعض محافظه من فقرات الظهر؛ لكي تنفذ منها الشرايين والأوردة إلى النخاع العزيز، العظيم الفوائد في الحياة.

وانظر إلى وضع الفم وأوضاع الأسنان بحسب الحاجة؛ لكي تعرف مواقع الحكمة! فإنّ جملةً من الأسنان معدّة للقطع، فجُعلت حادّة، وجُعل تركيب الفوقانيّة على

التحتانيّة على وضع المقراض؛ ولأجل توجيه الضغط عند الأكل إلى نقاط متعدّدة جُعل لها نحو اعوجاج وتدرّج في الغلظ من داخل اللثّة إلى خارجها، وذلك لئلّا يتوجّه الضغط بأجمعه إلى أُصولها فتصدم مراكزها.

وجملة منها أُعدّت للسحق والطحن، فجُعلت عريضة متقابلة قائمة على شعبتين أو ثلاث؛ كشعب السندان من أسفله؛ وذلك لأجل تثبيتها تحت الضغط وضرب بعضها ببعض؛ ولأجل توجيه الضغط ـ أيضاً ـ إلى نقاط متعدّدة.

ومن حيث إنّ الفوقانيّة معلّقة، جُعل لكلّ واحد منها ثلاث شُعب!

وانظر إلى الصدر والبطن والأضلاع الكبار والصغار؛ وهذه هي المعمل الكبير والمسكن الأنيق اللائق للقلب، والرئة، والكبد، وجذوع الشرايين والأوردة، وجهاز الهضم والتحليل، وأخذ العصارات والخلاصات والموادّ الغذائيّة، والنتائج اللازمة الحاصلة من الطعام والشراب والتنفّس، فكم ترى في هذا المعمل البديع من مخازن أنيقة لهذه النتائج الشريفة!!

وكم ترى من مساكن جميلة وغرف منظّمة ومتّكآت ليّنة على أحسن مناسبة لِما يحلّ فيها، تتّسع لأجل مناسبةِ أحواله، وتضيق!

ومن الممكن أن تطّلع على بعض ذلك وبعض حكمته، فاحضَرِ القصّابَ عندما يشقّ بطن الذبيحة ويخرج الكرش والأمعاء والقلب، وانظر إلى هذه كيف قد هيّأتِ الحكمةُ لكلّ واحد منها محلّاً مناسباً ومتّكأً ليّناً بصناعة عجيبة؛ إذ قد رتّبت تلك الغرف والمتّكآت من طيّات غلاف محكم مزوّد بتليين الدسومة، والذي يكلّله شحم البطن مساعدة على أعماله، وهو الغلاف المسمّى «بريتون» والمحيط بها، فكان بانعطافاته وطيّاته لكلّ واحد من هذه المذكورات بمنزلة الغرفة المجهّزة بفراش الحرير.

ولنقتصر في هذا المقام على هذا المقدار، الذي هو قليل من كثير.

وأيضاً: في بدن الإنسان والحيوان ثقوب كثيرة، صغيرة وكبيرة، تقوم بأعمال كبيرة، فتكون بمنزلة منافذ الدخان، وجاذبات الهواء، والمنافذ لخروج القذارات، وكلّ مخزن

وعِرق له باب ظريف الوضع والمصاريع، ينفتح وينسدّ بحسب الحاجة.

هذا ما يسعه هذا المختصر من البيان، والزيادة موكولة إلى ما دُوِّن في علم التشريح.

**٣ ـ جهاز الرسم ـ الفوتوغراف** ـ يا صاحبي، وكلّ الذي قلته فيه آنفاً وزيادةً، وزِد عليه فلسفة النظّارات المكبّرة والمقرّبة، هو موجود في عينَي الإنسان والحيوان بأعجب ممّا ذكرته وفرضته، وكلّه معروف في حكمة العينين والأجفان لعامّة الناس.

والعين هي التي تدور في طلب الشبح، وهي التي تنفتح أجفانها وتنطبق بحسب الحاجة، وهي التي يزول عنها رسم الشبح ويودع في مخزن التصوّر.

ولو نظرت إلى ما ذُكر في تشريح العينين وفلسفة طبقاتها، وهي: الصلبة مع جزئها القرنية، والمشيمة مع جزئها القزحيّة، والشبكيّة وفلسفة رطوباتها الثلاث وهي: المائيّة والبلّوريّة والزجاجيّة ـ مع الأوضاع المختلفة لهذه المذكورات، وفلسفة جمع النور وتكسيره، وفلسفة العضلات والأعصاب البصريّة والوريقات الغرباليّة والشرايين والأوردة ـ لرأيت من بدائع الحكمة شيئاً عجيباً مدهشاً!

مع أنّ جهاز الرسم والنظّارة المكبّرة والنظّارة المقرّبة ليس لها بدون العينين أثر، ولا كرامة!

**٤ و٥ ـ الهاتف ـ التلفون ـ صندوق الأصوات.**

وهذان ـ بأحسن ما يُتصوّر ـ موجودان في جهاز السمع والحافظة وجهاز التكلّم، ولا تحسب أنّ جهاز السمع منحصر بالدهليز الذي في الصماخ، أو أنّ جهاز التكلّم مختصٌّ باللسان!

فإنّ من جملة جهاز السمع: الطبلة، والعظيمات الثلاثة، والقنوات الهلاليّة، والحصى الأُذنية، والقوقعة الملتفّة بلفّة ونصف وقد رُكّب في جوفها نحو أربعة آلاف سهم.

ومن جهاز التكلّم: الحنجرة ذات الوضع العجيب، الذي يشير إلى مواقع الحكمة، ومنه أجزاء كثيرة، منها الغُدد والأنف، والذي ينظر في علم التشريح إلى ما ذُكر في جهازَي السمع والتكلّم من الأوضاع والحِكم الباهرة، فإنّه يعود من العجب مبهوتاً، مع

أنّ التلفون وصندوق الأصوات لا أثر لهما ولا كرامةبدون جهاز التكلّم وجهاز السمع.

٦ ـ **الجهاز الكيمياوي** وما شئت أن تقول فيه وفي بيان أجزائه وأدواته وأعماله ونتائجه فقُل، وزِد في البيان، ثمّ زِد، فإنّه لا يصل إلى جهاز هضم الطعام والشراب والتنفّس، وما في ذلك من الأجزاء والأوضاع والأعمال الباهرة، واستخلاص الأنواع الكثيرةالعجيبة من محلول وعصارة وخلاصة لأجل تنمية الجسد وإصلاحه في حياته.

**٧ ـ الطلمبات المتعدّدة وأنابيبها المتشعّبة وعرضيّاتها الاحتياطيّة.**

وكلّ ما ذكرته فيها، وأكثر وأحسن صنعاً وإتقاناً، هو موجود في القلب والرئة والشرايين والأوردة، بل وغيرها على أحسن مثال؛ فإنّ القلب له تجويفان، وهما متحرّكان دائماً بالانقباض والانبساط، فيكون كلٌّ منهما بانبساطه طلمبا جذب، وبانقباضه طلمبا دفع.

وعلى ذلك تجري الرئة أيضاً والشرايين النابضة دائماً، ويتشعّب كلٌّ من جذعَي الشرايين والأوردة إلى أغصان كثيرة سائرة في جميع أجزاء البدن أحسن سير وأعمّه وأتقنه، فيعملان أعمالهما الشريفة في الدورة الدمويّة وإيصال الموادّ المنمّية إلى أجزاء البدن، وفي سحب الفضول وتصفية الدم.

وللكلّ منها أبواب ومصاريع باهرة، لظرافتها وإتقانها في عملها، تنفتح وتنسدّ حسب الحاجة في الجذب والدفع.

وأمّا الأنابيب العرضيّة الاحتياطيّة فهي لا توجد إلّا في الإنسان والحيوان، وهي ما يسمّيه المشرِّحون بالتفَمُّمات المعترضة بين أغصان الشرايين والأوردة، أوجدتها الحكمة احتياطاً للدورة الدمويّة ودوام عملها إذا عرض للأغصان انسداد أو قطع!

وإن شئتَ أن ترى بعض هذه التفمّمات فانظر إلى ظاهر كفّيك؛ فإنّك تراها معترضة على العصب السائب على سلاميّات السبّابة والوسطى والبنصر.

وإنّ الشرايين والأوردة ليس فيها التواء ولا تعريج، ولكنّها في مقام تلتوي وتتعرّج كما تلتوي الحيّة في مسيرها، وذلك يكون في عروق الشفتين والرحم، رعايةً لانفتاح

الفم وكبر الرحم عند الحمل؛ فإنّها تتمدّد عند انفتاح الفم وعند الحمل. وتعود إلى حالها الأوّل عند انطباق الفم وصغر الرحم بالولادة.

ومشاهدة الأمر مختصّة بالمشرّحين، ولكن تمكن مشاهدة بعضه في العروق المتعرّجة حول فم الفرس ونحوه.

٨ ـ **السيّارة ـ الأُتومبيل** ـ اذكرها تفصيلاً، وزِد عليها بذِكر ماكينة السكّة الحديديّة وماكينة الخياطة والساعة وأمثالها، فهل تصل حكمتها وعجائب صنعها إلى أقلّ قليل من أنحاء الحكمة الموجودة في أجزاء بدن الإنسان وتراكيبه وأعمالها؟!

٩ ـ **السيّارة الفرضيّة الموهومة التي خيّلت أنّها تجمع هذه الأمثلة.**

وقد أتعبتَ فكرك في تصويرها بالوهم؛ لكي تمجّد حكمة صانعها وإرادته وقدرته في الصناعة، وتصل إلى أعلى مراتب اليقين البديهي بعلمه بالغايات وقصده لها في مصنوعه، وتحتجّ على ذلك بصنعته هذه وعجائبها.

يا صاحبي، ومهما صوّرتَ في وهمك في هذه السيّارة الفرضيّة، وزِد عليه، وزِد عليه، فإنّه موجود في بدن الإنسان والحيوان على أتقن صناعة وأوفقها بالحكمة والعلم، مع أنّ سيّارةَ بدن الإنسان الحقيقيّة مِن حكمةِ صناعتها الباهرة أن يتولّد منها سيّارة مثلها، وهكذا وهكذا في تناسلها.

وهذا قليل من كثير من بيان ما بلغه العلم من الحكم الباهرة، والصنع العجيب، ودلائل العلم، وقصد الغاية في خلقة الإنسان والحيوان وأبدانهما.

ولا زال علم التشريح يوماً فيوماً تنكشف له من ذلك بواهر الحِكم والفوائد الكبيرة.

يا صاحبي يا رمزي، إذاً فكيف لا يحصل لك اليقين بأنّ الإنسان والحيوان ـ أقلاًّ ـ مخلوقان لخالق مُريد عالم حكيم؟!

وهل تبلغ الأمثلة التي ذكرتَها أنتَ ـ في ارتباطها بالغايات، وجريانها على القوانين ـ ما بلغه بدن الإنسان والحيوان في أجزائه وتركيبه وأوضاعه؟!

أفلا يكثر العجب منك ومن أمثالك؛ إذ تقولون: إنّ الاتّصال في قطعتَي الحديد

«النرمادة» يدلّ على أنّهما صنع صانع مُريد للغاية، لتصوّره لها، ومع ذلك تقولون: إنّ خلقة الإنسان والحيوان العجيبة، وخلقة العالَم بأجمعه، مع ما فيه من عجائب الحكم على النواميس الباهرة، والقوانين العامّة المستمرّة، ودلائل العلم وقصد الغاية، هذه كلّها إنّما هي من صدفة الطبيعة العمياء عديمةِ الشعور؟!!

يا للعجب! أين الوجدان؟! أين الشعور؟! أين البداهة؟! أين الميزانان اللذان ذكرتَهما أنت؟! أين دليل المنطق؟! ماذا صنع الدهر بهما؟!

أنتَ الذي ضربت تلك الأمثلة آنفاً؛ فلماذا لا تتعجّب من نفسك في هذا المقام؟؟!!

رمزي: أمّا إذا لم تقف الشهوات أمامي، ولم تعبث بالفكر زوابع الأهواء، فإنّ كلّ الذي تقوله صحيح؛ فإنّ وجود الإنسان والحيوان والموجودات العالميّة بأوضاعها وأحوالها ونواميسها وقوانينها، تدلّ بأوضح البداهة ودليل المنطق على علم صانعها وحكمته وإرادته وقصده للغايات.

ولكن لماذا تسمّون هذا الصانع: «الله»؟! ولماذا تسمّون هذا الإيجاد خلقاً؟!

عبد الله: مرادنا من الخلق هو الإيجاد بالإرادة، والعلم بالغاية وقصدها.

والمراد من اسم «الله» هو مَن أوجد العالَم بإرادته وحكمته، وعلمه بالغاية وقصدها.

يا صاحبي! إنّك في كلامك الأخير موافق لنا في المعاني، فهل لك عداوة مع الألفاظ؟!

رمزي: يا عبد الله، إنّي لا يسعني في الشعور والأدب والشرف أن أجحد ما تقوله، ولكن اتركني لحالي، ولحرّيّة شهواتي ولذّاتي؛ فإنّي إذا ضممتُ صوتي إلى أصواتكم، وتجاهرتُ بالاعتراف بالإله وحكمته وكماله اللازم، فإنّك حينئذٍ تقول لي: كذا أمر الله، كذا نهى، افعل كذا، لا تفعل هكذا، لا تشرب هذا، اكفف عن هذه الأهواء، لا تَتَهَنَّ باللذّات، هذا حرام، هذا واجب، فتجعلني أسيراً مغلولاً مكبّلاً بهذه الحكومات.

عبد الله: عجباً يا صاحبي! إنّك في أوائل مكالمتنا قد تعجّبتَ من حالات السودان ووحشيّتهم ونشيدهم! فلماذا أراك في كلامك هذا تختار أحوالهم ومضامين نشيدهم على نحو صارت أحوالك وأقوالك تمثّل أحوالهم ونشيدهم؟! وتمثّل ذلك الولد الشقيّ

الذي قال: «لا أرى لي أباً، خرجتُ من ثقب الجدار!» فهلّا تقول منيباً للصلاح ومعتبراً بقول القائل:

ولقد نَهَزْتُ[١] مع الغُواةِ بِدَلْوِهم ... وأسَمْتُ سَرْحَ[٢] الطَرْفِ حيثُ أساموا

وبَلَغتُ ما بَلغَ امرُؤٌ بشبابِهِ ... فإذا عُصارةُ كلِّ ذاكَ أثامُ[٣]

وقول القائل:

لقدْ طُفْتُ في تلكَ المعاهِدِ كلِّها ... ورَدَّدْتُ طَرْفي بينَ تلكَ المعالِمِ

فلمْ أرَ إلّا واضعاً كَفَّ حاسرٍ ... على ذَقَنٍ أو قارعاً سِنَّ نادمِ[٤]

رمزي: يا عبدالله، اكفف الآن عن الملام، وأمثال هذا الكلام، ولا تشوّش علَيَّ حرّيّتي، ولا تكدّر علَيَّ صفاء لذّاتي؛ فإنّك لا تقدر ـ حالاً ـ على أن تأخذ أمام شهواتي، وإذا كان لي مبدأ اعتقادي فإنّه محوَّل إلى ضميري.

عبدالله: يُفهم من حالك وأمثالك الشهوانيّة أنّك سُفوري! فهل أنت ممّن يطالب بسفور النساء ويُجري دموعه من أجله؟!

رمزي: لا، لا، يا صاحبي! لا يصل توبيخك لي إلى هذا الحدّ، ولا تقابل صاحبك بالشتم المقذع وسوء القول، ولا تقل ما يمسّ بالغيرة والشرف؛ فلماذا تطعن بغيرتي وشرفي وأنا من بيت شريف وأُسرة كريمة؟!

---

١. نَهَزَ بالدلو في البئر: إذا ضرب بها إلى الماء لتمتلئ. لسان العرب ٥: ٤٢٢، «ن هز».

٢. أسمتُ السرح: إذا خلّيت الإبل ترعى حيث تشاء، والسائم والسرح: المال الراعي. لسان العرب ٢: ٤٧٨، «س رح» و ١٢: ٣١١، «س و م».

والمراد: أنّه خلّى نفسَه وهواها وملاذّها تذهب به حيث تشاء بلا وازع أو رادع.

٣. من قصيدة لأبي نؤاس (١٤٦ ـ ١٩٨هـ/ ٧٦٣ ـ ٨١٤م) يمدح بها الأمين العبّاسي، من بحر الكامل، وفيها: «اللهو» بدل «الطرف»، ومطلعها:

يا دارُ، ما فَعلَتْ بكِ الأيّامُ؟! ... ضامَتْكِ، والأيّامُ ليسَ تُضامُ

انظر ديوان أبي نؤاس: ٥٧٥.

٤. من قصيدة للأبيوردي محمّد بن أحمد القرشي الأُموي، المتوفّى سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، وهي من بحر الطويل، وفيها: «وسَيَّرتُ» بدل «وردّدتُ» و «حَيْرَةٍ» بدل «حاسِرٍ». انظر ديوان الأبيوردي: ١٣٨.

عبد الله: ما هذا الغيظ منك؟! ويا للعجب! ومع أنّك عبد الشهوات ولا تبالي بالتهتّك، كيف غضبت من هذا السؤال هذا الغضب؟! فقل لي ما هو السبب في غيظك بهذه الشدّة من هذا السؤال؟!

رمزي: وهل يخفى على أحد أنّ دعوة السفور لا تنفكّ ـ على الأقلّ ـ عن ثلاث صفات؛ إحداهنّ تُناسِب شهوانيّتي، ودوام التذاذي بالآنسات السافرات بما يتعاطَينه من الزيّ الأنيق والطراز البهيج؛ إذ يتخاصفن[1] في الشوارع كأسراب[2] الريم[3] الأوانس[4]، مزوَّدات بلِين العَريكة[5]، وخفّة المداعبة، وسهولة الانقياد، يمثّلن بالترنّح ما لمحاسنهنّ من الخَدالة[6] والهَيَف[7] والارتجاج[8] والمَيْس[9]، بوجوه كالأقمار، وصدور كالمرايا، وأجياد كأباريق فضّة، وشعور كسبائك الذهب.

أو كما نشره المتأنّثون من السفوريّين باسم الآنسة «نضيرة» السفوريّة، في كتاب السفور، المطبوع في بيروت سنة ١٩٢٨، في صحيفة ٢٥٤:

---

١. كذا في الأصل، وفي القرآن: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ الأعراف (٧): ٢٢.
ولعلّها تصحيف: يتحاصفن ـ بالحاء المهملة لا المعجمة ـ وأحصف إحصافاً: إذا مَرَّ مرّاً سريعاً وأسرع في عَدْوه. الصحاح ٤: ١٣٤٤؛ لسان العرب ٩: ٤٨، «ح ص ف».
أو تصحيف: يتخاطفن، أي يمررن مرّاً سريعاً. لسان العرب ٩: ٧٥، «خ ط ف».

٢. أسراب، جمع سِرْب: القطيع من الظباء ومن النساء. لسان العرب ١: ٤١٣، «س ر ب».

٣. الرِيم: الظَبي الأبيض الخالص البياض. لسان العرب ١٢: ٢٦٠، «ر ي م».

٤. جارية آنسة: إذا كانت طيّبة النفْس تُحبّ قُربَك وحديثَك، وجمعها آنِسات وأوانِس. لسان العرب ٦: ١٥، «أ ن س».

٥. العريكة: الطبيعة، وليّن العريكة إذا كان ليّن الخُلُق سلساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف والنفور. لسان العرب ١٠: ٤٦٦، «ع ر ك».

٦. الخَدالة من المرأة: امتلاء الساقين والذراعين. لسان العرب ١١: ٢٠١، «خ د ل».

٧. الهَيَف ـ بالتحريك ـ: رقّة الخصر وضمور البطن، والهِيْف ـ جمع: أهيف وهيفاء ـ: وهو الضامر البطن. لسان العرب ٩: ٣٥٢، «هـ ي ف».

٨. الرَّجُّ: التحريك، والارتجاج: مطاوعة الرجّ. لسان العرب ٢: ٢٨١ ـ ٢٨٢، «ر ج ج».

٩. الميس: التبختر. لسان العرب ٦: ٢٢٤، «م ي س».

وقد اطّرحن الملاءات والخرق، وظهرن بأثواب وقلائد كأنّهنّ ملائكة من بشر، يسعين لجعل الأرض جنّات تجري من تحتها الأنهار، تشرح القلوب والصدور، وتسرّ الأرواح والأبصار.

فأكون كما تمنّوه في صحيفة ١٧٧:

قد جعلت يدي بيد السافرة، نتبادل احترام المغازلة، فكراً وقولاً وفعلاً، سائرين في طريق الـ... بوجوه طافحة بماء الـ...!

«فظُنَّ خيراً ولا تسألْ عن الخَبرِ»[١]؛ فإنّ السفور يكون شبكاً عموميّاً لصيد الأوانس، لا يحتاج معه إلى كلفة الفخاخ والحبائل الخصوصيّة، ولا أخاف فيه رقيباً ولا غيرةً، غير أنْ «خلا لكِ الجوّ فبيضي واصفري»[٢].

عبد الله: إذا كان هذا الحال يروق لك، وتحبّذه شهوانيّتك؛ فلماذا انزعجتَ من سؤالي إلى ذلك الانزعاج؟!

رمزي: انزعجت من أجل ما يلزم لطلب السفور من الصفات الأُخر الذميمة!

ولأجل نفرتي منها ومخالفتها للغيرة وانزعاجي من سؤالك، اقطع الكلام حالاً على هذا المقدار، ولعلّما يسكن غيظي فتسنح الفرصة للكلام في بيان تلك الصفات الذميمة، وفي مفاسد السفور فلسفيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً ودينيّاً وإنسانيّةً.

فإنّي أعلم أنّك تطيل معي الكلام؛ لكي تستخرج ما في ضميري، وتمحّص الحقيقة، فأمهلني في ذلك.

---

١. عجز بيت صدره: «فكان ما كان ممّا لستُ أذكرُهُ» والبيت لابن المعتزّ (٢٤٩ ـ ٢٩٦ هـ/ ٨٦١ ـ ٩٠٨ م) من قصيدة في الغزل، من بحر البسيط، مطلعها:

سقى المَطيرةَ ذاتَ الظلِّ والشجرِ ودير عبدونَ هطّالٌ منَ المطرِ

انظر ديوان ابن المعتزّ: ٢١٩.

٢. عجز بيت صدره: «يا لكِ من قُبَّرَةٍ بمَعْمَرِ» والبيت لطرفة بن العبد (٦٠ ـ ٨٦هـ/ ٥٣٨ ـ ٥٦٤ م) من قصيدة، من بحر الرجز، قالها لمّا نصب فخّاً للقنابر فلم يصد شيئاً، فلمّا ارتحل رأى القنابر تلتقط ما نثر لها من حَبٍّ. انظر ديوان طرفة بن العبد: ٤٦.

عبد الله: وهل تسمح نفسك بأن نتكلّم في المهمّات من التعاليم الأساسيّة الحقيقيّة في سعادة الإنسان ومدنيّته الصالحة وكماله وحسن أخلاقه وكرامة مستقبله؟!

رمزي: إنّك تريد الكلام في الدين والشريعة والرسالة؛ لكي تستعين باعترافي بذلك على أن تحبسني عن شهواتي وملاذّي!

ولكن لا منافاة؛ أُساعدك على الكلام والنظر الصحيح، وأمّا الانقياد إلى تعاليمك وحبسك لي فذلك إلى رأيي، فإنّ للعمل مقاماً، وللعرفان والاعتراف بالحقيقة شرفاً وكرامةً، فأمهلني، وما هو الذي يدعوك إلى الاستعجال؟! وما هذه الحرارة؟!

عبد الله:

هانَ على الواجِدِ طَعمُ الكَرى إنّ الفتى الساهِرَ ما غَمَّضا[١]

والله المستعان وهو حسبي وله الحمد أوّلاً وآخراً.

---

١. من قصيدة للشريف الرضيّ (٣٥٩ ـ ٤٠٦هـ / ٩٦٩ ـ ١٠١٥م)، يمدح بها الملك بهاء الدولة، ويعتذر إليه ممّا اتّفق في أمره في أوّل يوم من جمادى الأُولى سنة ٣٩٧، مطلعها:

كيف أضاءَ البرقُ إذ أومَضا منابِتَ الرِّمْثِ بوادي الغَضا

انظر ديوان الشريف الرضيّ ١: ٥٧٤.

(٣)

# مسألة في البَداء

تحقيق

محمّد الحسّون

## بسم اللّه الرحمن الرحيم
## وله الحمد وهو المستعان

إنّ اللّه ـ جلّ شأنه ـ قد اقتضت حكمته ولطفه بعباده ـ في دلالتهم على مقام إلهيّته في علمه وقَدَرِه وإرادته ـ أن يجعل نظام العالَم ـ في أحواله وأدواره ومواليده ـ مبنيّاً ـ نوعاً ـ على قوانين الأسباب والتسبيب في المسبّبات، المرتبطة بالغايات والحكم، والدالّة على قصدها.

وهو الخالق للسبب والمسبّب، والجاعل للتسبيب، وبيده الأسباب وتسبيباتها، في وجودها وبقائها وتأثيرها، وتحكيم بعضها على بعض، فقد يعدم السبب، وقد يبطل تأثيره، وقد يمنع تأثيره بسببٍ آخر، وقد يعدم ما يحسب الناس أنّه موضوع القانون المقرّر ويقيم غيرَه مقامه.

وهذا هو مقام البَداء والمحو والإثبات، وهو ـ جلّ شأنه ـ عالِمٌ منذ الأزل بما تؤدّي إليه مشيئته من المحو والإثبات، وهذا العلم هو: ﴿أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[1].

فالمحو: إنّما هو لِما لَه نحو ثبوتٍ بتقدير الأسباب وتسبيباتها، وسيرها في التسبيب.

وعلى ذلك يجري ما روي في أُصول الكافي في صحيحة هشام وحفص عن أبي عبداللّه عليه السلام: «هل يُمحى إلّا ما كان ثابتاً؟!» الرواية[2]؛ إذ لا يعقل محو ما هو ثابت

---

١. الرعد (١٣): ٣٩.

٢. الكافي ١: ١٤٧، باب البداء، ح ٢، وفيه: «وهل».

الوقوع بعينه في علم اللّه وأُمّ الكتاب.

وأمّا كون المراد من «المحو» هو إفناء الموجود، ومن «الإثبات»: إيجاد المعدوم أو إبقاء الموجود ـ كما ذُكر في صدر السؤال[١] ـ:

فيدفعه أوّلاً: أنّه خلاف ظاهر الآية الكريمة وسوقها؛ لأنّ استعمال «المحو» ومقابلته بـ«أُمّ الكتاب» إنّما يناسب مقام التسجيل والكتابة، التي هي كناية عن التقدير والتسجيل بسير الأسباب وإن كان نوعيّاً.

ولا يناسب في المقام إفناء العين الموجودة، مضافاً إلى أنّه عند إرادة الإفناء لا يبقى لقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[٢] معنىً تأسيسيٌّ ترتبط به أطراف الكلام في الآية، ويناسب ذِكر المحو والإثبات، كما لا ينبغي أن يخفى.

ويدفعه ثانياً: احتجاج الإمام عليه السلام بهذه الآية للبَداء، وكذا الكثير من استشهادات الأئمّة بهذه الآية.

❊ ❊

وأمّا البَداء فهو بمعنى الظهور، مأخوذٌ من: بَدا يَبْدو بَدْواً وبُدُوّاً وبَداءةً وبَداءً وبُدُوءاً، فيقال: فلانٌ بَدا له في الرأي: أي ظهر له ما كان مخفيّاً عنه، وفلانٌ برزَ فَبدا له من الشجاعة ما كان مخفيّاً عن الناس[٣].

فمعنى «بَدا» في المثالين واحد، ولكنّ الاختلاف فيهما جاء من ناحية «اللام» وربطها للظهور.

فالبَداء المنسوب إلى اللّه ـ جلّ شأنه ـ إنّما هو بمعنى المثال الثاني، أي ظهر للّه من المشيئة ما هو مخفيٌّ على الناس وعلى خلاف ما يحسبون.

---

١. يشير العلّامة البلاغي هنا إلى سبب تأليف هذه الرسالة، وهو ورود سؤال عليه عن البداء، فكتب هذه الرسالة جواباً على ذلك السؤال.

٢. الرعد (١٣): ٣٩.

٣. الصحاح ٦: ٢٢٧٨؛ لسان العرب ١: ٢٦، «ب د ا».

هذا ما يقتضيه العقل.

ويشهد له من صريح الأحاديث ما رواه في أُصول الكافي في صحيح عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام: «ما بَدا للّه في شيء إلّا كان في علمه قبل أن يبدو له»[1].

ورواية عمرو بن عثمان عنه عليه السلام: «إنّ اللّه لم يبدُ له من جهل»[2].

وصحيحة فضيل ـ الآتية ـ عن أبي جعفر عليه السلام [3].

وصحيحة منصور بن حازم: سألت أبا عبدالله عليه السلام: هل يكون اليوم شيءٌ لم يكن في علم اللّه بالأمس؟

قال عليه السلام: «لا، مَن قال هذا فأخزاه اللّه».

قلتُ: أرأيتَ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، أليس في علم اللّه؟!

قال عليه السلام: «بلى، قبل أن يخلق الخلق»[4].

أقول: وإنّ قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[5] ينادي بأنّ مقام المحو والإثبات هو غير مقام أُمّ الكتاب وعلم اللّه المكنون ومشيئته وإرادته الأزليّة، بل هو في مقام الظاهر في سير الأسباب وتسبيباتها.

فقد تقتضي مشيئته ـ جلّ اسمه ـ أن يمنع أسباب البقاء وطول العمر عن الزاني وقاطع الرحم، وقد يمنع الأسباب المهلكة عن واصل الرحم والمتصدّق والداعي مثلاً؛ فيمحو في هذه الموارد ما جعله لنوع الأسباب من التسبيب، وقد لا يمحوه في بعض الموارد لحكمة أُخرى، فيكون قد أثبته، أي أبقاه ثابتاً.

وقد يُراد من قوله تعالى: ﴿يُثْبِتُ﴾ أنّه يُثبت حين المحو خلاف المحو، واللّه العالِم.

---

١. الكافي ١: ١٤٨، باب البداء، ح ٩.

٢. المصدر.

٣. تأتي في ص ٨.

٤. الكافي ١: ١٤٨، باب البداء، ح ١١.

٥. الرعد (١٣): ٣٩.

قد كان الناس يحسبون أنّ إسماعيل بن الصادق عليه السلام هو الإمام بعد أبيه، لِما علموه من أنّ الإمامة للولد الأكبر ما لم يكن ذا عاهةٍ؛ ولأنّ الغالب في الحياة الدنيا وأسباب البقاء أن يبقى إسماعيل بعد أبيه عليه السلام، فبَدا وظهر بموت إسماعيل أنّ الإمام هو الكاظم عليه السلام؛ لأنّ عبدالله كان ذا عاهة، فظهر للّه[1]، وبَدا للناس ما هو في علمه المكنون.

وكذا في موت محمّد بن الهادي عليهما السلام، حيث ظهر للشيعة أنّ الإمام بعد الهادي هو الحسن العسكري عليه السلام، وهذا الظهور للشيعة هو الأمر الذي أحدثه اللّهُ بموت محمّد، كما قال الهادي للعسكري عليهما السلام عند موت محمّد: «أحْدِث للّه شكراً، فقد أحْدَثَ فيك أمراً»[2].

فالإمامة ثابتة للكاظم والعسكري منذ الأزل، وقد جاء في الأحاديث البالغة حدّ التواتر ـ أو ما يقاربه ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة ممّن هو قبل الكاظم والعسكري عليهما السلام ما يتضمّن النصّ على إمامتهما في جملة الأئمّة عليهم السلام[3]، وقد ذكر بعض هذه الأخبار بنحو الإشارة إليها في كتاب نصائح الهدى[4].

وإلى ما ذكرناه في معنى البَداء والمحو يرشد ما رواه في أُصول الكافي: كصحيحة زرارة عن أحدهما عليهما السلام: «ما عُبِدَ اللّهُ بشيء مثل البَداء»[5].

ومعتبرة هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام: «ما عُظِّمَ اللّهُ بشيء مثل البَداء»[6].

---

١. أي من اللّه.

٢. الكافي ١: ٣٢٦، باب الإشارة والنصّ على أبي محمّد عليه السلام، ح ٤، ٥، ٨.

٣. انظر: الكافي ١: ٣٠٧ ـ ٣١١، باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى عليه السلام، و ٣٢٥ ـ ٣٢٨، باب الإشارة والنصّ على أبي محمّد عليه السلام؛ كفاية الأثر: ٢٥٥ ـ ٢٦٣ و ٢٨٢ ـ ٢٨٨؛ الإرشاد ٢: ٢١٦ ـ ٢٢٠ و ٣١٤ ـ ٣٢٠؛ إعلام الورى: ٢٩٤ ـ ٣٠٠ و ٣٦٧ ـ ٣٧٠.

٤. راجع نفس الجزء السادس من الموسوعة، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧، نصائح الهدى.

٥. الكافي ١: ١٤٦، باب البداء، ح ١.

٦. المصدر، ذيل الحديث ١. وفيه: «ما عُظِّمَ اللّه بمثل البداء».

وصحيحة الريّان عن الرضا ﷺ: «ما بَعث اللّه نبيّاً قطّ إلّا بتحريم الخمر وأن يقرّ للّه بالبَداء»[١].

ونحوها معتبرتا مرازم[٢] وجهم[٣] عن أبي عبداللّه ﷺ.

فإنّ الاعتراف بمجرّد أنّه يظهر للّه من الأُمور ما لم يكن محتسَباً ـ بل كان المحتسَب غيره ـ ليس له أهمّيّة بالنسبة إلى جلال اللّه.

إذاً، فالفضل المذكور والأهمّيّة الكبرى للاعتراف بالبَداء ما هو إلّا لأنّه يرجع إلى الاعتراف بحقيقة الإلهيّة، وأنّ المُوجِد للعالَم إنّما هو إله موجِد بالإرادة والقدرة على مقتضى الحكمة، متصرّفٌ بقدرته بما يتراءى من العلل وتعليلاتها التي هي من صنعه وإيجاده، والخاضعة لتصرّف مشيئته فيها، لا أنّ وجود العالَم منوطٌ بالتعليلات الطبيعيّة، ومحض اقتضاء الطبيعة العمياء، فاقدة الشعور والإرادة، تعالى اللّه عمّا يقولون.

وعلى ذلك تجري صحيحة محمّد بن مسلم عن أبي عبداللّه ﷺ: «ما بعث اللّه نبيّاً حتّى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار [له][٤] بالعبوديّة، وخلع الأنداد، وأنّ اللّه يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء»[٥].

فالبَداء، وأنّ اللّه يمحو ما يشاء ويثبت، وعنده أُمّ الكتاب، يكون الاعتراف بحقيقتها المعقولة ومدلول الأحاديث، هو الفارق بين الإلهيّة والطبيعيّة، وهو الفارق بين الاعتراف بحقيقة الإلهيّة وبين المزاعم المستحيلة في مسألة العقول العشرة المبنيّة على

---

١. المصدر: ١٤٨، باب البداء، ح ١٥.

٢. المصدر، ح ١٣. قال مرازم: سمعتُ أبا عبداللّه ﷺ يقول: «ما تنبّأ نبيٌّ قطّ حتّى يقرّ للّه بخمس خصال: بالبداء، والمشيئة، والسجود، والعبوديّة، والطاعة».

٣. الكافي ١: ١٤٨، باب البداء، ح ١٤. قال جهم ـ عمّن حدّثه ـ: قال أبو عبداللّه ﷺ: «إنّ اللّه عزّ وجلّ أخبر محمّداً ﷺ بما كان منذ كانت الدُنيا، وبما يكون إلى انقضاء الدنيا، وأخبره بالمحتوم من ذلك، واستثنى عليه فيما سواه».

٤. أثبتناها من المصدر.

٥. الكافي ١: ١٤٧، باب البداء، ح ٣.

التقليد الأعمى للفلسفة اليونانيّة ومزاعم أوهامها، مع الخبط في أمر الإيجاد بالإرادة والتعليل الطبيعي.

ثمّ إنّ مقتضى دلالة العقل والنقل هو أنّ البَداء والمحو لا يقعان فيما أخبر اللّهُ به أنبياءَه وأوصياءَهم وأخبروا به عنه جلّ اسمه.

أمّا دلالة العقل فلأنّ وقوع ذلك يستلزم عدم وثوق الناس بهم وبأخبارهم، وحمل الناس لهم على الجهل والكذب على اللّه، فيسقط محلّهم، وينتقض الغرض من نصبهم للنبوّة والإمامة، ونقض الغرض قبيح ومحال على اللّه جلّ اسمه.

وأمّا النقل فمنه ما رواه في أُصول الكافي في صحيحة الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام: «العِلم عِلمان: فعِلم عند اللّه مخزون لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علّمه ملائكته ورسلَه، فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه سيكون، لا يكذّب اللّه نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون يقدِّم منه ما يشاء، ويؤخّر منه ما يشاء، ويثبت ما يشاء»[1].

ونحوها صحيحته الأُخرى عن أبي جعفر عليه السلام[2]، ورواية أبي بصير عن أبي عبداللّه عليه السلام[3].

وأيضاً: أنّ الأنبياء والأئمّة لا يخبرون عن المغيّبات من اطّلاعهم على الأسباب وقوانينها، التي هي معرض للبَداء والمحو ـ كما يسمّيها الناس بـ«النفوس الفلكيّة والألواح القدريّة» إنْ هي إلّا أسماء ـ فإنّه اعتماد على الظنّ، وهو خلاف وظيفتهم الكريمة، ويلزم من ذلك أن يجعلوا أنفسهم معرضاً لعدم الوثوق بهم، وعدّ الناس لهم من الكاذبين حينما يظهر خلاف ما أخبروا به، وهذا نقضٌ لغرضهم في دعوة الناس إلى اللّه

---

١. المصدر، ح٦.

٢. المصدر، ح٧. قال الفضيل: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: «من الأُمور أُمورٌ موقوفة عند اللّه، يقدّم منها ما يشاء، ويؤخّر منها ما يشاء».

٣. المصدر، ح٨. قال أبو بصير: قال أبو عبداللّه عليه السلام: «إنّ للّه عِلمين: علم مكنون مخزون، لا يعلمه إلّا هو، من ذلك يكون البداء. وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه، فنحن نعلمه».

وإلى قبول أقوالهم وإرشادهم وتصديقهم، ونقض الغرض قبيح مستحيل على المعصوم.

إذاً، فلا يخبرون الناس بالغيب اعتماداً على الأسباب أو الألواح القدريّة ـ كما يقال ويزعم ـ وإن كانوا أكمل البشر في تلك العلوم.

وممّا يشهد لذلك ما روي عن أميرالمؤمنين ﷺ من قوله في بعض المواطن: «ولولا آية سبقت في كتاب اللّه ـ وهي قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ ـ لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة»[1].

يريد ـ صلوات اللّه عليه ـ أنّ هذه العلوم المستندة إلى سير الأسباب والتسبيبات والتقدير هو أعلم الناس بها، وأكملهم فيها، ولكنّه لا يعتمد عليها، ولا يخبر الناس بمداليلها؛ لأنّها مَعْرِضٌ للمحو.

**فالمحصّل ممّا ذكرناه:** أنّ المحو والإثبات في الآية الكريمة ليس المراد منها إفناء الموجود وإبقاءَه، أو تجديد موجود آخر.

وأنّ البَداء والمحو لا يتعلّق بما في أُمّ الكتاب، ولا بما يخبر اللّه به أنبياءه والأئمّة، ولا بما يخبرون به عن اللّه من أنباء الغيب، ولا يخبرون عمّا هو معرض للبَداء والمحو، صلوات اللّه وسلامه عليهم.

والحمد للّه أوّلاً وآخراً

١. انظر: التوحيد: ٣٠٥؛ أمالي الصدوق: ٢٨٠، المجلس ٥٥، ح ١؛ قرب الإسناد: ٣٥٣ ـ ٣٥٤، ح١٢٦٦.

(٤)

# التوحيد والتثليث

تحقيق

محمّد الحسّون

## بسم الله الرحمن الرحيم*

أمّا بعد، فقد سبرتُ[1] رسالتكَ فلم يقع النظر من فوارضـها عـلى مـا تـزدهي ولو كخضراء الدِمَن[2]، وكثيراً مّا وقعت على الأفكار فذبَّها النظرُ والبـداهـةُ عـن مـغارسِ التوحيد خاسئة.

ومع ذلك، فإنّ لك حقّ الجواب وذمّة المراسلة وإنْ كُنتَ قد جهلتني وحسبتني مِمّن ينخدع بهذه الأوهام عن التوحيد الذي ماثَهُ[3] العقلُ وبداهةُ الفطرة بلحمي ودمي، حتّى كان هو الحامي لحوزته، والذائد لجرب الغرائب عن حوضه.

وحاولتَ أن تخادعني بكتب قد ابتزّتْ من الحقائق الدارسة اسـمها، حـتّى كأنّك لا تدري بأنّي لم تخفَ عَلَيَّ مواردُها ومصادرُها، ونشوؤها وارتقاؤها، وتقلّبُ أحوالها، وتلوّنها في التراجم والمطابع، حتّى تعدّى مسمّى الاسم الواحد مـنها لا إلى التـثليث فحسب، بل تزيده الأيّام بمرورها ما شاءت الأهواء تعدّداً وتلوّناً.

ولكنّ الشريعة المقدّسة التي أدّبتنا على حسن الظنّ بالمقابل، وحمل أمره على ما

---

*. هذه رسالة في التوحيد والتثليث. وهي جواب لرسالة جاءتني خصوصاً من نواحـي سـوريا مـمّن لم يـعرّفني نفسه، وإنّي أُقدّم له ما يليق بشأنه من التحيّة والثناء، وأدعو له بالتوفيق والتسديد، فإنّه أنفع الدعـاء مـن خـير المسؤولين. (منه ﷺ)

١. أي قرأتها بعُمق وتأمّل. انظر المصباح المنير: ٢٦٣، «س ب ر».

٢. الدِمَنُ: ما يَتَلبَّدُ من السّرجين، والدِّمنَةُ: موضعه. المصباح المنير: ٢٠٠، «د م ن».

٣. ماثَهُ: أذابه. المصباح المنير: ٥٨٤، «م و ث».

هو الأحسن به، اقتضت لي أن أحسبك غِرّاً[1] مغروراً، لا خِبّاً[2] مخادعاً، فأوجب عَلَيَّ الهدى أن أغتنم منك الفرصة ـ برجاء التوفيق والتأثير ـ فأُوقد فكرك. وأُنبّهك على غفلاتك، وأُروِّض من جماحك، وأدعوك إلى الحقّ وسبيل النجاة والسعادة.

ثمّ أُوضح لك ـ بعون الله ـ الجواب في فساد ما تلقّنته وتلقّفته من غيرك، مخادِعاً كنت أو مخدوعاً.

ولو أنّك ذكرتَ اسمك ومحلّك، لسَيَّرتُ هذه الرسالة إليك قصداً، وجلوتها لك خصوصاً، ولكنّك عَمَّيتَ أثرك، وأبهمتَ محلّك، فاقتضى حقّ الجواب أن أنشر مطبوعَها إن شاء الله، فعلّها تصادفك على غِرّة، وتبلغ قصدها من حيث لا تحتسب.

فخذها رسالة يهديها إليك الهدى من معادن الحقّ ورياض القدس؛ لتنال ببركتها السعادة ـ إن شاء الله ـ إذا نصحتَ نفسَك، وآثرت نجاتها، وجاهدتَ في الله.

وإنّي أدعوك ـ وكلّ من أوجب عَلَيَّ الحقُّ دعوتَه ـ إلى الإقرار بالله إلٰه الحقّ، وتوحيده، وحكمته، وقدرته، وجبروته، وكماله، وغناه؛ فلا تخالس توحيده بشرك التثليث، وحكمته بمنقصة العبث، وقدرته بوهن العجز، وجبروته بذلّة الضعف، وكماله بخسيسة النقص، وغناه بحاجة الفقر، جلّ شأنه عن فلتات الأوهام.

وإنّك لا تفوز ببركة هذا الإقرار، وفضيلة هذا العرفان، وتدين بتوحيد الله وتقديسه، وتنزيه أنبيائه عن رذائل القبائح، إلّا إذا أسْلَسْتَ قيادك للعقل واتبعت أثره؛ ليهديك ـ بعون الله وتوفيقه ـ إلى النور الساطع، دينِ الإسلام، الجامع لحقائق المعارف وأسباب النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[3].

واعتبر أوّلاً ـ هداك الله ـ بتناقض أقوالك واضطراب أحوالك في مبادئ كلامك؛ لكي تعرف أنّ هذه العشرة من زمانة التعاليم، وهذه الحكّة من داء الكتب.

---

١. الغِرُّ: غير المجرَّب، الغافل. الصحاح ٢: ٧٦٨، المصباح المنير: ٤٤٤، «غ ر ر».

٢. الخِبُّ: الخَدَّاعُ. المصباح المنير: ١٦٢، «خ ب ب».

٣. فاطر (٣٥): ١٤.

فإنّك ـ هداك الله ـ بينما تبشّر آمالي وتبهج نفسي بالدعوة إلى اتّباع دلالة العقل، والاستضاءة بنوره، إذ أيستني بنكوصك إلى التنديد بالعقل والمعقول، والتنفّر من إيضاح البرهان، والسخريّة بالاعتبار بالممكن والممتنع، فأحلتني على مجهولات كتب قد موّهت بالأسماء، وحاولت المجامع أن تطليها بعد النزاع باسم التسليم. وهيهات... وهيهات... .

وهي التي يشهد بعضها على بعض بالتحريف والكذب على الوحي، إشارةً وتصريحاً.

وهي التي تتلوّن في التراجم والمطابع تلوّن الحرباء، وتبرز كلّ حين في ثوب جديد.

وهي التي لو كان لها أثر قديم لكان أقصاه في قديمها إلى دعوى النسبة لعزرا، ثمّ بعد اللتيّا والتي إلى حلقيا الكاهن؛ وأقصى أثرها في جديدها إلى المجامع، ثمّ إلى استشهادات الآباء.

وهي التي توضّح الأغلاط الكثيرة في قديمها ـ الملتزم بها في أصلها العبراني ـ عن أنّ مبدأ نشوئها إنّما هو من مبتدع ملفّق لا معرفة له بالكتابة، ولا أوضاع الألفاظ، ولا صوغ التراكيب، فتعرّفك فلتات كاتبها أنّها بنته وربيبة حجره؛ تسمع بسبي بابل وما قبله من أساطير الأوّلين.

وهي التي لو تربّت في حجر نبيّ أو وليّ لعرفت لله حقّه، فلم تقصد قدسه وكماله بلوازم النقص، ورعت للأنبياء ذمّتهم، فلم تقرفهم بفواضح الفظائع وقبائح الجرائم.

هذا إذا حابينا هواك، وعزلنا العقل عن التحكيم في أمرها.

وأمّا إذا خضعنا لسلطانه العادل فإنّه يردّ إلى الامتناع ظلامته، ويحكم له بكثير منها.

وإنّك تطلب منّي ـ عافاك الله ـ أن أتعامى عن نور العقل ودلالة البرهان في أمر الدين العظيم، ومعترك الآراء وأخطار الأضاليل ومزالق الأوهام وهوسات الأهواء.

فماذا أقول ـ هداك الله ـ للعقل إذا عاتبني بخطاب ينكّس منه ذو الحياء رأسه خجلاً، ويقرع منه ذو الوفاء سنّه ندماً؟!

فهل تراني أُحير جواباً إذا قال لي: ألستُ صاحبك الذي لا يتركك في جميع أُمورك

خطيرها وحقيرها؟! لا أحبس فيها عنك نصحي، ولا أبخل بدلالتي، حتّى أنّي إذا استولى عليك الهوى، وخادعتك النفس الأمّارة وحسّنا لك ما يشينك بوصمته، ويضرّك بمبدئه وعاقبته، أقحمت نفسي بينكما على كره منكما، كاقتحام الطفيلي وأنا صاحب الدار، متحمّلاً ذلّة الفضولي وأنا المولى المستشار؛ فلم أزل أسوسك بلطف الإرشاد حتّى أهديك إلى الصواب مهما أمكنت الفرص وأسعدك الحظّ باتّباعي!

أولستُ بصاحبك الذي تفزع إليه في مهمّاتك، وتستجير بي من خطإ حواسّك؟! أفَلَمْ أُصَفِّ لك الموارد، وأُسهّل لك المصادر؟!

أوَلستُ بصاحبك الذي عرَّفك إلهك، ودلّك على معبودك وعلمه ولطفه وحكمته وقدسه، وعرَّفتك دلالة المعجز على النبوّة، وصدق النبيّ في التبليغ عن الله، وميّزت لك الوحي الصادق من الكاذب؟!

فهل وصلت إلى هذه الحقائق، وعرجت إلى هذه الرفعة باضطراب الأهواء أو هوسات الأضاليل أو عماية التقليد؟!

فإن زعمت أنّ مرشدك في دينك، ومعتمدك في اعتقادك، إنّما هي الكتب المنسوبة إلى الوحي، فمن ذا الذي عرّفك الوحي والموحي والموحى إليه؟!

ومن ذا الذي ميّز لك حقّ ذلك من باطله، وصادقه من كاذبه؟!

أفبالمجامع المضطربة عرفت ذلك، أم بكثرة الأتباع؟!

إذاً فلماذا تركت تعاليم «برهما» و«بوذا» مع أنّهما أكثر أتباعاً ومجامع؟!

أفعندك ـ هداك الله ـ ما أُجيب به العقل في هذا العتاب المخجل والتقريع المؤلم؟! خصوصاً إذا شرح حاله معك وجاهر بتظلّمه منك، وقال: إنّ هذا الرجل لم يزل ولا يزال يرجع إليَّ في أُمور دنياه، فيتعرّف منّي الحسن، ويسترشدني إلى الأصلح!

ولكنّ السلف والهوى والأُلفة لمّا علموا من أوائل قضاياي وأساسيّات أحكامي أنّي لا أُواتيهم على شيء من هذه الأُمور وقد فصلت القضاء فيها للامتناع، فلذلك كان المركز السياسي لهم أن يقاوموا سلطاني في أمر الدين، حتّى جاهر داعيهم فقال غير

مبالٍ: «لأُبشّر لا بحكمة كلام، استحسن الله أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة: لأنّ جهالة الله أحكم من الناس»[١]، تعالى الله إله الحقّ الواحد الأحد عن ذلك.

كلّ ذلك ليتمرّد عَلَيَّ في أمر الدين مَن لم يزل متمتّعاً في أُمور دنياه بحسن رعايتي، خاضعاً فيها لسياستي، منقاداً في تجارته وأُموره لحكمي الأوّلي بأنّ الواحد لا يكون ثلاثةً، والثلاثة لا تكون واحداً.

فهل تقدر أن تغالطه في المعاملة، فتدفع إليه واحداً بدل ثلاثة، أو تأخذ منه ثلاثة بدل واحد، أو يقول لك: كلّا، ما أنا بمجنون؟!

ولئن غالطتهم الأهواء بالاعتلال عَلَيَّ بوقوفي عن حقيقة الروح التي استأثر خالقها بالعلم بها، فهل يخفى على أحد أنّي ممكنٌ مخلوقٌ، منحني الله أشياء، وحجبني بحكمته عن أشياء؟! فهل يحجبني البشر عمّا منحني ربّي لأجل وقوفي عمّا حجبني عنه؟!

كيف، وإنّ الرسول الظاهر مهما كان فهو محجوب أيضاً عن أشياء كثيرة، فكيف يسمع منه؟!

بل إنّ مَن يزعمونه أُقنوم الابن الحالّة عليه روح القدس، ويسمّونه الإله المتجسّد: «لا يعلم بساعة القيامة، ولا يعلم بها إلّا الله، ليس الأقانيم الثلاثة، بل أُقنوم الأب وحده»[٢].

وإنّي وإنْ لم أصل إلى كُنه الحقيقة الإلهيّة، ولكنْ ألستُ أنا الطريق إلى الله، والمفزع في معرفة صفاته جلَّ شأنه، والمميّز لما يجوز عليه وما لا يجوز؟!

أوليس بدلالتي عُرفت النبوّات والأنبياء وصدقهم، وما يجوز عليهم وما لا يجوز؟!

أفأُحجب حتّى عن معرفتي بأنّ واجب الوجود لا يتّصف بصفات النقص والحدوث، وأنّ الواحد ليس ثلاثةً، والثلاثة ليست واحداً؟!

ألم تسمع أنّ السيّاحين يبالغون بغباوة بعض الذين في شمالي سبيريا، ويقولون: إنّهم لا يتجاوزون في معرفة الأعداد عن العشرة؛ فهم على هذه الغباوة يميّزون مراتب

---

١. رسالة بولس الأُولى إلى أهل كورنثوس ١: ١٧ ـ ٢٦.

٢. إنجيل مرقس ١٣: ٣٢.

هذه الأعداد وحقائقها فيما بين الواحد والعشرة.

أفلا يسمح لي الناس ـ وأنا العقل المخلوق نوراً للعالم، ورسولاً باطناً إلى كافّة البشر ـ أن أعرف من الأعداد مراتب الواحد، والاثنين، والثلاثة؟! فأُميّز أنّ الواحد الحقيقي لا يكون ثلاثة، أحدهم يتجسّد على الأرض، والثاني ينزل من السماء بشكل حمامة جسميّة، والثالث يبقى في السماء، وأنّ الثلاثة الذين أحدهم صُلِب ومات، والثاني الذي أقامه من الموت وأجلسه على يمينه، والثالث الذي انقسم على جماعة من الناس، هؤلاء لا يكونون جميعاً واحداً حقيقيّاً.

أفآل أمر الناس إلى مثل هذه الخلاعة، وقد كان عهدي بالناس أنّ الأهواء لا تستحوذ عليهم إلّا إذا تدلّست باسمي، ولا تقدر أن تروِّج الضلال فيهم إلّا إذا موّهته باسم المعقول.

هذا ما أعلمه ـ هداك الله ـ من مناجاة العقل ومطارحاته، فماذا ترى لي من الجواب؟!

أفأقول في جوابه: دع عنك هذا، «فإنّ الله استحسن أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة»؟ كلّا ثمّ كلّا، لا أعشو عن نوره، ولا أضلّ عن هداه، ولا أتصامم عن دعوته، وما توفيقي إلّا بالله.

واعلم ـ هداك الله ـ أنّ الاهتداء بهدى العقل والخضوع لسلطانه هو ناموس الحرّيّة، وأنّ اتّباع الهوى ومكابرة العقل هي العبوديّة الخسيسة، ولو أنّك اهتديت بأوّليّات العقل وبديهيّاته، فضلاً عن نظريّاته، لوضح لك الحقّ اليقين، وسلكت في جادّة الصواب، وأوصلك الجهاد في الله إلى حقيقة العرفان والدين القيّم، فأصبحت واحداً من المسلمين، لك ما لهم وعليك ما عليهم، ولكنّك إذا مننت عليهم بإسلامك تلوا عليك قول الله ـ جلّ اسمه ـ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَـٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[1].

---

١. الحجرات (٤٩): ١٧.

[ ١ ] وأمّا قولك: «إنّ العقل يرجع بي من نصف الطريق إلى سذاجة التوحيد».

فإنّ العقل ليقول في جوابك فيه: عافاك الله، وهل ترى لي عن هذه الحقيقة معدلاً ؟ ! أو أجد إلى غيرها سبيلاً ؟ ! وهي التي عليها فطرت، وعليها جُبِل هداي... ولئن تخطّاها الهوى برغمي، فلا أظنّ بغير عواصفه الوبيّة أن يجمع بين ظلمة الشرك ووخامة التناقض، بدعوى كون الواحد الحقيقي ثلاثةً حقيقةً، والثلاثة حقيقةً واحداً حقيقيّاً!

عافاك الله، وهل تعدو الوحدة الحقيقيّة أن تكون ساذجة هي منتهى مراتب الأعداد في البداية، ولئن سمعت بتسمية بعض المتعدّدات واحداً مجازاً فإنّما ذلك لأجل وحدة الجهة العارضة عليها، المباينة لها في الحقيقة.

[ ٢ ] وأمّا قولك: «وبساطة المعرفة».

فإنْ أردت بالبساطة فيه ما يرادف الحرمان من التعقّل والتفهّم فهو من أفحش الظلم؛ لأنّ كلّ شاعر يدري بأنّ العقل لا يصل إلى البساطة، ولا يمرّ طريقه عليها، ولا يرجع إليها بعد أن تخطّاها بأوّل سيره، وإنّها لضدّه المباين، وعدوّه المقاوم، وما أسرع ما خالفت كتبك وأنت تدعو إليها! كيف لا، وهي تذمّ الحكمة، وتمجّد الجهالة، وتنسبها إلى الله ؟ ! تعالى عمّا يقولون!

[ ٣ ] وأمّا قولك: «فتبعد عن معرفة جلال الله ومجده في أقانيمه».

فهل تريد فيه ـ عافاك الله ـ أنّي إذا قلت بحقيقة التوحيد فقد نسبت إلى الله ـ جلّ شأنه ـ ضعف الوحدة ومهانة الانفراد عن المعاون، ونفيت عنه مجد الجمعيّة، وشوكة الكثرة، وسداد اتّفاق الآراء، وسلطة التعاضد بالجمهوريّة ؟ !

فقل لي لمن أصفُ بالمجد من هذا العدد ؟ ! وعن معرفة أيّهم بعدت بالتوحيد ؟ !

فهل بعدت عن معرفة الأب الذي في السماوات، أو الابن المتجسّد المضطهد المصلوب المهان على الأرض، أو الروح الذي انفتحت له السماء، ونزل بشكل حمامة جسميّة، ثمّ انقسم كألسنة من نار ؟ !

وإلى من يرجع مجد الأقانيم ؟ ! هل إلى شوكة الجمعيّة ؟ ! فليس لكلّ واحد في ذاته

مجد ! أو إلى جهة الاتّحاد المغايرة لكلّ واحد منهم ؟! أو نؤثر بعض الأقانيم دون بعض ؟ !

[ ٤] وأمّا قولك: «وتجسّده».

فأفصِح لي عَمّا تريد منه، فإنّك وأصحابك تقولون: إنّ المتجسّد على الأرض هو الابن ؛ ويقول كتابك أنّ الابن نفسه يقول: إنّ الأب بقي في السماوات، فإن كان التجسّد مجداً؛ فلماذا استأثر به الابن عن الأب الذي يدعوه الابنُ إلهاً[١]، ويعترف بأنّه لا يعلم ما يعلمه[٢]، ولا يقدر إلّا على ما أقدره وأعطاه[٣]، وأنّه أعظم منه[٤]، ويفزع إليه في حوائجه وضيقاته[٥]؟!

ولئن كان المجد بالتجسّد فقد سلبت عن الأب هذا المجد !

وأيّ مجدٍ بهذا التجسّد ؟ ! فهل هو لكونه أفضى إلى تلاعب إبليس بهذا الإله المتجسّد، حتّى ذهب به إلى جبل عالٍ، وأراه ممالك المسكونة، وأطمعه باعطائها إيّاه إذا سجد له، ثمّ ذهب به إلى جناح الهيكل، وصار يخادعه[٦]؟!

أم لكونه أفضى إلى تحمّله الذلّة والاضطهاد والخوف من اليهود وقيصر، حتّى أنّه كان يعطيه الجزية، ويتستّر في تعاليمه، ويورِّي فيها[٧]؟ !

أم لكونه بكى وحزن واكتأب؛ إذ دنت ساعة الصلب، حتّى صار يطلب من الأب بأشدّ لجاجة أن تعبر عنه كأس المنيّة[٨]؟ !

أم بما يذكره كتابك فيما حدث عليه من اليهود بعد ذلك[٩]؟ !

---

١. إنجيل يوحنّا ٢٠: ١٧.

٢. إنجيل يوحنّا ٥: ١٩ و ٣٠.

٣. إنجيل يوحنّا ١٢: ٤٩.

٤. إنجيل يوحنّا ١٠: ٢٩ و ١٤: ٢٨.

٥. إنجيل متّى ١٦: ٣٨ و ٣٩؛ إنجيل يوحنّا ١١: ٤١ و ٤٢.

٦. إنجيل متّى : ٤؛ إنجيل لوقا : ٤.

٧. إنجيل متّى : ١٧ و ٢٢.

٨. إنجيل متّى : ٢٦؛ إنجيل مرقس : ١٤؛ إنجيل لوقا : ٢٢.

٩. إنجيل متّى : ٢٦ و ٢٧؛ إنجيل مرقس : ١٤ و ١٥؛ إنجيل لوقا : ٢٢ و ٢٣؛ إنجيل يوحنّا : ١٨ و ١٩.

أم تقول: يكفي من مجد هذا التجسّد ما يذكره الإنجيل من جلوسه في مجلس العرس في «قانا»، وارتفاع ذكره بين السكارى، حيث كثّر لهم الخمر، وأعاد لهم نشوة الخمار[١]؟!

أو إجلاسه ليوحنّا بن زبدي ـ الشابّ الطريّ ـ في حضنه؛ ليتغنّج عليه، ويتّكئ على صدره[٢]؟!

أو مغازلة الزانية بنفثات الحبّ؛ إذ بلّت بدموعها قدميه، وصارت تمسحها بشعر رأسها[٣]؟!

أفتقول: أين يجد مثل هذا المجد لو بقي في السماء بلا تجسّد؟! سبحانك اللّهمّ وتعاليت وتقدّست.

[٥] وأمّا قولك: «وقداسته وعدله».

فلعلّك تريد به ما يلهج به مبشّروكم في قولهم:

> إنّ عدل الله وقداسته يستلزمان عقاب الخاطئ بالموت في جهنّم النار إلى الأبد، ولا يمكن أن يغضّ الطرف عن ذلك لبغضه الخطيئة التي لم يسلم منها أحد في العالم، فأظهر الله محبّته ورحمته بتجسّد ابنه على الأرض ليفدينا بصلبه، فيستوفي العدل الإلهي حقّه؛ إذ تحمّل بصلبه ما علينا من القصاص، ووفى ما علينا من الدين.

عافاك الله، هب أنّك طردت العقل عن حكومة هذه الخطّة، وقلتَ تبعاً لكتابك: إنّا نبشّر لا بحكمة كلام؛ لئلّا يتعطّل صلب المسيح، ولكنّك لابدّ من أن تكون مارست المعاملات التجاريّة، وتعاطي الوفاء في الديون ولو في لوازم بيتك، واطّلعت على عدل الحكّام في قصاصاتهم وبغضهم للخطيئة والفساد، فقل لي: هل القدّوس العادل الذي يبغض الخطيئة ينبغي أن يبقي رهبة الناس منه بخوف العقاب، لينزجروا عن فعل

---

١. إنجيل يوحنّا: ٢.

٢. إنجيل يوحنّا: ١٣.

٣. إنجيل لوقا ٧: ٣٦ ـ ٥٠.

الخطيئة، فتضعف مادّة الفساد؛ أو أنّه يحابي أهواءهم وشرورهم، فيفديهم ويطلق لهم زمام التمرّد؟! فهل يفعل محبّ الخطيئة أكثر من هذه المحاباة؟!

ثمّ إذا كان عدله وقداسته يستلزمان عقاب الخاطئ بالموت في جهنّم النار إلى الأبد؛ فلماذا انتقضت هذه الملازمة بالفداء؟! وكيف أوصل الاحتيال إلى التفكيك بين المتلازمين؟!

ثمّ لماذا تنازلَ الفداء إلى موت واحد يوماً وبعض يومين على قولكم؟! وهل يكون هذا من تحمّل القصاص ووفاء الدين؟! فإنّ التفاوت فيه ليس كما بين الواحد والثلاثة لكي يدّعى فيه الاتّحاد، بل إنّ التفاوت ليفوت حدّ الإحصاء! وأيّة ضرورة دعت إلى هذا التنازل؟!

ثمّ إنّ الابن ـ على ما يقول كتابكم ـ قد استعفى من معاملة الفداء، وطلب من الأب ـ ببكاء، وحزن، واكتئاب، ودعاء بأشدّ لجاجة ـ أن تعبر عنه كأسه، فهل كان من العدل والقداسة أن يُجبَر على معاملته؟!

وهلّا وسعت الرحمة والمحبّة هذا الابن المستغيث المستعفي، كما وسعت الخاطئين المفسدين؟!

وماذا يكون محلّ هذه الرحمة والمحبّة من العدل والقداسة إذا أرسلت الخاطئين يمرحون في ملاعب الخطايا والفساد آمنين، وضاقت عن الابن البريء المستغيث المضطرب؟! وهل يجدي في ذلك إذا ظهر له ملاك من السماء يقوّيه[١]؟!

ثمّ ـ على قولكم بالاتّحاد ـ مَن هو الأب؟! ومَن هو الابن؟! ألستم تقولون: إنّهم واحد؟! أفلا يرجع هذا كلّه إلى أنّ القدّوس العادل، مبغض الخطيئة، قد حابى الخاطئين، وأطلق سراحهم بتحمّله ما عليهم من القصاص، ثمّ حابى نفسه فأدمج المحاسبة، وتنازل فيها إلى ما تزعمون؟! تعاليت اللّهمّ عن ذلك وتقدّست.

---

١. إنجيل لوقا ٢٢: ٤٣.

[ ٦] وأمّا قولك: «فتصبح محروماً من محبّته ورحمته وبركة فدائه ببركة الفادي الكريم».

فهو كما تقول: إنْ لم تسلك متاهات المفاوز في الهواجر تصبح محروماً من ربّك بلامع السراب ولفحات الهجير!

أفتخوّفني الحرمان ـ هداك الله ـ بأنْ أعبد الإله الواحد، الأحد، القادر، القاهر، العادل، القدّوس، العزيز، الحكيم، الجبّار، الحيّ الذي لا يموت، والدائم الذي لم يلد ولم يولد، بل جلّ وعلا عن نقص التعدّد والتركّب والجسميّة والمكان والتغيّر والضعف ؟!

وتمنّيني الحظوة ـ عافاك الله ـ بأنْ أصف إلهي من حيث القدس والعدالة بما لا يرضى به مدير الناحية ؟!

وأصفه من حيث الضعف والمظلوميّة والبكاء والجزع بما يأنف منه رئيس القرية ؟!

أو أُغالط وجداني، فأجعل الواحد الحقيقي ثلاثةً حقيقةً وآثاراً، والثلاثة حقيقةً وآثاراً واحداً حقيقيّاً ؟!

ولقد أردت أن أُغالط وجدان طفل لم يفطم، فآخذ منه ثلاثةً وأُعطيه واحداً بعنوان أنّه هي، فلم أقدر عليه لتمييزه لتعدّدها، ورغبته في كثرتها.

[ ٧] وأمّا قولك: «وتعشو عن جلال الربّ [يسوع] المسيح له المجد، فتنكر لاهوته الأقدس، وتحطّ قدره إلى خسّة الناسوت ونقص الطبيعة البشريّة، مع أنّه الذي رفع بلاهوته قدرها إذ تقمّصها».

فإنّه ـ هداك الله ـ قول يضحك ويبكي، ويا ليتك تودع قلبك وطواياك أنّ قدس اللاهوت وكماله لا يوصم، ولا يوصف بخسّة الناسوت، ونقص الطبيعة البشريّة، فتعرف ماذا قلت وماذا تقول!

ويا ليتك ـ في الأقلّ ـ تدرك تناقض كلامك هاهنا، وتلتفت إلى أنّك بينما تعنّف على حطّ قدر اللاهوت إلى خسّة الناسوت ونقص البشريّة، إذا بك تقول: إنّ اللاهوت تقمّص الطبيعة البشريّة !!

وإنّي وأنت وكلُّ أحدٍ يعلم أنّ المسيح ـ الذي تعنيه ـ كان إنساناً حادثاً، متولّداً في زمان معلوم، من أُنثى معروفة.

ثمّ ترقّى من عالم الطفوليّة، متزائداً في النموّ، متغيّراً من حال إلى حال، منتقلاً من هيئة إلى هيئة[1]، وكان ـ كما تقول كتبكم ـ يجوع[2]، ويعطش ويتعب[3]، ويدهش ويكتئب ويحزن[4]، ويبكي وينزعج، ويفزع في حوائجه وضيقاته إلى الله[5]، ويتألّم[6]، ويأكل، ويشرب[7]، وينام[8].

بل تقول كتبكم: إنّه صُلب، وقال: «إلهي إلهي؛ لماذا تركتني ؟!» وطعن في خاصرته ومات ودفن[9].

وإنّ غريزة الفطرة لتقول ـ فضلاً عن العقل الذي حرمت نفسك من هداه، ولا ترتضي حكومته ـ: إنّ الإله لا يكون كذلك، وإنّ كتاب إلهٰكم يقول عن رسوليكم «برنابا» و«بولس»: إنّهما نَفَيا عن نفسهما الأُلوهيّة محتجّين على أهل «لستره» بكونهما بشراً تحت آلام[10]، والمسيح ـ الذي تعنيه ـ لا ريب في أنّه بشر تحت آلام.

والكتاب الذي تحتجّ به وتعتمد عليه صريح في النقل عن قول المسيح بأنّ الله إلهٰه[11]، فهل ترى أنّ الإله يكون له إله ؟!

---

١. إنجيل متّى: ٢؛ إنجيل لوقا: ٢.
٢. إنجيل متّى ٤: ٣ و ٢١: ١٨.
٣. إنجيل يوحنّا ٤: ٦ ـ ١٠.
٤. إنجيل متّى ٦: ٢٧ و ٢٨.
٥. إنجيل يوحنّا ١١: ٣٤ ـ ٤٣.
٦. إنجيل متّى ١٦: ٢١.
٧. إنجيل متّى ١١: ١٩.
٨. إنجيل متّى ٨: ٢٤ و ٢٥.
٩. انظر أواخر الأناجيل.
١٠. أعمال الرسل ١٤: ١١ ـ ٦٠.
١١. إنجيل يوحنّا ٢٠: ١٧؛ إنجيل متّى ٢٧: ٤٦؛ إنجيل مرقس ١٥: ٣٤.

وصرّح بنقل اعترافه بأنّه لا يعلم ما يعلمه الله، ولا يقدر إلّا على ما أعطاه الله إيّاه، وأنّ الحياة الأبديّة أن يعرفوا الله بأنّه الإله الحقيقي وحده، وأنّ «يسوع» هو المسيح الذي أرسله[١]!

وهل بعد هذه الصراحة ريب لمن يعتمد على هذا الكتاب؟! خصوصاً مع نقله لاستغاثة المسيح بالله، والدعاء والتضرّع إليه، والاجتهاد بالعبادة له! وخصوصاً مع صراحته باحتياج المسيح إلى التجربة من إبليس، وتسلّط إبليس عليه؛ إذ تصرّف به وأطمعه بممالك المسكونة ليسجد له؛ ولم يدحر إبليس في الجواب إلّا بالاعتراف بالعبوديّة لله؛ ولو كان إلهاً لكان ذلك المقام أولى بأن يخسأ إبليس ببيانها، ويعتصم بها من تصرّفه، كيف لا، ولم يكن هناك يهود يخاف منهم؟!!

عافاك الله، سامحناك من المطالبة بالعقل الذي تذمّه، والمعقول الذي تبغضه، فدعهما جانباً على رغم الأدب والمعرفة، ولكنّا نطالبك بوجدانك الذي تميّز به نفسك من عبدك، وتعرف به مواقع الكلام، وتدبّر به أمر تجارتك، وتفهم مراسلات أصحابك.

نعم، أستعفيك من وجدانك الذي تجعل به الثلاثة حقيقةً واحداً حقيقيّاً، والواحد الحقيقي ثلاثةً حقيقةً، فتصف كلّاً منهم بصفةٍ وحالٍ ومكانٍ يباين كلّاً ممّا تصف به صاحبيه!

ثمّ انظر ـ هداك الله ـ أيّنا اجترأ على عظمة الله ومجده؟! وأيّنا حطّ من قدر المسيح؟!

أفمن يقول: إنّ الله الذي لا إله إلّا هو، هو الإله الواحد القدّوس، الأزلي الدائم، العليم الحكيم، الغنيّ العزيز، القادر القاهر، الحيّ الذي لا يموت، العادل الرحيم، الجواد العظيم، الذي يجلّ عن التعدّد والحدوث والتجسّد والأين والمكان والتغيّر والضعف؛ وإنّ المسيح رسول مكرّم وعبدٌ مقرّبٌ لهذا الإله العظيم، قد بلّغ رسالته، وأدّى وظيفته، فلم يشنّ توحيده بشرك، ولا صدقه بكذب، ولا تعليمه بتناقض، ولا حججه بتهافت،

---

١. إنجيل يوحنّا ١٧: ٣.

ولا عفافه بدنس، ولم يتصرّف به الشيطان، ولم يهنه اليهود، بل كفاه الله شرّهم وسوء ولايتهم، ورفعه إلى السماء حيّاً ممجّداً؟!

أم من يقول: إنّ الله واحد ثلاثة، أراد أن يخلع عذار الخاطئين، ويطلق سراحهم في غيّهم، فيؤمنهم من زاجر الوعيد، وقصاص العدل، ولم يقدر على ذلك حتّى تجسّد منه أُقنوم الابن على الأرض ـ أو هو ذاته ـ بأن تردّد في ظلمات الرحم وفضلاته، ثمّ ترقّى في النشوء من نقائص الطفوليّة وجهالاتها إلى أن اعتمد من «يوحنّا» بمعموديّة التوبة، وحلّ عليه الأُقنوم الثاني، فقاده الروح إلى البرّيّة مع الوحوش؟!

وصار إبليس يتصرّف به ويجيء به، من مكان إلى مكان، ويخادعه بالغواية، ويطلب منه السجود له!

ثمّ بقي ثلاث سنين في ذلّة الخوف ومهانة الاضطهاد، يصدر منه الكذب على إخوته مرّةً، والعقوق لأُمّه والقدح بطاعتها لله أُخرى!

قد تناقضت تعاليمه على قلّتها، وناقضتها أفعاله، واحتجّ بتعدّد الآلهة والأرباب مع اعترافه بوحدة الإله والربّ، واحتجّ بأوهى الحجج التي يعدّها المُجّان من المضحكات!

وجعل توبة الزانية وإيمانها أن تبلّ بدموع التوبة ـ أو الحبّ والمغازلة ـ قدميه، وتقبّلهما بعفّتها، وتمسحها بشعر رأسها لطهارة قلبها!

وجعل تأديبه لتلميذه الشابّ الغضّ الطريّ أن يجلسه في حضنه، ويتركه يتغنّج عليه ويتّكئ على صدره[1].

ويعطي مفاتيح ملكوت السماوات والحلّ والربط لتلميذه الذي سجّل عليه بأنّه شيطان ومعثرة له، ولا يهتمّ بما لله، بل بما للناس[2].

ولمّا دنا وقت الفداء ندم وحزن واندهش واكتأب وصلّى، وطلب من أُقنوم الأب ـ وقل: من نفسه ـ ملحّاً بأشدّ لجاجة أن تعبر عنه كأس المنيّة، فلم يقدر على ذلك، بل

---

١. استدلّ على مواقع ذلك في الجزء الأوّل من كتاب الهدى: ١٤٣ ـ ١٤٦ و ٢٧٩ ـ ٢٨٢. (منه ﵀).

٢. انظر إنجيل متّى ١٦: ١٥ ـ ٢٤.

ضعف، وجاءهُ ملاك من السماء يقوّيه إلى أن جرى عليه الاضطهاد الفاحش، ونادى: «إلهي إلهي، لماذا تركتني ؟ !» ثمّ مات ودفن، وأقامه الله من الأموات !

كلّ ذلك ليفدينا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا ؟ !

تعالى شأنك اللّهمّ وجلّت عظمتك.

فدونك المقايسة ـ هداك الله وعافاك، وعرّفك بعظمته وجلاله ـ أفتمنّيني النجاة بالفداء الذي تنعى به الإله على زعمك ؟ !

عافاك الله، إنّ التاجر إذا أراد أن يعرض سلعته للبيع فلابدّ له من تعاهد طواياها وزواياها، لينظر أنّها هل تنفق في سوق الوقت على نياقد التجّار أم لا؟ وذلك لئلّا تخلّ بشينها في مجد تجارته.

عافاك الله، أفلم تكن تسمع ما تقول أو تنظر ما تكتب ؟ ! أفلم تكن تدري بما في كتبك ؟ !

ويا حسرتا، ماذا نقول للملاحدة المعطّلة إذا قالوا لنا: أهذا مجد الإله الذي تكفّروننا وتسفّهوننا بجحوده ؟ !

[٨] وأمّا قولك: «ولا نأتْ بك مجاهل الغفلة عن معرفة قدر الرسل، وعظيم أثرهم في نصرة الحقّ، ورسوخ قدمهم في الإيمان، وحسن ائتلافهم في المحبّة، وانتظام جماعتهم في الدعوة، حتّى دمّثوا للمؤمنين شريعةً سهلةً، أدبيّة عقليّة، قد أسّست ناموس الحرّيّة، وبثّت التعاليم الروحيّة، فلم تشنّ لينها بقساوة، ولم تحتفل بالأعمال الفارغة».

فإنّما هو قول أنت تقوله، وكتابك الذي تعتمد عليه يعارضك في ذلك ويقول: إنّ «بطرس» صار ينتهر المسيح حتّى قال المسيح له: اذهب عنّي يا شيطان! أنت معثرة لي، لأنّك تهتمّ بما للناس لا بما لله!

وإنّ عشرةً منهم اغتاظوا على المسيح من أجل عنايته بابني «زبدي»! ومالوا إلى الرئاسة، وتشاجروا في الذي يكون الأكبر منهم بعد المسيح لما أخبرهم بأنّه ماض عنهم، حتّى وعظهم ووعدهم ومنّاهم بما يرغّبهم في الائتلاف وترك التشاجر!

وكثيراً مّا وبّخهم على قلّة إيمانهم، وأنّهم لا إيمان لهم، وليس لهم من الإيمان مثل حبّة خردل!

ووصفهم الإنجيل بغلظ القلوب، وأخبرهم المسيح بأنّ كافّتهم يشكّون أو يعثرون فيه، ويتفرّقون عنه، كلّ واحد إلى خاصّته ويتركونه وحده!

وطلب منهم المواساة بسهر ليلة فلم يواسوه، مع ما هو فيه من الدهشة والحزن والاكتئاب، حتّى وبّخهم على ذلك مراراً!

ولمّا هجم اليهود تركه الجميع وهربوا!

ثمّ لم يصدّقوا اللاتي أخبرنهم بقيامه من الأموات، وعدّوا كلامهنّ كالهذيان، حتّى وبّخهم المسيح على قساوة قلوبهم، وعدم إيمانهم؛ إذ لم يصدّقوا الذين نظروه قد قام، مع أنّ الإنجيل كم وكم يذكر أنّ المسيح قد أخبرهم بأنّه يقتل وفي اليوم الثالث يقوم من الموت!

وناهيك ما تذكره الأعمال والرسائل من العهد الجديد بعد حادثة الصلب في اضطراب المتنصّرين ومشاغبتهم، والمذمّة من بعضهم لبعض، حتّى أدّت تلك المشاغبة إلى أنّ «بطرس» و «برنابا» و«بولس» وجماعة قد استعملوا الرياء لحفظ الشريعة!

ولكنّ فرصة الوقت وميل الأهواء إلى الراحة قد ساعدا التلاميذ و«بولس» بنقل كتبكم على محو رسوم الشريعة بخلاف ما أوصى به المسيح، فبعضهم اتّفقت مشورتهم لجلب الأُمم إلى الخضوع لرئاستهم بأن يصانعوا أهواءهم ومألوفاتهم برفع الختان وسائر قيود الشريعة، ولم تكن لهم حجّة في مشورتهم في ذلك إلّا استجلاب الأُمم وترغيبهم إلى الإيمان بالمسيح، وأنّ موسى قد استوفى نصيبه من رئاسة الشريعة؛ لأنّ له من يكرز به في كلّ سبت.

ثمّ جاءت الرسائل عن «بولس»، فنسبت إليه إتمام الدست للأهواء، والمجاهرة بالإباحة العامّة بلسان العيب والتضعيف والانتقاص للشريعة السابقة[1].

١. استدلّ على مواقع هذا كلّه في الجزء الأوّل من كتاب الهدى: ٤٨ ـ ٥٣. (منه ﷺ).

وإنّي لأُحاشي الحواريّين من هذه النسب الفظيعة، ولكنّ الذي دمّث للأهواء هذه الشريعة الشهوانيّة إنّما هو من له عداوة مع الله وشريعة رسله، وإنّ فلتات لسانه في زخرف بيانه لتفضحه بذلك.

[ ٩] وأمّا تمجيدك لشريعة الرسل بأنّها «أدبيّة عقليّة» فقد سبقك به البوذيّون في تمجيد شريعتهم؛ إذ مسخوا بها شريعة البراهمة قبل أن تدوَّن كتبكم بقرون عديدة، و«ما أشبه الليلة بالبارحة»[1] إلّا أنّ تلك تخلّصت من شريعة باطل قاسية، وهذه تمرّدت على شريعة حقّ عادلة.

أفنقول ـ هداك الله ـ: إنّ شريعة موسى ليست أدبيّةً ولا عقليّةً ؟! ثمّ ما الذي ورّطك باسم العقل هاهنا ؟! وأنت الذي تذمّ العقل والمعقول، وتحذّرني من أن يرجع بي من نصف الطريق !

[ ١٠] وأمّا قولك: «لم تحتفل بالأعمال الفارغة» فإنّك قد تورّطت به في معركة كتبك التي انقسمت إلى صفّين:

فصفّ التوراة ورسالة «يعقوب» يناضل في حماية الأعمال، وكذا الإنجيل حيث أوصى بحفظ ما يقول به الكتبة والفريسيّون والعمل عليه؛ لأنّهم على كرسي «موسى» جلسوا[2]، وجاهر بأنّه لم يجئ لينقض الناموس والأنبياء، وأنّ الأكبر في ملكوت السماوات من علم وعمل[3].

والصفّ الثاني ـ وهو المنتظم تحت قيادة النسبة إلى «بولس» ـ يحصر النجاة بالإيمان، ولا يجعل لوجود الأعمال الصالحة أثراً ومداخلةً في النجاة، بل وصف كثيراً من وصايا التوراة بأنّها للفناء وتعاليم الناس.

هداك الله، وكلا الفريقين من كتبك! فكان الأولى بك في هذه الفتنة والمثابرة أن

---

١. مثل يُضرب للمتشابهين. انظر المستقصى في أمثال العرب ٢: ٣١٢، الرقم ١١١٨.

٢. إنجيل متّى ٢٣: ١ ـ ٢.

٣. إنجيل متّى ٥: ١٧ ـ ٢٠.

تلجأ إلى الحياد، ولا تغترّ بغلبة أحد الفريقين بنصرة الهوى ومعونة حبّ الراحة.

[١١] وأمّا تمجيدك لشريعتك بأنّها «عكفت عليها الأُمم وتشرّفت بها الملوك» فقد سبقت الشريعة البوذيّة في راحة إطلاقها بهذا الذي تزعمه مجداً في أيّام كانت الهند الشرقيّة تباهي بتمدّنها الغرب الوحشي.

على أنّ شريعتك قد مضت عليها قرون وهي عرضة لاضطهاد الملوك!

[١٢] وأمّا قولك في شأن رسلكم: «وناهيك بأثرهم في المعرفة ومِنّتهم على البشر؛ إذ جلوا للناس حقيقة الثالوث ومجد الأقانيم، وجاهروا بتعليمها».

فإنّه قول مَن لا خبْرة له بالتأريخ وأديان العالم، أو قول مَن يخادع نفسه ويسخر بها في محاولة التمويه، أفلا تعلم أنّ التثليث والثالوث والأقانيم والتجسّد وما تفرّعونه عليها قد سبقت ضلالة الأوهام بها من زمان «برهما» و«بوذا»[١] أو قبل ذلك؟! فما القول المتأخّر بها إلّا تلمذ على ذلك التعليم!

وأمّا ما ذكرته من احتجاجك للتثليث بأوهامك من كتبك، فهو اللائق بمن لم يرتضِ العقل والمعقول، ولم يرتدع برادع الامتناع، وإنّك ـ عافاك الله ـ إذ جانبت العقل والمعقول والوجدان والاعتبار بالإمكان والامتناع، كان عليك أن تتشبّث أقلّاً بكتب جامعة لصفات الحجّة:

الأُولى: كونها معلومة النسبة لمصدرها الذي تدعى به.

الثانية: كونها سالمةً من تلاعب التحريف والتبديل، ومداومة الأيّام والأهواء على إكرامها وتحسينها بالزيادة والنقصان.

الثالثة: أن لا يكون بعضها شاهداً على بعضِها بالتحريف.

الرابعة: أن لا تكون ـ بنفسها ـ شاهدةً على أنّ نسختها الوحيدة ـ في بعض الأزمنة ـ كانت كتابة جاهلٍ لا يعرف الكتابة ومواقع الحروف، بل يقوم ويقع في الغلط

---

١. انظر كتاب «العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة» وتأريخ برهما وبوذا في حرف الباء من «دائرة المعارف». (منه ﷺ).

الذي يمسخ المعاني مسخاً واضحاً، يظهر عليه زيادة الحرف المغيّر للمعنى ونقصانه، وتبادل الحروف وزيادة الكلمات ونقصانها، وقد فضحها بذلك متّبعوها حرصاً على تدارك فارط الأيّام وتقلّبات الأحوال بالتلاعب فيها، فأكرموا وحدتها بأن تداولوها على صورتها المشوّهة وغلطها الفاضح، وصاروا يصحّحون في حاشيتها ما يتّضح غلطه فيها، ثمّ جاء المترجمون وأعرضوا عن صورتها واتّبعوا في تراجمهم تصحيح الحواشي؛ والذي أوضحته القرائن القطعيّة ـ وفي خصوص أسفار التوراة الخمسةِ ـ من جميع أنواع هذه الأغلاط ما يزيد على ستّين مورداً[1].

**الخامسة**: أن تكون دلالتها على مدّعاك جارية ولو على أضعف الدلالات المتّبعة عند أهل المعرفة واللسان، لا كما نشاهدهُ من بعض المعتوهين في الاحتجاج لهوساتهم بأُمور يزعمون أنّها رموز إلى خيالاتهم.

**السادسة**: أن لا تكون صراحتها المتكرّرة تناقض مدّعاك.

**السابعة**: أن لا يكون أئمّة نحلتك وقدوتك من سلفك بين من جعل على ما تحتجّ به علامة الشكّ وعدم الوجود في أقدم النسخ وأصحّها، وبين من جاهر بزيادتها على الكتاب وأسقطها منه.

ثمّ بعد ذلك يلزمك أن تكون من العارفين بلسان كتبك الأصلي، وأوضاع لغاتها، ووضع محاوراتها.

فكيف بك ـ هداك الله ـ وأنت لم يسعفك الحظّ، ولم يؤاتك الوقت بواحدة من هذه الصفات المذكورة؟! وفي هذا كفاية لسقوط احتجاجك بكتبك.

ومع ذلك، فإنّا لا نتجافى عن التعرّض لحججك واحدةً واحدةً لنرشدك إلى ما فيها من الخطل والفشل، فلعلّ الله أن يأخذ بيدك إلى الصواب إذا كنت قد جعلت الحقّ ضالّتك التي تطلبها، فجاهدت في سبيل الله ولم تجمح مع الهوى.

---

١. انظر الصدر والتمهيد في الجزء الثاني من كتاب الهدى. (منه ﷺ). راجع الموسوعة، ج ٤، ص ٤٧٢.

[١٣] فأمّا تشبّثك في احتجاجك على التثليث بدعوى قول التوراة: «في البدء خلق الآلهة... ودعا الآلهة... وقال الآلهة»[1]، إلى آخره، حيث جاء لفظه في الأصل العبراني «الهيم»، فإنّه تشبّثٌ قد سمعنا غفلته من أوائل الرسالة المنسوبة لعبد المسيح.

وإنّا لو أعرضنا عمّا ذكرناه في التوراة الرائجة من وجوه الوهن والغلط ـ كما أشرنا إليه في الصفات الأربع الأُوَل من السبع ـ لقلنا: يكفي في شطط هذا التشبّث كونه ناشئاً عن الجهل باللسان العبراني!

فلماذا تجهل ـ عافاك الله ـ من كتابك ولغته أنّ ما يكون علامة الجمع ـ وهو الميم بعد الياء ـ في آخر الكلمة قد يجيء في أواخر الأعلام المفردة، نحو: «موفيم»، و«حوفيم» وَلَدا «بنيامين»، و«حوشيم» ابن «دان»، و«شليم» ابن «نفتالي»[2]، و«شحريم» و«حوشيم» امرأته[3].

وقد يجيء في أواخر أسماء الأجناس، كما جاء في الشعير «شعريم»، وفي العدس «عدسيم»، وفي الكرسنة «كوسميم»[4]، وفي الماء «ميم»[5]، وفي العنب «عنبيم»، وفي الرمّان «رمنيم»، وفي التين «تانيم»[6]، وفي التفّاح «تفوحيم»[7]، وفي الزيتون «زيتيم»[8]، وفي الكتّان «بستيم»[9]، وفي الحنطة «حطيم»[10]، إلى غير ذلك ممّا يطول المقام بذكره.

---

١. سفر التكوين ١: ١ ـ ٣١.
٢. سفر التكوين ٤٦: ٢١ ـ ٢٥.
٣. تأريخ الأيّام الأوّل ٨: ٨.
٤. سفر الخروج ٤: ٩.
٥. سفر التكوين ٢٦: ٣٢.
٦. سفر العدد ١٣: ٢٣.
٧. نشيد الإنشاد ٧: ٩.
٨. كتاب زكريّا ٤: ١٢.
٩. كتاب إشَعْياء ١٩: ٩.
١٠. نشيد الإنشاد ٧: ٣.

هداك الله، فلماذا لا يكون لفظ «الهيم» في الموارد التي تذكرها علماً مفرداً هو اسم لله ـ جلّ شأنه ـ وإن وقعت الميم في آخره، كما وقعت في أواخر الأعلام التي ذكرناها ؟!

وإنّ كلّ مارأيناه من التراجم قد ترجمت فيه هذه اللفظة بما هو اسم مفرد علم لله تبارك اسمه في لغة ترجمته، ولم يطرق سمعي ترجمته ـ قبلك ـ بالآلهة إلّا من المنسوب لعبد المسيح، ووجدته في الكتاب المستعار له اسم الهداية في الجزء الرابع صحيفة ٢٥٠.

ويؤيّد العلميّة أنّ هذه اللفظة ـ في الموادّ التي تعنيها ـ لم تقترن في الأصل العبراني بعلامة التعريف في العبرانيّة، التي هي «الهاء»، فلم يقل فيها: «ها الهيم»، بل يوضّح العَلَميّة أنّه قد جاء في التوراة الرائجة العبرانيّة اسم علم يلحق بالميم مرّةً، ويجرّد منها أُخرى.

وذلك كقولها مرّةً: «ابني عناق»[1].

وتارةً تقول: «يليدي‌ها عناق ويلدي ها عناق»[2]، أي أولاد عناق.

وتارةً تقول في هذا الموضوع: «بني عناقيم»[3].

ولو كانت لفظة «الهيم» اسم جنس أو جمعاً ـ كما تزعم ـ لما حسن تجريدها من علامة التعريف؛ فانظر كيف يقبح قولك في تعريب التوراة في البدء: خلق إله، أو خلق آلهة، أو وقال: إله، أو وقال: آلهة... وهلمَّ جرّاً.

ولعلّك تقول: إنّ علامة التعريف في العبرانيّة قد تسقط من اللفظ مع كون التعريف مراداً أو لازماً؛ وذلك لأجل الاكتفاء بدلالة المقام.

فنقول لك: ومع البناء على ما تقول لماذا لا يكون لفظ «الهيم» اسم جنس معرّف بتعريف العهد، كما تقول: خلق الإله، وقال الإله ؟!

---

١. سفر العدد ١٣: ٣٣؛ سفر تثنية الاشتراع ٩: ٢.

٢. سفر العدد ١٣: ٢٢ و ٢٨.

٣. سفر تثنية الاشتراع ١: ٢٨ و ٩: ٢. وانظر سفر يشوع، أي يوشع ١٥: ١٣ و ١٤.

فإن قلتَ: إنّ «الهيم» قد جاء في مقابلة «ال»[١] و«الوه»[٢] فيدلّ ذلك على أنّ «الهيم» جمع بمعنى الآلهة، و «ال» و«الوه» مفرده.

قلنا: لا دلالة في ذلك، فإنّه قد جاء مثله في أسماء الأجناس، فذُكرت الميم وحُذفت والمعنى واحد.

فقد جاء في الحنطة «حطيم» و«حطه»[٣]، وفي الشعير «شعريم» و«شعره»[٤]، وفي الماء «ميم» و«مي»[٥]، وفي التفّاح «تفوحيم» و«تفوح»[٦]، وفي العنب «عنبيم» و«عنب»[٧]، وفي الزيتون «زيتيم» و«زيت»[٨]، وفي الكتّان «بستيم» و«بسته»[٩].

وممّا يصفح ويوضّح بندائه أنّ «الهيم» في اللغة العبرانيّة ـ وخصوص التوراة ـ لا يختصّ بالجمع، وهو أنّ توراتكم استعملت هذا اللفظ في مقامٍ لا تقول أنت ولا غيرك بأنّ المراد منه الجمع، وذلك أنّ توراتكم خاطبت موسى في شأن هارون بقولها: «وأنت تكون له إلهاً. ع وأتاه تهيه لولاهيم»[١٠]. وخاطبت موسى أيضاً: «جعلتك إلهاً لفرعون. ع نتيتك الوهيم لفرعه»[١١]، أفتقول أنت أو غيرك إنّه قيل: «الوهيم» لأنّ موسى جماعة، أو ذو ثلاث أقانيم ؟!

وأيضاً يقول كتابكم: إنّ شاول طلب من صاحبة الجانّ أن تصعد له صموئيل النبيّ ورأته واضطربت.

---

١. سفر تثنية الاشتراع ٦: ١٥ و ٣٢: ٤.
٢. كتاب إشَعْياء ٤٤: ٨.
٣. سفر تثنية الاشتراع ٨: ٨.
٤. سفر الخروج ٩: ٣١.
٥. سفر العدد ٥: ١٨ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٤.
٦. نشيد الإنشاد ٢: ٣.
٧. سفر تثنية الاشتراع ٣٢: ٤.
٨. سفر الخروج ٢٧: ٢٠؛ سفر اللاويّين ٢٤: ٢.
٩. تأريخ الملوك الأوّل ٧: ٢٠.
١٠. سفر الخروج ٤: ١٦.
١١. سفر الخروج ٧: ١.

وقال لها شاول: ماذا رأيت؟

قالت ما لفظه بالعبراني: «الهيم رائيتي عليم من هأرص»[١].

فلم يحتمل شاول أنّهم جماعة، بل عرف من المحاورة المتعارفة في العبرانيّة أنّها عنت واحداً، ولذا قال لها: ما صورته؟

فقالت: «رجل شيخ صاعد وهو مغطّىً بجبّة».

فعلم من ذلك أنّ المتعارف في المحاورات العبرانيّة أنّ لفظ «إله» يلحقون الميم به وبوصفه، مع أنّهم لا يريدون ولا يفهمون منه في محاوراتهم إلّا الواحد المفرد، بحيث لا يخفى ذلك على السامع ولا يحتمل الجمع، ولا علينا أن نقول: إنّ إلحاق الميم هاهنا للتعظيم أو لغيره.

فإن قلت: إنّ لفظ «الوهيم» قد استعمل في اللغة العبرانيّة ـ وخصوص التوراة ـ بالجمع أيضاً، فهو لا يعدو أن يكون مشتركاً بين الواحد والجمع.

قلت: إذن لهفي عليك وعلى إدراكك البشري؛ إذ صرت تحتجّ في دينك ومعرفتك بإلٰهك بلفظ مشترك، وتتشبّث به لهذه الدعوى التي يستهزئ بها العقل، ويطردها الوجدان، ويجرّها الامتناع إليه من تلابيبها.

[١٤] وأمّا تشبّثك بقول توراتكم: «وقال الإلٰه: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ... الإنسان صار كواحدٍ منّا. تعالوا ننزل ونبلبل هناك لسانهم».

فقد أبيتَ فيه إلّا أن تواسي المتسمّي بعبد المسيح في أوهامه أو تجاهله في تشبّثه بقول الأصل العبراني: «نعسه آدام»، وغفلته أو تغافله عن أنّ توراتكم العبرانيّة ـ زيادة على ما أشرنا إليه من غلطها في الكتابة ـ قد تفاحش فيها الاضطراب في شأن الضمائر، إفراداً وجمعاً، وتذكيراً وتأنيثاً، وكم حذفتْ هاء التأنيث في المؤنّث! وكم أبدلتْ حرفاًبحرف! وكم زادت ونقصت في الحروف! وزادت كلمة برأسها، كما فضحها

١. كتاب صموئيل الأوّل ٢٨: ١٣ و ١٤.

بذلك الحواشي ومراغمة التراجم بالمخالفة لأصلها.

كما كثر اضطرابها في شأن الفعل وهيئته، فتارةً تقول فيما تعريبه: «ارتحلوا ويرتحلون» «يسعو» بالياء[١]، وتارةً تقول: «نسعو» بالنون[٢].

وذكرت اسم واحد من أولاد شمعون بن يعقوب، تارةً «يموئيل»[٣] بالياء في أوّله، وتارةً أُخرى «نموئيل»[٤] بالنون بدل الياء.

وتارةً تقول في «أعطى» للماضي الغائب المفرد: «يتّن»[٥] بالياء، وتارةً، تقول فيه: «نتن»[٦] بالنون.

وتارةً تقول في «أخرج» للماضى المتعدّي: «يوصا»،[٧] وتارةً تقول ذلك في «أخرج»[٨] للمتكلّم، وتقول فيه أيضاً: «اصا»[٩].

وتقول في «ظهر» للماضي: «يرأ»[١٠] بالياء، وتقول فيه أيضاً: «نرأه»[١١] بالنون وزيادة الهاء.

وتقول في «تَكُون» للغائبة: «تهي»[١٢] بالتاء، و«هايتاه»[١٣] و«نهايتاه»[١٤].

وتقول في «حلف» للمفرد المذكّر: «يشبع»[١٥] بالياء، و«نشبع»[١٦] بالنون.

---

١. انظر أقلاً سفر العدد ٩: ١٧ ـ ٢٠.

٢. سفر العدد ٩: ٢١ و ١٠: ١٨ و ٢١.

٣. سفر التكوين ٤٦: ١٠؛ سفر الخروج ٦: ١٥.

٤. سفر العدد ٢٦: ١٢.

٥ ـ ٧. سفر الخروج ٢٤: ٥٣.

٨. سفر الخروج ٨: ٢٥ و ١١: ٤.

٩. سفر الخروج ١١: ٨.

١٠ و ١١. سفر الخروج ٣: ٢ و ١٦.

١٢. سفر التكوين ٢: ١٢.

١٣ و ١٤. سفر الخروج ١١: ٦.

١٥. سفر اللاويّين ٥: ٢٢.

١٦. سفر اللاويّين ٥: ١٤.

وتقول في «حلفت» المسند إلى المتكلّم المفرد: «نشبعتي»[١]، وفي «أعطيتُ» كذلك: «نتّيتي»[٢] بالنون في أوّلهما.

وأمثال ذلك كثير جدّاً في التوراة والعهد القديم وإن اقتصرنا على بعض مواردها.

فلماذا لا تكون النون في «نعسه» كهذه النونات في عدم الدلالة على إرادة غير المفرد، بل جيء بها كغيرها ممّا ذكرناه؟!

ويطّرد أيضاً في التوراة واللغة العبرانيّة مجيء النون في أوّل الفعل المبنيّ للمجهول المسند إلى المفرد الغائب، ويؤتى بالنون في أوّله علامةً للبناء للمجهول، فمن أمثلته في التوراة: «تُقطَع: نكرتاه»[٣]، و «يحرق: نأكل»[٤]، و «يُقدَم: نقرب»[٥]، و«يُكسَر: نشبر»[٦]، و«يُنَهب: نشبّاه»[٧]، و «تُفدى: نفداتاه»[٨]، و«يُباع: نمكّر»[٩]، و«يبقي: نوتر»[١٠].

وهذه الموارد وإن ترجمت في العربيّة بالفعل الماضي، لكنّ صيغتها في العبرانيّة صيغة الفعل المضارع، فإنّ العادة فيها أن تعبّر عن الماضي الواقع بعد الواو بصيغة المضارع، وعلى هذا فإنّ كلمة «نعسه» هي فعل مضارع مبنيّ للمجهول، ترجمته «يصنع».

كما ذكرت التوراة أنّ الله ـ جلّ اسمه ـ قال في إنشاء خلق السماوات وما فيها وما في الأرض: «يهي: يكون. ويقاووّ: تجتمع. وتد شاء: تنبت»[١١].

فكان كما قال جلّ اسمه.

---

١. سفر التكوين ٢٢: ١٦ و ٢٦: ٣.

٢. سفر التكوين ٢٦: ٤؛ سفر القضاة ١: ١٢.

٣. سفر الخروج ١٢: ١٩.

٤ و٥. سفر الخروج ٢٢: ٥ و ٦ و ٩.

٦ و٧. سفر الخروج ٢٢: ٥ و ٦ و ٩.

٨. سفر اللاويّين ١٩: ٣.

٩. سفر اللاويّين ٢٥: ٣٩.

١٠. سفر الخروج ١٠: ١٥؛سفر العدد ٢٦: ٦٥.

١١. انظر سفر التكوين ١: ٣ـ ١١.

ويدلّ على أنّ كلمة «نعسه» هي فعل مبنيّ للمجهول، وأنّ «آدم» نائب الفاعل، هو أنّه لو كانت كلمة «نعسه» فعلاً مبنيّاً للفاعل و «آدم» مفعولاً لقيل: «نعسه ات آدم»؛ لأنّ لفظة «ات» لازمة في اللغة العبرانيّة للمفعول به، ولا تذكر مع نائب الفاعل، فكان عدمها هاهنا حجّة قاطعة من اللغة العبرانيّة على أنّ «نعسه» فعل مبنيّ للمجهول، و «آدم» نائب الفاعل لا مفعول.

وأيضاً، فإنّ اعتمادك في ترجمة توراتك بقولك: «على صورتنا كشبهنا» فليس إلّا قول الأصل العبراني «بصلمنو كد موتنو» وهو اعتماد واه، وتشبّث سخيف، يعرف سخافته كلّ من وقف على الغلط الفاحش في الأصل العبراني ممّا نبّهت عليه الحواشي والتراجم وزيادة، وكلّ من وقف على الهرج والمرج القائم في أمر النون في أواخر الكلمات، فقد ذكرت اسماً في آخره نون، وحذفتها عند النسبة إليه وهو «نعمان ونعمي»[١]، وكم عكست فزادت النون عند النسبة إلى ما لا نون فيه نحو «ادموني»[٢] للأحمر من «ادوم»، ونحو «شلاه وشلاني»[٣]، وتقول في كلمة «بعد: عود»[٤]، «وبعدك: عودك»[٥]، وفي «بعده: عودنو»[٦]، وفي «تحت ـ أي عوض ـ: تحتنه»[٧]، أي عوضها، وفي «تفتح وتنفتح: وتفقحو وتفقحنه»[٨].

وقالت التوراة أيضاً في الوثن الذي سمّته «توعباه»، أي قبيحاً أو رجساً، «شقص تشقصنو وتعب تتعبنو»[٩]، أي بغضاً تبغضه وكراهةً تكرهه؛ فسبيل النون في قولها:

---

١. سفر العدد ٢٦: ٤٠.

٢. سفر التكوين ٢٥: ٢٥.

٣. سفر العدد ٢٦: ٢.

٤. سفر التكوين ٤٥: ٣.

٥. سفر التكوين ٤٦: ٣٠.

٦. سفر التكوين ٤٣: ٢٧ و ٢٨.

٧. سفر التكوين ٢: ٢١.

٨. سفر التكوين ٣: ٧.

٩. سفر تثنية الاشتراع ٧: ٢٦.

«بصلمنو كد موتنو» كسبيلها في الموارد المذكورة وأمثالها الكثير جدّاً من حيث الغلط في الكتابة أو التوسّع في اللغة.

فإن قلتَ: إنّ النون في مثل «عودنو وتشقصنو» عليها علامة التشديد بخلاف النون في «بصلمنو كد موتنو».

قلنا: إنّ علامات التشديد والحركات السكون لم توضع في الكتابة العبرانيّة إلّا في مدرسة طبريا التي أُنشئت في قرن المسيح ﷺ أو بعده، فعلامة التشديد ونحوه لم تكن في كتب اليهود قبل ذلك العصر، بل وإلى الآن لا توجد في التوراة التي يكتبونها ويقدّسونها للتلاوة في معابدهم.

فإن قلتَ: إنّ قرينة المقام تعيّن موارد التشديد من غيرها.

قلتُ: وأيّ قرينة إذن أوضح من توحيد الله ـ جلّ شأنه ـ وتنزّهه عن الصورة والشبيه، كما صادقت على ذلك صراحة العهد القديم المتكرّرة حيث قال: «من يشبِّه الربّ بأبناء الله؟»[1]، «بمن تشبّهون الله؟ وأيّ شبيه تعادلون به؟ وبمن شبّهوني وأُساويه؟ يقول القدّوس. وبمن تشبّهونني وتساووا وتمثّلونني فنتشابه؟»[2].

وإن كنت تجنح لصحّة التوراة الرائجة فعليك أن تفسّر ما يوهم التشبيه، وتقول: إنّ الإنسان بصورته ومثاله خلقه الله، وعلى صورةٍ ومثالٍ خلقه الله ذكراً وأُنثى، ولم يخلقه روحاً مجرّدةً. وإنّ العهدين ـ وخصوص التوراة ـ لتنوّه صراحتهما المكرّرة بوحدة الإله؛ فلماذا تحمل مشتبهات ألفاظها وأغلاطها على التعدّد الذي يشمئزّ العقل والفطرة من فرض إمكانه؟! ومن لا يرضى بالعقل فيصلاً في معرفة الإله كيف تقبل منه في أوهامه هذه الأغاليط المتضاعفة والغفلات المتراكمة؟!

---

١. مزامير داود ٨٩: ٦.

٢. كتاب إشَعْياء ٤٠: ١٨ و ٢٥، و ٤٦: ٥.

وأمّا قول توراتك: «الإنسان صار كواحد منّا».

فلسنا نحتاج في إبطاله إلى أن نذكّرك بما ذكرناه إجمالاً من حال توراتكم، وخصوص هرجها ومرجها في الغلط والاضطراب بالضمائر والحروف.

بل يكفي في سخافته كونه كلام متحسّر مقهور نادم مغبون، يمكن أن تستلب منه صفاته الخاصّة بالقهر والاختلاس، إلّا أنْ يتحذّر عمّا يأتي ويحامي عن حوزة استبدادهِ بإعمال التدابير اللازمة.

بل مقتضاه مع الكلام السابق أنّ آدم قد تمّ له دست الأُلوهيّة، حيث كان على صورة الآلهة، ثمّ صار كواحد منهم، ولا يضرّ كونه مغلوباً بالإخراج من الجنّة، فإنّه كان غالباً بصيرورته كواحد من الآلهة، ولا يضرّ أيضاً كونه يموت، فإنّكم تقولون: إنّ أُقنوم الابن قد صلب ومات ودفن!

ثمّ التفت ـ عافاك الله ـ إلى قول توراتكم: «إنّ الله خلق آدم على صورته وشبهه» وما هي تلك الصورة؟! ولا تقدر أن تقول هي صفة المعرفة؛ لأنّ ذلك كان قبل أن يصير عارفاً بالخير والشرّ!

وأمّا قول توراتكم ـ التي شرحنا حاله ـ: «هلمّ ننزل ونبلبل...» إلى آخرهِ.

فهو قول من لم يفهم من صراحة توراتكم معناها السخيف؛ فإنّها قالت قبل ذلك: «فنزل الربّ لينظر المدينة والبرج اللذَين كان بنو آدم يبنونهما، وقال الربّ: هو ذا شعب واحد، ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم كلّ ما ينوون أن يعملوه، هلمّ ننزل ونبلبل...» إلى آخره.

وحاصل هذه الخرافة هو إنّ الله القادر ـ جلّ شأنه ـ يقول: إنّ بناءهم لهذا الاستحكام يؤول إلى استقلال هذه الرعيّة، فلابدّ من تدارك هذا الأمر قبل أن يحدث ما لا يمكن دفعه، وفي ذلك الحال قال: «هلمّ ننزل» فلا بدّ أن يكون قد طلب النزول ممّن لم ينزل معه.

فإن زعمتَ أنّ ذلك طلبٌ لنزول الأُقنومين اللذَين بقيا في السماء ولم ينزلا معه.

قلنا: سامحناك في سخافة هذا الزعم، ولكنّه دعوى بلا شاهد، ولو بمثل سخافتها! ولماذا لا يكون طلباً لنزول جند السماء وروح الكذب؟!

كما ذكرت كتب إلهامكم في تأريخ «اخاب» ملك إسرائيل، أنّ الربّ كان جالساً على كرسيّه وكلّ جند السماء وقوفٌ عن يمينه ويساره، فاستشارهم فيمن يغوي «اخاب»، فتفاوضوا في المشورة، وقال هذا: هكذا، وقال هذا: هكذا، إلى أن توفّق روح الكذب للرأي السديد، ففوّض إليه العمل لأجل اقتداره، ولكنّ «ميخا» النبيّ أفشى سرّ هذه المشورة، وكاد أن يبطل تدبير الربّ وروح الكذب فيها. فراجع: الملوك الأوّل[١] ٢٢: ١٩ ـ ٢٣، والأيّام الثاني[٢] ١٨: ١٨ ـ ٢٢، وافرح بعناية الوحي بتكرار هذه الخرافة، وأظنّ متّبعيه يحسبونها تمجيداً لله!!

[١٥] وأمّا قولك: «ودانيال يخبرنا في كتابه أنّ الله قال لبخت نصّر: لك نقول يا بخت نصّر».

فإنّه كلام اتّبعت فيه غفلة المدعوّ بعبد المسيح، فإنّ الذي تنسبه لدانيال إنّما نصّه في الأصل العبراني: «لك آمرين نبوخذ نصر، لك طاردين» والتراجم العربيّة والفارسيّة ممّا عندي قد ترجمت ذلك بقولها: «لك يقولون» أو «لك يقال» أو «لك قيل» مع أنّها اتّفقت على ترجمة «طاردين» بيطردونك[٣].

[١٦] وأمّا قولك:

إنّ التوراة تقول في مقام آخر: إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب؛ فكرّرت لفظ الجلالة ثلاث مرّات تفصيلاً للجمع المتقدّم، وإشارةً إلى أنّ في هذا الموضع سرّاً، وهو أنّ الله واحد ذو ثلاثة أقانيم، فثلاثة أقانيم إله واحد، وإله واحد، ثلاثة أقانيم، فأيّ دليل أوضح، وأيّ نور أضوأ من هذا؟!

---

١. أي تأريخ الملوك الأوّل.
٢. أي تأريخ الأيّام الثاني.
٣. انظر كتاب دانيال ٤: ٣١ و ٣٢.

فإنّه قول اتّبعت فيه المدعوّ بعبد المسيح، وليتك راجعت الأصل العبراني وتتبّعت توراتكم لكي تسلم ـ أقلاً ـ من سوء الاتّباع والخطل في النقل.

عافاك الله، فكم يوقعك الاتّباع للسلف في المهاوي، فإنّ احتجاجك هذا لو سامحناك في جميع مقدّماته ـ التي نسأل الله أن يعافي من وبالها كلَّ من لم يعاند الله بالشرك ـ لكانت نتيجتها الشوهاء: إمّا تربيع الأقانيم، أو مذهب المجوس في التثنية؛ فإنّ الذي في الأصل العبراني هكذا تعريبه: «إلٰه آبائك إلٰه إبراهيم إله إسحاق وإلٰه يعقوب»[1].

فإنّك إن تشبّثت بتكرار لفظ الجلالة فقد تكرّر أربع مرّات، وإن اعتمدت على المغايرة بالعطف بالواو فليس في المقام إلّا عطف واحد؛ أفتقول: إنّ الإله أربعة؟! أحدهم إله الآباء خاصّةً، وثانيهم إله إبراهيم خاصّةً، وثالثهم إله إسحاق خاصّةً، ورابعهم إله يعقوب خاصّةً، واختصّ بالعطف بالواو لأجل امتيازه عن الآخرين، فتقول: إنّه امتاز عنهم بمصارعته ليعقوب[2]، وبمؤاتاته له في أخذ البركة من إسحاق بالخديعة والكذب[3]!

أم تقول: إنّ المتكرّر بلا عطف هو واحد، والمعطوف هو ثانٍ كقول المجوس، وإنّ المجوسي ليأخذك بمثل شطط حجّتك، ويقول لك: إنّ توراتكم تقول: «الهيم» وإنّ لغتها لا تميّز بين التثنية والجمع، وقد بيّنت هذا المجمل بالعطف، وقالت أيضاً: «إلٰه إبراهيم وإلٰه إسحاق»[4]. فالعطف في المقامين دليل الاثنينيّة، ثمّ يتحمّس عليك ويقول لك مثل قولك: أيّ دليل أوضح وأيّ نور أضوأ من هذا؟! وإنّها لظلمات بعضها فوق بعض.

[١٧] وأمّا احتجاجك بقول توراتكم في شأن إبراهيم:

وظهر له الربّ عند بلّوطات «ممرا» وهو جالس في باب الخيمة، فرفع عينيه

---

١. سفر الخروج ٣: ٦ و ١٥ و ٤: ٥.

٢. سفر التكوين ٣٢: ٢٤ ـ ٣٢.

٣. سفر التكوين ٢٧: ١٤ ـ ٤٠.

٤. سفر التكوين ٢٨: ١٣.

ونظر، وإذا ثلاث رجال واقفون لديه. فلمّا نظر ركض لاستقبالهم، وسجد إلى الأرض، وقال: يا سيّد، إنْ كنت وجدت نعمةً في عينيك فلا تتجاوز عبدك.

فإنّ اتّباعك لغفلة المدعوّ بعبد المسيح قد أغفلك عن التدبّر في محاورات توراتكم التي عرفت حالها، فإنّها كثيراً مّا تسمّي الملاك بالله والربّ؛ جهلاً من كاتبها الذي استعار لها اسم التوراة الحقيقيّة؛ أو لأنّه قد دفعه إلى ذلك طوايا الوثنيّة وعبادة جند السماء!

أفلا تراها بينما تكرّر أنّ الربّ يسير أمام بني إسرائيل[1]؛ إذ تقول: «إنّ السائر هو ملاك الربّ»[2]، وتقول: «إنّ الذي ظهر لموسى في عليقة النار هو ملاك الربّ»[3]؟! كما صرّح به استفانوسكم الذي تقولون: إنّه ممتلئ من الروح القدس!

ثمّ تقول: «إنّ الذى ظهر هو الربّ الإله»[4]، وإنّها تقول: «إنّ الذي كلّم موسى هو الله»[5]، واستفانوسكم يقول: «إنّ الملاك الذي كان سائراً مع موسى في البرّيّة هو الذي كان يكلّمه في جبل سينا»[6].

وإنّ سفر القضاء قد نسب إلى ملاك الربّ ما نسبته التوراة إلى الله ـ جلّ اسمه ـ ففيه:

وصعد ملاك الربّ من الجلجال إلى «بوكيم» وقال: قد أصعدتكم من مصر، وأتيت بكم إلى الأرض التى أقسمت لآبائكم، وقلت: لا أنكث عهدي معكم إلى الأبد، وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكّان هذه الأرض، اهدموا مذابحهم، فلا تسمعوا لصوتي، فماذا عملتم، فقلت: لا أطردهم من أمامكم، بل يكونون لكم وتكون آلهتهم لكم شركاً، وكان لمّا تكلّم ملاك الربّ بهذا الكلام[7].

---

١. سفر الخروج ١٣: ٢١ و ١٤: ٢٤؛ سفر العدد ١٤: ١٤؛ سفر تثنية الاشتراع ١: ٣٢؛ رسالة يعقوب: ٣٣.
٢. سفر الخروج ١٤: ١٩؛ سفر العدد ٢٠: ١٦.
٣. سفر الخروج ٣: ٢.
٤. سفر الخروج ٣: ١٦.
٥. وهو كثير في التوراة، وعليه مدارها، فانظر: سفر الخروج ٣: ٤ و ١١، و ٤: ١٠؛ سفر العدد ١٢: ٨.
٦. أعمال الرسل ٧: ٣٨.
٧. سفر القضاة ١٢: ١ ـ ٥.

ثمّ قل ـ هداك الله وعافاك ـ: ما صورة احتجاجك بقصّة إبراهيم؟! أتقول ـ عافاك الله ـ: إنّ إبراهيم كان عارفاً بأنّ الرجال الثلاثة كانوا أقانيم الإله الواحد، ولذلك خاطبهم خطاب الواحد؛ لأجل أنّهم وإن كانوا ثلاثة، فهم واحد حقيقةً؛ ومن أجل هذه المعرفة دعاهم إلى الضيافة ليغسلوا أرجلهم، ويتّكئوا تحت الشجرة، ويسندوا قلوبهم بكسرة خبز، فعمل لهم ثلاث كيلات: خبز ملّةٍ، وعجلاً سميناً، وزبداً ولبناً، ووضعها قدّامهم فأكلوا؟!

عافاك الله، أفتدعوني إلى عبادة مثل هذه الآلهة؟! أفهذا إنصافك؟! وقد عهدنا من بعض السكارى المنصفين أنّهم ـ في حال سكرهم ـ يعظون من يشفقون عليه، ويمنعونه عن السكر معهم، ويقولون له: إنّا قد ابتلينا بشرب هذا المنحوس، ولا تدعنا العادة الوخيمة أن نتركه، فلا تبتل بسفاهتنا!

أم تقول: إنّ إبراهيم لم يكن عارفاً بأنّهم أقانيم الإله الواحد، ولكنّ اتّفاق هذه الواقعة في تعدّد الرجال ووحدة الخطاب يشير إلى تثليث الأقانيم؟!

قلنا: وحاصل ما تقول إذن أنّ وحدة الخطاب مع تعدّد الرجال كانت غلطاً، ولكنّه يشير إلى تثليث أقانيم الإله الواحد، فبخٍ بخٍ لك في هذه الحجّة، وهل يناسب الغلط أنّ يحتجّ له بغير الغلط؟!

ولكنّ المجوسي يحتجّ عليك بأقوى من حجّتك ويقول: إنّ هذا الغلط الاتّفاقي لا يصلح حجّةً، ولكنّ الحجّة هو الغلط اللازم في المرض المزمن، وهو كون الأحول يرى الواحد اثنين متماثلين، وفيه إشارة إلى أنّ الإله الذي يعتبره الموحّدون واحداً إنّما هو اثنان!

ثمّ يجيء الوثني ويقول للمثلّث والمثنّي: لا ينبغي أن يحتجّ لمثل هذه المعرفة بالغلط، بل إنّ التوراة كثيراً مّا خاطبت الأُلوف من بني إسرائيل بخطاب الواحد، وإنّ طبيعة العين تقتضي أن ترى الأُلوف المتعدّدة ـ من بعيد ـ شبحاً واحداً، وفي هذا كلّه إشارة إلى أنّ الإله الذي يعتبره الموحّدون واحداً إنّما هو أُلوف من الأوثان!

عافاك الله، وليس للموحّد حينئذٍ إلّا أن يوقفه العجب موقف الحيرة، لا يدري أيضحك أم يبكي ؟!

[١٨] وأمّا قولك:

قال داود: بكلمة الله صنعت السماوات، وبروح فيه كلّ جنودها [١]. فذكر الله وكلمته وروحه، الأقانيم الثلاثة.

فلم تَعْدُ فيه أن تكون تابعاً لغفلة المدعوّ بعبد المسيح، أفلم تنظر في المزمور الذي تذكره لكي ترى فيه قوله: «في خلق الله للسماوات وجنودها؛ لأنّه قال: فكان هو أمر فصار» ؟! وفي المزامير أيضاً: «لتسبّح اسم الربّ؛ لأنّه أمر فخلقت» [٢].

ألم تسمع من إنجيلكم نقله عن قول المسيح: «إنّه مكتوب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله» [٣]. وأُشير بالمكتوب إلى قول التوراة ذلك مع زيادة في النقل، فإنّ نصَّ الذي في التوراة: «بل بما يخرج من فم الله» [٤].

أفلم تعلم من ذلك أنّ المراد بالكلمة هو فيض الله على العالم بالتكوين والتعليم والتشريع، فقيل عن الفيض: إنّه كلمة... وأمر... وليكن... وكلمة تخرج من فم الله... وريح فمه، أو روح فمه؛ أفلا تفهم من قوله: «ريح فمه» أو «روح فمه» أنّه كناية عن الفيض والمشيئة التكوينيّة التي يعبّر عنها بـ«كن»... و«لتكن»... و«كلمة»، كما تذكر التوراة خلق الأشياء بقوله جلّ اسمه: «يهي»، أي لتكن.

عافاك الله، وقد موّه قبلك عبد المسيح فأخبر جازماً بأنّ الذي في المزامير: «وروح فمه»، مع أنّ اللفظ العبراني يحتمل معنى الريح، كما هو الأنسب، وفسّره مترجموكم بالنسمة [٥].

---

١. مزامير داود ٣٣: ٦.

٢. مزامير داود ١٤٨: ٥.

٣. إنجيل متّى ٤: ٤؛ إنجيل لوقا ٤: ٤.

٤. سفر تثنية الاشتراع ٨: ٣.

٥. انظر: الأصل العبراني من سفر التكوين ٣: ٨؛ سفر الخروج ١٤: ٢١؛ سفر العدد ١١: ٣١.

والحاصل: أنّ «كلمة الله»، و«ريح فمه»، و«نسمة فمه»، بل و«روح فمه»، هذه كلّها كناية عن مشيئة الله التي بها أوجدت السماوات وكلّ جنودها.

[ ١٩] وأمّا حجّتك بقول المزامير: «لكلمة الله أُسبّح».

فإنّك اتّبعت فيه عبد المسيح، وهو غير مُعتَمد في نقله، ولم نجد هذا المنقول على الاستعجال في المزامير لننظر فيه !

ولكنّا نقول: هبه صَدَقَ في النقل، وهبنا أغمضنا عن مشاركة المزامير للتوراة في وجوه الخلل التي ذكرناها، فإنّا يكفينا في جهالته في حجّته أنّه جاء في المزامير: «في كلّ يوم أُباركك وأُسبّح اسمك... دور إلى دور يسبّح أعمالك وبجبروتك يخبرون»[١].

فهل تقول: إنّ اسم الله هو الأُقنوم الرابع ؟! وإنّ أعمال الله أقانيم لا تحصى، وهي الله ؟! أم لم تدر بأنّه يوجد مثل هذا في المزامير ؟!!

[ ٢٠] وأمّا احتجاجك بقول المزامير أيضاً: «تبارك الله إلهنا، تبارك الله يوماً فيوماً، يسهّله الله علينا».

فقد سمعناه قبلك من المدعوّ بعبد المسيح، ولم نجد لمنقولكما في المزامير عيناً ولا أثراً يشبّه به إلّا قولها: «مبارك السيّد يوماً فيوماً، يحمّلنا إله خلاصنا، الله لنا إله خلاص».

وكيف كان، فخرافة هذا الاحتجاج تقتضي تكثير الآلهة والأقانيم حسب ما يتكرّر في المزامير! وماذا تقول لمن يحتجّ عليك بأنّ المزامير قد تكرّر فيها لفظ الجلالة أكثر من ألف مرّة ؟!!

[ ٢١] وأمّا احتجاجك بالقول المنسوب لإشعياء: «والآن السيّد الربّ أرسلني وروحه».

فلماذا غفلت فيه، كالمدعوّ بعبد المسيح، أو تغافلتما عن أنّ روح الربّ هو الملاك الذي يكلّم الأنبياء ويكون واسطةً في إرسالهم ؟! حتّى أنّ التوراة الرائجة تسمّيه الله والربّ، كما ذكرناه عن التوراة واستفانوسكم في شأن الذي كلّم موسى، وظهر له وسار معه.

---

١. مزامير داود ١٤٥: ٢ و ٤.

[٢٢] وأمّا احتجاجك بما يذكره إنجيلكم عن قول المسيح: «وعمّدوهم باسم الأب، والابن، والروح القدس».

فلو صحّت الأحلام في الأناجيل الرائجة لقلنا: إنّ المعنى عمّدوهم باسم الإله، واسم النبيّ العبد الصالح صاحب الدعوة ومبلّغ الرسالة، واسم الروح القدس الملك المتوسّط بين الله ورسله في الوحي؛ ليعترفوا بالإله الواحد، ويصدّقوا برسالة النبيّ ووحيه بواسطة الروح القدس، فإنّ الابن في اصطلاح العهدين هو الموحّد والمؤمن، كما سمّت التوراة بني إسرائيل بالابن البكر[١]، وقال الإنجيل: «لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات»[٢].

وبمقتضى احتجاجاتك هذه الأربع أنّك لابدّ لك من تربيع الأقانيم أقلّاً؛ لأنّ كتابكم يقول: «إنّ الله محبّه»[٣]، فلماذا لا تعدّ ذلك أُقنوماً رابعاً؟! بل عليك أن تخمّس الأقانيم؛ لأنّه قد تكرّر ذلك! بل عليك ـ في سخافة هذه الحجج المضحكة ـ أن تزيد في عدد الآلهة والأقانيم كلّما تنظر في كتبكم.

[٢٣] وأمّا قولك:

وقال الكتاب المقدّس: فإنّ الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد.

فقد غشّتك فيه أمانيّك، وغالطك ـ عافاك الله ـ هواك، ولئن كنت لا تدري فإنّا ندري بأنّ العهد الجديد الذي هو كَمَلْكِي صادوق[٤] بلا أب، بلا أُمّ، بلا نسب، لا بداية أيّامٍ معلومة له، ولا نهاية وقوفٍ لتقلّبه، لطالما يقيء هذه الفقرة، ثمّ يوجرها العناد في حلقه، وأنّ الكثير من أسلافك وقدوتك ومصلحيك قد أنكر هذه الفقرة، فأُسقطت حتّى في

---

١. سفر الخروج ٤: ٢٢ و ٢٣.

٢. إنجيل متّى ٥: ٤٥.

٣. رسالة يوحنّا الأُولى ٤: ٨ و ١٦.

٤. رسالة بولس إلى العبرانيّين ٧: ٣.

التراجم المطبوعة في هذا الدور! وأنّ أكثر المطبوعات تجعلهما بين الخطّين الهلاليّين اللذَين هما علامة الشكّ فيها وعدم وجودها في أقدم النسخ وأصحّها.

[ ٢٤] وأمّا قولك: «وأمّا أُلوهيّة المسيح فلا ينبغي بعد هذا أن يرتاب فيها ذو عقل».

فلهفي عليك فيه من غفلتك عمّا شرحنا لك فيما أشرت إليه:

فإنْ كنتَ لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم[١]

عافاك الله، إنّ أناجيلك هي التي تذكر في شأن المسيح ما لا يكون إلّا من عبد مخلوق، حادث، فقير، ضعيف، لا يقدر على شيء إلّا بإقدار الله؛ ولا يعلم ما يعلمه الله، ولم يتخلّص من غواية الشيطان، وتصرّفه به، وطمعه في تكفيره إلّا بعد اللتيّا والتي.

[ ٢٥] وأمّا قولك:

إنّ المسيح ذاته قد كشف القناع عن ذلك باحتجاجه على اليهود في قوله لهم ـ له المجد ـ: أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت: إنّكم آلهة، إن قال آلهة لأُولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب، فالذي قدّسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له: إنّك تجدّف، لأنّي قلت: إنّي ابن الله.

فقد كنت أظنّ أنّ ذا الفطنة منكم يستر هذا على كتابه، أفَلستَ ترى هذا القول يجاهر بتعدّد الآلهة الكثيرة على خلاف ما تقوله التوراة، بل وجميع كتبكم؟! ولا أبهظك بذكر العقل الذي تضجر من اسمه وحكمه.

وزيادةً على هذا، إنّ هذا المحتجّ ـ وحاشا المسيح من ذلك ـ لم يفهم ما في المزمور الثاني والثمانين، فلم يفهم أنّه مسوق للإنكار والتوبيخ، وإلّا كان من أقبح الشرك؛ ومع سوء الفهم لم يأت بشيء في حجّته المضحكة أو المبكية! فإنّه بعد أن وقع في أقبح ما يكون من سوء الفهم، والشرك، ونسبته إلى الوحي، لم يُثبِت للمسيح إلّا كونه ابن الله، وكتبكم قد سمّت بذلك حتّى فسّاق بني إسرائيل؟!

وبهذا تعرف ما في تشبّثك بقول إنجيلكم: «إنّه جاء صوت من السماء: هذا هو ابني

---

١. البيت لصفيّ الدين الحلّي (م ٧٥٢ هـ). انظر ديوانه: ٦٥.

الحبيب الذي به سررت»، فإنّه على سخافة مستنده لا يدلّ ـ باصطلاح العهدين ـ إلّا على أنّه مؤمن محبوب، ولكنّه لا يبلغ فضل الابن البكر، وهم بنو إسرائيل !

[٢٦] وأمّا قولك:

إنّ وحي بولس أوضح الحجّة إذ قال ـلِمَنْ مِنَ الملائكة قال قطّ: أنت ابني أنا اليوم ولدتك ـ: وأيضاً أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً.

فنقول فيه: إنّ هذا الوحي انتهب نهاراً جهاراً وهو يحسب أنّه اختلس ليلاً. فإنّ الفقرة الأُولى قد جاءت في المزمور الثاني، وهي لا تنطبق على المسيح؛ لأنّ ولادته بأيّ نحو كانت لم تكن في اليوم الذي كتب فيه هذا المزمور، أو أُوحي على زعمكم؛ لأنّ ولادات المسيح عندكم دائرة بين الولادة الأزليّة، أو الولادة الكائنة في بيت لحم، أو التي عند اعتماده من يوحنّا بعد ثلاثين سنةً من عمره الشريف!

وأمّا الفقرة الثانية، فإنّ كتابكم صريح بأنّها مقولة في سليمان بن داود[١].

وقال بعض الظرفاء: ما أشأم التسمية بالابن على التوحيد، فقد سمّت التوراة الرائجة بني إسرائيل بالابن البكر، فكان منهم ما كان من تقلّبهم في الشرك، وتمرّدهم على التوحيد من يوم عبادة العجل إلى سبي بابل.

وسمّى صموئيل الثاني[٢] والأيّام الأوّل[٣] سليمان بالابن، وقد ذكر الملوك الأوّل[٤] أنّ سليمان ـ وحاشاه ـ مال قلبه وراء آلهة أُخرى، وذهب وراء عشتاروت آلهة الصيدونيّين، وملكوم رجس العمونيّين، وبنى مرتفعة لكموش رجس الموابيّين ولمولك رجس بني عمون، أي بنى مشعراً لعبادة هذين الصنمين وذلك عبادةً لهما.

وسمّت الأناجيلُ المسيحَ بالابن، فجاء الناس من ذلك بداهية التثليث، فصار المنادون يهتفون بنعي الإله ليبشّروا بالفداء والتفلّت من الشريعة.

---

١. تأريخ الأيّام الأوّل ٢٢: ٩ و ١٠؛ كتاب صموئيل الثاني ٧: ١٢ـ١٦.

٢. أي كتاب صموئيل الثاني.

٣ و ٤. أي تأريخ الملوك الأوّل.

[٢٧] وأمّا تشبّثك بقولك:

وإن شئت التثبّت في الاستيضاح فراجع المثل الذي ضربه المسيح بغارس الكرم؛ إذ أرسل إلى الكرّامين عبيده، ثمّ ابنه من بعدهم.

فقد سمعنا بذلك قبلك عن أناستاس الكرملي نزيل بغداد حالاً، فراجعنا المثل ـ عافاك الله ـ وإنّه لو صحّت الأحلام بنسبته للمسيح لما كان فيه إلّا التمثيل لإرسال الأقرب منزلةً بعد من هو دونه، ولا ينكر أنّ المسيح أقرب منزلةً إلى الله ممّا عدا موسى من أنبياء بني إسرائيل الذين هم من أتباع موسى.

وإنّ الالتزام بالمطابقة بين المثل والممثّل له في جميع الخصوصيّات المذكورة في المثل ليفضي إلى أقبح الكفر؛ فإنّ المثل يقول: إنّ غارس الكرم سافر، ويقول: إنّه غرّته الأوهام، وقال في عملة الكرم: إنّهم يهابون ابني، فخاب ظنّه وضلّ رأيه، فلم يهابوا ابنه! أفتقول ذلك في الله جلّ شأنه ؟!

[٢٨] وأمّا تشبّثك بأنّ المسيح طلب من الأعمى الذي شفاهُ أن يؤمن بهذه الحقيقة قائلاً: «أتؤمن بابن الله؟» فأجاب الأعمى: «من هو لكي أُؤمن به؟» فقال له: «إنّ الذي يتكلّم معك هو هو». فقال الأعمى: «أُؤمن» وسجد له.

فقد سمعناه قبلك أيضاً من أناستاس، ولو صحّ هذا الكلام عن المسيح ـ وأنّى ـ لما عدا أن يكون جارياً على اصطلاح العهدين من تسمية المؤمن الصالح بابن الله.

[٢٩] وأمّا قولك:

إنّ هذا الأعمى ومريم المجدليّة ومريم أُمّ يعقوب والتلاميذ سجدوا للمسيح ولم يردعهم، مع أنّ السجود لا يحقّ إلّا لله. فكيف يرضى المسيح أن يسجدوا له لو لم يكن إلهاً حقيقةً.

فقد سمعناه قبلك أيضاً عن احتجاجات أناستاس، وكنّا نعجب من أنّ الذي ينصّب قسّاً ورئيساً في ديانته كيف يجهل من كتبه كثرة نقلها لسجود الأنبياء للبشر، وسجود البشر للأنبياء، وسجود النبيّ للنبيّ ؟!

وإنّ توراتكم لتقول مكرّراً: إنّ إبراهيم خليل الله قد سجد لشعب الأرض لبني حِث[١] وقد كان هؤلاء مشركين!

وإنّ يعقوب عند ملاقاته لعيسو سجد إلى الأرض سبع مرّات، وسجد أيضاً نساؤه وأولاده[٢]، ولسانها ينادي بأنّ هذا السجود كان تحيّةً وتملّقاً لعيسو لئلّا يبطش بهم؛ إذ كان يعقوب خائفاً منه!

وإنّ إخوة يوسف سجدوا له[٣].

وسجد يوسف أمام وجه أبيه[٤].

وموسى خرج لاستقبال حميه وسجد وقبّله[٥]، وفي الأصل العبراني: «ويشتحو ويشق لو».

وسجد داود ثلاث مرّات لَمّا ودّع يوناثان ابن شاول[٦].

وسجد لشاول[٧].

وسجدت له ابيجايل[٨].

وسجدت له بثشبع[٩].

وسجد ناثان النبيّ لداود النبيّ[١٠].

---

١. سفر التكوين ٢٣: ٧ و ١٢.

٢. سفر التكوين ٣٣: ٣ ـ ٧.

٣. سفر التكوين ٤٢: ٦ و ٤٣: ٢٦ و ٢٨.

٤. سفر التكوين ٤٨: ١٢.

٥. سفر الخروج ١٨: ٧.

٦. كتاب صموئيل الأوّل ٢: ٢١.

٧. كتاب صموئيل الأوّل ٢٤: ٨.

٨. كتاب صموئيل الأوّل ٢٥: ٢٣.

٩. تأريخ الملوك الأوّل ١: ١٦.

١٠. تأريخ الملوك الأوّل ١: ٢٣.

وسجد سليمان النبيّ لأُمّه[١].

فإن قلت: إنّ هؤلاء كلّهم قد أخطؤوا وعصوا في السجود لغير الله!

قلنا: إنّ الاحتجاج الذي تنقله أناجيلكم عن المسيح ليخرسك عن هذه الجرأة. أولم تجد أنّ أناجيلكم تذكر أنّ المسيح لَمّا اعترض عليه اليهود بأكل تلاميذه من الزرع يوم السبت، احتجّ عليهم بأكل داود من خبز التقدمة الذي لايحلّ إلّا للكهنة[٢]، فلو لم يكن داود معصوماً في فعله، بل لا يجوز أن يفعل الحرام، لما صحّ من المسيح هذا الاحتجاج.

وإنّ سجود داود لشاول، وسجود ابيجايل وبثشبع وناثان النبيّ لداود كان بعد أكله من خبز التقدمة الذي احتجّ المسيح به.

فإن قلت: إنّ داود وهؤلاء الساجدين لغير الله كلّهم قد أخطؤوا وعصوا بسجودهم هذا، وإنّ هذا الاحتجاج المنقول عن المسيح إنّما هو دخيل في الأناجيل، قد زاده عبث الأيّام.

قلنا: مرحباً، فما العلامة القاطعة على أنّ حكاية سجود التلاميذ للمسيح، وكذا توما والأعمى والمَرْيَمَيْن[٣] قد كانت من شقّ فم الوحي، وفلذة من كبد الإنجيل الحقيقي، لم يلدها العبث في حجر الضلال كحكاية الاحتجاج بفعل داود؟!

وما الحجّة القاطعة على أنّ المسيح مالأهم على السجود له؟! أوَلسنا نرى أنّ أناجيلكم قد أهمل كلُّ واحد منها كثيراً مِمّا يذكر الآخر، وإن اتّفقت على مادّة حكاية أوردها كلُّ واحد بصورة غريبة[٤]؟!

وما الحجّة القاطعة على أنّ سكوت المسيح ـ عند السجود له ـ لم يكن على نهج سكوت داود كيفما تقول فيه؟!

فإن زعمت أنّ الفارق أُلوهيّة المسيح.

---

١. تأريخ الملوك الأوّل ٢: ١٩.

٢. إنجيل متّى ١٢: ٢.

٣. أي مريم المجدليّة ومريم أمّ يعقوب.

٤. تعرف بعض ذلك من الجزء الأوّل من كتاب الهدى صحيفة ٢٤٩ ـ ٢٧٣. (منه ﷺ).

قلنا: هذه هي الدعوى الداهية التي ورّطك بها الهوى في مزالق الأوهام!

[٣٠] وأمّا تشبّثك بما يذكره إنجيلكم من «قول توما للمسيح: ربّي وإلهي، وإنّ المسيح ارتضى إيمانه».

فإنّك تعرف وهنه من نفس إنجيل يوحنّا ـ الذي ذكره ـ وغيره من الأناجيل، فإنّه ذكر أن لفظ «الربّ» تفسيره المعلّم[1].

وذكر أنّ المسيح قال للتلاميذ: «اصعدوا إلى أبي وأبيكم وإلٰهي وإلٰهكم»[2]، فبيّن بهذا الكلام أنّ إله التلاميذ هو إله المسيح.

ولئن كان إله التلاميذ ـ ومنهم توما ـ هو إله المسيح، فكيف يكون المسيح إله توما ؟! إذن فمن هو إله المسيح وتوما والتلاميذ ؟!

فبأيّ العبارتين ينبغي أن يكُذّب هذا الإنجيل ؟! مع أنّه نفسه، وباقي الأناجيل قد تكرّر فيها الصراحة والمجاهرة بأنّ الله إله المسيح، وأنّ المسيح يتضرّع إليه، ويطلب منه، ويستغيث به ويناديه: «يا إلهي» و«إلهي، إلهي، لماذا تركتني ؟!» ويعترف بأنّه الإله الحقيقي، ويسوع هو المسيح الذي أرسله[3].

وإنّك ـ وأنت نصراني ـ يلزمك أن تعتقد بأنّ إنجيل يوحنّا يوجد فيه ما تكذّبه الأناجيل الثلاثة، فإنّه يقول: إنّ التلاميذ ـ وخصوص بطرس ويوحنّا ـ في يوم قيام المسيح من الموت لم يكونوا يعرفون الكتاب أنّه ينبغي أن يقوم من الأموات[4]، مع أنّه تكرّر في الأناجيل أكثر من عشر مرّات أنّ المسيح صرّح لتلاميذه بأنّه يقتل، وفي اليوم الثالث يقوم من الموت، حتّى أنّ بطرس صار ينتهره عند هذا القول[5]،

---

١. إنجيل يوحنّا ١: ٣٨.

٢. إنجيل يوحنّا ٢٠: ١٧.

٣. إنجيل يوحنّا ١٧: ٣.

٤. إنجيل يوحنّا ٢٠: ٩.

٥. إنجيل متّى ١٦: ٢١ و ٢٢.

وحتّى أنّ اليهود كانوا يعلمون ذلك من قوله[١].

فإن قلت: قد سمعوا ذلك منه، ولكنّهم لم يؤمنوا به؛ لأنّهم لم يعرفوه من الكتب.

قلنا: فعلى هذا لم يكونوا آمنوا بنبوّة المسيح وصدقه بأخباره، فكيف يقول الإنجيل بأنّهم يقولون بأُلوهيّته؟!

[٣١] وأمّا قولك:

> وإن لم ينجع بك العيان ،وشئت أن تستأنس بالبرهان، فدونك الحجّة البيّنة. واعتبر بأنّ قيام المسيح من الأموات أوضح دليل على أُلوهيّته، فإنّ الأنبياء مهما كانوا عظماء لم يقدروا أن يقوموا بعد موتهم وإن أقاموا غيرهم من الموت. ولكنّ المسيح ـ له المجد ـ لمّا كان إلهاً قدر بقوّته الإلهيّة أن يقوم من الأموات، ويعود إلى الحياة، ويصعد إلى السماء حيّاً ممجّداً إلى يومنا هذا.

فقد سبقك فيه أناستاس ـ على ما حكي عنه ـ وجعله أعظم براهينهم على أُلوهيّة المسيح، فكان من جملة البراهين ـ إن صحّ النقل عنه ـ على أنّ الرهبان والقسوس قد نصبوا أنفسهم لرئاسة الدين، وليس لهم خبرة بكتب دينهم، فصاروا يخبطون في الإلهيّات حسب ما تترامى بهم العشواء.

عافاك الله وهداك مَن قال لك: إنّ الأنبياء أقاموا غيرهم من الموت بقدرتهم؟! أفلم تسمع من إنجيلك أنّ المسيح ـ الذي تغالي به ـ لَمّا أراد حياة أليعازر، كيف انقطع إلى الله، ورفع رأسه إلى السماء وقال:

> أيّها الأب، أشكرك لأنّك سمعت لي، وأنا أعلم أنّك في كلّ حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنّك أرسلتني[٢].

فتوسّل إلى الله أن يحيي أليعازر على يده ليدلّ بإعجازه على رسالته.

وإن اغتررت بقوله: «أيّها الأب» فإنّا نذكّرك بقوله: «أبي وأبيكم، وإلٰهي وإلٰهكم».

---

١. إنجيل متّى ٢٧: ٦٣.

٢. إنجيل يوحنّا ١١: ٤١ و ٤٢.

عافاك الله، ومَن قال لك: إنّ المسيح قَدِر بقوّته الإلهيّة أن يقوم بنفسه من الأموات ؟ ! أفلم تقرأ في عمرك كلّه كتبكم لكي ترى المجاهرة فيها من رسلكم، في أكثر من عشرين مورداً، بأنّ الله أقامه من الأموات ؟ !

فانظر إلى الباب الثاني والثالث والرابع والعاشر والثالث عشر والسابع عشر من الأعمال، والرابع والثامن من روميّة، والسادس والخامس من كورنثوس الأُولى، والرابع من الثانية، والأوّل من غلاطيّة وافسس وتسالونيكي وبطرس الأُوليين، والثاني من كولوسي، والثالث عشر من العبرانيّين، فلماذا ـ عافاك الله ـ تهزأ بنفسك ؟ !

[ ٣٢] وأمّا قولك:

بل إذا نظرت إلى ولادته المقدّسة من روح القدس لم تشكّ بأُلوهيّته، حيث لم يشارك البشر في التولّد من فحل بشري، وهذه حجّة ما فوقها حجّة، وآية ما بعدها آية.

فنقول فيه: إنّ الاحتجاج على أُلوهيّة المسيح بولادته المقدّسة إنّما هو من غرائب الأوهام.

**أمّا أوّلاً**: فإنّ من عرّفنا الإله ووجوب وجوده وأزليّته وكماله ليسفّه القول بأُلوهيّة من حدث بالولادة كيف ما كانت، كيف لا ؟ ! وهي دليل النقص والحدوث والإمكان!

**وأمّا ثانياً**: فإنّ آدم المتكوّن بلا ولادة أولى بهذا الوصف من المسيح، لو كان معقولاً !

**وأمّا ثالثاً**: فإنّ هذه الولادة قد تنازع فيها الإمكان والعادة، ولم يسمح لنا التثبّت في الحقائق أن نعتمد على مجرّد الإمكان، ولم يترجّح عندنا جانب الإمكان بدعاوي أمثالك أو أقوال كتبك التي هي بنفسها لم تدع مساغاً للركون إليها، بل اعتمدنا في هذه الحقيقة على الوحي الصادق، وهو أشدّ المقاومين لدعوى أُلوهيّة المسيح والمكفّر لمدّعيها، فكأنّك سمعت بأنّا نعترف بقدس ولادة المسيح، فحسبت أنّا اعتمدنا فيها على مجامعكم، أومنّتْك أوهامك بأن تخادعنا فلم تخدع إلّا نفسك!

[ ٣٣] وأمّا قولك: «وإذا اقتفيت هدى الإنجيل فلابدّ أن يسفر لك صبح اليقين بهذه الحقيقة».

فأقول فيه: ـ هداك الله ـ أيّ إنجيل تدعوني إليه؟! فإنّها أربعة متنافية متعارضة متهافتة، لم يراع كاتبُ أحدها كاتب الآخر، أفأقضي عمري بهضم الأعداد حقائقها وتثليث الواحد، وتوحيد الثلاثة والأربعة؟!

وإنّا لو أسلمنا الهدى ـ والعياذ بالله ـ إلى كتبكم لبهظتنا بما يعود منها إلى التعرّض لقدس المسيح، وتناقض تعاليمه، ووهن حججه، وعدم صدور الآية منه، وانحصار دعواه بالرسالة إلى بني إسرائيل[1].

[ ٣٤] وأمّا قولك: «وكرم عنصره المتسلسل من أنبياء مطهّرين إلى ملوك مؤمنين».

فكم لك فيه ـ هداك الله ـ من غفلة لا تليق بعوامّ الناس:

أمّا أوّلاً: فأيّ ملازمة بين كرم العنصر وبين الألوهيّة وبين النبوّة؟!

أجل، فلماذا لم تقولوا بأبي مريم وجدّها ما قلتموه بالمسيح؟!

وأمّا ثانياً: فهل عددت من الملوك المؤمنين رحبعام بن سليمان؟! الذي ترك شريعة الربّ هو وكلّ إسرائيل معه، وأرخى العنان ليهودا، حتّى بنوا لأنفسهم من شعائر الشرك وعبادة الأوثان مرتفعات وأنصاباً وسواري على كلّ تلّ مرتفع، وتحت كلّ شجرة خضراء. وكانوا أيضاً مأبونون في الأرض، فعملوا حسب أرجاس المشركين.

أم من الملوك المؤمنين «ابيا ابن رحبعام» الذي سار في جميع خطايا أبيه؟!

أم منهم «يهورام وابنه اخزيا» اللذان عملا الشرّ على ضلالة بيت اخاب؟!

أم منهم «يواش» الذي سمح ليهوذا بعبادة السواري والأصنام وترك بيت الربّ إلههم؟!

أم «امصيا» الذي أتى بآلهة ساعير وأقامها له آلهة، وسجد أمامها، وأوقد لها؟!

أم «احاز» الذي عمل تماثيل للبعليم، وذبح لآلهة دمشق، وأغلق أبواب بيت الربّ وأبواب الرواق حتّى احتاج حزقيا في تطهيره إلى عمل ثمانية أيّام؟!

---

١. تعرف مواقع ذلك في الأناجيل من الجزء الأوّل من كتاب الهدى صحيفة ٢٣٠ ـ ٢٨٢. (منه ﷺ).

أم من الملوك المؤمنين منسى الذي بنى المرتفعات، وأقام مذابح للبعليم، وسجد لكلّ جند السماء، وبنى لها مذابح في داري بيت الربّ، ولكنّه لمّا ذاق وبال أمره من ملوك آشور رجع إلى الله؟!

أم منهم ابنه «امنون» الذي عمل كلّ ما عمله أبوه من الشرك ولم يرجع إلى الله؟!

أم منهم «يهواحاز»، و«يهوياقيم»، و«يهوياكين»، و«صدقيا» الذين عملوا الشرّ، وذكر إرْميا في أيّامهم أنّ يهوذا سلكوا وراء البعليم وآلهة أُخرى حتّى صارت آلهتهم بعدد مدنهم، وبعدد شوارع أُرشليم؟!

أفلم تطّلع ـ هداك الله ـ على هذا كلّه من كتبكم حتّى قلتَ ما قلتَ؟! إذن فراجع المقدّمة الخامسة من كتاب الهدى صحيفة ٣٧ ـ ٥٣ تدلّك على مواضع ذلك من كتبكم.

وهذا وإن كان لا يضرّ في قدس المسيح ولكنّه يشينك بوصمة الجهل أو التجاهل والتدليس.

[٣٥] وأمّا قولك: «وطهارة مواليده».

فإنّي أشكرك فيه على الإذعان بهذه الحقيقة اللازمة في الأنبياء الذين لا ينبغي أن يكون فيهم نقص ينفّر عن الانقياد إليهم؛ ولكنّي أشكو إليك كتبك التي كأنّ لها غرضاً في مباهظة هذه الحقيقة، حتّى استهدفتها بالتعريض مرّةً وبالتصريح أُخرى، ولا أدري هل غفلت عن ذلك، أو عرفت كذب كتبك فيه؟!

وأبدأ إليك ـ وإلى كلّ محبّ للمسيح ـ بالشكوى من إنجيل متّى، فإنّه لمّا ذكر نسب المسيح خالس في الشتم والوقيعة مخالسة الأعداء، فأشار إلى مواقع الغميزة والثلب التي لفّقها الضُلّال، فإنّه لم يذكر ـ في طرد النسب من الأُمّهات ـ إلّا من كان لكتبكم فيها كلام، فنصّ على ذكر ثامار، وراحاب، وراعوث، وامرأة أُوريا [١].

أفتراه لا يريد بذلك أن يشير إلى ما في الثامن والثلاثين من التكوين؟! ومافي أوّل

---

١. إنجيل متّى ١: ٣ ـ ٧.

الثاني من يشوع؟! ومافي ثالث راعوت؟! وما في الحادي عشر من صموئيل الثاني؟!

ثم أُثنّي بالشكوى من كتب العهد القديم، فإنّها لم تدع منقصة وخسّة تكون في العائلة إلّا ووصمت به عائلات الأنبياء، في هذه السلسلة الطاهرة وأطرافها، فانظر إلى ما تحكيه عن لوط وابنتيه[١]، وعن روابين ابن يعقوب[٢]، وعن يهوذا وكنّته ثامار وولادة فارص[٣]، وعن داود[٤] وعن امنون بن داود وثامار أُخته ويوناداب ابن عمّها، وسكوت داود عن مثل هذه الواقعة، مضافاً إلى ما زادته الترجمة السبعينيّة في شأن داود فيها[٥]، وعن ابشالوم بن داود مع سراري أبيه[٦]، وعن ادونيا بن داود في أنّه طلب من سليمان ابيشج الشونميّة زوجة أبيه لتكون له إمرأة[٧].

فهل كان للإلهام والوحي سابقة عداوة مع هذه السلسلة الطاهرة؟!

أفلا تراه كيف جعل بيت داود؟!

هداك الله، ولو لم يكن في كتبكم إلّا مثل هذه الدواهي لكفى صارفاً عنها! فكيف بها وهي تورد عليك كلّ آونة ـ إذا سبرتها ـ داهية أعظم من أُختها؟!

فخذ حظّك ـ هداك الله ـ من رشدك، واتّق الله في نفسك وجاهد في سبيل الله حقّ جهاده، ولا تأخذك فيه لومة لائم أو ميل هوى أو سابقة أُلفة.

ولا أبهظ هواك في أوّل الأمر بالدعوة إلى دين خاصّ سوى التوحيد، فإنّ أنوار الحقيقة لا تخفى على كلّ عين أُميط عنها قذى العصبيّة وغبار الهوى.

ولئن عرفتُ منك أنّ جوابي هذا لم يبهظ هواك، ولم يصدّك اللجاج عن النظر فيه،

---

١. سفر التكوين: ١٩.

٢. سفر التكوين ٣٥: ٢٢.

٣. سفر التكوين ٣٨: ١٣.

٤. كتاب صموئيل الثاني: ١١.

٥. كتاب صموئيل الثاني: ١٣.

٦. كتاب صموئيل الثاني ١٦: ٢١ و ٢٢؛ رسالة يعقوب ١٢: ١١.

٧. تأريخ الملوك الأوّل: ٢.

وراجعتني فيه بالقبول أو المناظرة، فسوف أُهدي لحضرتك ـ إن شاء الله ـ رسالةً في تعريفك دين الحقّ وسبيل الهدى ووسيلة النجاة، والله الهادي الموفّق.

ولئن لم تعرّفني أيضاً نفسك لحكمة تؤثرها، فسأجلوها لحضرتك ـ إن شاء الله ـ على نحو هذه الرسالة، وبالله التوفيق.

[٣٦] وأمّا مخادعتك بقولك: «فتستريح إلى النواميس الروحيّة عن المتاعب البدنيّة التي هي للفناء».

فقد سمعنا ذلك قبلك من رابع غلاطيّه، وثاني كولوسي، وغيرهما؛ وإنّ بعض الفسّاق المتمرّدين من برابرة المسلمين قد قال عند الاعتراض عليه في فسوقه: «صلاة ملاة يُوخْذُر، أصل قلبك نظيف»[١].

عافاك الله، أين النواميس الروحيّة التي استراح المدّعون إليها؟!

أفلسنا في العالم؟! فإنّ أهل الأمثال يقولون: «إنّ الرمح لايخبّأ في العِذل»[٢]، ولا أرتني الأيّام أنّي أستريح من حيث تعب الكرام وجهد الأنبياء والصالحين!

أفلا تعلم ـ هداك الله ـ أنّ العبادات البدنيّة وسيلة لتمرين النفس على التوجّه إلى الله، ومظهر للخضوع بحضرته، والانقياد إلى طاعته، وإحكام للرابطة بين العبد ومولاه، ورصد للنفس عن التمرّد عليه، وحصن لها عن تسلّط الشيطان على حوزتها وطمعه في غوايتها، هذا مع ما فيها من فضيلة المناجاة مع المولى، وشرف المثول بحضرته، ووسيلة القرب منه، وغبطة الاستنزال لرحمته.

وإنّ أناجيلكم ـ مع تقصيرها في بيان عبادة المسيح وبرّه ـ قد ذكرت أنّه اعتمد من يوحنّا بمعموديّة التوراة ليكمّل كلّ برّ[٣]، وصار مع الوحوش في البرّيّة أربعين يوماً

---

١. هذا تعبير كان شائعاً بين فسّاق المسلمين في العهد العثماني «التركي» ومعناه: ليس هناك صلاة، فالدين يريد أن يكون قلب الإنسان نظيفاً، أو ما هذا معناه.

٢. مثل عامّي عراقي.

٣. إنجيل متّى: ٣.

ليجرّب من إبليس،[١] وكان يصعد الجبل ليصلّي منفرداً يقضي بذلك أكثر النهار وأكثر الليل[٢]، ويقصد لصلاته المواضع الخالية[٣] والانفراد[٤].

ألم يذكر إنجيلكم أنّ المسيح ضرب مثلاً في أنّه ينبغي أن يصلّي كلّ حين ولا يملّ،[٥] وأعلم التلاميذ بأنّ المراتب العالية لاتنال إلّا بالصوم والصلاة[٦].

أفآل تعس الوقت إلى الترغيب بالاستراحة من العبادة؟!

عافاك الله ، لا تليق هذه المغالطة إلّا من الطبيعيّين، وإن أردتَ أن تعرف موقع الصلاة في كتبكم فاستدلّ بما ذكره مغني الطلّاب في عنوانها وأوضاعها وفضلها، ومن هم الذين ينكرونها.

[٣٧] وبذلك تعرف غفلتك في قولك: «ولا أقلّ من أن تسلَم في سنتك من جوع شهر وعطشه في حرّ الهجير في البلاد الحارّة».

أفلم تقرأ من كتبكم نقلها: أنّ موسى صام مرّتين، كلّ مرّة أربعين نهاراً وأربعين ليلةً، لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماءً[٧]؟! والمسيح صام أربعين يوماً، وقال لإبليس: ليس بالخبز يحيا الإنسان، بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله[٨]؟!

أفلم تسمع من كتبك عن قول المسيح أنّ بعض المراتب العالية لا تنال إلّا بالصوم والصلاة؟!

ألم تنظر إلى فضل الصوم وحكمته وفوائده في كتبكم؟!

---

١. إنجيل متّى : ٤؛ إنجيل مرقس : ١؛ إنجيل لوقا : ٤.

٢. إنجيل متّى ١٤: ٢٣ـ ٢٥؛ إنجيل مرقس ٦: ٤٦ـ ٤٨.

٣. إنجيل مرقس ١: ٣٥.

٤. إنجيل لوقا ٩: ١٨.

٥. إنجيل لوقا ١٨: ١ـ ٨.

٦. إنجيل متّى ١٧: ٢١؛ إنجيل مرقس ٩: ٢٩.

٧. سفر تثنية الاشتراع ٩: ٩ و ١٨.

٨. إنجيل متّى ٤: ٢ـ ٥.

فإن كنتَ في غفلة عن ذلك فاستدلّ عليه بمغني الطلّاب.

[٣٨] وأمّا ترغيبك لي «بنجاة أولادي من ألم الختان وشوهته».

فتلك مخادعة سبقت من كتبكم؛ إذ تذكر أنّ الرسل ارتأوا في أمر الختان، فرأوه عثرة في سبيل انقياد الأُمم إلى رئاستهم، ووجدوا أنّ إبطاله مصيدة للأُمم! حتى بدا ذلك على فلتات الخامس عشر من الأعمال؛ إذ ينقل عن يعقوب ما حاصله استحسان التخفيف عن الأُمم بإبطال شريعة الختان ترويجاً لأمر المسيح؛ لأنّ موسى له من يكرز به في كلّ سبت؛ وإنّ البصير ليعرف من مخايل الكلام أنّ الغرض ترويج أسباب الرئاسة.

عافاك الله، هب أنّي مِمّن يعتمد على كتبكم، فهل يسوغ لي أن أعتمد على هذا الرأي الاستحساني وأترك ما تذكره التوراة من تأكيد الله على إبراهيم في أمر الختان، وأنّه علامة العهد بين الله والمؤمنين[١]؟!

أم أترك شريعة التوراة به[٢] وصراحتها بكونه شرطاً في عمل الفصح[٣]؟! أم شهادة بولس بأنّ إبراهيم أخذ علامة الختان ختماً لبِرّ الإيمان الذي كان في الغرلة[٤]؟!

[٣٩] وأمّا زعمك أنّ السبب في شريعة الختان لإبراهيم، هو علم الله بأنّ ذرّيّته سيدخلون مصر، فأراد الله أن يشوّههم لتنفر عنهم الزواني المصريّات، فلا يؤاتينهم على الزنى.

فقد سمعنا غلطه من رسالة المدعوّ بعبد المسيح، وما كنّا نحسب أنّ أحداً غيره يقدم على ترويج العوائد الوثنيّة، وإبطال الشريعة بتكذيب التوراة، وتخطئة الأنبياء وتغليطهم في تبليغ شريعة الختان والعمل عليها، من موسى في تبليغ شريعته، وجعله شرطاً في

---

١. سفر التكوين ١٧: ٩ ـ ١٥.

٢. سفر اللاويّين ١٤: ١٣.

٣. سفر الخروج ١٢: ٤٣ ـ ٤٩.

٤. رسالة بولس إلى أهل روميّة ٤: ١١.

الفصح بعد الخروج من مصر، ثمّ يوشع في ختانه لجميع بني إسرائيل بعد عبورهم الأُردن، ثمّ الأنبياء إلى ما بعد ميلاد المسيح بنحو خمسين سنة.

عافاك الله، فلماذا تقتفي أثر أوهام المدعوّ بعبد المسيح؟! وأقلّ ما فيها أنّك أنت اهتديت إلى العلّة في أمر الختان، وجميع الأنبياء ـ من موسى والذين بعده ـ ضلّوا عنها! حتّى رسلكم؛ إذ تشبّثوا لإبطاله بالاستحسان الملفّق، ولم يعتمدوا عليها، وأنّ بولسكم كاذب في شهادته بالعلّة، كما ذكرناه.

[٤٠] وأمّا قولك:

وتسلم من طيش بعض الأفعال إذا حظيت بشرف الثروة، وأُبّهة الرفعة، ولا تستضرّ بمالك وراحتك ووقارك.

فإنّك تعرّض فيه بالحجّ إلى بيت الله الحرام، وقد أوضحتَ بنفسك عن وجه الحكمة الإلٰهيّة في شرعيّته، حيث كشفت عن جبروت أمثال نفسك وانخداعها واغترارها بالثروة التي عادت الشريف الفاضل، وواصلت الدَّنيّ الخامل.

كم أعارتْ محاسن الدهر قوماً ملؤوا عَيْبة الزمانِ عُيوبا

عافاك الله ، كم شاهدنا مغروراً بالثروة، متجبّراً بالغنى الموقَّت، قد ألقته الحاجة إلى مهانة السؤال بالكفّ!

أفبهذه الأوهام يتكبّر الإنسان على عبادة الله وتأديبات شريعته لعباده؟!

أفلا ينبغي لك أن تتواضع لمن أنعم عليك بالثروة، وتعظّم شعائره، وتتّبع شريعته؟! فإنّه لقادرٌ على سلبها منك في طرفة عين.

وقد صدّقت إنجيلك في قوله:

لا يقدر أحد أن يخدم سيّدين؛ لأنّه إمّا يبغض أحدهما ويحبّ الآخر، أو يلازم أحدهما ويحتقر الآخر، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال[1].

---

١. إنجيل متّى ٦: ٢٤؛ إنجيل لوقا ١٦: ١٣.

وقوله:

يعسر أن يدخل غنيّ إلى ملكوت السماوات، إنّ مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنيّ إلى ملكوت الله[١].

هداك الله، وماذا تنكر من شريعة الحجّ؟! فهل تنكر أنّ المتمكّن القادر يجب عليه السفر إلى بيت الله لأجل عبادة الله وتعظيم شعائره مرّةً في عمره، وإن تطوّع بعد ذلك فهو خير يستفيده؟!

وهذه توراتكم قد أوجبت على كلّ ذكور بني إسرائيل أن يقصدوا في أعيادهم في كلّ سنة ثلاث مرّات إلى المحلّ الذي يختاره الربّ[٢]، ويحملوا معهم عشورهم وأبكار غنمهم وبقرهم[٣]، فكانوا يقصدون حسب هذه الشريعة إلى خيمة الاجتماع موقّتاً، ثمّ إلى البيت الذي بناه سليمان.

كما تذكر كتبكم أنّ سليمان بنى أيضاً بحذاء هذا البيت مرتفعات لتعظيم شعائر الأوثان، آلهة الصيدونيّين والموابيّين والعمونيّين[٤].

وأنّ البيت الذي نحجُّ إليه بناه إبراهيم خليل الله وإسماعيل مبارك الله، وهما اللذان لم تقرفهما كتبكم بما قرفت به سليمان!

ولابدّ لمن يقصد الهيكل من أقاصي أرض إسرائيل أن يقطع مسافة تقارب المائة وخمسين ميلاً، واستمرّ اليهود على هذه الشريعة، حتّى أنّ المسيح كان يقصده، ويصعد إليه في الأعياد، حتّى من الجليل من مسافة ستّين ميلاً فما فوق.

أم هل تنكر الإحرام ومناسك الحجّ؟! التي أقلّ حكمها وفوائدها الحميدة حبس النفس عن أهوائها وجبروتها ببطر الترف وأوهام الشرف، وإرغام طغيانها بخرافة

---

١. إنجيل متّى ١٩: ٢٣ و ٢٤؛ إنجيل مرقس ١٠: ٢٤ و ٢٥.
٢. سفر تثنية الاشتراع ١٦: ١٦.
٣. سفر تثنية الاشتراع ١٤: ٢٢ ـ ٢٧.
٤. تأريخ الملوك الأوّل ١١: ٧؛ تأريخ الملوك الثاني ٢٣: ١٣.

الثروة، وكسر عادية غرورها الذي هو مفتاح الشرّ والفساد، فيتجرّد العبد بذلك إلى محاربة الهوى والشيطان، ويتخلّى من مصائدها لأجل التوجّه إلى مولاه بالرغبة والرهبة، وينبّه نفسه الأمّارة إلى أنّه عبد مخلوق، ضعيف حقير، لا يملك من أمره شيئاً، فيطهّرها من قاذورات الأمانيّ بشرف الثروة وأُبّهة الرفعة، وينزّهها من خسّة التكبّر بهذه الأوهام الفاسدة والخيالات الزائلة.

عافاك الله، إنّ العليم الحكيم لَيَعْلم أنّ الإنسان لا تنقاد روحه إلى النواميس الصالحة إلّا إذا أدّبته الشريعة الإلٰهيّة برياضة نواميسها، وقادته بزمامها؛ أفليس من هذا النحو ما تذكره أناجيلكم من أنّ المسيح صار في البرّيّة مع الوحوش أربعين يوماً ليجرَّب من إبليس، ومع هذه الرياضة لم ينقطع طمع إبليس في إغوائه بالشرك[1]؟!

أفلم تسمع من كتبك أمرها بالخضوع والتواضع لله[2] وأنّ المطلوب من العبد أن يسلك متواضعاً مع إلهه[3]؟!

عافاك الله، فهل رأيتَ أو سمعتَ أنّ المسلمين يطفرون ويرقصون في حجّهم، كما يذكره كتابكم عن فعل داود أمام التابوت[4]؟!

أم هل وجدت في شريعة جامعة المسلمين لحجّهم وعباداتهم، كما تأمر به مزاميركم؛ إذ تقول: «ليسبّحوا اسمه برقص»[5] «سبّحوه بدفّ ورقص»[6]؟!

ولو أنّك ـ على نصرانيّتك ـ شهدت تلك المواقف الشريفة وقد فزع فيها النسّاك إلى الله مولاهم، وهم على حالة واحدة، وزيّ واحد، في الخشوع والخضوع، لا يتميّز في ذلك فقيرهم من المتجبّر المزدهي بشرف الثروة وأُبّهة الرفعة، واطّلعت على تلك

---

١. انظر: إنجيل متّى: ٤؛ إنجيل لوقا: ٤.

٢. رسالة بطرس الأُولى ٥: ٥؛ رسالة يعقوب ٤: ٧.

٣. كتاب ميخا ٦: ٨.

٤. كتاب صموئيل الثاني ٦: ١٩ ـ ٢٣.

٥. مزامير داود ١٤٩: ٣.

٦. مزامير داود ١٥: ٤.

الهيئات الجميلة، لداخلك من الخشوع واستحسان ذلك النسك ما لا تحتسبه، ولقلتَ: أين هذه العبادة والخضوع من الصلاة بالترنيمات الموسيقيّة!

هداك الله، وإنّ رابطة المراسلة قد أيقظت بيننا العواطف البشريّة، والعلاقة الجنسيّة[١]، ونبّهتها إلى المطالبة بحقوقها، وحكم الله لها بوجوب المعاونة على البرّ والتقوى وعرفان الحقّ؛ فلتزل مِمّا بيننا معثرة التعصّب، ونعطِ الحقّ حقّه من النصفة، ونفزع إلى الله في طلب التوفيق والهدى إلى سبيله، فنستنزل رحمته بالانقطاع إليه في الدعاء، والنيّة الصادقة، والإقبال الخالص، ونكون يداً واحدةً في محاربة الهوى والشيطان؛ مستعدّين بعدّة المباحثة وأُهبة النظر، وسلاح الإنصاف، وثبات الإخلاص؛ سائلين من الله النصر، فإنّه خير المسؤولين وأرحم الراحمين.

وحباك الله بلطفه، وأسعد حظّك بالهدى إلى سبيله، والتوفيق لحقيقة طاعته ومعرفة دينه.

وإنّي لأرجو منك العود إلى المراسلة، فإنّك لا تذمّ عاقبتها المحمودة إن شاء الله.

وإنّا قد اقتصرنا في رسالتنا هذه على ما جرى فيه كلامك.

واقتصرنا في الجواب على أقلّ الواجب، ومسمّى الإشارة، مؤثرين تعجيل البرّ بالجواب.

وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت وإليه أُنيب.

---

١. أي جنس البشر.

(٥)

# أعاجيب الأكاذيب

تحقيق

محمّد الحسّون

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله مُحقّ الحقّ الهادي إلى الصواب، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين نبيّ الهدى، والداعي إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وعلى آله الطيّبين، وصحبه المنتجبين، والعاقبة للمتّقين.

وبعد، فإنّي في هذه السنين وجدتُ جِدَّ المبشِّرين من النصارى واجتهادهم بالدعوة، ونشر الكتب في جميع النواحي، مستمدّين من نشاط أُمّتهم في بذل الأموال الطائلة في هذا السبيل.

فحداني حبّ العلم إلى النظر في هذه الدعوة وهذه الكتب المنثورة كقطر المطر، لكي أرى قيمتها في هذا الجدّ وذاك النشاط ؛ وحصل لي من كتب المبشِّرين:

❊ كتاب الهداية، بمجلّداته الأربعة المطبوعة في مصر بمعرفة المرْسَلين الأمريكان، كما هو مكتوب عليها.

❊ وكتاب هاشم العربي.

❊ وكتاب رحلة الغريب بن العجيب.

❊ وكتاب ثمرة الأماني.

وحصل لي معها كتب العهدين، وهي:

❊ كتب العهد القديم التي ينسبها اليهودُ والنصارى إلى الوحي الإلهي والنبوّات.

❊ وكتب العهد الجديد التي ينسبها النصارى إلى الوحي الإلهي والنبوّات.

ومجموع العهدين يكون ستّة وستّين كتاباً.

فأخذتُ بكلتا يدَيّ التحقيقَ والإنصافَ، ومشيت بينهما جنباً لجنب، فتصفّحت كتب المبشِّرين، وأمعنت النظر في كتب العهدين، مرّةً بعد مرّة، فاعترضني في ذلك مواقف موحشة، ومناظر مدهشة، فبعثني حبّ الخير للبشر، والتشرّف بخدمة الهُدى والاستقامة، على أن أُجرّد من كلّ صنف من تلك المواقف والمناظر كُتيّباً صغيراً، أُقدّمه لطالبي الاطّلاع على أعمال البشر والنظر في الأُمور التأريخيّة وأحوال الإنسان.

وبدأت ممّا فيها بما يعود إلى الكذب، وسمّيت هذا الكُتيّب المخصّص لذلك: أعاجيب الأكاذيب، فاقرأ فيه وتعجّب.

## استلفات

هل يخفى على أحد ما في الكذب من المنقصة الخسيسة، والسقوط الرذيل، والوبال والخزي ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾[١].

قال الله تعالى في سورة النحل ـ في الآية الخامسة بعد المائة ـ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ المعتادون بخيانتهم على الكذب وإن كنت لا تلتفت إلّا إلى قليل من كذبهم وافترائهم.

وفي سورة الزمر ـ في الآية الثانية والثلاثين ـ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾.

وفي الآية الستّين: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾.

وفي التوراة الرائجة: «لا تكذبوا»[٢]، وفي كتاب الأمثال لسليمان: «المتكلّم بالأكاذيب يهلك»[٣] «كراهة الله شفتا كذب»[٤].

---

١. فصّلت (٤١): ١٦.

٢. سفر اللاويّين ١٩: ١١.

٣. أمثال سليمان ١٩: ٩.

٤. أمثال سليمان ١٢: ٢٢.

وفي الأصحاح الثامن من إنجيل يوحنّا، في العدد الرابع والأربعين، في وصف إبليس ما هذا نصّه: «لأنّه كذّاب وأبو الكذّاب».

إذن فاقرأ ـ ويا للأسف ـ ما نذكره هنا في الأعداد من الأكاذيب المهولة الفظيعة، وانظر مصادرها الموحشة فيما ذكرنا من الكتب، وقد تركنا كثيراً من ذلك حبّاً للاختصار.

وها هي الأكاذيب المشار إليها في ضمن أعداد، فانظر واعتبر يا ذا الرشد والشرف.

(١) في كتاب ثمرة الأماني المطبوع بالمطبعة الإنكليزيّة الأمريكانيّة ببولاق مصر سنة ١٩١١، قال في صحيفة ٧٩: «إنّ القرآن يقول: إنّ هارون عَبَد العجلَ حينما كان أخوه موسى على الجبل». انتهى.

وياللعجب! أين يقول القرآن ذلك؟! وأيّ قرآن يقول ذلك؟!

أليس القرآن يقولُ في الآية التسعين والحادية والتسعين من سورة طه: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ[١] مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ۞ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ﴾.

فانظر كيف يبرّئ القرآن هارون من عبادة العجل والمساعدة عليها، واعرف مقدار التقحّم في الكذب في كتاب ثمرة الأماني.

ولعلّ الأيّام قد خبّأت ـ لمصادمة الحقائق بالكذب ـ كتاباً آخر يَنْسِبُ إلى التوراة ما ذكرناه من القرآن في براءة هارون من شرك العجل، وينسب بأمانته للقرآن ما ذكرته التوراة في سفر الخروج في الأصحاح الثاني والثلاثين، من العدد الأوّل إلى السابع، ما حاصله:

إنّ بني إسرائيل قالوا لهارون: اصنع لنا آلهةً، فأخذ منهم أقراط الذهب وصنعها لهم عجلاً مسبوكاً، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل. فلمّا رأى هارون إقبالهم على عبادة

١. أي قال هارون لعبدة العجل. (منه ﷺ).

العجل بنى أمامه مذبحاً لعبادته بالقرابين والمحرّقات ونادى: غداً حجّ للربّ. فبكّروا في الغد واصعدوا في عبادة العجل مُحرَقات، وقدّموا ذبائح سلامة.

(٢) وقال أيضاً كتاب ثمرة الأماني في صحيفة ٨٧: «إنّا نقرأ في القرآن أنّ داود أخذ نعجة أخيه». انتهى.

ويا للعجب! أين يذكر القرآن ذلك؟!

وها هو القرآن يذكر مسألة النعجة بين الخصمين اللذَين اختصما إلى داود، فقال من الآية الحادية والعشرين إلى الثالثة والعشرين من سورة صٓ: ﴿وَهَلْ أَتَـٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ * إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾.

فالقرآن يقول: إنّ أحد الخصمين سأل من الذي له نعجة واحدة أن يعطيها إيّاه، ولم يقل: إنّ أحد الخصمين أخذها؛ فكيف يقال: إنّا نقرأ في القرآن أنّ داود أخذ نعجة أخيه؟! فيا للعجب ما هو ذنب الصدق والأمانة؟!

وإنّا نشكر كتاب ثمرة الأماني حيث لم ينسب للقرآن ما ذكرته كتبهم التي ينسبونها إلى الوحي الإلهي، كما في الأَصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني؛ إذ ذكر ما حاصله:

إنّ داود عشق امرأة أُوريّا الحثّي المجاهد الناصح، وأتى بها وهو يعرف أنّها محصنة وامرأةُ أُوريّا، فزنى بها وحملت منه، فأرسل على أُوريّا لكي يدخل على امرأته ويواقعها، فيلتصق به ذلك الحمل الزنائي، ولكنّ أُوريّا ذلك المؤمن الكامل المجاهد أبى أن يستريح إلى بيته مع أنّ المؤمنين في متاعب الجهاد، بل رجع إلى الجهاد، فسعى داود في قتله، فقتل مجاهداً صابراً، فأخذ داود امرأته!!

حاشا أنبياء الله من ذلك.

(٣) وقال أيضاً كتابُ ثمرة الأماني صحيفة ٧٨، فيما ادّعى أنّه يقرؤه من القرآن: «وإنّ إبراهيم كان عابد وثن». انتهى.

وياللعجب! ولا عجب من بعض الناس، أين يذكر القرآن ذلك؟!

أوَليس قد تكرّر في القرآن أنّ إبراهيم ما كان من المشركين، فانظر إلى سورة البقرة الآية ١٣٥[١]، وآل عمران ٦٧ و ٩٥[٢]، والأنعام ١٦١[٣]، والنحل ١٢٠ و ١٢٣[٤]ب.

(٤) وإنّ كتاب ثمرة الأماني في صحيفة ٨٣ و ٨٤ يعيب على المسلمين إكثارهم لذكر الله، وينسب إلى التوراة النهي عن تكرار اسم الله في عبادته، وتشبّث لذلك بقول بعض التراجم في العدد السابع من الأصحاح العشرين من سفر الخروج: «لا تنطق باسم الله إلهك باطلاً؛ لأنّ الله لا يبرّئ من نطق باسمه باطلاً».

والترجمة الصحيحة هكذا: «لا تقصد اسم الله إلهك بسوء، فإنّ الله لا يبرّئ من قصد اسمه بسوء».

ويا للعجب! هل في هذا الكلام نهي عن الإكثار من ذكر الله وتسبيحه وتمجيده وقول: لا إله إلّا الله؟! وهل ينسب ذلك إلى هذا الكلام إلّا من يتعمّد الكذب؟! فلماذا يكذب ثمرة الأماني على التوراة لغرضه الفاسد؟!

---

١. ونصّها: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

٢. ونصّهما: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ و ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

٣. ونصّها: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

٤. ونصّهما: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ و ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وانظر ما يأتي في الصفحة ٣٤ في فصل «ملحق من بعض ما تركناه»، فهناك تتمّة لهذا الموضوع.

(٥) ويقول كتاب ثمرة الأماني أيضاً في الصحيفة الثالثة معرِّضاً بالقرآن ودين الإسلام، زاعماً أنّها: «أُمورٌ صبيانيّة، وخرافات وضلالات منسدلة على أصل التوحيد، وملتفّة عليه منذ اثني عشر قرناً». انتهى.

وياللعجب! أيّها القارئ، هلمّ وأحْضِر العهدَ القديم والجديد والقرآن، ونقرؤها ونجعل الحكم للوجدان الحرّ، والتوحيد الحقيقي المعقول، والأخلاق الفاضلة، والمدنيّة، والتعاليم الكريمة، ثمّ ننظر هل في القرآن خرافات صبيانيّة وضلالات؟!

نعم، فيه قوله تعالى ـ في سورة النساء، الآية ١٧١ ـ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾. وفي هذه الآية أنوار من الحقيقة ساطعة يعشو عنها التثليث البرهمي البوذي، وما هناك من أوهام الأقانيم وتجسّد الإله وتعدّد الآلهة والأرباب، ودع كتاب ثمرة الأماني يكذب على دين الإسلام ويفتري!

(٦) وهذا هاشم العربي في الصحيفة الحادية عشر من الطبعة الأُولى، في تذييله المستقلّ لتعريبه لمقالة «سايل» في الإسلام. وهذا الغريب بن العجيب، في الصحيفة السابعة والتسعين من كتاب رحلته الحجازيّة؛ كلاهما قالا فيما أشرنا إليه من كتابيهما ما نصّه ولفظه: «وأيضاً ورد في التكوين أنّ إسماعيل لَمّا مات أبوه أتى فدفنه».

فهذان الداعيان إلى الديانة النصرانيّة قد زادا على التوراة لفظ «أتى» لكي يتشبّثا بهذه الزيادة الكاذبة لترويج غرضٍ لهما فاسد، مع أنّ هذهِ الزيادة لا تساعدهما على غرضهما!

وهل يخفى أنّ لفظ «أتى» لا يوجد في هذا المقام، لا هو ولا ما في معناه، لا في التوراة العبرانيّة ولا في تراجمها!

وهذا نصّ الموجود في الأصل العبراني، في العدد الثامن والتاسع من الأصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين، المسمّى في العبرانيّة «برئشيت»:

ويمت إبراهام بشيبه طوب زقن وشبع وياسف ال عـميو وبـقبر واتّـو يـصحق ويشمعئل بنيوال معرت همكفلة. انتهى.

وترجمته الحرفيّة: ومات إبراهيم بشيبة صالحة وشبعان وانضمّ إلى قـومه وقـبره إسحاق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفلة.

ولعلّ القارئ يقول: إنّ كلّ الذي رأيناه من تراجم التوراة تـقول فـي هـذا المـقام: «شيخاً وشبعان أيّاماً»، مع أنّه لا يوجد في الأصل العبراني ولا حواشيه لفظ «أيّاماً»؛ فلماذا لا تجعل زيادة لفظ «أيّاماً» من الكذب العامّ على التوراة؟

فنقول: إنّه يمكن أن تكون التراجم زادت لفظ «أيّاماً» من أجل سوء الفهم للتوراة، وقصداً لإصلاح خللها، ولم يفطن المترجمون إلى أنّ المعنى أنّ إبراهيم مـات شـيخاً وشبعان، أي مثرياً ليس بفقير.

ولعلّ القارئ يقول أيضاً: كيف يتصرّفون بتوراتهم بالإصلاح؟! فهل يقولون: إنّـها نزلت على موسى ناقصة معيبة وهم يصلحونها؟!!

فنقول: قد وقع منهم مثل هذا في كتب وحيهم كثيراً، وزادوا فـي التـراجـم عـلى خصوص أسفار التوراة الخمسة مقدار ستّين كلمةً، وطبعت هذه الزيادات فـي بـعض الطبعات بحرف صغير إشارةً إلى زيادتها على الأصل.

ولعلّ القارئ يسأل ويقول: ما حال هذه الزيادات؟

فنقول: إنّ بعضها إصلاح لغلط التوراة العبرانيّة، وبعضها من الخطإ في فهم المعنى!

(٧) وهذه الجمعيّة التبشيريّة، جمعيّة كتاب الهداية، الذي طبع على أجزائه أنّه طبع بمعرفة المرسَلين الأمريكان، قد قالت في الجزء الرابع من الهدايـة في صحيفة ١٧٤، في السطر الرابع ما لفظه ونصّه هكذا: «إنّ الله لم يـقل فـي التـوراة: وبـارك الله اليـوم السابع وقَدَّسَه».

ويا للعجب من هذا اللفيف من المـبشّرين والمـرسَلين الأمـريكان كـيف يـقولون

هكذا؟! وكيف يقتحمون هذا الاقتحام؟! وها هي توراتهم تصيح في سفر التكوين، في الأصحاح الثاني في العدد الثالث، وتقول ما نصّه:

وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدّسه!

ولعلّ القارئ يقول: هذا اللفيف من الجمعيّة والمرسلين الأمريكان كيف أنكروا وجود هذا الكلام في التوراة؟! وكيف كتبوا إنكارهم هذا وطبعوه ونشروه بالحماسة والافتخار؟!

فأقول: لعلّهم يظنّون أنّه ليس في المسلمين من ينظر إلى توراتهم، فيفطن إلى هذا الاختلاس!

(٨) وقالت أيضاً جمعيّة كتاب الهداية المطبوع بمعرفة المرسَلين الأمريكان، في الجزء الثاني من كتاب الهداية في الصحيفة الثانية والأربعين من الطبعة الثانية ما هذا لفظه: «ثمّ إنّ مراعاة القرآن للسجع مقدَّمة عنده على الحقائق، فقال: «قابيل» لأنّه على وزن هابيل!!!».

ويا للعجب من عدم المبالاة! أين يوجد في القرآن لفظ «قابيل» ولفظ «هابيل»؟!

أليس الأطفال يعلمون أنّه لا وجود لهذين اللفظين في القرآن الكريم؟!

لماذا يكون في المبشّرين مثل هذا التقحّم في الافتراء؟! أين شرف الإنسانيّة؟! أين مجد الروحانيّة؟! أين أدب الكتابة؟! ما هو ذنب الصدق والأمانة؟!

لماذا يكون مثل هذا من لفيف من الروحانيّين المبشّرين؟!

هل لمثل هذا المجد وهذه الأمانة بُذلت لهم الأموال الطائلة؟!

أما إنّ الناس يوبّخون الأوباش إذا كذبوا في أُمورهم الشخصيّة الدنيويّة، فكيف تصدر هذه الأكاذيب الافترائيّة من المبشِّر الديني في الأُمور الدينيّة؟! فيا للأسف!

(٩) لا يخفى أنّ التوراة الرائجة ـ التي اتّفق النصارى واليهود على أنّها كتاب وحي الله وكلامه لرسوله موسى ﷺ ـ قد جاء فيها أحكام كثيرة، وواجبات كثيرة، ومحرَّمات كثيرة، مثل أحكام الكهنة والعشور والسبت والأعياد والذبائح، وأحكام النجاسة في الحيض والنفاس ومسّ الميّت، ونجاسة المشركين وحرمة الأكل من ذبائحهم، وتنجيس كثير من الحيوانات والطيور، وتحريم أكلها، وتحريم أكل الدم والمخنوق وما ذبح للأوثان، وغير ذلك.

فانظر إلى بعض ذلك في الأصحاح ٢٠ و ٢٢ و ٢٣ من سفر الخروج، و١١ و١٢ من سفر اللاويّين، و ١٤ و ١٥ من سفر التثنية.

كما لا يخفى من الأناجيل أنّ المسيح كان عاملاً بهذه الأحكام، ويأمر بالعمل بها وعدم نقضها، كما في الأصحاح الخامس من إنجيل متّى، في العدد السابع عشر إلى العشرين؛ ويوصي بحفظها، كما في الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متّى، من العدد الأوّل إلى الثالث.

هذا، وقد جاء في العهد الجديد عن بطرس والتلاميذ وبولس إبطال شرائع التوراة في تحريم الأَكل لكثير من الحيوانات، كما في الأصحاح العاشر من كتاب أعمال الرسل، من العدد الحادي عشر إلى السادس عشر؛ وفي الأصحاح الحادي عشر، من العدد الخامس إلى الحادي عشر!!

كما جاء عنهم أنّهم لمجرّد الاستحسان وجلب الناس للانقياد إلى التنصّر، رفعوا أحكام التوراة، وتحريم ما هو محرّم فيها إلّا تحريم أربعة أشياء: تحريم الزنى، وأكل الدم، والمخنوق، وما ذبح للأوثان، كما في الأصحاح الخامس عشر من كتاب الأعمال، في العدد التاسع عشر إلى الثلاثين!

ثمّ جاء في الرسائل المنسوبة إلى بولس إباحة أكل الدم والمخنوق وما ذبح للأوثان، جرى على ذلك عمل النصارى إلى الآن.

ومن جملة ما جاء، هو ما في الأصحاح الرابع من رسالة تيموثاوس الأُولى، في العدد الرابع، وهو هكذا: «لأنّ كلّ خليقة الله جيّدة، ولا يرفض شيء إذا أُخذ مع الشكر».

وفي الأصحاح الأوّل من رسالة تيطس، في العدد الرابع عشر والخامس عشر:

لا يصغون إلى خرافات يهوديّة ووصايا أُناس مرتدّين عن الحقّ، كلّ شيء طاهر للطاهرين.

وفي الأصحاح الثاني من رسالة كولوسي، من العدد العشرين إلى الثالث والعشرين: «تفرض عليكم فرائض: لا تمسّ، ولا تذق، ولا تجسّ التي هي جميعها للفناء».

وفي الأصحاح الثاني أيضاً، في العدد السادس عشر: «فلا يحكم عليكم أحد في أكل ولا شرب، أو من جهة عيد أو سبت أو هلال».

وفي الأصحاح العاشر من رسالة كورنثوس الأُولى، في العدد التاسع والعشرين والعدد الثلاثين، في إباحته لأكل ما يذبح للأوثان، يقول:

لماذا يحكم في حرّيّتي من ضمير آخر؟ أنا أتناول بشكر، فلماذا يفترى عليَّ لأجل ما أشكر عليه؟

أيّها القارئ، ولأجل ما ذكرنا لك من التوراة وكتب العهد الجديد قال صاحب إظهار الحقّ[١] في مبحث النسخ جدلاً للنصارى:

إنّ الحواريّين نسخوا أحكام التوراة العملية غير الأربعة، وإنّ بولس نسخ حرمة الثلاثة منها.

يعني حرمة أكل الدم، والمخنوق، وما ذبح للأوثان.

وإنْ شئتَ أن تعجب فاعجب، فإنّ جمعيّة كتاب الهداية والمرسَلين الأمريكان

---

١. لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، والكتاب عبارة من مناظرة في مسألتي النسخ والتحريف جرت بين المولّف وبين قسّيس. طبع في إسلامبول سنتي ١٢٨٤ و ١٣٠٥هـ، وفي مصر سنتي ١٣٠٩ و ١٣١٧هـ. انظر: معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة ليوسف إليان سركيس ١: ٩٢٩؛ مشار، عربي: ٦٨.

ـ الذين طُبع الكتاب بمعرفتهم ـ هذا اللفيف المقدّس! قد أنكر ما ذكرناه عن العهدين وما ذكره إظهار الحقّ، فطبعوا في الجزء الرابع من كتاب الهداية في الصحيفة المائة وثلاث وتسعين، في السطر الحادي والعشرين بعد أن ذكروا كلام إظهار الحقّ، وقالوا بلا مبالاة: «قلنا: هذا إفك مبين، فأتوا ببرهانكم إن كنتم من الصادقين»!

فماذا تقول لهؤلاء إذا أنكروا ما يقرؤه كلّ قارئ من كتب وحيهم؟!

فهل بقي نوع من الكذب يخجل الإنسان منه؟! وهل بقي نوع من المكابرات وإنكار الحقّ المحسوس ما يصدّ عنه شرف الإنسانيّة؟! وأمّا الورع والدين فيقرئانك السلام!!

(١٠) وجاء في الرسائل المنسوبة إلى بولس في توهين التوراة وأحكامها، في الأصحاح السابع من الرسالة إلى العبرانيّين، في العدد الثامن عشر [والتاسع عشر]:

فإنّه يصير إبطال الوصيّة السابقة[١] من أجل ضعفها وعدم نفعها؛ إذ الناموس[٢] لم يكمّل شيئاً.

وفي الأصحاح الثامن، في العدد السابع: «فإنّه لو كان ذلك الأوّل بلا عيب لما طلب موضع لثانٍ».

وفي الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل غلاطيّة، في العدد التاسع والعاشر والحادي عشر، في صرف أنظار الغلاطيّين عن أحكام التوراة:

فكيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد؟! أتحفظون أيّاماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين؟! أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً!

أيّها القارئ، وقد قرأت ما ذكرناه لك في العدد السابق ما هو في الأصحاح الأوّل

---

١. يعني التوراة. (منه ﷺ).

٢. وهو التوراة. (منه ﷺ).

من رسالة تيطس[١]، وفي الأصحاح الثاني من رسالة كولوسي[٢].

ولكن، قالت جمعيّة كتاب الهداية المطبوع بمعرفة المرسَلين الأمريكان، في الجزء الأوّل من الطبعة الثانية، في صحيفة ٢٧٣، ما لفظه ونصّه هكذا: «قلنا: إنّ الرسول بولس لم يقل: إنّ الشريعة الموسويّة ضعيفة معيبة غير نافعة».

ولا يخفى عليك أنّ هؤلاء وكلّ النصارى يقولون: إنّ الرسائل المنسوبة إلى بولس في العهد الجديد كلُّها من قول بولس، فقل: إذن فمن هو الذي قال: الأقوال التي ذكرناها من رسائل بولس؟! ولماذا يكون مِن هذا اللفيف التبشيري مثل هذا الجحود الكاذب، بمثل هذا الكذب الذي لا يخفى على كلّ مَن يقرأ في الكتب؟!!

(١١) وأيضاً إنّ جمعيّة كتاب الهداية المطبوع بمعرفة المرسَلين الأمريكان، قد كثر افتراؤهم على رسول الله ﷺ، وأفحشوا في الجرأة!!

ولنذكر بعض افترائهم المتكرِّر، ونشير إلى جرأتهم الفاحشة بالإشارة إلى محلّها، لئلّا تتدنّس الأوراق بذلك البذاء القبيح!!

فقالوا في الجزء الرابع، صحيفة ١٦٩:

> وماذا نقول فيمن ادّعى أنّ الله أجاز له أن يتّخذ امرأة ابنه زوجةً، وجعل ذلك قانوناً، ويا حبّذا لو نسخ هذا القانون، لأنّه يسوّغ الاقتران بزوجة الابن.

وقالوا أيضاً في الجزء الثالث، صحيفة ٤٨، في قصّة تزوّجه ﷺ بزينب بنت جحش، ما هذا لفظه: «وحاشا لله أن يسوّغ للناس نكاح نساء أولادهم».

وقالوا في الجزء الأوّل، صحيفة ٦٦، في العنوان ما هذا لفظه: «تزوّجه امرأة ابنه».

وقالوا أيضاً في الصحيفة المذكورة:

> نعم، إنّ داود وقع في خطيئة الزنى، ولكن يوجد فرق جسيم بين الأمرين، فإنّ داود لم يأخذ امرأة ابنه. انتهى.

---

١ و٢. راجع ص ١٢.

وانظر في الكلمات المذكورة في الصحائف المشار إليها، واعجب من جرأتهم القبيحة على قدس رسول الله ﷺ، زيادةً على ما ذكرناه من الافتراء المتكرّر.

وقد توافقوا في هذه الجرأة وهذا الافتراء مع هاشم العربي في صحيفة ٦٥ من الطبعة الأُولى لتذييله لمقالة «سايل» في الإسلام!

هذا، وإنّ الغافل من الأُوربّاويّين والأمريكيّين وغيرهم لَيغترّ بسمعة التبشير والمبشِّرين، فيحبّ أن يسأل أنّ هذا الابن ـ الذي يذكره هذا اللفيف من المبشّرين والكاتبين ـ هل هو ابن رسول الله محمّد ﷺ وولده البِكر، أو هو المتوسّط، أو الصغير ؟! وهل أُمّه خديجة أو غيرها من أزواج رسول الله ﷺ ؟!!

ويا ليتهم يعلمون أنّ هذا الذي يذكر المبشِّرون أنّه ابن رسول الله ﷺ وولده، ويلهجون بذلك، إنّما هو زيد بن حارثة، وهو عبدٌ اشتراه رسول الله ﷺ، وجاء أبوه حارثة فخيّره رسول الله ﷺ بين المكث عنده و بين الرجوع مع أبيه، فاختار المقام عند رسول الله ﷺ، فجزاه رسول الله ﷺ بالعتق وزيادة البرّ والرأفة؛ فصار الناس يدعونه زيد بن محمّد، مع أنّهم يعلمون أنّه عبده.

وإنّ جمعيّة الهداية والمرسلين الأمريكان والشرقيّين في أجيالهم ليعرفون ذلك، ولكنّ المبشِّرين حملتهم بواعثهم أن يكذبوا، ويقولوا مكرَّراً أنّه ابن رسول الله وولده، لكي يقوموا بحقّ القداسة والأمانة في التبشير، ولكن «لِكُلِّ آمرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ ما تَعَوَّدا»[١].

(١٢) وجاء في الأصحاح الثامن عشر من سفر اللاويّين، في العدد الخامس، عن قول الله لبني إسرائيل في تمجيد شريعة التوراة والأَمر بحفظ أحكامها: «فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيى بها».

---

١. صدر بيت للمتنبّي، وتمامه:

وعاداتُ سيف الدولة الطَّعْنُ في العدا

انظر ديوان المتنبّي ٢: ٢٨١.

وفي الأصحاح الرابع من سفر التثنية، في العدد الثامن: «أيُّ شعب هو عظيم له فرائض وأحكام عادلة، مثل هذه الشريعة التي أنا واضع أمامكم».

وفي المزمور المائة والتاسع عشر، في العدد الثالث والتسعين: «إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنّك بها أحييتني».

وفي الأصحاح العشرين من كتاب حزقيال، في العدد الحادي عشر، عن قول الله في شأن اليهود: «وأعطيتهم فرائضي وأحكامي التي إن عملها الإنسان يحيا».

ونحوه في العدد الثالث عشر والحادي والعشرين.

وفي الأصحاح التاسع من كتاب نحميا، في العدد الثالث عشر: «وأعطيتهم أحكاماً مستقيمةً، وشرائع صادقةً، وفرائض ووصايا صالحةً».

وفي الأصحاح الثاني من كتاب ملاخي، في العدد الخامس، عن قول الله في تمجيد شريعة موسى عليه السلام: «كان معه للسلام والحياة».

فهذه كتب وحيهم تقول: إنّ شريعة موسى صالحة عادلة للسلام والحياة، إذا عملها الإنسان يحيا بها.

ولكن عبد المسيح الكندي في رسالته[1] وجرجي سايل في مقالته في الإسلام، صحيفة ٢٢٦ من الطبعة الأُولى، قالا ما هذا لفظه: «إنّ الله تساهل مع اليهود، فأعطاهم أحكاماً غير صالحة وفرائض لا يحيون بها».

ولا يخفى عليك أنّ الذي ذكرناه من كتب وحيهم ليشهد بأنّ الكلام المنسوب لعبد المسيح وجرجي سايل إنّما هو كذب وافتراء على الله وعلى شريعته، ودع عنك شهادة العقل وجلال الله على ذلك، تعالى الله عمّا يقولون.

دع هؤلاء، ولكن انظر وتحيّر واندهش من كتب العهدين التي ينسبونها إلى الوحي الإلهي، ويدعون الناس إلى اتّباعها!

---

١. في صحيفة ١١٠ من رسالته المطبوعة مع رسالة عبدالله الهاشمي، في إحدى طبعاتها سنة ١٩١٢، في المطبعة الإنكليزيّة الأمريكانيّة بالقاهرة. (منه رحمه الله).

انظر إلى هذه الكتب وما فيها من نسبة الكذب إلى من يزعمون أنّهم أنبياء ورسل الله، مع زعمهم أنّ تلك الكتب المشتملة على الكذب هي كتب وحي إلهي!

فانظر كيف تنسب الكذب والتحريف إلى أنبياء الله ورسله الهداة المقدّسين، فتلوّث قدسهم برذيلة الكذب وخسّة الافتراء والمخادعة... أو تنسب الكذب والافتراء إلى مَن تزعم أنّهم أنبياء ومرسَلون، وأنّ المشتمل على الكذب هو كتاب وحي إلهي.

ويا ليت هذه الكتب لم تتعدّ إلى قدس الله وجلاله، وماذا يفيد التمنّي؟! وها هي الكتب المذكورة قد أفرطت في الجرأة، فنسبت الكذب والخداع والتعليم بالكذب إلى جلال الله؛ تعالى عمّا يقولون.

(١٣) هذا بولس الذي يعدّه النصارى من كبار الرسل الموحى إليهم؛ وعلى تعليمه اعتمادهم في النصرانيّة، وينسبون إليه كتاباً ورسائل يجعلونها من الوحي الإلهي؛ يُذكر عنه في الأصحاح الثالث عشر من كتاب أعمال الرسل، في العدد الثالث والثلاثين، أنّه قال هكذا: «إذ أقام يسوع كما هو مكتوب في المزمور الثاني: أنت ابني، أنا اليوم ولدتُك».

ولا يخفى على القارئ أنّ هذه العبارة جاءت في العدد السابع من المزمور الثاني من قول داود، هكذا: «أُخبر الحقّ، الله قال لي: ابني أنت، أنا اليوم ولدتك».

فداود يخبر في وحي المزامير أنّ الله قال هذا الكلام له، يعني أنّه منحه النبوّة والوحي؛ ولأجل ما حصل لحياته من مجد النبوّة والوحي كان ذلك اليوم كأنّه يوم ولادته، بل هو اللائق بأن يعدّ أوّل أيّام حياته.

فيا للعجب من الانتهاب العلني! هب أنّا فرضنا أنّ هذا الكلام غير صريح في كونه خطاباً لداود، ولكن متى كانت لعيسى ولادة حينما أُوحي المزمور الثاني لداود؟! أليست ولادة عيسى من مريم متأخّرة عن وحي المزامير بأكثر من ألف سنة؟! وأنّ ولادته النبويّة متأخّرة أيضاً عن ولادته من مريم بثلاثين سنةً على ما تقوله

الأناجيل ؟! فمن أين يكون كلام المزمور الثاني مقولاً في المسيح ؟!!

وجاء في رسالة العبرانيّين، في الأصحاح الخامس، في العدد الخامس، ما نصّه: «كذلك المسيح لم يمجّد نفسه ليصير رئيس كهنة، بل الذي قال له: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك».

وإنّ كاتب الرسالة يريد بذلك ما ذكرناه عن المزمور الثاني؛ لكي يحتجّ به على اليهود. وقد عرفت الكذب في انتهاب ذلك من داود للمسيح!

ولم تكتف رسالة العبرانيّين بهذا الانتهاب، بل قالت في الأصحاح الأوّل، في العدد الخامس، في الاحتجاج على اليهود لمجد المسيح وتفضيله على الملائكة بما جاء في كتبهم في العهد القديم، وهذا نصّ ما قالته:

> لمن من الملائكة قال فيما مضى: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك؛ وأيضاً: أنا أكون له أباً، وهو يكونُ لي ابناً.

فأمّا قول الرسالة أنّ قوله: «أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك» قد قيل في المسيح، فقد عرفت أنّه كذب وانتهاب وغصب لحقّ داود، وما قيل فيه.

وأمّا دعوى الرسالة أنّه قيل في المسيح أيضاً في العهد القديم: «أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً»، فهو أيضاً كذب وانتهاب من سليمان!

فقد تكرّر في نقل العهد القديم: أنّ الله قال هذا القول في شأن سليمان بن داود، وهذا نصّه في الأصحاح الثامن والعشرين من أخبار الأيّام الأوّل، في العدد السادس من قول داود عن وحي الله: «وقال لي: إنّ سليمان ابنك هو يبني بيتي وديارى؛ لأنّي اخترته لي ابناً، وأنا أكون له أباً».

وفي الأصحاح الثاني والعشرين من أخبار الأيّام الأوّل أيضاً، من العدد السابع إلى الحادي عشر، في خطاب داود مع سليمان بكلام الله لداود في شأن سليمان، هكذا:

> لأنّ اسمه يكون سليمان، فأجعل سلاماً وسكينة في إسرائيل في أيّامه، هو يبني بيتاً لاسمي، وهو يكونُ لي ابناً، وأنا له أباً.

ونحو هذا أيضاً جاء في الأصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني، من العدد الثاني إلى الخامس عشر.

فراجع المقامات المذكورة تجد هذا الكلام صريحاً في شأن سليمان وبنائه لبيت المقدس.

ويا للعجب ـ مع هذه التصريحات ـ كيف يجترئ أحد من الناس، وينتهب هذا الكلام من سليمان، ويجعله مقولاً في المسيح عيسى بن مريم؟!

فأين ومتى تكون الأمانة والاجتناب عن الكذب والانتهاب؟!!

(١٤) في الأصحاح الخامس عشر من رسالة كورنثوس الأُولى، في العدد الحادي والخمسين والثاني والخمسين، بعد ذكر قيامة الأموات، جاء عن قول بولس ووحيه ما هذا نصّه:

هو ذا سرّ أقوله لكم، لا نرقد كلّنا ـ أو: كلّنا لا نرقد ـ في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير، فإنّه سيبوّق ويقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغيّر.

والمراد: لا نموتُ كلّنا، أو: كلّنا لا نموتُ، كما تشهد به التراجم بغير العربيّة.

ويا للعجب! أين صار هذا الوعد السرّي الغيبي الذي قاله بولس بالوحي لأهل كورنثوس؟!

أليس قد مات بولس وأهل كورنثوس ورقدوا في مضاجع الأموات، وطحنهم البِلى، ومضى على موتهم أكثر من ألف وثمان مائة سنة؟!

فيا للأسف على هذا الوعد والسرّ الغيبي الصادر عن الوحي؟!

(١٥) وفي الأصحاح الرابع من رسالة تسالونيكي الأُولى، من أوّل العدد الخامس عشر إلى الثامن عشر، جاء ما هذا نصّه:

فإنّا نقول لكم هذا بكلمة الربّ: إنّنا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الربّ،

لانسبق الراقدين؛ لأنّ الربّ نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة، وبوق الله سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون، ثمّ نحن ـ الأحياء الباقين ـ سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الربّ في الهواء.

ويا للأسف لأهل تسالونيكي وبولس! أيُّ حيٍّ منهم بقي إلى مجيء المسيح وقيامة الأموات ؟!

وأين الأَحياء الباقون لكي يُخطفون في السحب مع الأموات القائمين من الموت في القيامة ؟!

نعم، ها هو بولس وأهل تسالونيكي، قد اختطفهم الموت بقبور البِلى، فدُرِست رممهم[1]؛ وها هم منذ ثمانية عشر قرناً إلى الآن يختطفهم الموت إلى البِلى والاندراس!

فيا للأسف على هذا القول المقول بكلمة الربّ، بل يا للأسف لكلمة الله وشرفها؛ إذ تلوّث بهذه الأقوال التي يظهر حالها بعد قليل من الزمان!

(١٦) وفي الأصحاح الثاني من الرسالة إلى أهل غلاطيّة، من العدد الحادي عشر إلى نهاية الثالث عشر، عن قول بولس ما نصّه:

وَلمّا أتى بطرس إلى أنطاكيّة قاومته مواجهةً؛ لأنّه كان ملوماً؛ لأنّه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأُمم[2]. ولكن لمّا أتوا كان يؤخّر ويفرز نفسه[3]، وراءى معه اليهودُ أيضاً، حتّى أنّ برنابا انقاد إلى ريائهم. انتهى.

ويا للأسف إذا كان بطرس ـ خليفة المسيح عندهم ـ يكذب ويرائي في دينه!! وحاشاه.

---

١. رِمَم، جمع رِمّة، وهي العظام البالية. الصحاح ٥: ١٩٣٧، «رم م».

٢. أي على خلاف شريعة التوراة؛ لانّ الأُمم كانوا وثنيّين. (منه ﷺ).

٣. أي يُرائي ويُظهر أنّه يتنجّس من الأُمم ولا يأكل معهم. (منه ﷺ).

(١٧) وفي الأصحاح الحادي والعشرين من كتاب أعمال الرسل، من العدد الثامن عشر إلى السابع والعشرين، ما حاصله:

إنّ يعقوب وجميع المشايخ[1] أمروا بولس أن يرائي، ويعمل بأحكام التوراة رياءً لليهود وتمويهاً؛ لإبطال المشايخ والتلاميذ لشريعة التوراة.

فانظر هذا المقام من كتاب أعمال الرسل، ويا للأسف!!

(١٨) وفي الأصحاح السادس عشر من كتاب أعمال الرسل، من العدد الأوّل إلى الرابع ما حاصله:

إنّ بولس استعمل الرياء وختن تيموثاوس على خلاف تعليمه. لكي يرائي ويظهر كذباً أنّه يعمل بأحكام التوراة وخصوص الختان!

(١٩) تذكر الأناجيل أنّه لمّا قبضَ اليهودُ على المسيح وأخذوه إلى رئيس الكهنة، تبعه بطرس، فقال بعض اليهود: «إنّ هذا[2] من أصحاب المسيح»؛ فأنكر بطرس بقسم قائلاً: «لستُ أعرف الرجل[3]».

ثمّ قيل له ثانياً، فابتدأ يلعن ويحلف: «إنّي لا أعرف هذا الرجل».

وتقول الأناجيل: «إنّ المسيح أنذره في تلك الليلة وأخبره بأنّه ينكره ثلاث مرّات»، فقال له بطرس: «ولو اضطررتُ إلى أن أموت معك لا أُنكرك».

فانظر إلى ذلك في الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل متّى في العدد ٣٤ و ٣٥ و ٦٩ إلى آخر الأصحاح المذكور، وانظر إلى الأصحاح الرابع عشر من مرقس.

---

١. يعني تلاميذ المسيح ورؤساء الديانة المسيحيّة. (منه ﷺ).

٢. يعني بطرس. (منه ﷺ).

٣. يعنى المسيح. (منه ﷺ).

وليت كاتب الإنجيل يخبرنا صريحاً أنّه لِمن صار بطرس يلعن؟! ويا للعجب كيف صار بطرس هذا الرجل الكبير يحلف كذباً؟! وكيف خالف وعده للمسيح؟! أفلا تحاشى بطرس من ذلك؟!

دع هذا، ولكن هلمّ الخطب فيما تنسبه الأناجيل من الكذب والتحريف إلى قدس المسيح!

(٢٠) في الأصحاح الثاني عشر من إنجيل متّى، في العدد الثامن والثلاثين الى حادي والأربعين، عن قول المسيح ما هذا نصّه:

وقال[١] لهم: جيل شرّير يطلب آية ولا تعطى له آية، إلّا آية يونان النبيّ[٢]؛ لأنّه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيّام وثلاث ليال، هكذا يكونُ ابن الإنسان[٣] في قلب الأرض ثلاثة أيّام وثلاث ليال.

والمراد: أنّ معجزته أن يموت ويدفن في القبر، ويبقى فيه ميّتاً ثلاثة أيّام وثلاث ليال، ثمّ بعدها يُحيا ويقوم من الموت ويخرج من القبر.

هذا، ولكنّ الأناجيل تكذّب هذا الخبر، وتصرّح بأنّه عند المساء من يوم الجمعة ـ الذي يسمّيه اليهود يوم الاستعداد للسبت ـ جاء رجل وطلب جثّة المسيح من الحاكم، ودفنه ليلة السبت.

وفي يوم الأحد قبل الفجر، جاءت مريم المجدليّة ومريم الأُخرى، فوجدتا المسيح قد قام من الأموات وخرج من القبر!

فانظر إلى أواخر الأصحاح السابع والعشرين، وأوائل الثامن والعشرين من إنجيل متّى. وإلى أواخر الأصحاح الخامس عشر، وأوائل السادس عشر من إنجيل مرقس.

---

١. يعني المسيح. (منه ﷺ).

٢. أي يونس بن متّى. (منه ﷺ).

٣. يعني نفسه. (منه ﷺ).

وإلى أواخر الأصحاح الثالث والعشرين، وأوائل الرابع والعشرين من إنجيل لوقا.

وإلى آخر الأصحاح التاسع عشر، وأوّل العشرين من إنجيل يوحنّا.

وحاصل الأَمر: أنّ الأَناجيل قد اتّفقت على أنّ المسيح لم يبق في قلب الأرض إلّا سواد ليلتين، ليلة السبت وليلة الأحد، مع بياض يوم واحد وهو يوم السبت، فأين تكونُ الثلاثة أيّام والثلاث ليالي؟!

وهل تدري ماذا فعلت الأناجيل في هذا المقام في قدس المسيح؟!

فإنّها جعلت المسيح ـ وحاشاه ـ بحكم التوراة وعلامتها، وصيّرته من المتنبّئين الكذبة، الذين يُقتلون لأجل كذبهم بطغيانهم على الله.

فإنّ التوراة تقول عن كلام الله لموسى في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية، من العدد العشرين إلى آخر الأَصحاح، وتصرّح بما نصّه:

وأمّا النبيّ الذي يطغى فيتكلّم باسمي كلاماً لم أُوصه أن يتكلّم به، أو الذي يتكلّم باسم آلهة أُخرى، فذلك النبيّ يُقتل، وإن قلتَ في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلّم به الله؛ فما تكلّم به النبيّ باسم الله ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلّم به الله؛ بل بطغيانٍ تكلّم به النبيّ!

فالأَناجيل تقول: إنّ المسيح أخبر باسم الله ـ في إعطائه للآية ـ أنّه يبقى في قلب الأرض ثلاثة أيّام وثلاث ليال؛ وتقول أيضاً: إنّه لم يبق في بطن الأرض إلّا بياض يوم واحد وسواد ليلتين!

وحاصل ذلك: أنّه لم يقع ما أخبر به باسم الله، بل وقع خلافه، فيجري عليه ما أعطته التوراة من العلامة الموافقة لحكم العقل لكذب المتنبّئ!

(٢١) جاء في المزمور الثاني والثمانين في توبيخ قضاة الجور، الذين يراعون وجوه الأشرار ما نصّه:

حتّى متى تقضون جوراً وترفعون وجوه الأشرار؟ اقضوا للذليل ولليتيم، أنصفوا

المسكين والفقير، نجّوا الذليل والمسكين من يد الأشرار. لا يعلمون ولا يفهمون، في الظُلمة يتمشّون، تتزعزع كلّ أُسس الأرض؛ أنـا قـلت: إنّكـم آلهـة وبَـنُو العَليّ كلّكم؟! لكن مثل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تهلكون، قم يا الله فاقضِ على الأرض.

ومعناه: أيّها القضاة الجائرون، الذين لا يعلمون ولا يفهمون، وفي الظُلمة يـتمشّون، ماذا غرّكم؟! وبماذا أمنتم بطش الله؟! هل أنا قلت: إنّكم آلهة وبنو العَليّ كلّكم، فأمنتم بذلك من سخطي وزوال النعمة وحسرة الموت؟! لكن لا تغترّوا بالحياة؛ فإنّكم مثل الناس تموتون، ولا تغرّنّكم الرئاسة؛ فإنّكم كأحد الرؤساء تهلكون.

ولا يخفى أنّ كلّ مَن يفهم الكلام يفهم ما ذكرناه من المزمور المذكور.

لكن جاء في الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنّا، في العدد الثـالث والثـلاثين إلى السادس والثلاثين، في مكالمة اليهود مع المسيح أنّهم قالوا له:

فإنّك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً؟!

أجابهم يسوع: أليس مكتوب في ناموسكم: أنا قلت: إنّكم آلهة؟ إن قـال آلهـة لأُولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن يُنقض المكتوبُ. فالذي قدّسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له: إنّك تكفر لأنّي قلت: إنّي ابن الله؟!

ولا يخفى أنّ الكلام المذكور في إنجيل يوحنّا قد افترى على الحقيقة بدعوى تعدّد الآلهة؛ وافترى على المزمور المتقدّم بحمل كلامه على الإخبار بأنّ قضاة الجور آلهة، مع أنّه مسوق للإنكار والتوبيخ؛ وافترى أيضاً بوصف قضاة الجور بأنّهم صارت إليهم كلمة الله، أي نزل عليهم الوحي، مع أنّ المزمور المذكور يصفهم بقضاة الجور، وأنّهم لا يفهمون ولا يعلمون، وفي الظُلمة يتمشّون.

ويا للعجب من كلام هذا الإنجيل! فإنّه في افترائه بتعدّد الآلهة يقول: لا يمكن أن يُنقض المكتوب، أي لا يمكن أن يُخالَف؛ إذن فلماذا خالف ما هو مكتوب مكرّراً في التوراة، وباقي كتب العهدين، من توحيد الإله، والنهي عن الشرك، وذكر اسم آلهة غير الله؟!!

أفلا تنظر إلى هذا الكلام كم حوى من الافتراء والشرك والغلط ؟!!

(٢٢) في الأصحاح الثاني والعشرين من إنجيل متّى، من العدد الثاني والأربعين إلى السادس والأربعين؛ وفي الأصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقس، من العدد الخامس والثلاثين إلى الثامن والثلاثين؛ وفي الأصحاح العشرين من لوقا، من العدد الحادي والأربعين إلى الخامس والأربعين، ما نصّه من الأناجيل الثلاثة:

قال يسوع: كيف يقولون: إنّ المسيح بن داود، وداود نفسه يقول: بالروح القدس في كتاب المزامير قال الربّ لربّي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك، فإذا كان داود يدعوه ربّاً فكيف يكون ابنه ؟!

وهذه الأناجيل الثلاثة تنسب إلى المسيح الكذب على المزامير والتحريف لها، فإنّه ليس في الأصل العبراني ما معناه: «قال الربّ لربّي»، وليس فيه تكرار لفظ «الربّ»، وإنّما الموجود في المزمور العاشر بعد المائة ما تعريبه: «وحي الله لسيّدي» ولفظه في الأصل العبراني هكذا: «نأم يهوه لأدناي»؛ فإنّ «أدناي» بمعنى «سيّدي».

فيا للأسف لوقوع هذا الكذب وهذا التحريف، وأشنع من ذلك أنّه وقع هذا الكذب وهذا التحريف لأجل غرض فاسد إشراكي وثني، وهو القول بتعدّد الأرباب وجعل البشر ربّاً!!

(٢٣) ولم يكتفِ العهد الجديد بنسبة الأناجيل لقدس المسيح هذا الكذب وهذا التحريف الوثني، بل جاء مثل ذلك في كتاب أعمال الرسل، ونسب مثل هذا الكذب والتحريف لبطرس، فذكر في الأصحاح الثاني، في العدد الرابع والثلاثين عن قول بطرس ما هذا نصّه: «لأنّ داود لم يصعد إلى السماوات وهو يقول: قال الربّ لربّي: اجلس عن يميني»!

(٢٤) جاء في الأصحاح الأوّل من إنجيل لوقا، في العدد الحادي والثلاثين والثاني والثلاثين، عن قول جبرئيل لمريم أُمّ المسيح:

وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمّينه يسوع[١] هكذا يكونُ عظيماً، وابن العَليّ يُدعى، ويُعطيه الله الإله كرسي داود أبيه.

وذكر إنجيل متّى نسب المسيح في الأصحاح الأوّل وقال: «كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود»، ثمّ ذكر داود في سلسلة النسب!!

وجاء في الأصحاح الثاني من كتاب أعمال الرسل، في العدد التاسع والعشرين والثلاثين، عن قول بطرس ما حاصله: أنّ الله حلف بقسم لداود أنّه من ثمرة صلبه يقيم المسيح ليجلس على كرسيّه.

وفي الأصحاح الثالث عشر، في العدد الثاني والعشرين والثالث والعشرين، عن قول بولس ما حاصله: أنّه من نسل داود أقام الله لإسرائيل مخلّصاً يسوع[٢].

وجاء في الأصحاح الأوّل من الرسالة إلى روميّة، في العدد الأوّل والثاني والثالث، ما حاصله: أنّ عيسى المسيح صار من نسل داود.

وجاء في الأصحاح الثاني من الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، في العدد الثامن، عن قول بولس: «اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود».

هذا، وقد تقدّم في الكذب الثاني والعشرين[٣] عن ثلاثة من أناجيلهم أنّها تذكر أنّ المسيح أنكر كونه ابن داود، وقال: كيف يكون ابنه؟! وذكرنا هنا عن أربعة من كبار أنبيائهم ورسلهم، وخمسة من كتب وحيهم، صراحتها بأنّ المسيح عيسى هو ابن داود، فانظر وقل: من هو الكاذب؟! وأين يكون الكذب في هذه المتناقضات؟!! وكم كذبة كبيرة صدرت؟!!

١. أي عيسى. (منه ﷺ).
٢. أي عيسى. (منه ﷺ).
٣. تقدّم في ص ٢٥.

(٢٥) في الأصحاح السابع من إنجيل يوحنّا، من العدد الثاني إلى الحادي عشر، ما حاصله:

إنّ المسيح كان في الجليل، وكان الوقت قريباً من عيد المظالّ. فقال له إخوته: أن يذهب إلى اليهوديّة[1]؛ لكي يرى تلاميذه أعماله. فقال لهم المسيح: اصعدوا أنتم إلى هذا العيد. أنا لست أصعد بعدُ إلى هذا العيد. قال لهم هذا ومكث في الجليل. ولمّا كان إخوته قد صعدوا صعد هو أيضاً إلى العيد.

فكيف يكون الكذب مع قول القائل: لا أصعد بعد إلى هذا العيد، ثمّ يصعد؟!!

(٢٦) وفي الأصحاح الحادي عشر من إنجيل متّى، في العدد الرابع عشر، عن المسيح في شأن يوحنّا المعمدان[2] ما هذا نصّه: «وإن أردتم أن تقبلوا فهذا إيليّا المزمع أن يأتي».

وفي الأصحاح الأوّل من إنجيل يوحنّا، في العدد الحادي والعشرين، أنّ رؤساء اليهود سألوا من يوحنّا وقالوا له: «إيليّا أنت؟ فقال: لست أنا».

وينتج من هذين الإنجيلين: إمّا نسبة الكذب إلى المسيح ـ وحاشاه ـ بقوله: إنّ يوحنّا[3] هو إيليّا المزمع أن يأتي، وإمّا نسبة الكذب إلى يحيى ـ وحاشاه ـ بقوله: لست أنا إيليّا.

ولنكتف بهذا المقدار من نسبة الكذب إلى الأنبياء في العهد الجديد وننتقل إلى العهد القديم.

(٢٧) جاء في سفر الملوك الثاني، في الأصحاح الثامن، في العدد السابع إلى آخر العاشر ما حاصله:

---

١. أي بلاد بيت المقدس. (منه ﷺ).

٢ و٣. أي يحيى بن زكريّا. (منه ﷺ).

إنّ بنهدد ملك آرام[١] كان مريضاً، فأمر حزائيل أن يسأل من اليشع النبيّ عن شفائه فسأله. ونصّ العدد العاشر هكذا: «فقال له اليشع: اذهب وقل له شفاءً تشفى، وقد أراني الله أنّه موتاً يموت».

فنسبت كتبهم إلى اليشع النبيّ أنّه كذب على خلاف ما أخبره الله به!

(٢٨) وجاء في التوراة الرائجة، في الأصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين [ما حاصله]:

إنّ إسحاق لمّا شاخ وذهب بصره قال لابنه عيسو: أُخرج وتصيّد صيداً، واصنع لي أطعمة كما أُحبّ لكي آكل، حتّى تباركك نفسي، فذهب عيسو إلى الصيد.

وكانت رفقة أُمّ عيسو ويعقوب سمعت كلام إسحاق مع عيسو، وكانت تحبّ يعقوب، فأرادت أن تسرق ليعقوب بركة الله من إسحاق، فقالت ليعقوب: خذ من الغنم جَدْيَين[٢] من المعزى فاصنعها أطعمةً لأبيك كما يحبّ، لكي يباركك؛ فقال يعقوبُ: كيف ينخدع أبي و عيسو رجل أشعر وأنا أملس؟!

فأخذت رفقة ثبات عيسو وألبستها ليعقوب، وألبست يديه وملاسة عنقه من جلود الجديين، وأعطته الأطعمة، فدخل يعقوب إلى أبيه، وقال: أنا عيسو، بِكرك! قد فعلت كما كلّمتني! كُلْ من صيدي!

فتقدّم يعقوب لإسحاق، وجسّه إسحاق، فقال: الصوت صوت يعقوب، ولكنّ اليدين يدا عيسو! وقال له: هل أنت ابني عيسو؟! فقال يعقوب: أنا هو!

فقدّم له الطعام فأكل، وأحضر له خمراً فشرب، وباركه ببركة الله، وأعطاه الرئاسة والسيادة.

فقل: كم كذبة تدوّي في هذا الكلام بالخديعة والغشّ!! ويا للعجب أنّ بركة الله كيف

---

١. أي مملكة دمشق. (منه ﵀).

٢. مثنى الجَدْي: وهو الذكر من ولد المعز. الصحاح ٦: ٢٢٩٩، «ج د ى».

تؤخذ من نبيّ الله بهذا الكذب والخداع! يأخذها بذلك من يكونُ بهذه البركة نبيّ الله وإسرائيل الله، عجباً عجباً للرشد والعقول!!

(٢٩) تعالوا واسمعوا الداهية الكبرى، والخرافة الشنعاء، والكفر العظيم، وانظروا في كتاب إرميا الذي يعدّونه من كتب الوحي إلى الأنبياء الكبار، فقد جاء في الأصحاح الرابع، في العدد العاشر، ما نصّه:

فقلتُ: آه يا سيّدي الله، حقّاً إنّك خِداعاً خادعت هذا الشعب وأُورشليم قائلاً: يكونُ سلام؛ وقد بلغ السيف النفس. انتهى.

فاعجب واندهش يا مَن له رشد، وقل: كيف يكون الكفر؟!!

(٣٠) وأدهى وأشنع من ذلك أنّه جاء في سفر التكوين من التوراة، في ابتداء كتب وحيهم، في الأصحاح الثاني، في العدد السادس عشر والسابع عشر، ما هذا نصّه:

وأوصى الله الآلهة[١] آدم قائلاً: من جميع شجر الجنّة تأكل أكلاً، وأمّا شجرة معرفة الحسن والقبيح فلا تأكل منها، لأنّك يوم تأكل منها موتاً وتموت. انتهى.

ثمّ جاء في الأصحاح الثالث، من أوّله إلى العدد الثامن، ما حاصله:

إنّ الحيّة ـ وفي الأصحاح العشرين من رؤيا يوحنّا، في العدد الثاني: «أنّ الحيّة القديمة ـ هو الذي يسمّى إبليس والشيطان» فهذه الحيّة ـ أو إبليس ـ جاءت فقالت لحوّاء امرأة آدم: أحقّاً قال الله: لا تأكلا من كلّ شجر الجنّة؟!

فقالت حوّاء: من ثمر شجر الجنّة نأكل، وأمّا ثمر الشجرة التي في وسط الجنّة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلّا تموتا.

فقالت الحيّة لحوّاء: لا تموتان، بل الله عالم بأنّه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين للحسن والقبيح!

١. في الأصل العبراني «أُلهيم» ومعناه: «الآلهة»، ويترجمونه تمويهاً: «الإله» ويا للعجب!!(منه ﷺ).

فأكل آدم وحوّاء من الشجرة، فانفتحت أعينهما بمعرفة الحسن والقبيح، وعلما أنّهما عريانان.

وفي العدد الثاني والعشرين من هذا الأصحاح ما نصّه:

وقال الله الآلهة[1]: هو ذا آدم صار كواحد منّا، عارفاً للحسن والقبيح، والآن يمدّ يده و يأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيى إلى الأبد، فأخرجه الله الآلهة[2] من الجنّة، وأقام على شجرة الحياة حراسة ومحافظة. انتهى.

فانظر إلى هذه التوراة التي تقول: إنّ «الشيطان» أو «الحيّة» قد صدقت ونصحت في قولها، ووقع الأمر على ما قالت، فلم يمت آدم يوم أكله من الشجرة، بل فاز بمعرفة الحسن والقبيح، وصار كالله وكواحد من الآلهة، وظهر من ذلك أنّ قول الله لآدم: «يوم تأكل من الشجرة موتاً تموت» لم يكن صدقاً، بل كان خديعةً ومحاذرةً؛ لئلّا يكون آدم كواحد من الآلهة، الذين منهم الله!!

غفرانك اللّهمّ مِن ذكر هذه الكلمات، فإنّك تعلم أنّي أردت بها تنبيه البعض من عبادك من رقدة الضلال.

(٣١) وأيضاً تكرّر في العهد القديم أنّ الله ـ جلّ وتقدّس شأنه ـ يعلّم بالكذب؛ ليكون وسيلةً لما يريده.

فقد جاء في سفر الملوك الأوّل، في الأصحاح الثاني والعشرين، من العدد الرابع عشر إلى الثالث والعشرين؛ وفي سفر الأيّام الثاني، في الأصحاح الثامن عشر، من العدد الثالث عشر إلى الثاني والعشرين ما حاصله:

إنّ ميخا بن يمله نبيّ الله، أرسل إليه يهوشافاط ملك يهوذا وأخاب ملك إسرائيل لكي يسألاه عمّا يقول الله في حربهما لملك دمشق؟ وأنّهما هل يغلبانه كما قال أنبياء أخاب؟

---

١ و٢. في الأصل العبراني «أُلهيم» ومعناه: «الآلهة»، ويترجمونه تمويهاً: «الإله» ويا للعجب!!(منه ﷺ).

فحلف ميخا، وقال: حيٌّ هو الله، إنّ كلّ ما يقوله لي الله به أتكلّم.

فسأله الملك قائلاً: يا ميخا، هل نصعد للقتال؟

فقال ميخا له: اصعد وافلح، فيدفع الله بلاد الأعداء ليدك.

فتحقّق منه الملك؛ فقال ميخا: اسمع إذن كلام الله. قد رأيت الله جالساً على كرسيّه، وكلّ جند السماء وقوف عن يمينه ويساره. فقال الله: من يغوي أخاب لكي يصعد إلى الحرب ويسقط؛ فاختلفت الآراء في المشورة. فقال هذا هكذا، وقال ذاك هكذا، ثمّ خرج الروح ووقف أمام الله، وقال: أنا أُغويه؛ فقال له الله: بماذا؟ فقال: أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه؛ فقال الله: أنت تغويه وتقدر، فاخرج وافعل هكذا! انتهى.

ويحصل من هذا أنّ ميخا في أوّل الأمر كذب في قوله: «اصعد وافلح وتفتح» على خلاف ما رآه من مجلس الله للمشورة!

دع ميخا، فإنّ كذبه يهون بالنسبة لما بعده! ولكن تعال وانظر في حكاية مجلس الله وما حاصله، واستغفر الله أنّ الله عقد مجلس المشورة العامّ لأجل الاهتداء إلى الحيلة حتّى جاء الروح وتعهّد بإغوائه بالكذب بلسان الأنبياء، فاستحسن الله هذا الرأي ورضي بهذه الكرامة لقدسه وقدرته، وللروح وللأنبياء! ووجّه الروح إلى هذه الوظيفة، فعمل الروح ونجح في إغوائه !

ولكن ميخا النبيّ أراد أن يبطل الفائدة لهذه المشورة، حيث شهر هذا المجلس السرّي وإرسال الروح في مأموريّته الخفيّة؛ ومع ذلك فقد نجح الروح، وحصل ما هو المقصود من مجلس المشورة!

تعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

(٣٢) جاء في سفر الخروج من التوراة، في الأصحاح الثالث، من العدد الثالث إلى آخر السابع عشر ما حاصله:

إنّ الله كلّم موسى في جبل حوريب حينما كان موسى يرعى الغنم وحده، فقال الله

له: قد رأيت مذلّة بني إسرائيل فنزلت لأُنقذهم من أيدي المصريّين، وأُصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيّدة وواسعة تفيض لبناً وعسلاً، إلى مكان الكنعانيّين والحثّيّين والأموريّين والفرزيّين والحويّين واليبوسيّين. وأعطى موسى علامةً على أنّه أرسله، وهو أنّه حينما يخرجون من مصر يعبدون الله على جبل حوريب الذي هو جزء من جبل سينا.

ولا يخفى أنّ الأمكنة المذكورة إذا قسناها إلى منازل بني إسرائيل في رعمسيس من أرض مصر، فإنّ أقربها إليهم يبعد عنهم نحو طريق سبعة أيّام أو ثمانية بالسير الحثيث، سيّما إذا كان السائرون مشاةً مع عيالاتهم وأطفالهم وغنمهم؛ وإنّ المسافة إلى أواسط الأمكنة المذكورة تبلغ طريق اثني عشر يوماً؛ وإلى أطرافها تبلغ طريق خمسة عشر يوماً!

وأيضاً أنّ حوريب يبعد عن منازل بني إسرائيل في مصر بطريق ثمانية أيّام أو أكثر، والتوراة تقول: إنّ بني إسرائيل قطعوه بثلاثة عشر منزلاً في أكثر من شهرين، كما يعرف ذلك من الأصحاح التاسع عشر من سفر الخروج، والثالث والثلاثين من سفر العدد.

فإذا عرفت أنّ وعد الله لموسى هو إخراجهم إلى أرض فلسطين وشرقي الأردن، وعرفت المسافات التي ذكرناها، فاعلم أنّ التوراة تذكر أيضاً في الأصحاح الثالث، في العدد الثامن عشر، على أثر الكلام المتقدّم ذكره، أنّ الله قال لموسى ما نصّه:

فإذا سمعوا لقولك[1] تدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل إلى ملك مصر، وتقولون له: إله العبرانيّين التقانا. فالآن نمضي طريق ثلاثة أيّام ونذبح لله إلهنا.

وإذا عرفت أنّ الله قد كلّم هذا الكلام موسى وحده في حوريب ولم يلق شيوخ بني إسرائيل فكيف يقول لموسى: «تدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له: إله العبرانيّين التقانا»، متى التقى الله شيوخ بني إسرائيل؟!

---

١. يعني بني إسرائيل. (منه ﷺ).

وإذا عرفت أنّ وعد الله لموسى هو إدخال العبرانيّين إلى أرض فلسطين، وعرفت المسافات المذكورة، فكيف يأمر الله موسى وبني إسرائيل أن يكذبوا ويقولوا: «نمضي طريق ثلاثة أيّام»؟!

مع أنّ التوراة ذكرت في الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد، في العدد الثامن، أنّ ما بين معبر بني إسرائيل من البحر وبين «مارّة» هو طريق ثلاثة أيّام، ولا يخفى أنّه لايزيد على العشرين فرسخاً، فأين يكونُ طريق الثلاثة أيّام، فيما يزيد على الثمانين فرسخاً، إلى أن يبلغ في أرض فلسطين وعبر الأردن نحو مائة وخمسين فرسخاً؟! فيا للعجب!!

أفليست هذه التوراة تقول: إنّ الله افتتح إرساله إلى موسى بالتعليم بالكذب الصريح مرّتين؟!

وتقول التوراة في الأصحاح الخامس من سفر الخروج، في العدد الثالث:

إنّ موسى وهارون قالا لفرعون: إنّ إله العبرانيّين التقانا. فنذهب طريق ثلاثة أيّام في البرّيّة، ونذبح للربّ إلهنا لئلّا يصيبنا بالوباء أو بالسيف.

فتقول التوراة: إنّ موسى عمل بالتعليم بالكذب بطريق الثلاثة أيّام وزاد من عنده قوله: لئلّا يصيبنا بالوباء أو بالسيف؛ وكذا هارون، مع أنّ الله لم يلتقه حينما أمر موسى بالذهاب إلى فرعون!

# ملحق من بعض ما تركناه

قال عبدالله الهاشمي[1] في صحيفة ١٢، في ذكر إبراهيم النبيّ ﷺ : «ملّة أبينا إبراهيم، فإنّه كان حنيفاً مسلماً»، وذكر في صحيفة ٦ قول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿مَاكَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

فقال عبد المسيح في صحيفة ٣٠: إنّ إبراهيم إنّما كان نازلاً بحرّان مع آبائه تسعين سنةً، لم يعبد إلّا الصنم المسمّى بالعزّى.

ثمّ قال: فكان إبراهيم يعبد الصنم حنيفاً مع آبائه وأجداده وأهل بلده، كما أقررت به أنت أيّها الحنيف وشهدت به، إلى أن تجلّى الله له.

ثمّ قال: لأنّا نجد الحنيفيّة في كتب الله المنزلة اسماً لعبادة الأصنام.

فليت شِعري من أين ينسب عبادة الأصنام لإبراهيم، ولم يجئ لهذا ذكر في توراته ولا كتب وحيه ؟!

وأمّا قوله: «إنّ إبراهيم إنّما كان نازلاً بحرّان مع آبائه تسعين سنةً، لم يعبد إلّا الصنم المسمّى بالعزّى»، فإنّه قد اشتمل على أكاذيب عديدة:

[١] إنّ توراتهم تكذّب قوله هذا، فإنّها تذكر في أواخر الأصحاح الحادي عشر من سفر التكوين أنّ إبراهيم كان ساكناً في أرض ميلاده أُور الكلدانيّين فيما

---

١. هو عبدالله بن إسماعيل الهاشمي، من أعلام القرن الرابع الهجري، أرسل رسالةً إلى عبدالمسيح بن إسحاق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام؛ طبعت في لندن سنة ١٨٨٥م، وفي مصر سنة ١٩١٠م، ومرّات أُخرى في مطبعة النيل الإنكليزيّة. انظر معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة ـ ليوسف إليان سركيس ـ ٢: ١٨٨٩.

٢. آل عمران (٣): ٦٧.

بين النهرين[١]، وبقي فيها إلى أن تزوّج هو وأخوه الأصغر منه هاران، ووُلد لهاران ولده لوط، ثمّ خرج من أُور الكلدانيّين ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتى إلى حاران. فأين نزوله تسعين سنةً مع آبائه في حاران؟!

وأيضاً في الأصحاح الثاني عشر من التكوين، في العدد الرابع: أنّ إبراهيم لَمّا خرج من حاران وأتى إلى أرض كنعان كان عمره خمساً وسبعين سنةً. فأين تكون التسعين سنةً في حاران؟!

وبمقتضى دلالة التوراة وتواريخهم: أنّ إبراهيم لم يسكن في حاران إلّا سنين قليلة؛ وتواريخهم المعلّقة على توراتهم تذكر أنّ خروجه من بلاده ـ أرض الكلدانيّين ـ كان سنة ١٩٢٣ قبل المسيح، وخروجه من حاران كان سنة ١٩٢١ قبل المسيح، فيكون مكثه في حاران سنتين. فأين التسعون سنة؟!

[٢] إنّ إبراهيم لم يكن له آباء وأجداد في حاران.

[٣] إنّ عبدالله الهاشمي لم يعترف ولم يشهد بأنّ إبراهيم كان عابد وثن، وإنّما ذكر من القرآن الكريم أنّه كان حنيفاً مسلماً وماكان من المشركين؛ فما هذه الأكاذيب المتتابعة؟!

وأيضاً، أين عبد المسيح عن مقدّسه كتاب العهد الجديد؟! فإنّه يذكر في أعمال الرسل، في الأصحاح السابع، في العدد الثاني: أنّ الله ظهر لإبراهيم وهو فيما بين النهرين قبلما سكن في حاران، وأمره بالخروج إلى الأرض التي يريه الله إيّاها، وهي أرض كنعان، فخرج بأمر الله ووحيه.

فإبراهيم دخل حاران وسكن فيها، وهو نبيٌّ موحىً إليه، فأين تكون عبادته للأصنام في حاران؟!

هب أنّ في الكذب للكاذب شرفاً وديناً، ولكن ما ذنب إبراهيم مع عبد المسيح ـ الشخصي أو النوعي ـ حتى يرمي قُدسه بعبادة الأصنام، ويكذب عليه بهتاناً وزوراً؟!

١. أي دجلة والفرات، والمظنون أنّه يكون في مثل نواحي ذي قار «المكير». (منه ﷺ).

ومن الظرائف قول عبدالمسيح: «لأنّا نجد الحنيفيّة في كتب الله المنزلة اسماً لعبادة الأصنام»!

ويا للعجب! هذه الكتب التي يزعم عبدالمسيح وأصحابه أنّها منزلة من الله بين أيدينا، وليضمّوا إليها أيضاً ما رفضته المجامع، وما رفضه البروتستنت من كتبهم، ويرونا أين يوجد فيها أنّ الحنيفيّة اسم لعبادة الأصنام؟!

أفلا يعلمون أنّ في المسلمين من قرأ كتبهم حرفاً حرفاً؟!

ولكن ما ذا نقول؟!

لا تنتهي الأنفسُ عن غَيِّها ما لم يكن منها لها زاجر

❊ ❊ ❊

أيّها القارئ، ما هو حالك في الدهشة والأسف على الصدق والأمانة والشرف والاستقامة والدين؟!

هب أنّ الناس يتسامحون في الكذب في الأُمور الدنيويّة ومعاملات المعيشة، ولكنّ الديانة المطلوب بها الهدى والصلاح والاستقامة كيف يُبنى أمرها على الكذب الصريح المتسلسل من رجال الدعوة إلى الدين، ومن الكتب المنسوبة إلى الوحي الإلهي؟!

فأين الشرف والأمانة والصلاح؟! وأين الدين والتقوى؟!

وما هذه الجرأة على قدس الرسل والأنبياء والصالحين؟!

وما هذه الجرأة القبيحة على جلال الله وقدسه؟!!

ويا للعجب المدهش من أُناس يدعوننا بمثل ما ذكرناه من الكذب، إلى مثل ما ذكرناه من الكذب والجرأة على جلال الله وقدسه!! ويا للأسف!

وحسبنا الله ونعم الوكيل، وسبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمدلله ربّ العالمين.

سنة ١٣٤٥

عبدالله العربي

٣٦

# (٦)

# دعوة الهدى

## إلى الورع في الأفعال والفتوى

تحقيق

السيّد محمّد عبدالحكيم الصافي

# [نصّ السؤال الذي وجّهه عبدالله بن بليهد قاضي قضاة الوهّابيّين في الحجاز]

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قول علماء المدينة ـ زادهم الله فهماً وعلماً ـ في البناء على القبور واتّخاذها مساجد، هل هو جائز، أم لا ؟

وإذا كان غير جائز، بل ممنوعٌ منهيٌّ عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها، أم لا ؟

وإذا كان البناء في مسبّلة[1] ـ كالبقيع ـ وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبنيّ عليها، فهل هو غصب يجب رفعه ؛لما فيه من ظلم المستحقّين ومنعهم استحقاقهم، أم لا ؟

وما يفعله الجُهّال عند هذه الضرائح من التمسّح بها، ودعائها مع الله، والتقرّب بالذبح والنذر لها، وإيقاد السرج عليها، هل هو جائز، أم لا؟

وما يفعل عند حجرة النبيّ ﷺ من التوجّه إليها عند الدعاء وغيره، والطواف بها، وتقبيلها، والتمسّح بها. وكذلك ما يفعل في المسجد [الشريف] من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة، وقبل الفجر، ويوم الجمعة، هل هو مشروع، أم لا ؟

أفتونا مأجورين، وبيّنوا لنا الأدلّة المستند إليها، لا زلتم ملجأً للمستفيدين.

---

١. سبَّل ضيعته : أي جعلها في سبيل الله، وفي الحديث : «احبس أصلها وسبّل ثمرتها»، أي اجعلها وقفاً وأبح ثمرتها لمن وقفتها عليه. انظر : الصحاح ٥ : ١٧٢٤ ؛ لسان العرب ١١ : ٣٢٠، «س ب ل».

## نصّ الجواب المنسوب لعلماء المدينة

أمّا البناء على القبور، فهو ممنوع إجماعاً؛ لصحّة الأحاديث الواردة في منعه، وبهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين على ذلك بحديث عليٍّ عليه السلام أنّه قال لأبي الهيّاج[1]: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع تمثالاً إلّا طَمَسْتَه، ولا قبراً مُشْرِفاً إلّا سَوَّيْتَه».

رواه مسلم[2].

وأمّا اتّخاذ القبور مساجد، والصلاة فيها، وإيقاد السُرُج عليها، فممنوعٌ [مطلقاً]؛ لحديث ابن عبّاس: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتّخذين عليها المساجد والسرج».

رواه أهل السنّة[3].

---

١. هو حيّان بن حصين الأسدي الكوفي، والد منصور بن حيّان، وجرير بن حيّان.
قال ابن حجر: قال العجلي: تابعي ثقة. وقال ابن عبد البرّ: كان كاتب عمّار رضي الله عنه. وقال المزّي: ذكره ابن حبّان في كتاب الثقات.
روى له مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.
روى عن عليّ عليه السلام، وعمّار بن ياسر، وعمر بن الخطّاب، وعليّ بن ربيعة الوالبي.
وروى عنه ابناه منصور وجرير، وشقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي، وعامر الشعبي.
انظر: تهذيب التهذيب ٢: ٤٨٤، الرقم ١٦٥٤؛ تهذيب الكمال ٥: ٣٠١، الرقم ١٥٥٧؛ كتاب الثقات ٤: ١٧٠؛ الجرح والتعديل ٣: ٢٤٣، الرقم ١٠٨١.

٢. صحيح مسلم ٢: ٦٦٦، ح ٩٣/٩٦٩، وأورده البغوي في مصابيح السنّة ١: ٥٥٥، ح ١٢٠٣.

٣. مسند أحمد ١: ٣٨٠، ح ٢٠٣١ و ٤٧٣، ح ٢٥٩٨، و ٥٣٣، ح ٢٩٧٧، و ٥٥٤، ح ٣١٠٨؛ سنن أبي داود ٣: ٢١٨، ح ٣٢٣٦؛ الجامع الصحيح ٢: ١٣٦، ح ٣٢٠؛ سنن النسائي ٤: ٩٧، ح ٢٠٣٩؛ مسند أبي داود الطيالسي: ٣٥٧، ح ٢٧٣٣، وفيه: «زوّارات» بدل «زائرات»، و«المتّخذات» بدل «المتّخذين»؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٣: ٢٢٥، ح ١، وفيه: «المتّخذات» بدل «المتّخذين»؛ المعجم الكبير ١٢: ١١٥، ح ١٢٧٢٥؛ المستدرك على الصحيحين ١: ٧٠٧، ح ١٤٢٤؛ مصابيح السنّة ١: ٢٩٩، ح ٥٢٥؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٧٢، ح ٣١٦٩ و ٣١٧٠، وفي الحديث الأوّل: «المتّخذات» بدل «المتّخذين»؛ الترغيب والترهيب ٤: ١٥٣، ح ٦؛ جامع المسانيد والسنن ٣٠: ٤٤ ـ ٤٥، ح ٥٤ ـ ٥٧؛ جامع الأحاديث الكبير ٥: ٤٠، ح ١٧٠٦٤؛ الجامع الصغير: ٤٤٧، ح ٧٢٧٦؛ كنز العمّال ١٦: ٣٨٨، ح ٤٥٠٣٨.

وأمّا ما يفعله الجهّال عند الضرائح، من التمسّح بها، والتقرّب إليها بالذبائح والنذور، ودعاء أهلها مع الله، فهو حرامٌ، ممنوع شرعاً، لا يجوز فعله أصلاً.

وأمّا التوجّه إلى حجرة النبيّ ﷺ عند الدعاء، فالأولى منعه؛ كما هو معروف من فقرات كتب المذهب؛ ولأنّ أفضلَ الجهاتِ جهةُ القِبلة.

وأمّا الطواف [بها] والتمسّح بها وتقبيلها، فهو ممنوع مطلقاً.

وأمّا ما يفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة، فهو مُحْدَث.

هذا ما وصل إليه عِلمنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد، وهو المستعان

قد طرقت الدينَ والعِلمَ والدنيا هذه الداهية الممضّة، والخطب المقيم المقعِد، وهذه الداهية التي استهدفت بأوّل سهامها مرقد رسول الله ﷺ[1]، ولانتهاك حرمته رفعت معاولها، ولمحو آثاره المقدّسة ترمي بقصدها.

فيا للدين والعلم! ويا للعدل والإسلام!

ويا للمسلمين لهذا الحادث الجلل في الإسلام، وهذا الأمر الفظيع المحدث فيه!

وقد قامت قيامة العلم والدين من أجل ما جيء به في هذا الاستفتاء وهذه الفتاوى من الدواهي.

ومن جملة ذلك محاضرة علميّة ألقاها علينا الأُستاذ العلّامة، ظهير الدين، منار الهدى، نصير الحقّ، حجّة الإسلام البلاغي، متّع الله العلم والدين بطول بقائه.

وإليك نصّ المحاضرة.

محمّد عليّ الغروي الأُوردبادي

---

١. في سنة ١٩٦٨م قرأنا منشوراً كان يوزّع في المسجد النبوي بالمدينة المنوّرة، مؤدّاه: أنّ المسلمين اليوم يخالفون أمر رسول الله ﷺ بحرمة إشادة المراقد، فأشادوا مرقده، وقد أساؤوا إليه وهم يحسبون أنّهم يحسنون بذلك صنعاً!!

بسم الله الرحمن الرحيم
وله الحمد، وهو المستعان

والصلاة والسلام على خاتم رسله محمّد وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

أمّا بعد، فإنّ المعهود من علماء المدينة أنّهم ملتزمون بانسداد باب الاجتهاد، وأنّه لا تسوغ الفتوى إلّا بالنقل عن أحد المجتهدين الأربعة[1]. فما الذي أقحمهم في هذه الفتوى الهائلة؟!

نعم، لأمر مّا تقحّموا في ذلك!!

ولعلّهم أشاروا إلى ذلك الأمر بما أوردوه في الاحتجاج من الغرائب!

## [البناء على القبور]

قالوا: «أمّا البناء على القبور، فممنوعٌ إجماعاً».

ويا للعجب! كيف يدّعى هذا الإجماع؟! مع أنّ السيرة العمليّة[2] من المسلمين في جميع الأمصار والبلاد والأجيال والقرون مستمرّة على ما ادّعي منعه.

---

١. هم أبوحنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠ ـ ١٥٠هـ)، ومالك بن أنس الأصبحي (٩٣ ـ ١٧٩هـ)، ومحمّد بن إدريس الشافعي القرشي (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ)، وأحمد بن حنبل بن هلال الشيباني (١٦٤ ـ ٢٤١هـ).

٢. السيرة العمليّة: هي السلوك العامّ للمتديّن، وأقصى ما تقتضيه أن تدلّ على مشروعيّة الفعل وعدم حرمته في صورة السيرة على الفعل، أو تدلّ على مشروعيّة الترك وعدم وجوب الفعل في صورة السيرة على الترك. انظر أُصول الفقه ٢: ١٧٦.

سيرة يجري عليها العلماء والصلحاء والمتشرّعون والتابعون لهم، بنحو يرون جوازه أو رجحانه من دون مدافعة شكٍّ أو نكير.

سيرة متسلسلة في أجيال المسلمين، توصلنا إلى العلم والدراية بجواز ذلك من مصدر الشريعة المطهّرة، عليه أفضل الصلاة والسلام[1].

بل توصلنا إلى العلم والدراية برجحانه في بعض الموارد.

درايةً لا تقف أمامها روايةٌ مهما كان سندها، ومهما وضحت دلالتها.

سيرة في كلّ زمان، وفي كلّ جيل تتجلّى بأوضح إجماع.

فمهما شذّ من أقوال بعض الآحاد شاذٌّ بالخلاف، كان مسبوقاً بالإجماع والسيرة، وملحوقاً بهما.

وأيّة رواية عرضت أمام ذلك، كان الفضل للعلم عليها إذا تأوّلها واحترمها من الطرح.

فيا للعجب! كيف وأين يكون الإجماع الذي ادّعاه هؤلاء المُفتُون؟!

ومن أيّ اتّفاقٍ عملي أخذوه؟!

وعن أيّ اتّفاق في الفتوى نقلوه؟!

وكيف تغاضوا عن سيرة المسلمين التي هي نصب عين العلم والعمل؟!

السيرة التي يتجلّى منها في كلّ زمان إجماع وعلم ودراية.

وكيف اقتحموا في مخالفة السيرة والإجماع هذه المخالفة الفادحة وهذا الاقتحام المزعج؟!

ومن العجيب في العلم والاجتهاد قول هؤلاء المفتين: «ممنوعٌ إجماعاً؛ لصحّة الأحاديث الواردة في منعه»!!

أليس الإجماع هو اتّفاق المسلمين في العمل، أو اتّفاق العلماء في الفتوى؟!

إذاً، فما هو الوجه في تعليله بصحّة الحديث؟!

---

١. لا شكّ أنّ مصدر الشريعة المطهّرة هو الله سبحانه وتعالى، والرسول الكريم ﷺ يعدّ مصدراً ثانوياً؛ إذ منه ﷺ تصدر الشريعة إلى البشر بعد ورودها إليه من الحقّ تعالى.

فهل كلّ حديث صحَّ في نظر البعض يلزم أن يتّفق المسلمون على العمل والفتوى بمضمونه، من دون نظر إلى معارضاته وقرائن مداليله؟!

فكيف يغيب عن هؤلاء المفتين أنّ صحّة الحديث المدّعاة لا تعارض الإجماع، ولا تكون علّةً له، بل الحكم للإجماع على الحديث؟!

### ما هي صحّة الحديث في اصطلاح البعض؟

أليست هي أن يرويه آحاد يوثّقهم بعض الناس، أو يمدحهم، أو يقبل روايتهم، أو تروى الرواية في جوامع الحديث، كجامعي مسلم والبخاري؟! وإن كان في رواتها مثل عمران بن حطّان[1]، الذي يثني على ابن ملجم في قتله أمير المؤمنين عليه السلام![2]

---

١. هو عمران بن حطّان بن ظبيان بن لوذان السدوسي، أبو سمّاك، ويقال: أبو شهاب، البصري، ويقال غير ذلك، من رؤوس الخوارج، توفّي سنة ٨٤هـ.

قال ابن حجر: قال الدارقطني متروك لسوء اعتقاده وخبث مذهبه.

وقال أيضاً: كان من المعروفين في مذهب الخوارج.

وقال المبرّد في الكامل: قد كان رأس القَعَد من الصُفْريّة، وخطيبهم وشاعرهم.

انظر: تهذيب التهذيب ٦: ٢٣٥ ـ ٢٣٧، الرقم ٥٣٣٨؛ الكامل في اللغة ٢: ١٢٤؛ سير أعلام النبلاء ٤: ٢١٤، الرقم ٨٦.

٢. فهو القائل في مدح قاتل أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام:

يا ضربةً من تقيّ ما أرادَ بها ... إلّا لِيَبلُغَ مِنْ ذِي العرش رِضوانا

إنّي لأذكرهُ يوماً فأحسبُهُ ... أوفى البريّة عندَ اللهِ مِيزانا

وقد ردّ عليه الفقيه الطبري، فقال:

ياضربة من شقيّ ما أرادَ بها ... إلّا لِيَهدِمَ مِن ذي العَرشِ بُنيانا

إنّي لأذكُرُه يوماً فألعَنُهُ ... إيهاً وألعن عِمران بن حِطّانا

وقال محمّد بن أحمد الخطيب يردّ عليه أيضاً:

يا ضربةً من غَدُورٍ صار ضارِبُها ... أشقَى البَريّة عِنْدَ اللهِ إنسانا

إذا تَفكّرتُ فيه ظَلْتُ ألعَنُهُ ... وألعنُ الكلب عِمرانَ بنَ حِطّانا

انظر: الكامل في اللغة ٢: ١٢٦؛ الأغاني ١٨: ١١٧؛ تأريخ دمشق ٤٣: ٤٩٥؛ مختصر تأريخ دمشق ١٨: ٢٣٧؛ سير أعلام النبلاء ٤: ٢١٥؛ البداية والنهاية ٧: ٢٦٢، حوادث سنة ٤٠، وج ٩: ٤٨ حوادث سنة ٨٤هـ.

وكأمثال عمران من الخوارج الذين تكاثرت الروايات المفيدة للعلم بأنّ رسول الله قال: إنّهم يمرقون من الدين ![1]

وكرجالٍ عُرِفوا بنصب العدواة لأهل البيت ![2]

وكرجالٍ ذكر العلماء أنّهم وضّاعون للحديث ![3]

---

١. وقد جاء في الحديث النبوي الشريف أيضاً ـ كما في صحيح البخاري ٦: ٢٥٤١، ح ٦٥٣٥ ـ أنّ النبيّ ﷺ قال ـ وقد أهوى بيده قِبَل العراق ـ: «يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرميّة».

وتواترت الروايات ـ في العديد من أُمّهات المصادر، وبألفاظ مختلفة ـ بظهور الخوارج، نذكر منها على سبيل المثال:

صحيح البخاري ٣: ١٣٢١، ح ٣٤١٤ و ٤: ١٩٢٨، ح ٤٧٧١، ٥: ٢٢٨١، ح ٥٨١١ و ٦: ٢٥٤٠، ح ٦٥٣٢ ـ ٦٥٣٤؛ التأريخ الكبير ـ كتاب الكنى ـ ٨: ٣٠، الرقم ٢٦٢؛ صحيح مسلم ٢: ٧٤٠ ـ ٧٥٠؛ مسند أبي داود الطيالسي: ٢٩٦، ح ٢٢٣٤ و ص ٣٥٠، ح ٢٦٨٧؛ مسند أحمد ٣: ٤١٩، ح ١٠٨٩٣ و ٤٤٠، ح ١١٠٢٤؛ سنن ابن ماجة ١: ٥٩ ـ ٦٢، ح ١٦٨ ـ ١٧٢ و ١٧٥ و ١٧٦؛ سنن أبي داود ٤: ٢١٧، ح ٤٦٦٧، و ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥، ح ٤٧٦٣ ـ ٤٧٦٨؛ الجامع الصحيح ٤: ٤١٧ ـ ٤١٨، ح ٢١٨٨؛ سنن النسائي ٧: ١٢٤ ـ ١٢٦، ح ٤١٠٧ ـ ٤١٠٨؛ خصائص الإمام عليّ عليه السلام: ١١٧ ـ ١٢٧، ح ١٦٠ ـ ١٨١؛ المستدرك على الصحيحين ٢: ٤٨٩ ـ ٤٩٢، ح ٢٦٩١ ـ ٢٦٩٧؛ المعجم الكبير ٦: ٣٤، ح ٥٤٣٣، و ص ٩١، ح ٥٦٠٧ و ٥٦٠٨ و ج ١٢: ٢٧٨، ح ١٣٣٤٩؛ مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ للمغازلي ـ: ٩٨، ح ٧٧، و ص ١٠٠، ح ٨١؛ مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ للخوارزمي ـ: ٢٥٨ ـ ٢٥٩، ح ٢٤١ و ٢٤٢.

٢. مثل أزهر بن عبد الله الحرازي. انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ١: ٣٢٢، الرقم ٦٩٨؛ تهذيب التهذيب ١: ٢٢٣، الرقم ٣٣٨.

وعبد الله بن سالم الأشعري الحمّصي. انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٤: ١٠٤، الرقم ٤٣٤٣؛ تهذيب التهذيب ٤: ٣١٠، الرقم ٣٤٢٣.

ونُعيم بن أبي هند الأشجعي الكوفي. انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٧: ٤٥، الرقم ٩١١٩؛ تهذيب التهذيب ٨: ٥٣٦، الرقم ٧٤٥٨.

وغيرهم ممّن وردت رواياتهم في الصحاح الستّة !

٣. مثل: إسماعيل بن عبد الله الأصبحي الكوفي. انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ١: ٣٧٩، الرقم ٨٥٥؛ تهذيب التهذيب ١: ٣٢١، الرقم ٤٩٦.

←

... إلى غير ذلك ممّا لا حاجة إلى ذكره مفصّلاً.

وقد وقع ذلك في جوامع الحديث، وخصوص جامعَي مسلم والبخاري![١]

ماذا يُفيد توثيق بعض الناس وقبول بعض الناس مع وقوع الدواهي أمام الركون إلى ذلك؟!

وماذا يجدي رأي بعض الناس في العلم والحقيقة؟!

فإذا كانت الصحّة المقصودة للمفتين هي بنت الآراء، الآحاديّة، المحفوفة بالنقد والمعارضات، فكيف تكون علّةً للإجماع الذي هو طريقٌ علمي للواقع والحقيقة؟!

أين روايات الآحاد من الإجماع؟! وأين الإجماع من روايات الآحاد؟!

وما هي الأحاديث الصحيحة الواردة في المنع، لكي يُعرف مدلولها والعمل بها؟!

أهي رواية جابر: «نهى رسول‌الله أن تجصّص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها، وأن توطأ» على ما في جامع الترمذي؟![٢]

أو: «نهى أن يُقعد على القبر، وأن يُقصّص[٣] ويبنى عليه»، كما في سنن أبي داود؟![٤]

من أين جاء المنع الشديد في قوله: «نهى»؟! مع احتمال كون النهي للتنزيه لا للتحريم والمنع!

---

← وبشير بن نمير. انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٢: ٣٨، الرقم ١٢٣٠؛ تهذيب التهذيب ١: ٤٧٩، الرقم ٧٥١.

والحسن بن عمارة بن المضرِّب الكوفي. انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٢: ٢٦٥، الرقم ١٩٢١؛ تهذيب التهذيب ٢: ٢٨١، الرقم ١٣٢١.

وغيرهم كثير ممّن وردت رواياتهم في الصحاح الستّة!

١. تقدّم تخريجه عنهما قبيل هذا.

٢. الجامع الصحيح ٣: ٣٦٨، ح ١٠٥٢، وفيه: «النبيّ» بدل «رسول الله».

٣. القَصَّة والقِصَّة والقَصّ: الجَصُّ، لغةٌ حجازيّةٌ، وقيل: الحجارة من الجصّ، وقد قصّص داره، أي جصّصها، والتقصيص: هو التجصيص.

انظر الصحاح ٣: ١٠٥٢؛ لسان العرب ٧: ١٧٦، «ق ص ص».

٤. سنن أبي داود ٣: ٢١٦، ح ٣٢٢٥.

ومن أين يكون المراد من ذلك بناء القباب والسقوف لمنفعة الزائرين ؟ !

ولماذا لا يكون عمل المسلمين المستمرّ في بناء القبر والسقف عليه، دليلاً على استنادهم إلى ناسخ[1] لحكم الحديث، كما نسخ النهي عن زيارة القبور ؟ ! فإنّ دليل الناسخ لا ينحصر بروايات الآحاد، بل إنّ سيرة المسلمين وعملهم أقوى دليل على الحكم الشرعي، فإنّها إجماع، وفوق الإجماع!

أم هي الأحايث الواردة في اتّخاذ المساجد على القبور ؟ ! فسيأتي إن شاء الله أنّه لا مصداق بين المسلمين لهذا المنهيُّ عنه، لا في قبر الرسول ﷺ، ولا في قبور غيره.

وقال هؤلاء المُفتون في احتجاجهم:

وبهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين إلى ذلك بحديث عليٍّ ؈، أنّه قال لأبي الهيّاج ... إلى آخره.

لأيّ شيء أشاروا بقولهم: «وبهذا» ؟ ! هل يريدون الإشارة إلى الإجماع الذي ادّعوه ؟ !

دع عنك ما ذكرناه من السيرة والإجماع العملي المستمرّين ؛ ولكن إذا كان المستنَد للهدم هو الإجماع، فكيف تُنسب الفتوى به إلى الكثير ؟ ! بل لابدّ من أن تُنسب إلى جميع العلماء والمسلمين.

ومَن ذا الذي يقدر على هذه النسبة الهائلة ؟ !

ومَن هم هؤلاء الكثيرون الذين أفتوا بالهدم ؟ !

وأين فتاواهم الكثيرة في كتب المسلمين المعتبرة ؟ !

وما هو محلّهم من أئمّة الفتوى ؟ !

وأيّ مفتٍ منهم لم يُسبق بما ذكرناه ـ من السيرة والإجماع العملي المستمرّين ـ

---

١. النسخ ـ اصطلاحاً ـ رفع الشارع حكماً منه متقدّماً بحكم منه متأخّر ؛ وإجماع المسلمين على العمل في بناء القبور ليس ناسخاً، بل هو دليل على حكم ناسخ.

انظر تيسير مصطلح الحديث : ٥٩.

ولم يُلْحَق بهما؟!

هب أنّ الكثير أفتى بذلك، فماذا تجدي فتواهم حتّى لو أغضينا عمّا ذكرنا من السيرة المستمرّة؟!

وكيف يصحّ في العلم والنظر السديد والدين القويم أن نغضي عن ذلك؟!

وكيف ترى حال الاجتهاد الذي لا ينظر إلى السيرة والإجماع؟!

وماذا تجدي الفتاوى الكثيرة في الدلالة والعمل إذا لم يحصل منها إجماعٌ معصومٌ عن الخطإ والضلال؟![١]

## [احتجاجهم بحديث عليّ عليه السلام]

دعنا من ذلك؛ ولكنّهم يستدلّون في فتواهم إلى الحديث المرويّ عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، فدونك الحديث وانظر في سنده ولفظه ودلالته ومعارضاته.

فهو في جامع مسلم، في روايته عن رجاله، عن وكيع[٢]، عن سفيان، عن حبيب، عن

---

١. لا يكون الإجماع معصوماً عن الخطإ والضلال إلّا إذا طابق قول المعصوم عليه السلام أو فعله أو تقريره، وحديث: «لا تجتمع أُمّتي على خطإ» أو «على ضلالة» ناظر إلى اجتماعها كلّها على أمر واحد، لا إلى بعض أفرادها، والمعصوم عليه السلام داخل في هذا الإجماع؛ هذا إذا كان الحديث صحيحاً، وفي صحّته نظر!

٢. هو وكيع بن الجرّاح بن مليح بن عَدِيّ بن رؤس، أبو سفيان الرواسي الكوفي، الإمام الحافظ، محدّث العراق.
ولد سنة ١٢٨هـ، وقيل: سنة ١٢٩هـ، وقيل: إنّ أصله من قرية من قرى نيسابور، وقيل: من الصُّفد، وروي عنه أنّه قال: وُلدت بآبة قرية من قرى أصبهان.
كان والده ناظراً على بيت المال بالكوفة.
قال الذهبي وابن حجر: قال أحمد بن حنبل: ما رأيتُ أحداً أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع.
وقال الذهبي أيضاً: كان أحمد يُعظّم وكيعاً ويفخّمه.
وقال أيضاً: قال محمّد بن سعد: كان وكيع ثقةً مأموناً، عالياً رفيعاً، كثير الحديث، حجّةً.
وقال أيضاً: قال ابن عمّار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه منه، ولا أعلم بالحديث، وكان جهبذاً.
انظر: سير أعلام النبلاء ٩: ١٤٠ ـ ١٦٨، الرقم ٤٨؛ تهذيب التهذيب ٩: ١٣٩ ـ ١٤٥، الرقم ٧٦٩٥؛ تهذيب الكمال ١٩: ٣٩١ ـ ٤٠٤، الرقم ٧٢٨٩.

أبي وائل، عن أبي الهيّاج، قال: قال لي عليٌّ: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟! أنْ لا تدع تمثالاً إلّا طَمَسْتَه، ولا قبراً مُشْرِفاً إلّا سَوّيتَه»[١].

ونحوه إحدى روايات أحمد ولكنّه بدون لفظ «ألا»[٢].

وفي جامع مسلم، في روايته عن يحيى القطّان، عن سفيان، قال: «ولا صورةً إلّا طمستَها»[٣].

وفي جامع الترمذي، وإحدى روايات أحمد: «أبعثك» من دون لفظ «ألا»، وبتأخير «ولا تمثالاً إلّا طَمَسْتَه»[٤].

ونحوه في جامع أبي داود بلفظ: «أن لا أدع»[٥].

**وأمّا سنده**، فإنّه تشترك فيه روايات أحمد ومسلم والترمذي وأبي داود بـ«سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي وائل».

ولكنّ الروايات اختلفت:

فتارةً تذكر عن أبي وائل: «أنّ علياً قال لأبي الهيّاج» كما في رواية أحمد عن وكيع، ورواية أبي داود عن محمّد بن كثير، ورواية الترمذي عن محمّد بن بشّار.

وتارةً تذكر عن أبي الهيّاج أنّه قال: «قال لي عليٌّ» كما في رواية أحمد عن عبدالرحمن، ورواية مسلم عن وكيع.

وقد اضطربت رواية وكيع في ذلك.

---

١. صحيح مسلم ٢: ٦٦٦، ح ٩٣ / ٩٦٩.

وأورده النسائي في سننه ـ بشرح السيوطي وحاشية السندي ـ ٤: ٨٨ بلفظ: «ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله؟! لا تدعَنّ قبراً مُشْرِفاً إلّا سوّيتَه، ولا صورةً في بيت إلّا طمستَها».

٢. مسند أحمد ١: ١٥٤، ح ٧٤٣.

٣. صحيح مسلم ٢: ٦٦٦، ح ٩٣ / ٩٦٩.

٤. الجامع الصحيح ٣: ٣٦٦، ح ١٠٤٩؛ مسند أحمد ١: ٢٠٧، ح ١٠٦٧.

٥. سنن أبي داود ٣: ٢١٥، ح ٣٢١٨.

هذا شأن الحديث في اضطرابه في سنده ومتنه.

على أنّ في سنده أبا وائل القاصّ عبدالله بن بحير، وقد قال ابن حبّان: إنّه «يروي العجائب التي كأنّها معمولة، لا يُحتجّ به [وهو أبو وائل] وما هو بعبد الله [بن بَجِيْر] بن رسّان[1]، ذاك ثقة» كذا في ميزان الذهبي وغيره[2].

ولا يخفى أنّ الجرح مقدّم على التوثيق.

نعم، رواه عبدالله بن أحمد في مسند عليٍّ ﷺ بطريق ليس فيه أبو وائل، ولكن فيه شيبان أبو محمّد، وهو قَدَري؛ وقال أبو حاتم: «اضطُرّ الناس إليه بأخَرَة»[3].

ومتنه: «لأبعثنّك فيما بعثني فيه رسول الله ﷺ، أن أُسوّي كلّ قبر، وأن أطمس كلّ صنم»[4].

وهذا ممّا يزيد في اضطراب متنه، ويبيّن أنّ المحلّ المبعوث إليه أبو الهيّاج فيه أصنام!

**وأمّا مضمون الحديث ومدلوله:** فهو أنّه وارد في بعث خاصّ وواقعة خاصّة، فليُعرَف موضوع الواقعة وجهةُ البعث، ثمّ يسري من ذلك إلى أمثاله بفحوى الحكم؛ ليُعرف أنّه هل كان البعث إلى قبور المشركين وآثار الجاهليّة؟! التي يلزم أن تطمس آثارها ولا كرامة لها، كما يشير إليه ذِكر الصنم والتمثال، وإنْ أباه لفظُ «التسوية» وإطلاقه، كما سيأتي إن شاء الله!

---

١. كذا في الأصل؛ وفي المصدر: «رَيْسان».

٢. ميزان الاعتدال ٤: ٦٥، الرقم ٤٢٢٧؛ كتاب المجروحين ـ لابن حبّان ـ ٢: ٢٤ ـ ٢٥؛ الضعفاء والمتروكين ـ لابن الجوزي ـ ٢: ١١٦، الرقم ١٩٨٩.

٣. تهذيب الكمال ٨: ٤١٩؛ ميزان الاعتدال ٣: ٣٩٢، الرقم ٣٧٦٤؛ تهذيب التهذيب ٣: ٦٦٢، ذيل الرقم ٢٩١١.
وأخَرَة: أي آخر كلّ شيء. انظر الصحاح ٢: ٥٧٧؛ لسان العرب ٤: ١١؛ القاموس المحيط ١: ٣٧٦، «أ خ ر».

٤. مسند أحمد ١: ١٧٩، ح ٨٩١، وسنده: حدّثنا عبدالله، حدّثني شيبان أبو محمّد، حدّثنا حمّاد بن سلمة، أنبأنا يونس بن خبّاب، عن جرير بن حيّان، عن أبيه: أنّ عليّاً ﷺ قال لأبيه: ... .
وجاء في مسند أحمد ١: ١٤٤، ح ٦٨٥ بسند آخر ولفظ يختلف قليلاً هكذا: حدّثنا عبدالله، حدّثني أبي، حدّثنا يونس بن محمّد، حدّثنا محمّد، حدّثنا حمّاد ـ يعني ابن سلمة ـ عن يونس بن خبّاب، عن جرير بن حيّان، عن أبيه، أنّ عليّاً ﷺ قال: «أبعثك فيما بعثني رسول الله، أمرني أن أُسوّي كلّ قبر، وأطمس كلّ صنم».

أو أنّه بعثه إلى قبور مسنَّمة لكي يردّها إلى سُنّة التسطيح؟!

فإنّ إهمال مورد الحديث الوارد في واقعة خاصّة يوجب الوهم في أخذ الحكم، وتبدّل الأحكام الشرعيّة.

ألا ترى أنّه رُويت أحاديث في أنّ الميّت يعذّب ببكاء أهله، وجرى التشديد بالمنع لنساء المسلمين عن البكاء؟![1]

ولكنّ عائشة أبانت وجه الخطإ في ذلك بأنّ الراوي لم ينظر إلى مورد ما رواه، فقالت: إنّما مرّ النبيّ ﷺ على يهوديّة يُبكى عليها، فقال ﷺ: «إنّهم لَيبكون عليها، وإنّها لَتُعذّب في قبرها»[2].

وفي رواية أُخرى قالت: رحم الله عمر، والله ما حدّث رسول الله: إنّ الله لَيعذِّب المؤمنَ ببكاء أهله عليه، ولكنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله لَيزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله [عليه]».

وقالت: حسبكم القرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3].

ذكر ذلك البخاري في جامعه، في كتاب الجنائز، في باب «يعذّب الميّت بـ[بعض] بكاء أهله [عليه]»[4].

وكذا النسائي[5].

وكذا الترمذي وصحّحه، وذكر أنّ عائشة قالت في شأن ابن عمر: غفر الله

---

١. صحيح البخاري ١: ٤٣٢ ـ ٤٣٤، ح ١٢٢٦، و١٢٢٨، و ١٢٣٠؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٨ ـ ٦٤٣، ح ٩٢٧/١٦ ـ ٩٣٣/٢٨؛ سنن أبي داود ٣: ١٩٤، ح ٣١٢٩؛ الجامع الصحيح ٣: ٣٢٦ ـ ٣٢٩، ح ١٠٠٢ ـ ١٠٠٤ و ١٠٠٦؛ سنن النسائي ٤: ١٦ ـ ٢٠، ح ١٨٤٤ ـ ١٨٥٤؛ مسند أحمد ١: ٦٨، ح ٢٩٠، و ٢: ١١٣، ح ٤٨٥٠، و ٧: ٣٩٨ ـ ٣٩٩، ح ٢٥٨٧١؛ الموطّأ ١: ١٥٥، كتاب الجنائز، ح ٣٤؛ مسند البزّاز ١: ٢١٥، ح ١٠٤.

٢. مسند أحمد ٧: ١٥٥، ح ٢٤٢٣٧.

٣. الأنعام (٦): ١٦٤؛ الإسراء (١٧): ١٥؛ فاطر (٣٥): ١٨؛ الزمر (٣٩): ٧.

٤. صحيح البخاري ١: ٤٣٢ ـ ٤٣٤، ح ١٢٢٦ ـ ١٢٢٨.

٥. سنن النسائي ٤: ١٦ ـ ٢٠، ح ١٨٤٤ ـ ١٨٥٤.

لأبي عبدالرحمن، أمَا إنّه ما كذب[١]، ولكنّه نسي أو أخطأ[٢].

وروى ذلك أيضاً أحمد في مسنده، في مسند عمر وابنه وعائشة[٣].

وذكر أبو داود في سننه نحو الحديث الأوّل، وفي الرواية أنّ عائشة قالت: «وَهِلَ» بفتح الواو وكسر الهاء، أي: غلط وسَها، تعني ابن عمر[٤].

وفي رواية الموطّأ: أنّ عائشة ذُكِر لها أنّ عبدالله بن عمر يقول: إنّ الميّت ليعذّب ببكاء الحيّ.

فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أمَا إنّه لم يكذب، ولكنّه نسي أو أخطأ، إنّما مرّ رسول الله ﷺ بيهوديّة يبكي عليها أهلها، فقال: «إنّكم لَتبكون عليها، وإنّها لَتُعَذَّب في قبرها»[٥].

**وأمّا ألفاظ الحديث:** فلا يخفى من اللغة والعُرف أنّ تسوية الشيء من دون ذكر القرين المساوى معه، إنّما هو جعل الشيء متساوياً في نفسه، فليس لتسوية القبر في الحديث معنىً إلّا جعله متساوياً في نفسه، وما ذلك إلّا جعل سطحه متساوياً.

ولو كان المراد تسوية القبر مع الأرض، لكان الواجب ـ في صحيح الكلام ـ أن يقال: إلّا سوّيته مع الأرض؛ فإنّ التسوية بين الشيئين المتغايرين لا بُدّ فيها من أن يُذكَر الشيئان اللذان تراد مساواتهما.

وهذا ظاهرٌ لكلّ من يعطي الكلام حقّه من النظر، فلا دلالة في الحديث إلّا على

---

١. في المصدر: «لم يكذب».

٢. الجامع الصحيح ٣: ٣٢٨ـ ٣٢٩، ح ١٠٠٦.

٣. مسند أحمد ١: ٦٨، ح ٢٩٠، و ٢: ١١٣، ح ٤٨٥٠، و ٧: ٣٩٨ـ ٣٩٩، ح ٢٥٨٧١.

٤. سنن أبي داود ٣: ١٩٤، ح ٣١٢٩.

ووَهِلَ أو وَهَلَ: غلِطَ ونسيَ وسَها ووَهَمَ. انظر: الصحاح ٥: ١٨٤٦؛ الفائق في غريب الحديث ٤: ٨٥؛ النهاية في غريب الحديث والأثر ٥: ٢٣٣؛ تاج العروس ١٥: ٧٨٧ـ ٧٨٨، «و هل».

٥. الموطّأ ١: ١٥٥، كتاب الجنائز، ح ٣٤.

أحد أمرين:

أوّلهما: تسطيح القبور وجعلها متساويةً برفع سنامها[١]، ولا نظر في الحديث إلى علوّها، ولا تشبّث فيه بلفظ «المُشْرِف»، فإنّ الشَرَف إنْ ذُكِر أنّه بمعنى العُلُوّ[٢] فقد ذُكِر أنّه من البعير سَنامه، كما في القاموس وغيره[٣].

فيكون معنى المُشرف في الحديث هو: القبر ذو السَنام؛ ومعنى تسويته: هدم سَنامه.

ثانيهما: أن يكون المراد القبور التي يُجعل لها شُرَف من جوانب سطحها؛ والمراد من تسويته أنْ تُهدَمَ شُرَفُه، ويُجعَل مسطّحاً أجمّ، كما في حديث ابن عبّاس: أُمرنا أن نبني المدائن شُرَفاً، والمساجد جُمّاً[٤].

وعلى كلّ حال، فلا يمكن في اللغة والاستعمال أن يُراد من التسوية ـ في الحديث ـ أن يُساوى القبرُ مع الأرض، بل لابُدّ من أن يراد منه أحد المعنَييْن المذكورَيْن.

وأيضاً كيف يكون المراد مساواة القبر مع الأرض مع أنّ سيرة المسلمين المتسلسلة على رفع القبور عن الأرض؟!

وفي آخر كتاب الجنائز من جامع البخاري، مسنَداً عن سفيان التمّار[٥]، أنّه رأى قبر

---

١. قبر مُسَنَّم: إذا كان مرفوعاً عن الأرض؛ وتسنيم القبر خلاف تسطيحه. انظر لسان العرب ١٢: ٣٠٧، «س ن م».

٢. القاموس المحيط ٣: ١٦٢؛ الصحاح ٤: ١٣٧٩؛ النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٤٦٢؛ لسان العرب ٩: ١٧٠؛ تاج العروس ١٢: ٢٩٦ ـ ٢٩٧، «ش ر ف».

٣. القاموس المحيط ٣: ١٦٢؛ لسان العرب ٩: ١٧١؛ تاج العروس ١٢: ٢٩٧، «ش ر ف».

٤. كنز العمّال ٨: ٣١٤، ح ٢٣٠٧٦.

والجُمّ ـ جمع أَجَمّ ـ: وهو البنيان الذي لا شُرَفَ له. انظر: الصحاح ٥: ١٨٩١؛ الفائق في غريب الحديث ١: ٢٣٤؛ النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٣٠٠؛ تاج العروس ١٦: ١٢١، «ج م م».

٥. هو سفيان بن دينار التمّار، أبو سعيد الكوفي. قال ابن حجر والمزّي: قال إسحاق بن منظور: يحيى بن معين ثقة. وقال أبو زرعة: ثقة. وقال النسائي: ليس به بأس. وقال ابن حجر أيضاً: ذكره ابن حبّان في «الثقات».

انظر: تهذيب التهذيب ٣: ٣٩٥ ـ ٣٩٦، الرقم ٢٥١٣؛ تهذيب الكمال ٧: ٣٤٦ ـ ٣٤٧، الرقم ٢٣٨٣؛ الثقات ٦: ٤٠٢ ـ ٤٠٣.

رسول الله ﷺ مُسَنَّماً[١].

وأسند أبو داود في كتاب الجنائز عن القاسم، قال: دخلتُ على عائشة، فقلت: يا أُمّه! اكشفي لي عن قبر رسول الله وصاحبَيه.

فكشفتْ [لي] عن ثلاثة قبور لا مُشْرِفة ولا لاطِئة[٢].

وأسند ابن جرير، عن الشعبي، أنّ كلّ قبور الشهداء مسنَّمة[٣].

وأيضاً: عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام، أنّ النبيّ ﷺ رُفِع قبرُه من الأرض شبراً[٤].

وروي نحوه في قرب الإسناد والعلل والتهذيب من جوامع الشيعة[٥].

وفي حاشية جامع الترمذي قيل: «السُنّة أن يُرفَع القبرُ شبراً»[٦].

وقد روى ابن حبّان أنّ قبره ﷺ كذلك[٧]؛ قاله الشيخ في اللمعات[٨]. انتهى.

فهذه الروايات تردّ رواية أبي الهيّاج لو أمكن حمل التسوية فيها على التسوية مع الأرض!

ولأجل ذلك ذُكر في شرح جامع الترمذي عن شرح الشيخ، أنّ المراد في الرواية من

---

١. صحيح البخاري ١: ٤٦٨، ح ١٣٢٥.

٢. سنن أبي داود ٣: ٢١٥، ح ٣٢٢٠.

ولاطئة: أي لازقة بالأرض. انظر: الصحاح ١: ٧١؛ القاموس المحيط ١: ٢٨؛ لسان العرب ١: ١٥٢؛ تاج العروس ١: ٢٤٥، «ل ط أ».

٣. كنز العمّال ١٥: ٧٣٦، ح ٤٢٩٣٢.

٤. المصدر: ٧٣٥، ح ٤٢٩٢٤.

٥. قرب الإسناد: ١٥٥، ح ٥٦٨؛ علل الشرائع ١: ٣٥٧، الباب ٢٥٥ العلّة التي من أجلها يُرشّ الماء على القبر، ح ٢؛ تهذيب الأحكام ١: ٤٦٩، ح ١٥٣٨ في تلقين المحتضرين.

٦. تحفة الأحوذي ٤: ١٢٨ و ١٣٠، ح ١٠٥٤، الباب ٥٥ ما جاء في تسوية القبر؛ وانظر شرح صحيح مسلم، للنووي ٤: ٣٢، الباب ٣١، الأمر بتسوية القبر.

٧. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٨: ٢١٨، ح ٦٦٠١.

٨. اللمعات الفريدة: ١٤٠، وانظر معجم القبور ١: ٢١.

تسوية القبر تسطيحه، لا تسويته مع الأرض، جمعاً بين الأخبار[١].

وحاصل الأمر ـ مضافاً إلى السيرة المتقدّم ذكرها ـ: أنّك لا تكاد تجد مفتياً معتدّاً بفتواه يفتي بوجوب تسوية القبر مع الأرض، بحيث يجب هدمه وإزالة أثره لو كان مرتفعاً؛ فإنّ الشافعي ـ المتعرّض للكراهة ـ جوّز ارتفاع القبر بمقدار يُعرف أنّه قبر[٢].

وقال النووي في شرح حديث أبي الهيّاج من جامع مسلم:

فيه: أنّ السُنّة أنّ القبر لا يُرفع عن الأرض رفعاً كثيراً، ولا يُسنّم، بل يُرفع نحو شبر ويسطّح، وهذا مذهب الشافعي ومن وافقه، ونقل القاضي عياض عن أكثر العلماء أنّ الأفضل عندهم تسنيمها[٣].

فلا تكاد تجد مفتياً معتنىً به يخالف السيرة والإجماع، ويفتي بوجوب تسوية القبر مع الأرض وهدمه إذا كان أعلى منها.

وزيادة على ما دلّ على جواز الارتفاع ـ من السيرة العمليّة، والإجماع والفتوى، والأحاديث المتقدّمة ـ أنّ حديث أبي الهيّاج ـ كما تقدّم إيضاحه ـ لا ربط له بتسوية القبر مع الأرض، بل لا يدلّ إلّا على هدم سَنامِه أو شُرَفِه.

ومهما تكن في هذا الحديث من دلالة، فإنّها لا مساس لها بالسقوف والقباب المبنيّة على حجرات القبور المحترمة لأجل انتفاع المسلمين المتقرّبين إلى الله بزيارتها، والسلام على أهلها، وتلاوة القرآن الكريم، وذِكر الله عندها، ووقايتهم من حرّ الشمس وصدمة البرد والمطر وأعاصير الرياح.

يزورونها لأجل جواز الزيارة ورجحانها والتسليم على الأموات، حسب ما ثبت

---

١. تحفة الأحوذي ٤: ١٣٠، عن شرح صحيح مسلم، للنووي ٤: ٣٢، الباب ٣١، الأمر بتسوية القبر.

٢. الجامع الصحيح ٣: ٣٦٧، ذيل الحديث ١٠٤٩، وانظر مؤدّاه في الأُمّ ١: ٤٥٨ كتاب الجنائز، باب الخلاف في إدخال الميّت القبر.

أقول: وللشافعي ـ نفسه ـ قبر مشاد في مدينة القاهرة بمصر، يزوره الناس ويتبرّكون به!

٣. شرح صحيح مسلم ٤: ٣٢، الباب ٣١، الأمر بتسوية القبر.

بالسيرة والإجماع والأحاديث المتكاثرة المنتشرة في المسانيد والجوامع، ومنها الستّة المعروفة والموطّأ[١].

وأمّا ما رواه مسلم والترمذي، عن جابر: نهى رسول الله أن تُجصَّص القبورُ، وأن يُبنى عليها وأن تُوطَأ[٢]؛ فإنّ النهي أعمّ من الكراهة التنزيهيّة، وضميمة الوطء شاهد لإرادتها.

والظاهر من البناء عليها هو البناء على حفرتها بالحجارة، لا بناء السقف على حجرتها.

ويحتمل أن يكون المراد بناء الخيمة والفسطاط لإقامة الحِداد وتعظيم المصيبة، كما قيل: إنّه من أعمال الجاهليّة التي لا غاية لها إلّا إظهار الجزع من قضاء الله[٣].

فلا نهيَ في الحديث عن بناء السقف لوقاية المؤمنين الزائرين، المتقرّبين إلى الله بزيارة القبور، والدعاء للأموات، وذِكر الله، وتلاوة القرآن، حينما يتذكّرون الآخرة، ويعملون لها عند زيارة القبور، ولإعانة هؤلاء على الخير والبرّ.

---

١. صحيح البخاري ١: ٤٣٠، ح١٢٢٣؛ صحيح مسلم ٢: ٦٧١ ـ ٦٧٢، ح١٠٥/٩٧٦ ـ ١٠٦/٩٧٧؛ سنن ابن ماجة ١: ٥٠٠ ـ ٥٠١، ح ١٥٦٩ ـ ١٥٧١؛ سنن أبي داود ٣: ٢١٨، ح ٣٢٣٤ ـ ٣٢٣٥؛ الجامع الصحيح ٣: ٣٧٠ ـ ٣٧١، ح ١٠٥٤ ـ ١٠٥٥؛ سنن النسائي ٤: ٩١ ـ ٩٢، ح ٢٠٢٨ ـ ٢٠٢٩؛ الموطّأ ١: ١٦٠، كتاب الجنائز، ح ٥٤؛ مسند أحمد ١: ٣٣، ح ٤٣٠٧، و ٣: ٤٣٧، ح ١٠٩٣٦؛ مسند الشافعي ـ مع كتاب الأُمّ ـ ٩: ٥٠٨؛ مصنّف عبد الرزّاق ٣: ٥٦٩، ح ٦٧٠٨ و ص ٥٧٠ ـ ٥٧٢، ح ٦٧٠٩ و ٦٧١١ ـ ٦٧١٤ و ص ٥٧٣ ـ ٥٧٦، ح ٦٧١٦ ـ ٦٧٢٣؛ الجعديّات ٢: ٦١، ح ٢٠٠٧ و ص ٩٢، ح ٢٠٩٨؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٣: ٢٢٣ ـ ٢٢٥، ح ١ ـ ١٠؛ مسند أبي يعلى ١: ٢٤٠، ح ٢٧٨ و ج ٦: ٣٧١ ـ ٣٧٤، ح ٣٧٠٥ ـ ٣٧٠٧ و ج ٩: ٢٠٢، ح ٥٢٩٩؛ مسند الشاشي ١: ٣٩٥، ح ٣٩٧؛ المعجم الكبير ـ للطبراني ـ ٢: ١٩، ح ١١٥٢ و ص ٩٤، ح ١٤١٩ و ج ٥: ٨٢، ح ٤٦٤٨ و ج ١١: ٢٠٢، ح ١١٦٥٣ و ج ٢٣: ٢٧٨، ح ٦٠٢؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٢: ١٦٣، ح ٩٧٧؛ الترغيب والترهيب ٤: ١٥٢ ـ ١٥٣، ح ١ ـ ٥؛ جامع المسانيد والسنن ٢٧: ٣٧٦، ح ٧٥٦؛ موارد الظمآن: ٢٠١، ح ٧٩٢؛ جامع الأحاديث الكبير ٣: ٢٣٢، ح ٨٣٤٣ و ج ٦: ٤٦٣، ح ١٥٩٩١ و ١٥٩٩٢؛ الجامع الصغير: ٤٠٠، ح ٦٤٣٠ و ٦٤٣١ و ص ٥٢٨، ح ٨٧١٥ ـ ٨٧١٨ و ص ٥٥٥، ح ٩٢٨٥ و ٩٢٨٦؛ كنز العمّال ٥: ٨٥٨ ـ ٨٥٩، ح ١٤٥٦١ و ج ١٥: ٦٤٦ ـ ٦٤٩، ح ٤٢٥٥١ ـ ٤٢٥٦٨ و ص ٦٥١ ـ ٦٥٧، ح ٤٢٥٨٢ ـ ٤٢٥٨٤ و ٤٢٥٨٦ ـ ٤٢٦٠٢.

٢. صحيح مسلم ٢: ٦٦٧، ح ٩٤ / ٩٧٠؛ الجامع الصحيح ٣: ٣٦٨، ح ١٠٥٢.

٣. انظر مؤدّى ذلك في صحيح البخاري ١: ٤٥٧، باب الجريد على القبر؛ إرشاد الساري ٣: ٥١٠؛ فتح الباري ٣: ٢٨٦؛ عمدة القاري ٨: ١٨٣.

ففي كنز العمّال ومنتخبه رواية الديلمي عن جابر، عن رسول الله: «لا برّ أفضل من برّ أهل القبور، ولا يَصِلُ أهلَ القبور إلّا مؤمن»[١].

وفي المنتخب عن الرافعي، عن عليّ: «من مرّ على المقابر فقرأ فيها إحدى عشرة مرّةً ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثمّ وهب أجره الأموات، أُعطي من الأجر بعدد الأموات»[٢].

وفي سنن أبي داود عن ابن عمرو، عن النبيّ ﷺ: «[إنّه] لو كان مسلماً فأعتقتم عنه [أو تصدّقتم عنه] أو حججتم عنه، بلغه ذلك»[٣].

إذاً، فما ظنّك بالجلوس لذِكر الله، وقراءة القرآن، وإهداء الثواب للأموات الذين لهم الحقّ الكبير في الإسلام؛ لكونهم من أهل السابقة والقربى من النبيّ ﷺ، والعلم، والصلاح، والدعوى[٤] إلى الهُدى؟!

أفلا يكون إعداد المكان لهؤلاء الزائرين، لهؤلاء الأولياء لله، من التعاون على البرّ الذي أمر الله به، كما هو المقصود المعلوم من بانيها؟!

ومن ذا الذي يريد ببناء السقوف والقباب غير ذلك، وقد بناها رجال مسلمون؟!

فلا ينبغي أن يُحمل أمرهم على غير الراجح شرعاً[٥]، ولا يجوز رميهم بالظنون السيّئة.

## [النهي عن اتّخاذ القبور مساجد]

وقال المُفتون:

---

١. كنز العمّال ١٥: ٦٥٦، ح ٤٢٦٠٠؛ منتخب كنز العمّال ٦: ٢٧٠؛ كلاهما عن فردوس الأخبار ٢: ٤٤٦، ح ٧٩٣٩.

٢. منتخب كنز العمّال ٦: ٢٦٩، وانظر كنز العمّال ١٥: ٦٥٥، ح ٤٢٥٩٦.

٣. سنن أبي داود ٣: ١١٨، ذيل الحديث ٢٨٨٣.

٤. الدَعْوى: أي الدُعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، ودَعاه دُعاءً ودَعْوىً ودَعْوةً، والدَعْوة: المرّة الواحدة من الدعاء. انظر لسان العرب ١٤: ٢٥٨، «د ع و».

٥. الراجح شرعاً هنا: هو حمل البناء على القبور على أنّه من الأُمور التي جوّزها الشارع ولم ينه عنها، وإلّا لَما أقدم عليه المسلمون.

وأمّا اتّخاذ القبور مساجد، والصلاة فيها، وإيقاد السُرُج عليها، فممنوعٌ [مطلقاً]؛ لحديث ابن عبّاس: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتّخذين عليها المساجدَ والسُرُج». رواه أهل السُنّة[1].

رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة[2].

وقال في زهر الربى وفتح الودود: واتّخاذ المسجد عليها، قيل: أن يجعلها قِبلةً يُسجد إليها كالوثن[3].

**قلت:** ولا تختصّ رواية النهي عن اتّخاد القبور مساجد بمن عنوهم من أهل السُنّة، فقد روته الشيعة في جوامعهم، كالكافي ومن لايحضره الفقيه والعلل[4].

وأنّه لا يجوز السجود على القبر؛ رواه في التهذيب والاحتجاج[5].

وعلى وفق هذا النهي جرى عمل المسلمين جميعاً، قديماً وحديثاً، ولم يتّخذ المسلمون مسجداً على قبر النبيّ ﷺ وقبور الأولياء مطلقاً.

---

١. مرّ تخريج الحديث مفصّلاً في ص ٤، الهامش ٣. فراجع.

٢. سنن أبي داود ٣: ٢١٨، ح ٣٢٣٦؛ سنن النسائي ٤: ٩٧، ح ٣٠٣٩؛ ولم نجده في سنن ابن ماجة بهذا اللفظ، والذي فيه عن عبّاس وغيره هو بلفظ: لعن رسول الله زوّارات القبور. من دون ذِكر المساجد والسُرُج؛ فانظر سنن ابن ماجة ١: ٥٠٢، ح ١٥٧٤ ـ ١٥٧٦.

والسُرُج ـ جمع سِراج ـ: المصباح الزاهر الذي يُسْرَج بالليل؛ ويُعبّر به عن كلّ مضيء. انظر: تاج العروس ٣: ٤٠١؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٢٣٥، «س ر ج».

٣. وجدناه في حاشية السندي وليس في «زهر الربى»، وكلاهما مطبوع بحاشية سنن النسائي؛ فانظر سنن النسائي ٤: ٩٧.

٤. الكافي ٣: ٣٩٠، ح ١٢ و ١٣ كتاب الصلاة، باب الصلاة في الكعبة وفوقها وفي البيع والكنائس والمواضع التي تكره الصلاة فيها؛ من لا يحضره الفقيه ١: ١٥٦ كتاب الصلاة، الباب ٣٨ في المواضع التي تجوز الصلاة والمواضع التي لا تجوز الصلاة فيها؛ علل الشرائع ٢: ٥٦، ح ١، الباب ٧٥ العلّة التي من أجلها لا تتّخذ القبور قِبلة.

٥. تهذيب الأحكام ١: ٤٦١، ح ١٥٠٤؛ الاحتجاج ٢: ٥٨٣، الرقم ٣٥٧.

**أمّا المسجد** اللغوي[1]: فهو المحلّ الذي يُسْجَد عليه، ولا ترى في جميع المسلمين من يَسجد على قبر، أو يسجد له أصلاً، حتّى في أوباشهم[2].

**وأمّا المسجد** الاصطلاحي[3]: فهو العرصة والمحلّ الواسع الذي يوقف للصلاة، وله أحكام شرعيّة خاصّة به يمتاز بها، فليس في مراقد النبيّ ﷺ والأولياء ما جعل كذلك، فإنّ الغرض من المراقد مناف للغرض من المسجد، فإنّ المسجد يوقف للصلاة بحيث لا يعارضها شيء.

ومراقد الأولياء تعدّ لِإعانة الزوّار على قراءة القرآن وذكر الله والدعاء للميّت. فليس في المسلمين من اتّخذ على القبر مسجداً! بل إنّ اتّخاذ المسجد ينافي غرضهم في إعدادها لإعانة الزوّار على الجلوس للتلاوة وذكر الله، والدعاء بالرحمة والرضوان لصاحب القبر.

فتأمّل أيّها الناظر إلى قول السائل: «في البناء على القبور واتّخاذها مساجد» وإلى سؤاله عن وجوب هدمها، وإلى جواب المفتين واحتجاجهم بصحّة الأحاديث الواردة في منعه، مع ما رووه عن ابن عبّاس.

فإنّك تجد من كلّ كلمة معولاً رفعوه على قبر رسول الله وقبّته لهدمهما! فها هم يزعمون أنّ هذه الأبنية على قبر الرسول والأولياء هي مساجد يجب هدمها، ثمّ يضمّون إلى ذلك ما أشاروا إليه من الروايات المذكورة في الجوامع في رواية ابن عبّاس وأبي هريرة وعائشة، عن قوله ﷺ في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا

---

١. المراد هنا: المسجد لغةً.

٢. الأوباش ــ جمع: وَبَش أو وَبْش ــ: الأخلاط والسَفِلَة، والضُروب المتفرّقون من الناس.

انظر: الصحاح ٣: ١٠٢٤؛ النهاية في غريب الحديث والأثر ٥: ١٤٥ ـ ١٤٦؛ القاموس المحيط ٢: ٣٠٣؛ تاج العروس ٩: ٢١٩، «و ب ش».

٣. المراد: المسجد اصطلاحاً.

قبور أنبيائهم مساجد»[١].

فيجعلون فتواهم ومستندهم نصّاً في هدم قبر الرسول ﷺ وقبّته! فتراهم بهذا قد شحذوا معاولهم ومساحيهم لهدمهما ومحو آثارهما، وعلى الإسلام السلام!

فيا لله لهذا الأمر الفظيع المحدَث في الإسلام والمدينة حرم الرسول، والفادح المشوم على العِلم والأُمّة!

**وأمّا إيقاد السرج** فليس الغرض منه في قبور الأولياء هو محض إضاءة القبر عبثاً وتنويهاً بذات القبر، وإنّما الغرض منه الإنارة للزائرين وإعانتهم على التلاوة في المصاحف وكتب الأذكار؛ ولذا تراهم يطفئونها إذا انقطع الزائرون وانقضى وقت الزيارة من الليل.

فيكون إيقادها بهذا النوع وهذه الغاية من نحو التعاون على البرّ المأمور به في الكتاب المجيد[٢]، فيمتاز بالرجحان كما يمتاز ما أُهِلّ به لله عمّا أُهِلّ به لغير الله[٣].

والأُمور تختلف بعناوينها وغاياتها، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٤] طاعةً لله، ولا يضرّ في ذلك أنّ المشركين كانوا يفعلون ذلك لأجل الصنمين إساف ونائلة[٥].

---

١. صحيح البخاري ١: ١٦٨، ح ٤٢٥ ـ ٤٢٦؛ صحيح مسلم ١: ٣٧٦، ح ٥٢٩/١٩ ـ ٥٣١/٢٢؛ سنن النسائي ٤: ٩٨، ح ٢٠٤٣؛ سنن أبي داود ٣: ٢١٦، ح ٣٢٢٧؛ مسند أبي داود الطيالسي: ٨٨، ح ٦٣٤؛ مسند أحمد ١: ٣٦٠، ح ١٨٨٧؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٢: ٢٦٩، ح ٦؛ الطبقات الكبرى ٢: ١٨٥ ـ ١٨٦؛ سنن الدارمي ١: ٢٣٣، ح ١٤٠٥؛ جامع الأُصول ٥: ٤٧٣، ح ٣٦٧٠ و ج ١١: ٢١١، ح ٨٧٦٦؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٨: ٢١٢، ح ٦٥٨٥؛ الأذكار ـ للنووي ـ: ٤٩٩؛ جامع الأحاديث الكبير ٥: ٤٠، ح ١٧٠٦١ و ١٧٠٦٣؛ كنز العمّال ٧: ٢٣٦، ح ١٨٧٦٢ و ص ٣٤٤، ح ١٩١٨٨ و ١٩١٨٩.

٢. وهو قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ المائدة (٥): ٢.

٣. ما أُهلّ به لله: ما ذُكر اسم الله عليه؛ وما أُهلّ به لغير الله: ما ذُبح على اسم صنم ولم يُذكر اسم الله عليه.

٤. البقرة (٢): ١٥٨.

٥. إساف ونائلة: رجل وامرأة فسقا في الحرم فمسخهما الله عزّ وجلّ حجرين، وصُيّرا بعد ذلك وثنين وعُبدا تقرّباً بهما إلى الله، وقيل: بل هما حجران نُحتا ومُثّلا برجل وامرأة، وسُمّيا بأسمائهما. انظر مروج الذهب ٢: ٢٣.

وقد روى الترمذي عن ابن عبّاس: أنّ النبيّ ﷺ دخل قبراً ليلاً فأُسرج له سراج[١].

## [وقفيّة البقيع]

وأمّا قول السائل:

وإذا كان البناء في مسبّلة كالبقيع، وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبنيّ عليه، فهل هو غصب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقّين ومنعهم استحقاقهم، أم لا؟

فيا للعجب ممّا فيه! من ذا الذي كان مالكاً لأرض البقيع، ثمّ وقفها وسبّلها لدفن الموتى، وبقيد عدم المراعاة لشؤون الأولياء منهم في زيارتهم، والإعانة على البرّ لزائريهم الكثيرين؟!

وليت شعري متى كان هذا الوقف والتسبيل؟! وأيّ تأريخ أو حديث يذكره لكي يصحّ من السائل هذا السؤال؟!

أليس غاية ما يعرف من أرض البقيع أنّها مباحة باقية على إباحتها العامّة الأصليّة، لم يُعلم بتعلّق حقّ بها لإنسان إلّا بقدر ما تصرّف به منها بدفن ميّت أو بناء، فيكون ذلك حقّاً لا يُعارض فيه ولا يُتعدّى عليه، على حدّ ما هو المعلوم في الدين من شأن المباحات وحكم التصرّفات بها.

إذاً، فيكون هدم البناء فيها ظلماً واعتداءً على المال المحترم، وتصرّفاً محرّماً، وظلماً للمستحقّين للانتفاع، وصدّاً للتعاون على البرّ، وقطعاً لآثار الخير.

وإن لم نعلم ببقاء أرض البقيع على إباحتها العامّة الأصليّة إلى حين البناء، فإنّه يكفينا استصحاب الإباحة، واستصحاب عدم عروض الملك[٢]، وعدم الوقف بالقيد المتقدّم[٣].

---

١. الجامع الصحيح ٣: ٣٧٢، ح ١٠٥٧، باب ما جاء في الدفن بالليل.

٢. الاستصحاب: هو الحكم بثبوت أمر في الزمان الثاني بناءً على ثبوته في الزمان الأوّل حتّى يقوم الدليل على التغيير.

٣. أي بقيد عدم المراعاة... تقدّم قبيل هذا.

بل لو علمنا أنّها كانت ملكاً لواحد من الناس لكفانا استصحاب عدم وقفها، وكان علينا أن نحمل أمر الدفن والبناء فيها على الوجه الصحيح، كما هو الشأن في أعمال المسلمين.

فالبناء محترم ما لم ينازع المالك ويثبت شرعاً غصب الباني، فإذا هدمه غير المالك للأرض يكون هدمه ظلماً وتعدّياً على المال المحترم.

وإذا كان البناء مسبّلاً لانتفاع المسلمين الزائرين وإعانتهم على البرّ وأعمال الخير، كان هدمه ظلماً للمسلمين، وإيذاءً لهم، ومضادّةً للتعاون على البرّ، وهتكاً لحرمة الأولياء ولحرمة حرم المدينة.

## [التوجّه إلى قبر النبيّ ﷺ]

وقال المفتون:

وأمّا التوجّه إلى حجرة النبيّ ﷺ عند الدعاء، فالأولى منعه كما هو المعروف من فقرات كتب المذهب.

ويا للعجب! كيف يقال هذا وكتاب الله بين أيدينا ينادي في سورة البقرة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] واسع الرحمة، يريد التوسعة والتيسير على عباده، وهو عليم بنيّاتهم ودعائهم؟!

وقد صحّ واستفاض في الحديث: أنّ النبيّ كان يصلّي النافلة على الراحلة[2] حيث توجّهت به في مقاصده ﷺ، كما في مسند أحمد والجوامع الستّة وغيرها[3].

---

١. البقرة (٢): ١١٥.

٢. الراحلة: كلّ بعير نجيب، سواء كان ذكراً أو أُنثى، وجمعها رواحل. انظر: لسان العرب ١١: ٢٧٧، «ر ح ل».

٣. مسند أحمد ٢: ٦٩، ح ٤٥٠٤، و ٩٤، ح ٤٧٠٠، و ١٢٥، ح ٤٩٣٦، و ١٩١، ح ٥٤٢٤؛ صحيح البخاري ١: ٣٣٩، ح ٩٥٥؛ صحيح مسلم ١: ٣٥٩، ح ٢٤٥؛ سنن ابن ماجة ١: ٣٧٩، ح ١٢٠٠ و ١٢٠١؛ سنن أبي داود ٢: ٩، ح ١٢٢٤ ـ ١٢٢٧؛ الجامع الصحيح ٢: ١٨٢ ـ ١٨٣، ح ٣٥١ و ٣٥٢؛ سنن النسائي ٢: ٦٥، ح ٧٣٦ و ٧٣٧؛ سنن الدارقطني ١: ٣٠٩، ح ١٤٦٢ و ١٤٦٣؛ مصابيح السُنّة ١: ٤٦٣، ح ٩٥٣.

وقال الترمذي:

والعمل عليه عند عامّة أهل العلم [لا نعلم بينهم اختلافاً] لا يرون بأساً أن يصلّي الرجل على راحلته تطوّعاً حيثما كان وجهه إلى القبلة أو غيرها[1].

قلت: وإلى الآن لم نسمع في الإسلام أنّ أحداً منع الداعين من التوجّه إلى غير القِبلة، فكيف يُمنع الداعي إذا توجّه إلى الله برخصة الكتاب المجيد، وحُجّتِه، وسَعَةِ رحمة الله حينما يتوجّه إلى الله ويقصد تقديم قبر النبيّ ﷺ بين يديه للاستشفاع بالنبيّ إلى الله في دعائه.

فإنّ النبيّ بشر متحيّز في مكان وجهة، فينبغي في أدب خطابه، والاستشفاع به، وطلب الشفاعة منه على القرب، أن يتوجّه إلى جهته، ولا يُترك جانباً أو ظهريّاً ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

فكيف تُعارَض توسعةُ الله وتيسيره، ويُمنع مَن يأخذ برخصة القرآن وحُجّته؟!

## [التبرّك والاستشفاع والتمسّح]

وقال المُفتون:

وأمّا ما يفعله الجُهّال عند الضرائح من التمسّح بها، والتقرّب إليها بالنذور، ودعاء أهلها مع الله، فهو حرام، ممنوعٌ شرعاً، لا يجوز فعله أصلاً.

فنقول:

**أمّا التقرّب** إلى الضرائح بالنذور ودعاء أهلها مع الله، فلا نعهد واحداً من أوباش المسلمين وغيرهم يفعل ذلك، وإنّما ينذرون لله بالنذر المشروع، فيجعلون المنذور في سبيل إعانة الزائرين على البرّ، أو للإنفاق على الفقراء والمحاويج، لإهداء ثوابه

---

١. الجامع الصحيح ٢: ١٨٣، ذيل الحديث ٣٥١.

٢. البقرة (٢): ١١٥.

لصاحب القبر، لكونه من أهل الكرامة في الدين والقربى.

وكلّ من يزور هؤلاء يعرف أنّهم عباد الله الذين لم يكن لهم محلّ عند الناس إلّا بطاعتهم لله في دينه، وأنّهم عباد الله الذين لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً.

ولكنّ المذنب يجعل العبد الصالح وسيلةً إلى الله في الدعاء، فيدعو الله متوسّلاً إليه بحرمة الصالح وقرب منزلته لعلّما يوافق ذلك رضى الله بشفاعته، وارتضائه لتوسّل المستشفع.

وقد صحّ في الحديث أنّ رسول الله ﷺ علّم ضرير البصر أن يقول: «اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك نبيّ الرحمة يا محمّد! إنّي توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي هذه لتقضى، اللّهمّ فشفّعه فيّ».

أسنده أحمد[١] عن عثمان بن حنيف[٢]، وكذا ابن ماجة[٣]، والترمذي وصحّحه[٤]، والحاكم وصحّحه على شرط مسلم والبخاري[٥]، وصحّحه السيوطي أيضاً في جامعه[٦].

وفي جامع البخاري عن أنس[٧]: أنّ عمر بن الخطّاب كان إذا قحطوا استسقى بالعبّاس،

---

١. مسند أحمد ٥: ١٢٧، ح ١٦٧٨٩.

٢. هو عثمان بن حُنيف بن وهب الأنصاري الأوسي القُبائي، أخو سهل بن حنيف، ووالد: عبدالله، وحارثة، والبَراء، ومحمّد.

شهد أُحداً وما بعدها، ولّاه عمر السواد، ثمّ ولّاه أمير المؤمنين الإمام عليّ ﷺ البصرة، فلم يزل حتّى قدم طلحة والزبير، فقاتلهما، ثمّ توادعوا حتّى يقدم عليّ ﷺ، ثمّ كانت ليلة ذات ريح وظلمة، فأقبل أصحاب طلحة، فقتلوا حرسه ودخلوا عليه، ودعوه للخروج على عليّ ﷺ فامتنع، فنتفوا لحيته وجفون عينيه، وسجنوه، ثمّ أطلقوا سراحه، فلحق بعليّ ﷺ وحضر معه معركة الجمل، ثمّ سكن الكوفة، وتوفّي في زمان معاوية. انظر سير أعلام النبلاء ٢: ٣٢٠ـ٣٢٢، الرقم ٦١.

٣. سنن ابن ماجة ١: ٤٤١، ح ١٣٨٥.

٤. الجامع الصحيح ٥: ٥٣١، ح ٣٥٧٨.

٥. المستدرك على الصحيحين ١: ٦٢١، ح ١٢٢١.

٦. جامع الأحاديث الكبير ٢: ٨٣، ح ٤٠٤٩.

٧. هو أنس بن مالك بن النضر، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجّاري، خادم رسول الله ﷺ، خدم رسول الله ﷺ
←

وقال: اللّهمّ إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا.

قال: فيسقون[١].

وأسند أبو داود الطيالسي، وسعيد بن منصور في سننه، وأبونعيم في الدلائل، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر[٢]، والحاكم ـ وصحّحه على شرط مسلم والبخاري[٣] ـ عن ابن عمر، ما ملخّصه:

إنّ آدم قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد إلّا غفرتَ لي. فقال الله تعالى: كيف عرفتَ محمّداً ولم أخلقه بعد؟ قال: رأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله. فقال الله تعالى: وإذ سألتني بحقّه فقد غفرتُ لك[٤].

ومن المعلوم في الدين أنّ رسول الله ﷺ له الشفاعة والوسيلة، وقد تواتر في المعنى عنه ﷺ: أنّ صلاة المصلّين عليه تُعرض عليه، وتبلغه ويسمعها، ويردّ السلام، وأنّ عِلمه بعد موته كعلمه في الحياة.

ومن أراد الاطّلاع على شيء من ذلك فلينظر أقلّاً إلى الجزء الأوّل من كنز العمّال

---

← عشر سنين، وقيل: ثمانية، وقيل: سبعة.

قال البلاذري: قال عليّ على المنبر: «نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ: اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، إلّا قام وشهد»، وتحت المنبر أنس بن مالك، والبراء بن عازب، وجرير بن عبدالله، فأعادها، فلم يجبه أحد، فقال: «اللّهمّ من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها، فلا تخرجه من الدنيا حتّى تجعل به آية يُعرف بها».

قال: فبرص أنس، وعمي البراء، ورجع جرير أعرابيّاً بعد الهجرة... الخبر. هو آخر من توفّي بالبصرة من الصحابة، بين سنتَي ٩٠ ـ ٩٣. انظر: أنساب الأشراف ٢: ٣٨٦؛ أُسد الغابة ١: ١٥١، الرقم ٢٥٨.

١. صحيح البخاري ١: ٣٤٢ ـ ٣٤٣، ح ٩٦٤.

٢. دلائل النبوّة ٥: ٤٨٩، و حكاه عنهم جميعاً الهندي في كنز العمّال ١١: ٤٥٥، ح ٣٢١٣٨.

٣. المستدرك على الصحيحين ٣: ٥١٧، ح ٤٢٨٦ باختلاف يسير وبسنده عن عمر بن الخطّاب، وفيه: «هذا حديث صحيح الإسناد».

٤. انظر: البداية والنهاية ٢: ٢٥٦؛ وفاء الوفا ٤: ١٣٧١.

في الصلاة عليه ﷺ[١].

وروى ابن سعد أنّه ﷺ تعرض عليه الأعمال بعد وفاته، ويستغفر للمذنبين[٢].

وقد دلّ القرآن الكريم والأحاديث المتواترة في المعنى على أنّ للأموات ـ بعد الموت ـ حالة إدراك وشعور على اختلاف أحوالهم[٣]، يُسألون في قبورهم، ويَسمعون

---

١. كنز العمّال ١: ٤٨٨، ح ٢١٣٩ ـ ٢١٤١، و ٤٨٩، ح ٢١٤٧، و ٤٩١، ح ٢١٦١، و ٤٩٢، ح ٢١٦٥، و ٤٩٤، ح ٢١٧٨ و ٢١٨١، و ٤٩٧، ح ٢١٩٣، و ٤٩٨، ح ٢١٩٥ ـ ٢٢٠٠، و ٤٩٩، ح ٢٢٠٢، و ٥٠٣، ح ٢٢٢٥، و ٥٠٤، ح ٢٢٢٧، و ٥٠٦، ح ٢٢٣٥ ـ ٢٢٣٧، و ٥٠٧، ح ٢٢٤٢.

وانظر أيضاً: مسند أحمد ٤: ٥٧٧، ح ١٥٧٢٩؛ سنن ابن ماجة ١: ٣٤٥، ح ١٠٨٥، و ٥٢٤، ح ١٦٣٦ و ١٦٣٧؛ سنن أبي داود ١: ٢٧٥، ح ١٠٤٧، و ٢: ٨٨، ح ١٥٣١؛ سنن النسائي ٣: ٨٩، ح ١٣٧٠؛ المستدرك على الصحيحين ١: ٥٦٨، ح ١٠٦٨، و ٥: ٧٧٦، ح ٨٧٢٤ وصحّحه على شرط الشيخين؛ المعجم الكبير ١: ٢١٦ ـ ٢١٧، ح ٥٨٩؛ كتاب الصلاة على النبيّ ـ لابن أبي عاصم ـ: ٤٩ ـ ٥٠، ح ٦٣ و ٦٤؛ الصلات والبِشر في الصلاة على خير البَشر: ٥٠ ـ ٥٢، ح ٢٧ ـ ٣١، و ٥٣ ـ ٥٤، ح ٣٣ و ٣٤.

٢. الطبقات الكبرى ٢: ١٤٩، وانظر: البداية والنهاية ٥: ٢٠٩؛ مجمع الزوائد ٩: ٢٤؛ الصِلات والبِشَر: ٧٦، ح ٩١؛ جامع الأحاديث الكبير ٤: ٢٤١، ح ١١٣٣٧؛ الجامع الصغير: ٢٢٩، ح ٣٧٧١؛ كنز العمّال ١١: ٤٠٧، ح ٣١٩٠٣؛ إتحاف السادة المتّقين ٩: ١٧٧.

٣. فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة (٢): ١٥٤.

وقال جلّ شأنه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ...﴾ آل عمران (٣): ١٦٩ ـ ١٧١.

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا...﴾ النساء (٤): ٩٧.

وقال عزّ اسمه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ﴾ الأعراف (٧): ٣٧.

وقال جلّ جلاله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ الأنفال (٨): ٥٠.

وقال عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ←

مناديهم، فريق منهم في النعيم فرحين، يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم، يسألون من يجيئهم من الأموات، ويقولون في الميّت الذي لم يجئهم: «هوى»، ويعرفون زائريهم، ويردّون عليهم السلام، ويأنسون بهم.

كما تكاثر ذلك في جوامع الحديث في أبواب شتّى، فلينظر أقلّاً إلى كتاب الموت في الجزء الثامن من كنز العمّال[1].

وهذا كلّه بديهي في الدين، ولا يجحده إلّا من يجحد بقاء النفس بعد الموت من غير أهل الأديان.

وقد صحّ في الحديث أنّ في هذه الأُمّة المرحومة شفعاء إلى الله، وأنّ منهم من يشفع لأكثر من ربيعة ومضر، وللفِئام[2]، وللقبيلة.

ومن ذلك ما رواه أحمد وابن ماجة والحاكم ـ وصحّحه على شرط مسلم والبخاري ـ عن الحارث بن أُقيش، عنه ﷺ[3].

وأحمد والترمذي، عن أبي سعيد[4].

---

← ﴿اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * ... الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾ النحل (١٦): ٢٨ و ٣٢.

وقال سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ محمّد ﷺ (٤٧): ٢٧.

١. كنز العمّال ١٥: ٦٤٦، ح ٤٢٥٥٦، و ٦٤٩، ح ٤٢٥٦٧، و ٦٥٦ ـ ٦٥٧، ح ٤٢٦٠١ ـ ٤٢٦٠٦.

وانظر أيضاً: المعجم الكبير ٤: ١٢٩ ـ ١٣٠، ح ٣٨٨٧ ـ ٣٨٨٩؛ تأريخ بغداد ٦: ١٣٧، ح ٣١٧٥؛ تأريخ دمشق ٢٧: ٦٥، ح ٥٧٤٣؛ التذكرة في أحوال الموتى وأُمور الآخرة: ١٤٥؛ مختصر تأريخ دمشق ١٢: ٢٧، الرقم ٣٤؛ مجمع الزوائد ٢: ٣٢٧؛ الجامع الصغير: ٤٩٢، ح ٨٠٦٢؛ الحاوي للفتاوي ٢: ١٧٠ ـ ١٧١؛ جامع الأحاديث الكبير ٣: ١٧١، ح ٧٩٦٥؛ إتحاف السادة المتّقين ١٠: ٣٩٤.

٢. الفِئام: الجماعة الكثيرة من الناس، لا واحد له من لفظه. انظر: الصحاح ٥: ٢٠٠٠؛ النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٤٠٦؛ لسان العرب ١٢: ٤٤٨؛ تاج العروس ١٧: ٣٠، «ف أ م».

٣. مسند أحمد ٤: ٥: ٢٤٤، ح ١٧٤٠٢ ـ ١٧٤٠٣؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٤٤٦، ح ٤٣٢٣، ولم يذكر فيه ربيعة؛ المستدرك على الصحيحين ١: ٢٥٠، ح ٢٤٦، ولم يذكر فيه ربيعة، وصحّحه على شرط مسلم فقط.

٤. مسند أحمد ٣: ٤٧١، ح ١١٢١١؛ الجامع الصحيح ٤: ٥٤١، ح ٢٤٤٠.

ومن هو أحقّ بالشفاعة من الرسول وآله والأولياء؟!

إذاً، فأيّ مانع يمنع من الاستشفاع إلى الله برسوله وآله وأوليائه؟!

ولا يخفى انفتاح باب المجاز في اللغة ودورانه في الكلام، وخصوص المجاز في الإسناد[1]، فإنّك إذا استشفعت عند السلطان الأرضي بعبده المقرّب عنده تقول للعبد: أُريد هذا المطلب منك، ونحو ذلك.

ولكنّ المسلمين الداعين المستشفعين بالأنبياء والأولياء كثيراً مّا يتورّعون عن بعض مراتب المجاز في الكلام، وإن كانت لاتعارض توحيد الله في سلطانه، ولا ترفع البشر فوق مقامه من عبوديّة الله والخضوع لقدرته.

ولا يبلغون في البشر مثل عبارة القرآن الكريم في شأن المسيح ﷺ في [سورة] المائدة: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرَۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾[2].

وفي سورة آل عمران عن قول المسيح: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرَۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[3].

ومثل قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾[4] قال ذلك جلّ شأنه في أُناس لم يكن غناهم من أموال رسول الله ﷺ.

وما من مسلم يقرن مع الله عبادَه في الدعاء.

والواجب على كلّ مسلم، بل كلّ متديّن، بل كلّ إنسان، أن لا يتهجّم على عمل

---

١. المجاز في الإسناد: هو المجاز العقلي، وهو إسناد الفعل أو ما في معناه ـ من اسم الفاعل، أو اسم المفعول، أو المصدر ـ إلى غير ما هو له في الظاهر من حال المتكلّم لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له. راجع جواهر البلاغة: ٣٠٨.

٢. المائدة (٥): ١١٠.

٣. آل عمران (٣): ٤٩.

٤. التوبة (٩): ٧٤.

فيحمله على الوجه القبيح مع أنّ له وجهاً حسناً مشروعاً، يعرفه من يحمله الورع على التثبّت والتبيّن؛ لئلّا يصيب الناس بجهالة.

**وأمّا التمسّح بالضرائح**؛ فالباعث عليه هو الحبّ في الله، والتبرّك بما يرتبط بالنبيّ والوليّ، ولم يرد فيه نهي في الشريعة، وقد صحّ عنه قوله ﷺ ـ في حديث الرفع ـ أنّه رفع عن أُمّته ما لا يعلمون[1]، فالأُمّة لا تعلم حرمة في ذلك، فهي مرفوعة الأثر ـ لو كانت في الواقع ـ.

ونيّتهم في ذلك الخير، و «لكلّ امرئ ما نوى»[2].

و«يُبعث الناس على نيّاتهم» كما رواه أحمد والترمذي وابن ماجة، عن أبي هريرة وأُمّ سلمة وجابر[3].

و«لك ما نويت يا يزيد» كما رواه البخاري وأحمد، عن معن[4].

و«لك ما احتسبت» كما رواه ابن ماجة، عن أُبيّ، عنه ﷺ[5].

وقوله ﷺ ـ كما في رواية مسلم في الحجّ، عن أبي هريرة ـ: «ذروني ما تركتكم، فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم [واختلافهم على أنبيائهم] فإذا أمرتكم بشيء

---

١. وحديث الرفع هو رواية حريز بن عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «رُفع عن أُمّتي تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أُكرهوا عليه، وما لا يطيقون، وما لا يعلمون، وما اضطُرّوا إليه، والحسد، والطِيَرة، والتفكّر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة».

انظر: الفقيه ١: ٥٠، ح ١٣٢؛ التوحيد: ٣٥٣، ح ٢٤؛ الخصال ٢: ٤١٧، ح ٩؛ تحف العقول: ٥٠.

٢. تجد حديث النيّة في صحيح البخاري ١: ٣، ح ١، و ٣٠، ح ٥٤؛ صحيح مسلم ٣: ١٥١٥، ح ١٥٥/١٩٠٧؛ سنن أبي داود ٢: ٢٦٢، ح ٢٢٠١؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٤١٣، ح ٤٢٢٧؛ الجامع الصحيح ٤: ١٥٤، ح ١٦٤٧.

٣. مسند أحمد ٣: ٩٩، ح ٨٨٤٦؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٤١٤، ح ٤٢٢٩ و ٤٢٣٠؛ الجامع الصحيح ٤: ٤٠٧، ح ٢١٧١، وانظر كنز العمّال ٣: ٤١٩ ـ ٤٢٠، ح ٧٢٤٢ ـ ٧٢٤٥.

٤. صحيح البخاري ٢: ٥١٧، ح ١٣٥٦؛ مسند أحمد ٤: ٥١٢ ـ ٥١٣، ح ١٥٤٣٣.

٥. سنن ابن ماجة ١: ٢٥٧، ح ٧٨٣.

فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[١].

فعلّق الترك على النهي.

ورواية الترمذي وابن ماجة والحاكم في مستدركه، عن سلمان: «الحلال ما أحلّ الله في كتابه، والحرام ما حرّم [الله] في كتابه، وما سكت عنه فهو ممّا عفا عنه»[٢].

ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[٣].

ولهم في ذلك قياس جليّ[٤] على استلام الركنين، وتقبيل الحجر واستلامه ومسحه؛ كما روي ذلك في الجوامع والمسانيد[٥]. بل رُوي في الجوامع والمستدرك، عن

---

١. صحيح مسلم ٢: ٩٧٥، ح ١٣٣٧/٤١٢.

٢. الجامع الصحيح ٤: ١٩٢، ح ١٧٢٦؛ سنن ابن ماجة ٢: ١١١٧، ح ٣٣٦٧؛ المستدرك على الصحيحين ٥: ١٥٧ ـ ١٥٨، ح ٧١٩٧.

٣. الطلاق (٦٥): ٧.

٤. القياس الجليّ: هو الذي يكون فيه حكم الفرع أولى من الأصل، كتحريم ضرب الوالدين بالنسبة لتحريم التأفيف الثابت بقوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما﴾ الإسراء (١٧): ٢٣؛ فإنّ العلّة التي أوجبت هذا الحكم ـ أي الحرمة ـ إنّما هي الأذى، فإذا قيس الضرب على التأفيف لوجود الأذى فيه، كان وجود الأذى في الضرب أشدّ من وجوده في التأفيف؛ ولذا يسمّى القياس الأولى؛ لأنّ الفرع أقوى من الحكم في الأصل، ويسمّى أيضاً: الفحوى، ولحن الخطاب. راجع معالم الأُصول: ٢٣٠.

٥. صحيح البخاري ٢: ٥٨١ ـ ٥٨٣، ح ١٥٢٦ و١٥٢٨ ـ ١٥٣٣؛ صحيح مسلم ٢: ٩٢٤ ـ ٩٢٧، ح ١٢٦٧/٢٤٢ ـ ١٢٧٦/٢٥٨؛ سنن ابن ماجة ٢: ٩٨١ ـ ٩٨٣، ح ٢٩٤٣ ـ ٢٩٤٩؛ الجامع الصحيح ٣: ٢١١ ـ ٢١٦، ح ٨٥٦ و ٨٥٨ و ٨٦٠ ـ ٨٦٢ و ص ٢٩٢، ح ٩٥٩ و ص ٢٩٤، ح ٩٦١؛ مسند البزّاز ١: ٤٧٨، ح ٣٤١؛ مسند أبي يعلى ١: ١٦٩، ح ١٨٩، و ص ١٩١ ـ ١٩٣، ح ٢١٧ ـ ٢٢١، و ج ٩: ٣٦٢ ـ ٣٦٣، ح ٥٩، و ج ١٠: ٥٢ ـ ٥٥، ح ٥٦٨٧ ـ ٥٦٨٩، و ص ١٨٤، ح ٥٨١١؛ سنن الدارمي ٢: ٣١، ح ١٨٣٩ و ١٨٤٠، و ص ٣٨، ح ١٨٦٥ و ١٨٦٦؛ مسند عمر بن الخطّاب: ٨٥ ـ ٨٦، ح ٥٩ و ٦٠؛ المعجم الكبير ١١: ١١٨، ح ١١٣١٤، و ص ١٤٦، ح ١١٤٣٢؛ شعب الإيمان ٣: ٤٤٩، ح ٤٠٣١ ـ ٤٠٣٣، و ص ٤٥٠ ـ ٤٥٢، ح ٤٠٣٥ ـ ٤٠٤١، و ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧، ح ٤٠٥٦ ـ ٤٠٦٠؛ فردوس الأخبار ١: ٣٥٦، ح ٢٦٣٠ ـ ٢٦٣٢؛ الترغيب والترهيب ٢: ٨٢ ـ ٨٣، ح ١ ـ ٣؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٦: ٤، ح ٣٦٩٠؛ جامع الأحاديث الكبير ٤: ٢٤٦، ح ١١٣٧٥ و ١١٣٧٧ ـ ١١٣٧٩، و ص ٢٥٦، ح ١١٤٦١؛ الجامع الصغير: ١٤٨، ح ٢٤٤٨، و ص ٢٣١ ـ ٢٣٢، ح ٣٨٠٢ ـ ٣٨٠٥؛ كنز العمّال ١٢: ←

ابن عبّاس: أنّ عمر قبّل الحجر وسجد عليه، وقال: إنّ رسول الله صنع ذلك[١].

وروى نحو ذلك أبو يعلى في مسنده عن ابن عمر[٢]، وابن راهويه عن طاووس[٣].

وروى ابن عساكر عن جابر: أنّ النبيّ ﷺ استلم الحجر فقبّله، واستلم الركن اليماني فقبّل يده[٤].

كما لهم في ذلك قياس على مصافحة المؤمن، حسبما ثبت وروي رجحانها في الصحاح[٥].

هذا، وللشيعة من المسلمين في هذه الأُمور كلامٌ خاصٌّ وأدلّة خاصّة، ممّا صحّ في طرقهم، زيادةً على ما ذكرناه[٦].

**وأمّا ما ذكر من الترحيم والذِكر** في الأوقات المذكورة؛ فكان على المجيب أن يقول: إنّ الإتيان بهذه الأُمور في هذه الأوقات إنْ كان على نحو توقيت الوِرد للذِكر المطلق ـ كما يجعل الإنسان له وِرداً في الصباح لقراءة القرآن ـ فلا بأس به.

وإنْ كان ذلك على وجه التشريع في تخصيص الوقت، فهو تشريع محدَث.

---

← ٢١٤، ح ٣٤٧٢١ ـ ٣٤٧٢٣، و ص ٢١٥، ح ٣٤٧٢٧ ـ ٣٤٧٣٠ و ٣٤٧٣٢ و ص ٢١٦، ح ٣٤٧٣٤ و ٣٤٧٣٥، وص ٢١٧، ح ٣٤٧٣٩ و ٣٤٧٤٢ و ٣٤٧٤٤، و ص ٢١٩، ح ٣٤٧٤٨ ـ ٣٤٧٥٣، و ص ٢٢٠ ـ ٢٢١، ح ٣٤٧٥٧ ـ ٣٤٧٥٩.

١. مسند أبي داود الطيالسي: ٧؛ مسند البزّاز ١: ٣٣٢، ح ٢١٥؛ المستدرك على الصحيحين ٢: ١٠٦، ح ١٧١٥؛ مجمع الزوائد ٣: ٢٤١.

٢. مسند أبي يعلى ١: ١٩٢ ـ ١٩٣، ح ٢١٩ ـ ٢٢٠ ضمن مسند عمر بن الخطّاب لا عن ابن عمر، فلاحظ.

٣. جاء في مصنّف عبد الرزّاق ٥: ٣٧، ح ٨٩١٣ عن حنظلة: أنّه سمع طاووساً يقول: قبّل عمر الركن ـ يعني الحجر ـ ثمّ سجد عليه، فلاحظ.

٤. انظر: صحيح مسلم ٢: ٩٢٦، ح ٢٥٤/١٢٧٣؛ مصنّف عبد الرزّاق ٥: ٤٠، ح ٨٩٢٣ و ٨٩٢٤، و ٤٢، ح ٨٩٣٢ و ٨٩٣٣.

٥. مصنّف عبد الرزّاق ٥: ٣٩، ح ٨٩٢٠؛ تأريخ بغداد ٦: ٣٢٨، الرقم ٣٣٧١؛ إتحاف السادة المتّقين ٤: ٤٥١؛ كنز العمّال ١٢: ٢١٥، ح ٣٤٧٢٩.

٦. الكافي ٤: ٤٠٣ ـ ٤١٠، باب الدعاء عند استقبال الحجر واستلامه، و باب الاستلام والمسح وغيرهما؛ تهذيب الأحكام ٥: ١٠١ ـ ١٠٢، ح ٣٢٩، و ص ١٠٢، ح ٣٣١ و ص ١٠٤، ح ٣٣٨، و ص ١٠٥ ـ ١٠٦، ح ٣٤١؛ المحاسن ١: ١٣٩، ح ١٨٢؛ وسائل الشيعة ١٣: ٣١٣ ـ ٣٣٠، الباب ١١ ـ ١٨، ح ١٧٨٢٤ ـ ١٧٨٧٢.

وينبغي حمل فعل المسلم على الوجه الصحيح، لو لم نعرف منه أنّه يريد[١] التشريع.

❊ ❊ ❊

هذا ما وسع الوقت من واجبنا العلمي في هذه المسائل، والأمل من رجال العدل والإصلاح أن يقوموا بواجبهم العملي في إصلاح هذه الأُمور المفرِّقة للكلمة، والمكدِّرة لصفاء الإنسانيّة والعدل، والمتعرِّضة لهتك حرمة الرسول والأولياء، وقطع سبل الخير والبرّ، وإحداث الحَدَث الفادح في حرم المدينة!

فقد صحّ وتواتر في الحديث أنّ رسول الله ﷺ جعل المدينة حرماً، وحرّم ما بين لابَتَيْها[٢]، ما بين عائر إلى ثور[٣].

وشدّد باللعن على من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدِثاً، حتّى أنّه لا يُقطَع شجرُها، ولا يُختلى خلاؤها[٤].

رُوي كونها حرماً في جوامع الحديث، وخصوص الستّة[٥]، رواه أكثر من اثني عشر

---

١. في الأصل المطبوع «لا يريد» والصحيح ما أثبتناه؛ إذ لا يستقيم المعنى بوجود «لا».

٢. اللآبة ـ واللُوْبَة ـ: هي الحَرّة، أي كلّ أرض ذات حجارة سود نخرات كأنّها أُحرقت بالنار. وللمدينة المنوّرة حَرّتان عظيمتان تكتنفانها. انظر: الصحاح ١: ٢٢٠؛ النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٢٧٤؛ لسان العرب ١: ٧٤٩؛ تاج العروس ٢: ٤٠٩، «ل و ب»، ولا حظ: لسان العرب ٤: ١٧٩، «ح ر ر».

٣. وعائر ـ أو: عَير ـ وثور: جبلان بالمدينة. انظر: سُبل السلام ٢: ٣٩٨ ـ ٣٩٩، ح ٦٩٢؛ معجم البلدان ٢: ١٠١، الرقم ٢٨٥١، «ث و ر»، و ج ٤: ٨٢، الرقم ٨١٣٣، «ع ا ر» و ص ١٩٤، الرقم ٨٦٨٢، «ع ي ر».

٤. الخَلَى: هو الحشيش الذي يُخْتَشّ من بُقول الربيع، والنبات الرقيق ما دام رطباً. انظر لسان العرب ١٤: ٢٤٢، «خ ل ى».

٥. صحيح البخاري ٢: ٦٦١ ـ ٦٦٣، ح ١٧٦٨ و ١٧٧٠ ـ ١٧٧٤؛ صحيح مسلم ٢: ٩٩١ ـ ٩٩٥، ح ١٣٦٠/٤٥٤ ـ ١٣٧٠/٤٦٧؛ سنن أبي داود ٢: ٢١٦، ح ٢٠٣٤؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٠٣٩، ح ٣١١٣؛ الجامع الصحيح ٤: ٣٨١ ـ ٣٨٢، ح ٢١٢٧، و ج ٥: ٦٧٧ ـ ٦٧٨، ح ٣٩٢١ و ٣٩٢٢؛ مسند أحمد ١: ١٣١، ح ٦١٦، و ص ٢٠٣، ح ١٠٤٠؛ الموطّأ: ٧٧٦ ـ ٧٧٧، ح ١٠ و ١١؛ مسند أبي يعلى ١: ٢٥٤، ح ٢٩٦؛ فضائل المدينة: ٤٣ ـ ٥٠، ←

من الصحابة، فانظر بعض ذلك في الجزء السادس من كنز العمّال[1].

فأينَ الورع ورعاية حرمة المدينة، حَرَم رسول الله ﷺ ؟!

والله هو المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

هذا ما أردنا طبعه من المحاضرة، وسمّيته: دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى.

والحمد لله وحده، ومنه التسديد والتوفيق.

← ح ٦٠ ـ ٧٨؛ المعجم الكبير ٦: ٩٢، ح ٥٦١٠ ـ ٥٦١٢؛ الترغيب والترهيب ٢: ١٠٦، ح ١٨؛ مصابيح السُنّة ٢: ٢٩٦ ـ ٣٠٤، ح ١٩٩٠ ـ ٢٠١٣؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٦: ١٢، ح ٣٧٠٨ و ٣٧٠٩؛ مجمع الزوائد ٣: ٣٠٣ ـ ٣٠٤؛ وفاء الوفا ١: ٨٩ ـ ٩٢؛ مشكاة المصابيح ٢: ١٢٣، ح ٢٧٢٨ و ٢٧٢٩، و ص ١٢٤، ح ٢٧٣٢، و ص ١٢٦ ـ ١٢٧، ح ٢٧٤٥ و ٢٧٤٧ و ٢٧٤٨.

١. كنز العمّال ١٢: ٢٣٠ ـ ٢٤٧، ح ٣٤٨٠٠ ـ ٣٤٨٩١، و ج ١٤: ١٢٦ ـ ١٣٩، ح ٣٨١٢٥ ـ ٣٨١٧١.

(٧)

# الرَدُّ على الوهّابِيّة

تحقيق

السيّد محمّد عليّ الحكيم

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاة على محمّد سيّد الأوّلين والآخِرين، وعلى آله أجمعين.

وبعد، فقد عثرتُ في بعض الجرائد[1] على سؤال نصّه هذا:

غادر مكّة في شهر رمضان الماضي الشيخ عبدالله بن بليهد، قاضي قضاة الوهّابيّين في الحجاز، قاصداً المدينة المنوَّرة، وقد تلقّت جريدة أُمّ القرى من مكاتبها في المدينة أنّ الشيخ ابن بليهد اجتمع بعلماء المدينة وباحثهم في أُمور كثيرة، ثمّ وجّه إليهم السؤال الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، ماقول علماء المدينة المنوَّرة ـ زادهم الله فهماً وعلماً ـ في البناء على القبور واتّخاذها مساجد، هل هو جائز أم لا؟

وإذا كان غير جائز، بل ممنوعٌ منهيٌّ عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا؟

وإذا كان البناء في مسبَّلة ـ كالبقيع ـ وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبنيّ عليه، فهل هو غصب يجب رفعه، لِما فيه من ظلم المستحقّين ومنعهم استحقاقهم، أم لا؟

وما يفعله الجُهّال عند هذه الضرائح، مِن التمسّح بها، ودعائها مع الله، والتقرُّب بالذبح والنذر لها، وإيقاد السُرُج عليها، هل هو جائز أم لا؟

---

1. هي جريدة أُمّ القرى، العدد ٦٩، بتأريخ ١٧ شوّال ١٣٤٤هـ. وهذا ممّا أفادني به سماحة العلّامة المحقّق السيّد عبدالعزيز الطباطبائي رحمه الله.

وما يُفعل عند حجرة النبيّ ﷺ، مِن التوجّه إليها عند الدعاء وغيره، والطواف بها وتقبيلها والتمسّح بها، وكذلك ما يفعل في المسجد الشريف، من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة، هل هو مشروع، أم لا؟

أفتونا مأجورين، وبيّنوا لنا الأدلّة المستند إليها، لا زلتم ملجأً للمستفيدين.

وهذا نصّ الجواب:

أمّا البناء على القبور، فهو ممنوع إجماعاً؛ لصحّة الأحاديث الواردة في منعه، وبهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه؛ مستندين على ذلك بحديث عليٍّ ؓ عنه أنّه قال لأبي الهيّاج: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع تمثالاً إلّا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلّا سوّيته» رواه مسلم[1].

وأمّا اتّخاذ القبور مساجد، والصلاة فيها، فممنوع مطلقاً، وإيقاد السُرُج عليه ممنوع أيضاً؛ لحديث ابن عبّاس: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتّخذين عليها المساجد والسُرُج». رواه أهل السُنن[2].

وأمّا ما يفعله الجهّال عند الضرائح، مِن التمسّح بها، والتقرُّب إليها بالذبائح والنذور، ودعاء أهلها مع الله، فهو حرامٌ، ممنوع شرعاً، لا يجوز فعله أصلاً.

وأمّا التوجّه إلى حجرة النبيّ ﷺ عند الدعاء، فالأولى منعه، كما هو معروف من فقرات كتب المذهب؛ ولأنّ أفضل الجهات جهة القِبلة.

وأمّا الطواف بها والتمسّح بها وتقبيلها، فهو ممنوع مطلقاً.

وأمّا ما يُفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة، فهو مُحْدَثٌ.

هذا ما وصل إليه علمنا السقيم.

ويلي ذلك توقيع ١٥ عالماً.

---

١. صحيح مسلم ٢: ٦٦٦، ح ٩٣ / ٩٦٩.

٢. تقدّم تخريجه في ص ٢٨٠.

وقد علّقت جريدة أمّ القرى على هذه الفتوى بمقالة افتتاحيّة قائلةً: «إنّ الحكومة ستسير في تنفيذ أحكام الدين، رضي الناس أم كرهوا»! انتهى.

## [مقالة في بعض الجرائد المصريّة]

واطّلعتُ أيضاً على مقالة في بعض الجرائد المصريّة* وهذا نصّها:

تغلّب الوهّابيّون على الحجاز، فأوفدت حكومة إيران وفداً ـ على رأسه حضرات أصحاب السعادة: ميرزا غفّار خان جلال السلطنة، وزيرها المفوّض في مصر، وميرزا حبيب الله خان هوَيدا عين الملك، قنصلها الجنرال[1] بالشام ـ إلى الحجاز؛ ليتبيّنوا وجه الحقيقة فيما أُذيع على العالَم الإسلامي أجمع من فظائع الوهّابيّين في البلاد المقدّسة، وأتمّ هذا الوفد الرسمي مهمّته، ورفع تقريره إلى حكومته.

ولَمّا تجدّد نشر الإشاعات بأنّ الوهّابيّين هم هم.

وأنّ التطوّر الذي غَشِي العالَمَ أجمع لم يصلح من فساد تطرّفهم شيئاً.

وأنّهم هدموا القباب والمزارات المبارَكةَ المنبثّة في أرجاء ذلك الوادي المقدّس.

وأنّهم ضيّقوا الحرّيّة المذهبيّة الإسلاميّة، نشراً لمذهبهم، وتوسيعاً لنطاق نِحلتهم، في الوقت الذي تقوم فيه جميع حكومات العالَم على رعاية الحرّيّات المذهبيّة.

أصْدَرَتْ[2] أمْرَها بوقف التصريح بالسفر للحجاز، حمايةً لرعاياها، وحفظاً لهم من قصدِ بلادٍ لم يُعْرَف تماماً كُنه الحكم فيها.

وعادت فأوفدت سعادة ميرزا حبيب الله خان هوَيدا، قنصلها الجنرال[3] في الشام ثانيةً، للتحقّق من مبلغ صدق تلك الإشاعات، فإذا بها صحيحة في جملتها!

لم تمنع الحكومة الإيرانيّة رعاياها من السفر إلى الحجاز ؛ لأنّ حكومته وهّابيّة

---

*. هي جريدة «المقطَّم» في عددها الصادر في ٢٢ شوّال سنة ١٣٤٤هـ.

١. أي القنصل العامّ.

٢. جواب «لَمّا» المتقدّمة.

٣. أي القنصل العامّ.

فحسب، ولكنّ الإيرانيّين أَلِفوا في الحجّ والزيارة شؤوناً يعتقدون أنّها من مستلزمات أداء ذلك الركن، ويشاركهم في ذلك جمهور المسلمين من غير الوهّابيّين، كزيارة مشاهد أهل البيت، والاستمداد من نفحاتهم، وزيارة مسجد منسوب للإمام عليٍّ عليه السلام.

وقد قضى الوهّابي على تلك الآثار جملةً، وقضى رجاله ـ وكلُّ فرد منهم حكومة قائمة ـ على الحرّيّة المذهبيّة.

فمَن قرأ الفاتحة على مشهد من المشاهد، جُلِد.

ومَن دخَّن سيجارةً أو نرجيلةً، أُهين وَضُرِبَ وزُجَّ في السجن في الوقت الذي تحصّل فيه إدارة الجمارك الحجازيّة رسوماً على واردات البلاد من الدخان والتمباك.

ومَن استنجد بالرسول المجتبى صلوات الله وسلامه بقوله: «يا رسول الله» عُدَّ مشركاً.

ومَن أقسم بالنبيّ أو بآله، عُدَّ خارجاً عن سياج الملّة.

وما حادثة السيّد أحمد الشريف السنوسي[1] ـ وهو علم من أعلام المسلمين المجاهدين ـ ببعيدة، إذ كان وقوفه وقراءته الفاتحة على ضريح السيّدة خديجة ـ رضوان الله عليها ـ سبباً كافياً في نظر الوهّابيّين لإخراجه من الحجاز.

كلُّ هذا حاصلٌ في الحجاز لا ينكره أحد، ولا يستطيع الوهّابي ولا دعاتُه ولا جنودُه أن يكذّبوه.

انتهى ما أردنا نقله من تلك الجريدة.

فرأيتُ أن أتكلّم معهم بكلمات وجيزة، جاريةً في نهج الإنصاف، خاليةً عن الجور والتعصّب والاعتساف، سالكاً سبيل الرفق والاعتدال، ناكباً عن طريق الخرق والجدال، فما المقصود إلّا هداية العباد، والله وليُّ الرشاد.

ثمّ إنّا نتكلّم فيما طعن به الوهّابيّون على سائر المسلمين في ضمن فصول، والله المستعان.

---

١. هو السيّد أحمد الشريف بن محمّد بن محمّد بن عليّ السنوسي (١٢٨٤ ـ ١٣٥١هـ) وُلد وتفقّه في «الجغبوب» من أعمال ليبيا، قاتل الإيطاليّين في حربهم مع الدولة العثمانيّة سنة ١٣٣٩هـ، دُعي إلى إسلامبول بعد عقد الصلح بين إيطاليا والعثمانيّين، ثمّ رحل منها إلى الحجاز، كان من أنبل الناس جلالة قدر وسراوة حال ورجاحة عقل، وكان على علم غزير، وقد صنَّف في أوقات فراغه كتباً عديدةً. انظر الأعلام للزركلي ١: ١٣٥.

واجتنبتُ فيه عن الفحش في المقال، والطعن والوقيعة والجدال.

هذا، والجرح لَمّا يندمل، وإنّ القلوب لحرّى، والعيون لعبرى، على الرزيّة التي عمّت الإسلام والمسلمين، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ويالها من رزيّة جليلة، ومصيبة فاظعة[1] فادحة، وثلمة عظيمة في الإسلام أليمة فجيعة!

كُحِلَتْ بِمِقْطَرِكَ العُيُونُ عَمايَةً		وَأَجَلَّ وَقْعَكَ كُلُّ أُذْنٍ تَسْمَعُ[2]

وعلى الجملة، فقد هدموا شعائرَ الدين، وجرحوا قلوبَ المسلمين، بفتوى خمسة عشر، تشهد القرائن بأنّهم مجبورون مضطرّون على هاتيك الفتيا!

ويشهد نفس السؤال ـ أيضاً ـ بذلك، حيث إنّ السائل يعلِّمُهُمُ الجواب في ضمن السؤال بقوله: «وإذا كان غير جائز، بل ممنوع منهيٌّ عنه نهياً شديداً»!

ويومئ إليه ـ أيضاً ـ ما في الجريدة، أنّه اجتمع إليهم أوّلاً، وباحثهم ثانياً، ومن بعد ذلك وجّه إليهم السؤال المزبور!

ولقد حدّثني بعض الثقات من أهل العلم ـ بعد رجوعه من المدينة ـ عن بعض علمائها، أنّه قال: إنّ الوهّابيّة أوعدوني وعالِمَين غيري بالقتل والنهب والنفي (على مساعدتهم)[3] في الجواب، فلم نفعل.

هـذِي المَـنازِلُ بِـالغَمِيمِ فَـنادِها		وَاسْكُبْ سَخيَّ العَيْنِ بَعْدَ جَمادِها[4]

---

١. كذا في الأصل، ولعلّها: «قاطعة»، والأصوب لغةً أن تكون: «فظيعة».

٢. من قصيدة لدعبل الخزاعي، يرثي بها سيّد الشهداء الإمام أبا عبدالله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد ورد البيت باختلاف في بعض ألفاظه في الديوان المطبوع ومصادر أُخرى هكذا:

كُحِلَتْ بِمَنْظَرِكَ العُيُونُ عَمايَةً		وَأَصَمَّ نَعْيُكَ كُلَّ أُذْنٍ تَسْمَعُ

انظر: ديوان دعبل: ٢٢٦؛ معجم الأُدباء ١١: ١١٠ و٣: ١٢٩، وفيه: «رُزْؤُكَ» بدل «نَعْيُكَ»، ولم يُسمّ قائله هنا؛ الحماسة البصريّة ١: ٢٠١.

٣. كذا في الأصل، والصواب: «إنْ لم نساعدهم».

٤. مطلع قصيدة للشريف الرضيّ، يرثي بها سيّد الشهداء الإمام أبا عبدالله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، في يوم عاشوراء سنة ٣٩١هـ. انظر ديوان الشريف الرضيّ ١: ٣٦٠.

# الفصل الأوّل
## في توحيد الله في العبادة

اعلم أنّ من ضروريّات الدين، والمتّفق عليه بين جميع طبقات المسلمين، بل من أعظم أركان أُصول الدين اختصاص العبادة بالله ربّ العالمين.

فلا يستحقّها غيره، ولا يجوز إيقاعها لغيره، ومَن عَبَدَ غيرَه فهو كافرٌ مشرك، سواء عَبَدَ الأصنامَ، أو عَبَدَ أشرفَ الملائكةِ، أو أفضل الأنامِ.

وهذا لا يرتاب فيه أحدٌ ممّن عرف دينَ الإسلام.

وكيف يرتاب وهو يقرأ في كلّ يوم عشر مرّات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]؟

ويقرأ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[2].

ويقرأ في سورة يوسف: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[3].

ويقرأ في سورة النحل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[4].

---

١. الفاتحة (١): ٥.

٢. الكافرون (١٠٩): ١ ـ ٦.

٣. يوسف (١٢): ٤٠.

٤. النحل: (١٦): ٣٥.

ويقرأ في سورة التوبة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

ويقرأ في سورة البقرة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[2].

ويقرأ في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ ـ إلى قوله عزَّ من قائل: ـ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾[3].

ويقرأ في [سورة] الزمر: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[4].

ويقرأ فيها: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ * بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[5].

ويقرأ فيها: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾[6].

ويقرأ في سورة النساء: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[7].

ويقرأ في سورة هود: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[8].

ويقرأ في سورة العنكبوت: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾[9].

---

١. التوبة (٩): ٣١.

٢. البقرة (٢): ١٣٣.

٣. الأعراف (٧): ٦٥ ـ ٧٠.

٤. الزمر (٣٩): ٣.

٥. الزمر (٣٩): ٦٥ و ٦٦.

٦. الزمر (٣٩): ١٤.

٧. النساء (٤): ٣٦.

٨. هود (١١): ٢.

٩. العنكبوت (٢٩): ٥٦.

إلى غير ذلك من الآيات الفرقانيّة، والأحاديث المتواترة[١].

لكنّ العبادة ـ كما هي المفسَّرة في لسان المفسِّرين، وأهل العربيّة، وعلماء الإسلام ـ: غاية الخضوع كالسجود، والركوع، ووَضع الخدِّ على التراب والرماد تواضعاً، وأشباه ذلك، كما يفعله عبّاد الأصنام لأصنامهم[٢].

وأمّا زيارة القبور والتمسّح بها وتقبيلها والتبرّك بها، فليست من ذلك في شيء كما هو واضحٌ، بل ليس فيها شيء من الخضوع فضلاً عن كونها غاية الخضوع.

مع أنّ مُطلق الخضوع ـ كما عرفت ـ ليس بعبادة، وإلّا لكان جميع الناس مشركين حتّى الوهّابيّين! فإنّهم يخضعون للرؤساء والأُمراء والكبراء بعض الخضوع، ويخضع الأبناء للآباء والخدم للمخدومين، والعبيد للموالي، وكلُّ طبقة من طبقات الناس لِلتي فوقها، فيخضعون إليهم بعض الخضوع، ويتواضعون لهم بعض التواضع.

هذا، وقد قال الله ـ عزّ من قائل ـ في تعليم الحكمة: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[٣].

أتَرى الله حين أمر بالخضوع للوالِدَين أمَرَ بعبادتهما؟!

ويقول سبحانه: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ...﴾ إلى آخرها[٤].

أَلَيس هذا خضوعاً وتواضعاً؟!

---

١. انظر ذلك في تفسير الآيات الكريمة المتقدّمة ـ على سبيل المثال ـ وغيرها في مختلف التفاسير، ولاحظ كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، والكافي ١: ٧٢ ـ ١٦٥ كتاب التوحيد.

٢. انظر ذلك ـ على سبيل المثال ـ في تفسير آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في التبيان ١: ٣٧ ـ ٣٩؛ مجمع البيان ١: ٢٥ ـ ٢٦؛ الصافي ١: ٧١ ـ ٧٢؛ كنز الدقائق ١: ٥٤ ـ ٥٦؛ نور الثقلين ١: ١٩ ـ ٢٠؛ البيان: ٤٥٦ ـ ٤٨٣؛ الجامع لأحكام القرآن ١: ١٤٥؛ جامع البيان ١: ١٦٠؛ الدرّ المنثور ١: ٣٧؛ التفسير الكبير ١: ٢٤٢؛ لسان العرب ٣: ٢٧٣، «ع ب د».

٣. الإسراء (١٧): ٢٤.

٤. الحجرات (٤٩): ٢.

أتَرى الله سبحانه أمَرَ بعبادة نبيّه ؟!

أوَليس التواضع من الأخلاق الجميلة الزكيّة، وهو متضمّن لشيء من الخضوع لا محالة ؟!

أوَترى الله نهى أن يُصنع بأنبيائه وأوليائه نظير ما أمر أن يصنع بسائر المسلمين من التواضع والخضوع ؟!

وقد كان الصحابة يتواضعون للنبيّ ﷺ ويخضعون له، وذلك من المسلَّمات بين أهل السِّيَر والأخبار.

بل روى البخاري في صحيحه:

خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضّأ، ثمّ صلّى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وبين يديه عَنَزَة.

قال شعبة: وزاد فيه عون عن أبيه، عن أبي جحيفة، قال: كان تمرُّ[١] من ورائها المرأة.

وقام الناس فجعلوا يأخذون يده[٢]، فيمسحون بها وجوههم.

قال: فأخذتُ بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحةً من المسك[٣].

## وأمّا الأخبار الدالّة على زيارة القبور

فنذكر عدّةً منها وإن كان لا حاجة إلى ذكرها؛ لوضوح المسألة، حتّى أنّ الوهّابيّين ـ أيضاً ـ غير مانعين عن أصل الزيارة.

[١] فروى البخاري عنه ﷺ أنّه خرج يوماً فصلّى على أهل أُحُد صلاته على الميّت، ثمّ انصرف إلى المنبر[٤]... إلى آخره.

١. في المصدر: «يمرّ».

٢. في المصدر: «يديه».

٣. صحيح البخاري ٣: ١٣٠٤، ح ٣٣٦٠.

٤. المصدر ١: ٤٥١، ح ١٢٧٩؛ سنن أبي داود ٣: ٢١٦، ح ٣٢٢٣ إلى كلمة «انصرف».

[٢] وروى فيه عن أنس، قال: مرّ النبيّ ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتّقي اللهَ واصبري ...»[١] إلى آخره، ولم ينهها عن زيارة القبر.

[٣] وروى الدارقطني في السنن وغيرها، والبيهقي وغيرهما، من طريق موسى بن هلال العبدي، عن عبدالله العمري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»[٢].

[٤] وعن نافع، عن سالم، عن ابن عمر، مرفوعاً، عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: «من جاءني زائراً ليس له حاجة إلّا زيارتي، كان حقّاً عَلَيَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»[٣].

[٥] وعن ليث ومجاهد، عن [ابن] عمر، مرفوعاً، قال ﷺ: «مَن حجَّ وزار قبري بعد وفاتي، كان كمن زارني في حياتي»[٤].

[٦] وعن نافع، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ، قال: «مَن زارني كنتُ له شهيداً أو شفيعاً»[٥].

---

١. صحيح البخاري ١: ٤٣٠، ح ١٢٢٣ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وفي ٤٢٢، ح ١١٩٤ إلى كلمة «واصبري» باختلاف يسير في بعض الألفاظ أيضاً، وانظر الأنوار في شمائل النبيّ المختار ١: ٢٠٠، ح ٢٣٩ والمصادر الأُخرى التي في هامشه.

٢. سنن الدارقطني ٢: ٢٧٨، ح ١٩٤؛ شعب الإيمان ٣: ٤٩٠، ح ٤١٥٩؛ مجمع الزوائد ٤: ٢؛ الصلات والبشر: ١٤٢؛ الدرّ المنثور ١: ٥٦٩؛ كنز العمّال ١٥: ٦٥١، ح ٤٢٥٨٣؛ الكنى والأسماء ٢: ٦٤؛ وانظر الغدير ٥: ٩٣ـ ٩٦، ح ١ ومصادره.

٣. ورد الحديث باختلاف يسير في المعجم الكبير ١٢: ٢٩١، ح ١٣١٤٩؛ مجمع الزوائد ٤: ٢؛ الصلات والبشر: ١٤٢؛ الدرّ المنثور ١: ٥٦٩؛ كنز العمّال ١٢: ٢٥٦، ح ٣٤٩٢٨؛ وانظر الغدير ٥: ٩٧ـ ٩٨، ح ٢ ومصادره.

٤. سنن الدارقطني ٢: ٢٧٨، ح ١٩٢؛ شعب الإيمان ٣: ٤٨٩، ح ٤١٥٤؛ المعجم الكبير ١٢: ٤٠٦، ح ١٣٤٩٧؛ الصلات والبشر: ١٤٣؛ الدرّ المنثور ١: ٥٦٩؛ كنز العمّال ٥: ١٣٥، ح ١٢٣٦٨ و ١٥: ٦٥١، ح ٤٢٥٨٢، وفيها: «فزار» بدل «وزار»، وانظر الغدير ٥: ٩٨ ـ ١٠٠، ح ٣ ومصادره.

٥. ورد الحديث باختلاف يسير في شعب الإيمان ٣: ٤٨٩، ح ٤١٥٣؛ كنز العمّال ٥: ١٣٥، ح ١٢٣٧١؛ كما ورد مضمونه في شعب الإيمان ٣: ٤٨٨، ح ٤١٥٢ و ٤٨٩، ح ٤١٥٧؛ الصلات والبشر: ١٤٣؛ الدرّ المنثور ١: ٥٦٩، وانظر الغدير ٥: ١٠٠ ـ ١٠١، ح ٥ ومصادره.

[٧] وعن نافع، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ، قال: «من حجّ [البيت] ولم يزرني فقد جفاني»[1].

[٨] وعن أبي هريرة ـ مرفوعاً ـ عن النبيّ ﷺ، قال: «مَن زارني بعد موتي فكأنّما زارني حيّاً»[2].

[٩] وعن أنس ـ مرفوعاً ـ عن النبيّ ﷺ، [قال]: «مَن زارني ميّتاً كمن زارني حيّاً، ومَن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة»[3].

[١٠] وعن ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ، قال: «مَن زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومَن لم يزرني فقد جفاني»[4].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي يجوزُ مجموعُها حدَّ المتواتر.

[١١] وفي الموطّأ: أنّ ابن عمر كان يقف عند قبر النبيّ ﷺ، فيسلّم عليه، وعند أبي بكر وعمر[5].

وسُئل نافع هل كان [ابن] عمر يسلّم على قبر النبيّ ﷺ؟ فقال: رأيته مائة مرّة أو أكثر يسلّم على النبيّ وعلى أبي بكر[6].

قال عياض: زيارة قبر رسول الله ﷺ سُنّةٌ أجمعَ عليها المسلمون[7].

---

١. الدرّ المنثور ١: ٥٦٩؛ الصلات والبشر: ١٤٣؛ كنز العمّال ٥: ١٣٥، ح ١٢٣٦٩؛ وانظر الغدير ٥: ١٠٠، ح ٤ ومصادره.

٢. ورد الحديث باختلاف في سنده وبعض ألفاظه في مجمع الزوائد ٤: ٢؛ الصلات والبشر: ١٤٢ و ١٤٣؛ الدرّ المنثور ١: ٥٦٩؛ كنز العمّال ٥: ١٣٥، ح ١٢٣٧٢؛ المواهب اللدنيّة ٨: ٢٩٨ و ٢٩٩، وانظر الغدير ٥: ١٠١ـ١٠٢، ح ٦ ومصادره، وقد روي فيها عن حاطب بن أبي بلتعة مرفوعاً، وص ١٠٥ـ١٠٦، ح ١٤ وفيه عن ابن عمر مرفوعاً.

٣. الصلات والبشر: ١٤٣؛ كشف الخفاء ٢: ٣٢٨ـ٣٢٩، ح ٢٤٨٩؛ وانظر الغدير ٥: ١٠٤، ح ١٠ ومصادره.

٤. مختصر تأريخ دمشق ٢: ٤٠٧؛ وفاء الوفا ٤: ١٣٤٦ـ١٣٤٧، ح ١٤ و ١٦؛ وانظر الغدير ٥: ١٠٤ـ١٠٥، ح ١٢ ومصادره، وقد روي فيها عن أمير المؤمنين الإمام عليّ ﷺ مرفوعاً بدلاً من ابن عبّاس.

٥. الموطّأ ١: ١٦٦، ح ٦٨؛ وانظر: شعب الإيمان ٣: ٤٩٠، ح ٤١٦١؛ الدرّ المنثور ١: ٥٧٠؛ وفاء الوفا ٤: ١٣٥٨.

٦. حقيقة التوسّل والوسيلة: ١١١، وقال في الهامش: أخرجه الإمام عبدالله بن دينار عن ابن عمر.

٧. شرح الشفاء ٣: ٥١١؛ وفاء الوفا ٤: ١٣٦٢

[١٢] وروى بريدة، عن النبيّ ﷺ: «إنّي نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»[١].

[١٣] وعن بريدة: أنّ النبيّ ﷺ إذا خرج إلى المقابر قال: «السلام عليكم أهلَ الديار مِنَ المؤمنين والمسلمين».

رواه مسلم[٢].

[١٤] وعن ابن عبّاس: أنّ النبيّ [كان] يخرج إلى البقيع آخر الليل فيقول: «السلام عليكم...» الخبر.

رواه المسلم[٣].

**وأمّا التبرُّك بالقبور وتقبيلها والتمسّح بها:**

فقد نقل عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب العلل والسؤالات قال: سألت أبي عن الرجل يمسّ منبر رسول الله يتبرّك بمسّه وتقبيله، ويفعل بالقبر ذلك رجاءَ ثوابِ الله، فقال: لا بأس به[٤].

ونقل عن مالك التبرّك بالقبر[٥].

وروي عن يحيى بن سعيد ـ شيخ مالك ـ أنّه حينما أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر و تمسّح به[٦].

ونقل السبكي روايةً ليحيى بن الحسن، عن عمر بن خالد، عن أبي نباتة، عن كثير بن يزيد، عن المطّلب بن عبدالله، قال: أقبل مروان بن الحكم وإذا رَجلٌ ملتزم القبر، فأخذ

---

١. صحيح مسلم ٢: ٦٧٢، ح ١٠٦/٩٧٧؛ سنن النسائي ٨: ٣١٠ ـ ٣١١ و ٤: ٨٩؛ سنن أبي داود ٣: ٢١٨، ح ٣٢٣٥؛ المعجم الكبير ٢: ١٩، ح ١١٥٢ و ٩٤، ح ١٤١٩؛ المصنَّف ٣: ٣٤٢.

٢. صحيح مسلم ٢: ٦٧١، ح ١٠٤/٩٧٥.

٣. المصدر: ٦٦٩، ح ١٠٢/٩٧٤.

٤. العلل ومعرفة الرجال ٢: ٤٩٢، ح ٣٢٤٣، وعنه في وفاء الوفا ٤: ١٤٠٤، وانظر مؤدّاه أيضاً في ص ١٤٠٣.

٥. انظر مؤدّاه في وفاء الوفا ٤: ١٤٠٧.

٦. وفاء الوفا ٤: ١٤٠٣.

مروان برقبته وقال: ما تصنع؟! فقال: إنّي لم آتِ الحجرَ ولا اللبن، إنّما جئت رسولَ الله ﷺ[1].

وذكر رواية أحمد، قال: وكان الرجل أبا أيّوب الأنصاري[2].

ونقل هذه الرواية أحمد، وزاد فيها أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبكوا على الدِّين إذا وليه أهله، وابكوا عليه إذا وليه غير أهله»[3].

وذكر ابن حمّاد: أنّ ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر[4].

ولو رمنا ذكر جميع الأحاديث لخرجنا من حدّ الاختصار، وفيما ذُكر كفاية، فضلاً عن سيرة المسلمين.

وماعرفتَ من أنّ تلك الأُمور خارجة عن حقيقة العبادة، فإذاً لا وجه للمنع عنها وإن لم يكن دليل عليها.

هذا، وقد قال الله عزّ و جلّ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[5].

---

١ و ٢. شفاء السقام: ٢٧٩ و ٢٨٠.

٣. المصدر: ٢٧٩ عن مسند أحمد ٦: ٥٨٧، ح ٢٣٠٧٤؛ وفاء الوفا ٤: ١٣٥٨ ـ ١٣٥٩.

٤. وفاء الوفا ٤: ١٤٠٥.

٥. الحجّ (٢٢): ٣٢.

# الفصل الثاني

## في توحيد الله سبحانه في الأفعال

اعلم أنّ من ضروريّات دين الإسلام ـ والمُجمَع عليه بين جميع الفِرق المُـنتحلة لدين سيّد الأنام، بل ومن أعظم أركان التوحيد ـ توحيد الله عزّ وجلّ في تدبير العالَم، كالخلق والرزق والإماتة والإحياء، إلى غير ذلك ممّا يرجع إلى تدبير العالَم، كتسخير الكواكب، وجعلِ الليل والنهار، والظُلَم والأنوار، وإجراء البحار، وإنزال الأمطار، وغير ذلك ممّا لا نحصيه ولا نحيط به.

وبالجملة، لا كلام بين طوائف أهل الإسلام، أنّ المدبِّر لهذا النظام هـو الله المَـلِك العلّام، وحده وحده.

وكيف يرتاب مسلم في ذلك وهو يقرأ في كلّ يـوم مـراراً مـن الفـرقان العـظيم: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[1]؟!

ويقرأ قوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[3].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ

---

١. الإخلاص (١١٢): ٢.

٢. الأنعام (٦): ١٠١.

٣. الأعراف (٧): ٥٤.

ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[١].

وقوله ـ عزّ اسمه ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٢].

وقوله ـ عظُم سلطانه ـ: ﴿قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾[٣].

وقوله ـ جلّ شأنه ـ: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٤].

وقوله ـ عزّ جبروته ـ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[٥].

وقوله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَلَـٰئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[٦].

وقوله ـ عمّ إحسانه ـ: ﴿وَلَـٰئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[٧].

وقوله ـ جلّت قدرته ـ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[٨].

وقوله ـ تعالى شأنه ـ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ

---

١. يونس (١٠): ٣١.

٢. التوبة (٩): ١١٦.

٣. هود (١١): ٣٢ و ٣٣.

٤. الرعد (١٣): ١٦.

٥. الشعراء (٢٦): ٧٨ ـ ٨١.

٦. العنكبوت (٢٩): ٦١.

٧. العنكبوت (٢٩): ٦٣.

٨. الروم (٣٠): ٤٠.

كَرِيمٍ * هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ * لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

وقوله ـ تعالى من قائل ـ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ * وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾[3].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

## [التوسّل والاستغاثة والاستشفاع]

لكنّ التوسّل بغير الله ـ سبحانه ـ والاستغاثة، والاستشفاع ـ المعمولة عند المسلمين، في جميع الأزمان، بالنسبة إلى الأنبياء والأولياء ـ ليس بمعنى التشريك في أفعال الله تعالى.

بل الغرض أن يفعل اللهُ فعله ويقضي الحاجة ببركتهم وشفاعتهم، حيث إنّهم مقرَّبون لديه، مكرمون عنده، ولا مانع من أن يكونوا سبباً ووسيلةً لجريان فيضه.

هذا، ومن المركوز في طباع البشر توسّلهم في حوائجهم التي يطلبونها من العظماء والملوك والأُمراء إلى المخصوصين بحضرتهم، ويرون هذا وسيلةً لنجح حاجتهم، وليس ذلك تشريكاً لذلك المخصوص مع ذلك الأمير أصلاً.

فلماذا يُعْزَل أنبياء الله والأولياء مِن مثل ما يُصنع بمخصوصي العظماء؟! إنْ هذا إلّا اختلاق، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[4]، فاستثنى، وقال

---

١. لقمان (٣١): ١٠ ـ ١١.

٢. الزمر (٣٩): ٦٢ ـ ٦٣.

٣. النجم (٥٣): ٤٢ ـ ٤٨.

٤. البقرة (٢): ٢٥٥.

سبحانه: ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[1].

وممّا ذُكر ظهر أنّ قول القاضي: «ودعائها مع الله» يعني الضرائح، افتراءٌ على المسلمين من جهتين:

[الجهة] الأُولى: دعوى تشريك غير الله معه في الدعاء مع أنّهم لا يدعون إلّا الله الواحد القهّار، ويتوسّلون بأوليائه إليه.

وإن كان المراد أنّهم يدعون الله عزّ وجلّ لقضاء الحاجات، ويدعون أولياءه؛ ليكونوا شُفعاء لديه سبحانه، فاختلفت جهتا الدعوة، فهذا حقّ وصدق، ولا مانع منه أصلاً.

بل الوهّابيّة ما قدروا الله حقّ قدره؛ إذ قالوا: لا ضرورة في استنجاح الحاجة عنده إلى شفيع! ولا حسن في ذلك، ويَرَوْن ذلك أمراً مرغوباً مطلوباً بالنسبة إلى غيره سبحانه!

فإذا كان لهم حاجة إلى الناس، يتوسّلون في نجاحها إلى المقرَّبين لديهم، ولا يَرَوْن في ذلك بأساً! فما بال الله عزّ وجلّ يقصر به عمّا يُصنع بعباده؟!

**الجهة الثانية**: إضافة الدعوة إلى الضرائح والحال أنّهم لا يدعون الضريح للشفاعة، بل يدعون صاحب الضريح؛ لأنّه ذو مكان مكين عند الله وإن كان مُتَوَفّىً ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ...﴾[2].

وبالجملة، فالتوسّل وطلب الشفاعة من أولياء الله أمر مرغوب فيه عقلاً وشرعاً، وقد جرت سيرة المسلمين عليه قديماً وحديثاً:

[١] فعن أنس بن مالك، أنّه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هَلَكت المواشي وتقطّعت السبل، فادع الله. فدعا اللهَ، فمُطِرنا من الجمعة إلى الجمعة. فجاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، تهدّمت البيوت، وتقطّعت السبل وهَلَكت المواشي.

١. الأنبياء (٢١): ٢٨.

٢. آل عمران (٣): ١٦٩ ـ ١٧٠.

فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ على ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر»، فانجابت عن المدينة انجياب الثوب.

رواه البخاري في الصحيح[1]، وروى عدّة أحاديث في هذا المعنى يشبه بعضها بعضاً[2].

[ ٢] وفيه أيضاً: حدّثنا عبدالله بن أبي الأسود [حدّثنا حَرَمِي] حدّثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قالت أُمّي: يا رسول الله، خادمك [أنس]، ادعُ الله له. قال: «اللّهمّ أكثِر مالَه وولدَه، وبارك له فيما أعطيته»[3].

[ ٢] وقال البخاري: حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا حاتم، عن الجعد بن عبدالرحمن، قال: سمعتُ السائب بن يزيد يقول: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنّ ابن أُختي وَجِعٌ.

فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثمّ توضّأ، فشربت من وضوئه، ثمّ قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زرّ الحجلة[4].

[ ٤] وروى البيهقي، أنّه جاء رجل إلى قبر النبيّ ﷺ فقال: يا محمّد، استق لأُمّتك؛ فَسقُوا[5].

[ ٥] وروى الطبراني وابن المقرئ وأبو الشيخ، أنّهم كانوا جياعاً، فجاؤوا إلى قبر النبيّ ﷺ فقالوا: يا رسول الله، الجوع الجوع؛ فَأُشبِعوا[6].

[ ٦] ونُقل أنّ آدم لَمّا اقترف الخطيئة قال: «يا ربّي، أسألك بحقّ محمّد لَمّا غفرت لي». فقال: «يا آدم، كيف عرفتَه»؟

قال: «لِأنّك لَمّا خلقتني نظرتُ إلى العرش فوجدت مكتوباً فيه: لا إله إلّا الله، محمّد

١. صحيح البخاري ١: ٣٤٥ ـ ٣٤٦، ح ٩٧٣.
٢. المصدر ٢: ٣٤٤ ـ ٣٤٦، ح ٩٦٨ ـ ٩٧٦.
٣. المصدر ٥: ٢٣٣٦، ح ٥٩٨٤.
٤. صحيح البخاري ٥: ٢٣٣٧ ـ ٢٣٣٨، ح ٥٩٩١.
٥. انظر قريباً منه في وفاء الوفا ٤: ١٣٧٤.
٦. انظر وفاء الوفا ٤: ١٣٨٠.

رسول الله؛ فرأيت اسمه مقروناً مع اسمك، فعرفتُه أحبَّ الخلق إليك».

صحّحه الحاكم[١].

[٧] وعن عثمان بن حنيف، أنّ رجلاً ضرير البصر أتى النبيّ ﷺ فقال: ادعُ الله أن يعافيني. فقال النبيّ ﷺ: «إن شئتَ صبرتَ فهو خير لك، وإن شئتَ دعوتُ». قال: فادعه.

فأمره أن يتوضّأ ويدعو بهذا الدعاء:

اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد، نبيّ الرحمة، يا محمّد، إنّني توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي ليقضيها لي.

اللّهمّ شفّعه.

رواه الترمذي والنسائي[٢]، وصحّحه البيهقي وزاد: «فقام وأبصر»[٣].

[٨] ونقل الطبراني عن عثمان بن حنيف: أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفّان في حاجة، فكان لا يلتفت إليه، فشكا ذلك لابن حنيف، فقال له: اذهب وتوضّأ وقل: ... وذكر نحو ماذكر الضرير.

قال: فصنع ذلك، فجاء البوّاب فأخذه وأدخله إلى عثمان، فأمسكه على الطنفسة وقضى حاجته[٤].

[٩] وفي رواية الحافظ عن ابن عبّاس، أنّ عمر قال: اللّهمّ إنّا نستسقيك بعمّ نبيّنا، ونستشفع بشيبته؛ فَسُقوا[٥].

---

١. المستدرك على الصحيحين ٣: ٥١٧، ح ٤٢٨٦ باختلاف يسير، وانظر: دلائل النبوّة، للبيهقي ٥: ٤٨٩؛ ووفاء الوفا ٤: ١٣٧١ ـ ١٣٧٢.

٢. الجامع الصحيح ٥: ٥٦٩، ح ٣٥٧٨ باختلاف يسير، ورواه النسائي في كتاب اليوم والليلة؛ وفي سنن ابن ماجة ١: ٤٤١، ح ١٣٨٥ باختلاف يسير أيضاً.

٣. انظر وفاء الوفا ٤: ١٣٧٢.

٤. المعجم الكبير ٩: ٣٠ ـ ٣١، ح ٨٣١١ باختلاف يسير، و انظر وفاء الوفا ٤: ١٣٧٣.

٥. دلائل النبوّة ـ للأصبهاني ـ ٢: ٧٢٥، ح ٥١١ باختلاف يسير.

وأخبار الشفاعة متواترة:

[ ١] روى البخاري عن النبيّ ﷺ أنّه: «من سمع الأذان ودعا بكذا حلّت له شفاعتي يوم القيامة»[١].

[ ٢] وروى مسلم عنه ﷺ أنّه قال: «ما من ميّت يموت يُصلّي عليه أُمّة من الناس يبلغون مائة، كلّهم يشفعون له، إلّا شُفّعوا فيه»[٢].

[٣] وروى الترمذي والدارمي عنه ﷺ أنّه قال: «يدخل بشفاعتي رجال من أُمّتي أكثر من بني تميم»[٣].

[ ٤] وروى الترمذي عن أنس، أنّه قال: سألت النبيّ ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة. فقال: «أنا فاعل». قلت: فأين أطلبك؟ قال: «أوّلاً على الصراط». قلت: فإن لم ألقك. قال: «عند الميزان». قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «عند الحوض، فإنّي [لا] أُخطئ هذه المواضع»[٤].

وقد نُقل عن الصحابة بطُرق عديدة أنّ الصحابة كانوا يلجؤون إلى قبر النبيّ ﷺ، ويندبونه في الاستسقاء ومواقع الشدائد وسائر الأمراض[٥].

ولا يخفى أنّ وفاة المتوسَّل به لا تنافي التوسّل أصلاً، فإنّ مكانه عند الله لا يزول بالموت، كما هو واضح.

هذا، مع أنّهم في الحقيقة أحياء، كما ذكر الله عزّ وجلّ في حال الشهداء، فالشهداء إذا كانوا أحياءً فالأنبياء والأولياء أحقّ بذلك.

هذا كلّه مع أنّ الأرواح لا تفنى بالموت، والعبرة بها لا بالأجساد، وإنْ كان أجساد

---

١. صحيح البخاري ١: ٢٢٢، ح ٥٨٩، ٤: ١٧٤٩، ح ٤٤٤٢ باختلاف يسير.

٢. صحيح مسلم ٢: ٦٥٤، ح ٥٨/٩٤٧ باختلاف يسير.

٣. الجامع الصحيح ٤: ٦٢٦، ح ٢٤٣٨؛ سنن الدارمي ٢: ٣٢٨ باختلاف يسير فيهما.

٤. الجامع الصحيح ٤: ٦٢١ ـ ٦٢٢، ح ٢٤٣٣؛ الوفا بأحوال المصطفى ٢: ٨٢٤ باختلاف يسير.

٥. انظر وفاء الوفا ٤: ١٣٧٢ ـ ١٣٨٧.

الأنبياء لا تبلى، كما نُصّ عليه في الأخبار[١].

[٥] وفي خبر النسائي وغيره عن النبيّ ﷺ، قال: «إنّ لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلّغونني من أُمّتي السلام»[٢].

والأخبار في هذا الباب كثيرة[٣].

[٦] وأخرج أبونعيم في دلائل النبوّة عن سعيد بن المسيّب، قال: لقد كنتُ في مسجد رسول الله فما يأتي وقت صلاة إلّا سمعت الأذان من القبر[٤].

[٧] وأخرج ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيّب، أنّه كان يلازم المسجد أيّام الحرّة، فإذا جاء الصبح سمع أذاناً من القبر الشريف[٥].

[٨] وأخرج زبير بن بكّار في أخبار المدينة عن سعيد بن المسيّب، قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة من قبر رسول الله ﷺ أيّام الحرّة حتّى عاد الناس[٦].

[٩] ونقل أبو عبدالله البخاري أنّ الشهداء وسائر المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلّم عليهم عرفوه وردّوا عليه السلام[٧].

[١٠] وروى الثعلبي في تفسيره، وابن المغازلي الشافعي الواسطي في المناقب أنّ النبيّ ﷺ وأصحابه لمّا حملهم البساط وصلوا إلى موضع أهل الكهف، فقال: «سلّموا عليهم»، فسلّموا عليهم، فلم يردّوا، فسلّم النبيّ ﷺ، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته[٨].

---

١. سنن ابن ماجة ١: ٥٢٤، ح ١٦٣٧؛ وانظر مؤدّاه في وفاء الوفا ٤: ١٣٥٠ ـ ١٣٥٦.

٢. سنن النسائي ٣: ٤٤، ح ١٢٧٨؛ مسند أحمد ٢: ١٦، ح ٤١٩٨؛ سنن الدارمي ٢: ٣١٧.

٣. انظر وفاء الوفا ٤: ١٣٤٩ ـ ١٣٥٤.

٤. دلائل النبوّة ـ للأصبهاني ـ ٢: ٧٢٤ ـ ٧٢٥، ح ٥١٠ باختلاف يسير.

٥. الطبقات الكبرى ٥: ١٣٢.

٦. انظر وفاء الوفا ٤: ١٣٥٦.

٧. المصدر: ١٣٥١.

٨. الكشف والبيان ٦: ١٥٧، ذيل الآية ١٦ من سورة الكهف (١٨)؛ مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢٣٢ ـ ٢٣٣، ح ٢٨٠، وفيه: «عليّ عليه السلام» بدل «النبيّ ﷺ».

[١١] ونقل أبو بكر محمّد بن عبدالله الشافعي، أنّ عيسى عليه السلام لَمّا دفن مريم عليها السلام قال: السلام عليك يا أُمّاه؛ فأجابته من جوف القبر: وعليك السلام حبيبي وقرّة عـيني... إلى آخره.

[١٢] وروى الحاكم عن سالم بن أبي حفصة، قال: توفّي أخٌ لي فوضعته في القبر وسوَّيتُ عليه الترابَ، ثمّ وضعت أُذني على لحده فسمعت قائلاً يقول له: مَـن ربُّك؟ فسمعت أخي يقول بصوت ضعيف: ربِّيَ اللهُ... إلى آخره.

والأخبار التي يُستدلُّ بها على الدعوى أكثر من أن تحصى.

# الفصل الثالث

## في البناء على القبور

اعلم أنّ البناء على قبور الأنبياء والعباد المُصطفَين تعظيمٌ لشعائر الله، وهو من تقوى القلوب، ومن السُنن الحسنة.

حيث إنّه احترامٌ لصاحب القبر، وباعثٌ على زيارته، وعلى عبادة الله عزّ وجلّ ـ بالصلاة والقراءة والذِكر وغيرها ـ عنده، وملجأٌ للزائرين والغرباء والمساكين والتالين والمصلّين.

بل هو إعلاء لشأن الدِين.

وعن النبيّ ﷺ: «مَن سنَّ سُنّةً حسنةً فله أجرها وأجر مَن عمل بها»[1].

وقد بُني على مراقد الأنبياء قبل ظهور الإسلام وبعده، فلم ينكره النبيّ ﷺ، ولا أحدٌ من الصحابة والخلفاء، كالقباب المبنيّة على قبر دانيال عليه السلام في شوش[2]، وهود وصالح ويونس وذي الكفل عليهم السلام والأنبياء في بيت المقدس ومايليها، كالجبل الذي دُفن فيه موسى عليه السلام، وبلد الخليل مدفن سيّدنا إبراهيم عليه السلام.

بل الحجر المبنيّ على قبر إسماعيل عليه السلام وأُمّه رضي الله عنها.

بل أوّل مَن بنى حجرة قبر النبيّ ﷺ باللبن ـ بعد أن كانت مقوّمة بجريد النخل ـ عمرُ بن الخطّاب، على ما نصّ عليه السمهودي في كتاب الوفا[3]،

---

١. ورد الحديث باختلاف يسير في مسند أحمد ٥: ٤٨٣، ح ١٨٧١٨؛ سنن ابن ماجة ١: ٧٤ـ ٧٥، ح ٢٠٣ ـ ٢٠٨ باب من سنَّ سُنَّةً حسنةً أو سيّئةً؛ مشكل الآثار ١: ٩٤ و ٩٦ و ٤٨١.

٢. في المطبوع: شوشتر. والصحيح ما أثبتناه.

٣. وفاء الوفا ٢: ٤٨١.

ثمّ تناوب الخلفاء على تعميرها[١].

وروى البنّائي[٢] واعظ أهل الحجاز عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه الحسين، عن أبيه عليّ، أنّ رسول الله ﷺ قال له: «والله، لَتُقتلَنّ في أرض العراق وتُدفن بها».

فقلت: يا رسوله الله، ما لمن زار قبورنا وعمّرها وتعاهدها؟

فقال:

يا أبا الحسن، إنّ الله جعل قبرك وقبر ولدَيك بقاعاً من بقاع الجنّة [وعرصة من عرصاتها]، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده، تحنّ إليكم [وتحتمل المذلّة والأذى]، فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرُّباً [منهم] إلى الله تعالى، ومودّة منهم لرسوله، [أُولئك يا عليّ المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنّة].

يا عليّ، من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنّما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس... إلى آخره[٣].

ولا يخفى أنّ جعل معمِّر قبورهم كالمُعين على بناء بيت المقدس، دالٌّ على أنّ تعظيم مراقدهم تعظيم لشعائر الله سبحانه.

ونُقل نحو ذلك ـ أيضاً ـ في حديثين مُعتَبرين، نقل أحدهما الوزير السعيد بسندٍ، وثانيهما بسند آخر[٤].

والسيرة القطعيّة ـ من قاطبة المسلمين ـ المستمرّة، والإجماع، يغنيان عن ذكر الأحاديث الدالّة على الجواز.

وما أعجب قول المُفْتِين: «أمّا البناء على القبور فممنوع إجماعاً»!

---

١. المصدر: ٤٨١ ـ ٦٤٧.

٢. في المصدر: التبّاني.

٣. فرحة الغريّ: ٧٧، وعنه في بحار الأنوار ٩٧: ١٢٠، ح ٢٢.

٤. فرحة الغريّ: ٧٨، وعنه في بحار الأنوار ٩٧: ١٢١، ح ٢٣ و ٢٤.

فإنّ مذهب الوهّابيّة ـ وهم فئة قليلة بالنسبة إلى سائر المسلمين ـ لم يظهر إلّا قريباً من قرن واحد، ولا يتفوّه أحد من المسلمين ـ سوى الوهّابيّة ـ بحرمة البناء، فأين الإجماع المدّعى؟!

ودعوى ورود الأحاديث الصحيحة على المنع ـ لو ثبت ـ غير مجد لإثبات الحرمة؛ لأنّ أخبار الآحاد لا تنهض لدفع السيرة والإجماع القطعي، مع أنّ أصل الدعوى ممنوع جدّاً.

فإنّ مثل رواية جابر: «نهى رسول الله أن تُجَصّص القبور، وأن يُكتب عليها، وأن يُبنى عليها، وأن توطأ»[1] لا تدلّ على التحريم؛ لعدم حرمة الكتابة على القبور ووطئها، فذلك من أقوى القرائن على أنّ النهي في الرواية غير دالٍّ على الحرمة، ولا نمنع الكراهة في غير قبور مخصوصة.

مع أنّ الظاهر من قوله: «يُبنى عليها» إحداث بناء كالجدار على نفس القبر، فإنّ بناء القبّة وجدرانها بعيدة عن القبر، ليس بناءً على القبر على الحقيقة، وإنّما هو نوع من المجاز، وحمل اللفظ على الحقيقة؛ حيث لا صارف عنها معيّن، مع أنّ النهي عن الوطء يؤكّد هذا المعنى، لا الذي فهموه من الرواية.

وأمّا الاستدلال على وجوب هدم القباب بحديث أبي الهيّاج، فغير تامٍّ في نفسه ـ مع قطع النظر عن مخالفته للإجماع والسيرة ـ لوجوه:

**الأوّل:** أنّ الحديث مضطرب المتن والسند:

فتارةً يذكر عن أبي الهيّاج أنّه قال: «قال لي عليٌّ» كما في رواية أحمد عن عبدالرحمن.

وتارةً يذكر عن أبي وائل، أنّ عليّاً قال لأبي الهيّاج.

ورواه عبدالله بن أحمد في مسند عليٍّ هكذا: «لأبعثنّك فيما بعثني فيه رسول الله ﷺ، أن أُسوّي كلَّ قبر، وأنْ أطمسَ كلَّ صنم»[2].

---

١. الجامع الصحيح ٣: ٣٦٨، ح ١٠٥٢.

٢. مسند أحمد ١: ١٤٤، ح ٦٨٥، و ١٧٩، ح ٨٩١.

فالاضطراب المزبور يسقطه عن الحجّيّة والاعتبار.

**الثاني:** أنّه من الواضح أنّ المأمور به في الرواية لم يكن هدم جميع قبور العالَم، بل الحديث وارد في بعث خاصّ وواقعة مخصوصة، فلعلّ البعث قد كان إلى قبور المشركين لطمس آثار الجاهليّة، كما يؤيّده ذِكر الصنم، أو إلى غيرها ممّا لا نعرف وجه مصلحتها، فكيف يُتمسّك بمثل هذه الرواية لقبور الأنبياء والأولياء؟!

قال بعض علماء الشيعة من المعاصرين:

إنّ المقصود من تلك القبور التي أمرَ عليٌّ عليه السلام بتسويتها، ليست هي إلّا تلك القبور التي كانت تُتّخذ قِبلةً عند بعض أهل الملل الباطلة، وتقام عليها صور الموتى وتماثيلهم، فيعبدونها من دون الله.

إلى أن قال:

وليت شِعري لو كان المقصود من القبور ـ التي أمرَ عليٌّ عليه السلام بتسويتها ـ هي عامّة القبور على الإطلاق، فأين كان عليه السلام ـ وهو الحاكم المُطلق يومئذٍ ـ عن قبور الأنبياء التي كانت مشيَّدة على عهده؟! ولا تزال مشيَّدة إلى اليوم في فلسطين وسورية والعراق وإيران، ولو شاء تسويتها لقضى عليها بأقصر وقت.

فهل ترى أنّ عليّاً عليه السلام يأمر أبا الهيّاج بالحقّ وهو يروغ عنه فلا يفعله؟![1]

انتهى ما أردنا نقله منه.

**الثالث:** قال بعض المعاصرين من أهل العلم:

لا يخفى من اللغة والعُرف أنّ تسوية الشيء من دون ذِكر القرين المساوي معه، إنّما هو جَعْلُ الشيء متساوياً في نفسه، فليس لتسوية القبر في الحديث معنى إلّا جعله متساوياً في نفسه، وما ذلك إلّا جعلُ سطحه متساوياً.

ولو كان المراد تسوية القبر مع الأرض، لكان الواجب في صحيح الكلام أن يقال: «إلّا سوّيته مع الأرض»، فإنّ التسوية بين الشيئين المتغايرين لابدّ فيها من أن

---

١. هو العاملي في الانتصار ٥: ٨٨.

يُذكر الشيئان اللذان تُراد مُساواتهما.

وهذا ظاهر لكلّ من يعطي الكلام حقّه من النظر، فلا دلالة في الحديث إلّا على أحد أمرَين:

أوّلهما: تسطيح القبور وجعلها متساويةً برفع سنامها، ولا نظر في الحديث إلى علوّها، ولا تشبُّث فيه بلفظ «المشرِف»، فإنّ الشُرَف إنْ ذُكِرَ أنّه بمعنى العلوّ، فقد ذُكر أنّه من البعير سنامُه، كما في القاموس و غيره[1]، فيكون معنى «المشرِف» في الحديث هو: القبر ذوالسنام، ومعنى تسويته: هدم سنامه.

وثانيهما: أن يكون المراد القبور التي يجعل لها شُرَف من جوانب سطحها، والمراد من تسويته أن تُهدم شُرَفُه ويُجعل مسطّحاً أجمّ، كما في حديث ابن عبّاس: أُمرنا أن نبنيَ المدائن شُرَفاً والمساجد جمّاً[2].

وعلى كلّ حال، فلا يمكن في اللغة والاستعمال أن يُراد من التسوية في الحديث أن يُساوى القبر مع الأرض، بل لابدّ أن يُراد منه أحد المعنيَين المذكورَين.

وأيضاً كيف يكون المراد مساواة القبر مع الأرض، مع أنّ سيرة المسلمين المتسلسلة على رفع القبور عن الأرض؟!

وفي آخر كتاب الجنائز من جامع البخاري، مسنداً عن سفيان التمّار، أنّه رأى قبر رسول الله ﷺ مسنّماً[3].

وأسند أبو داود في كتاب الجنائز عن القاسم، قال: دخلت على عائشة فقلت: يا أُمَّه، اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ وصاحبَيه؛ فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرَّفة ولا لاطئة[4].

وأسند ابن جرير عن الشعبي: أنّ كلّ قبور الشهداء مسنَّمة[5].

---

١. القاموس المحيط ٣:١٥٧؛ تهذيب اللغة ١١: ٣٤١؛ لسان العرب ٩: ١٧١، «ش ر ف».

٢. غريب الحديث ٤: ٢٢٥؛ الفائق ١: ٢٣٤؛ لسان العرب ٩: ١٧١.

٣. صحيح البخاري ١: ٤٦٨، ح ١٣٢٥.

٤. سنن أبي داود ٣: ٢١٥، ح ٣٢٢٠.

٥. كنز العمّال ١٥: ٧٣٦، ح ٤٢٩٣٢. والعاملي في الانتصار ٥: ٨٩.

انتهى ما أردنا نقله منه.

وأقول بعد ذلك: لو كان قوله: «مشرِفاً» بمعنى عالياً؛ فليس يعمّ كلّ قبر ارتفع عن الأرض ولو بمقدار قليل، فإنّه لا يصدق عليه القبر العالي؛ فإنّ العلوّ في كلّ قبر إنّما هو بالإضافة إلى سائر القبور، فلا يبعد أن يكون أمراً بتسوية القبور العالية فوق القدر المُتعارف المعهود في ذلك الزمان إلى حدّ المتعارف، وقد أفتى جمع من العلماء بكراهة رفع القبر أزيد من أربع أصابع[1].

ولتخصيص الكراهة ـ لو ثبت ـ بغير قبور الأنبياء والمصطفَين من الأولياء وجهٌ.

الرابع: لو سُلِّم أيّ دلالة في الرواية فلا ربط لها ببناء السقوف والقباب ووجوب هدمها، كما هو واضح.

وأمّا قول السائل: «وإذا كان البناء في مسبَّلة ـ كالبقيع ـ وهو مانع...» إلى آخره.

فقد أجاب بعض المعاصرين عنه بما حاصله:

> إنّ أرض البقيع ليست وقفاً، بل هي باقية على إباحتها الأصليّة، ولو شككنا في وقفيّتها يكفينا استصحاب إباحتها[2].

وأقول: بل وقفيّتها غير مانع عن البناء؛ لأنّها موقوفةٌ مقبرةً على جميع الشؤون المرعيّة في المقابر، ومنها: البناء على قبور أشخاص مخصوصين كالأصفياء، فإنّ البناء على القبور ليس أمراً حديثاً، بل كان أمراً متعارفاً من قديم الأيّام.

---

١. حكاه عنهم العلّامة في منتهى المطلب ٧: ٣٩٤.

٢. هو العاملي في الانتصار ٥: ٩٠.

# الفصل الرابع
## في الصلاة عند القبور، وإيقاد السُرُج عليها

### [الصلاة عند القبور]

وقد جرت سيرة المسلمين ـ السيرة المستمرّة ـ على جواز ذلك.

وأمّا حديث ابن عبّاس: «لعن رسولُ الله ﷺ زائرات القبور، والمتّخذين عليها المساجد والسُرُج»[1]، فالظاهر والمتبادر ـ من اتّخاذ المسجد على القبر ـ: السجود على نفس القبر، وهذا غير الصلاة عند القبر.

هذا لو حملنا المساجد على المعنى اللغوي.

ولو حملنا على المعنى الاصطلاحي، فالمذموم اتّخاذ المسجد عند القبور، لا مجرّد إيقاع الصلاة، كما هو المتعارف بين المسلمين، فإنّهم لا يتّخذون المساجد على المراقد؛ فإنّ اتّخاذ المسجد ينافي الغرض في إعداد ما حول القبر إعانةً للزوّار على الجلوس لتلاوة القرآن وذِكر الله والدعاء والاستغفار، بل يُصَلُّون عندها، كما يأتون بسائر العبادات هنالك.

هذا، مع أنّ اللعن غير دالّ على الحرمة، بل يجامع الكراهةَ أيضاً.

**وأمّا إيقاد السُرُج**، فإنّ الرواية لا تدُلّ إلّا على ذمّ الإسراج لمجرّد إضاءة القبر، وأمّا الإسراج لإعانة الزائرين على التلاوة والصلاة والزيارة وغيرها، فلا دلالة في الرواية على ذمّه.

---

١. سنن أبي داود ٣: ٢١٨، ح ٣٢٣٦؛ سنن النسائي ٤: ٩٧، ح ٢٠٣٩. وتقدّم في ص ٢٨٠.

وإن شئت توضيح ذلك فارجع إلى هذا المثل:

إنّك لو أضعت شيئاً عند قبر، فأسرجت هنالك لطلب ضالّتك، فهل في تلك الرواية دلالة على ذمّ هذا العمل ؟!

فكذلك ما ذكرناه.

هذا، مع ما عرفتَ أنّ اللعنَ ـ حقيقةً ـ هو البعدُ من الرحمة، ولا يستلزم الحرمة، فإنّ عمل المكروه ـ أيضاً ـ مبعِّدٌ من الله، كما أنّ فعل المستحبّ مقرِّبٌ إليه عزّ وجلّ.

هذا، وذكر بعض العلماء في الجواب:

إنّ المقصود من النهي عن اتّخاذ القبور مساجد، أن لا تُتّخذ قِبلةً يُصلّى إليها باستقبال أيّ جهة منها، كما كان يفعله بعض أهل الملل الباطلة.

وممّا يدلّ عليه ما رواه مسلم في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّ أُولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك الصورة، أُولئك شرار الخلق عند الله عزّ وجلّ يوم القيامة»[1].

وقال ﷺ: «لُعن الذين اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2].

فإنّه من المعلوم لدى الخُبراء بتقاليد أُولئك المُبطلين، أنّهم كانوا يتّخذون قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد على الوجه المذكور، وذلك بجعل ما برز من أثر القبر قِبلةً، وما دار حوله من الأرض مصلّىً، ولذلك [قالت] أُمّ المؤمنين عائشة: ولولا ذلك لأَبرز قبره، غير أنّه خشي أن يُتّخذ مسجداً[3].

فلو كان اتّخاذه مسجداً على معنى إيقاع الصلاة عنده ـ وإنْ كان التوجُّه بها إلى الكعبة ـ لَما كان الإبراز سبباً لحصول الخشية، فإنّ الصلاة ـ كذلك ـ غير موقوفة على أن يكون للقبر أثر بارز، وإنّما الذي يتوقّف على بروز الأثر هو: الصلاة إليه نفسه[4]. انتهى.

---

١. صحيح مسلم ١: ٣٧٥، ح ١٦/٥٢٨.

٢. مسند أحمد ٢: ٥٥٥، ح ٧٧٧٦.

٣. المصدر ٧: ١١٨، ح ٢٣٩٩٢؛ صحيح مسلم ١: ٣٧٦، ح ٢٠/٥٢٩

٤. هو العاملي في الانتصار ٥: ٧٢.

ثمّ استشهد بكلام النووي في شرح صحيح مسلم، قال:

قال العلماء: إنّما نهى النبيّ ﷺ عن اتّخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من الافتتان به، فربما أدّى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأُمم الخالية. ولَما احتاجت الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون، وامتدّت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أُمّهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ بنوا على القبر حيطاناً مرتفعةً مستديرةً حوله؛ لئلّا يظهرَ في المسجد، فيصلّي إليه العوامُّ ويؤدّي إلى المحذور. ثمّ بنوا جدارين من ركني القبر الشماليّين وحرَّفوهما حتّى التقيا، حتّى لا يتمكّن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث: ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنّه خشي أن يتّخذ مسجداً والله العالِم بالصواب[1]. انتهى.

ثمّ استظهر العالِم المومى إليه أن يكون الإسراج المنهيّ عنه إمّا الإسراج على قبور أُولئك المبطلين الذين كانوا يتّخذونها قِبلة، كما ربما يشهد بذلك سياق الحديث المومى إليه.

أو الإسراج الذي يتّخذه بعض جهلة المسلمين على مقابر موتاهم في ليالٍ مخصوصة؛ لأجل إقامة المناجاة عليها والنوح على أهلها بالباطل.

١. شرح النووي على صحيح مسلم ٥: ١٣ ـ ١٤.

# الفصل الخامس
## في الذبائح والنذور

اعلم أنّ من المسائل المسلّمة الواضحة الضروريّة عند طوائف المسلمين، اختصاص الذبح والتقرّب بالقربان به سبحانه، فلا يصحّ الذبح إلّا لله.

وهكذا أمر النذر، فمن المؤكّد المتّفق عليه بين طوائف المسلمين أنّ النذر لا يصحّ إلّا لله؛ ولذا يُذكر في صيغته: «للهِ عَلَيَّ كذا».

أمّا الذبح عن الأموات، فلابُدّ أن يكون لله وحده وإنْ كان عن الميّت، وكم بين الذبح عن الميّت والذبح له، والممنوع هو الثاني لا الأوّل.

قال بعض العلماء ﷺ في المنهج[1]: وأمّا مَن ذبح عن الأنبياء والأوصياء والمؤمنين، ليصِلَ الثواب إليهم ـ كما نقرأُ القرآن ونهدي إليهم، ونصلّي لهم، وندعو لهم، ونفعل جميع الخيرات عنهم ـ ففي ذلك أجر عظيم، وليس قصد أحدٍ مِن الذابحين للأنبياء أو لغير الله سوى ذلك.

أمّا العارفون منهم فلا كلام، وأمّا الجهّال فهُم على نحو عرفائهم.

وقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه ذبح بيده، وقال: «اللّهمّ هذا عنّي وعمّن لم يُضحِّ من أُمّتي». رواه أحمد وأبو داود والترمذي[2]... إلى آخره.

---

١. ورد مضمونه في منهج الرشاد: ١٦٠.

٢. مسند أحمد ٤: ٣٢٥، ح ١٤٤٢٣، و ٣٣٥، ح ١٤٤٧٩؛ سنن أبي داود ٣: ٩٩، ح ٢٨١٠، وليس فيه: «اللّهمّ»، ونحوه في الجامع الصحيح ٤: ٩١، ح ١٥٠٥.

وقال بعض المعاصرين:

أمّا التقرّب إلى الضرائح بالنذور ودعاء أهلها مع الله، فلا نعهد واحداً من أوباش المسلمين وغيرهم يفعل ذلك، وإنّما ينذرون لله بالنذر المشروع، فيجعلون المنذور في سبيل إعانة الزائرين على البرّ، أو للإنفاق على الفقراء والمحاويج، لإهداء ثوابه لصاحب القبر، لكونه من أهل الكرامة في الدِين والقُربى... إلى آخره.



وهذا أوان اختتام الرسالة، وأرجو أن ينفع اللهُ بها، إنّه هو المتفضّل المنّان.

وقد حصل الفراغ منه بيد مؤلّفه الفقير إلى الله عبدالله، أحد طلبة العراق، في ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأوّل، سنة خمس وأربعين بعد ألف وثلاثمائة هجريّة.

والحمد لله ربّ العالمين

(٨)

# نَسَماتُ الهُدى

## وَنَفَحاتُ المَهْديِّ

تحقيق

السيّد محمّد عليّ الحكيم

[بسم الله الرحمن الرحيم]

قد وقفنا اتّفاقاً على صورة مقالة انتشرت في العدد ٩٦ من مجلّة السياسة المصريّة، في سنتها الثانية، عنوانها «المهديّ المنتظَر... نشأته، وأطواره في التاريخ» بتوقيع زكيّ نجيب محمود[١].

فكان من واجب الحقيقة الدينيّة والتأريخيّة أن نُعلّق على بعضِ كلماتها على وجه الإيجاز.

## [التشكيك بالمهديّ ﷺ]

فمن كلماته قوله:

كثيراً مّا تعترض الإنسانيّة أزمنة يكثر فيها الأحزاب والفوضى، فسرعان ما تسود الفكرة عند الشعوب الساذجة أنّ السماء ستُنزل رجلاً يُعيد النظام، وينشر الأمن والعدل بين الناس.

١. فيلسوف مفكّر، من دُعاة التغريب، وُلد في إحدى قُرى محافظة دمياط بمصر سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، وتوفّي في إحدى مستشفيات القاهرة سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، نال شهادة دكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن، تولّى رئاسة تحرير مجلّة «الفكر المعاصر» منذ إنشائها، وكذا مجلّة «الثقافة»، ألّف وترجم كتباً عديدةً في الفلسفة و الثقافة و الأدب، أدرج في كتبه و مقالاته أفكاره المعادية للدين والشرع الحنيف، ممّا حدى بالكثيرين للتصدّي له والردّ عليه وتفنيد ادّعاءاته ودحض شبهاته، كالعلّامة البلاغي ـ في الرسالة التي بين يديك ـ و الشيخ محمّد متولّي الشعراوي، وكمال المليجي. انظر تتمّة الأعلام ١ :١٩٢؛ ذيل الأعلام : ٨٨؛ إتمام الأعلام : ١٠٢، تكملة معجم المؤلّفين : ١٩٥.

فالعقول البسيطة إذا حلّت كارثة لا تلجأ إلّا إلى القوّة الإلهيّة؛ وقد حدث ذلك عند اليهود والمسيحيّين والمسلمين على السواء.

إلى أن قال:

وهذه الفكرة لعبت دوراً كبيراً في الإسلام، حتّى أنّها لا تزال ـ إلى اليوم ـ تستولي على معظم العقول. انتهى.

يا للعجب!! قد كنّا نسمع من طنين الإلحاد ـ في رواية تأريخ الأديان ـ ما اختلقته الأفكار الشاذّة من أوهام الأهواء، أخذاً عن نزعات المبادئ المادّيّة، وهو:

إنّ البشر لمّا أرعبتهم الأهوال الكونيّة بصدفة الطبيعة، اختلقوا لهم ما وراء الطبيعة إلهاً، افترضوه قادراً على التصرّف بإرادته في العالم؛ وذلك لكي يلتجئوا إليه ويستغيثوا به عند عروض الأهوال والكوارث، ليخلّصهم منها.

وعلى نَعْرة[١] هذه الرواية قد طبّل المطبّلون وزمّر المزمّرون، وإنّ هذا الكتاب لم يحترم الحقائق، ولا أهل الأديان في مبادئهم، بل تحمّل المسؤوليّة الكبرى لشرف الحقيقة!

ولكنّا نحترمه، فلا نقول: إنّه ضربَ على ذلك الوتر، وترنّم بتلك النغمة، وترنّح على ذلك الإيقاع! بل نُنشد عن لسان حاله:

عُيُونُ المَها بَيْنَ الرُصافَةِ والجِسْرِ      جَلَبْنَ الهَوى مِنْ حيثُ أَدْرِي ولا أَدْرِي[٢]

على رِسْلك أيّها الكاتب! إنّ أهل الأديان الذين يقولون بنحو ما تذكره عنهم، هم إلهيّون مُتديّنون، قد أخذوا قولهم هذا من البشائر الإلهيّة بواسطة النبوّات.

ويا ليتما يتّضح لنا أنّ المناقشة معهم في هذا القول ـ شكّاً أو جحوداً ـ هل

---

١. النعرة: صوت في الخيشوم، على الاستعارة هنا. انظر تاج العروس ٧: ٥٤٣ ـ ٥٤٤، «ن ع ر».

٢. البيت من شعر عليّ بن الجهم. و الرُصافة: هي الجانب الشرقي من بغداد، و فيها مقابر خلفاء بني العبّاس. انظر: معجم البلدان ٣: ٥٣، الرقم ٥٥٠٣؛ تاج العروس ١٢: ٢٣٠، «ر ص ف».

هي في الإلهيّة التي هي مركز الحقائق، أو في صدق النبوّات، أو في صدور هذا النبأ عنها؟!

أمّا المناقشة في المركز المذكور، فيلزم فيها المصارحة بتعديل صفوف البحث، ليجري الكلام على مجاريه. وكذا الكلام في صدق النبوّات.

وأمّا صدور هذا النبأ عنها؛ فإنّ كلّ أُمّة تملي عليك من كتب وحيها و تقاليدها البشرى بذلك شيئاً كثيراً.

## [ما جاء عن رسول الله ﷺ في شأن المهدي عليه السلام]

وعلينا ـ معاشر المسلمين ـ أن نملي عليك بعض ما جاء في ديننا عن رسول الله ﷺ في شأن المهديّ، ممّا يَجْبَهُ[1] الريبَ والتشكيك.

**فمن طرق أهل السُنّة** وكتبهم فيما جاء عن الرسول الأكرم ﷺ من أحاديث آخر الزمان، وحوادثه، والمهديّ عليه السلام:

١. «أبشِروا بالمهديّ، رجل من قريش من عترتي، يخرج في اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً».

أخرجه أحمد، والباورديّ[2]، مسنداً عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ [3].

---

١. جَبَهَهُ جَبْهاً: صَكَّ جَبهتَه؛ وَجَبَه الرجلَ يَجْبَهُهُ جَبْهاً: رَدَّه عن حاجته و استقبله بما يكره؛ وجَبَهْتُ فلاناً إذا استقبلته بكلام فيه غِلظة؛ وجَبَهْتُه بالمكروه إذا استقبلته به. انظر لسان العرب ١٣: ٤٨٣، «ج ب ه». والمعنى أنّه يردّ الشكوك والشبهات ويدحضها.

٢. هو أبو منصور الباوردي، نسبة إلى بلدة بنواحي خراسان يقال لها: أبيوَرْد، و تخفّف، و يقال: باوَرْد، خرج منها جماعة من الفضلاء و المحدّثين. انظر الأنساب ـ للسمعاني ـ ١: ٢٧٤؛ معجم البلدان ١: ٣٩٦، الرقم ١٤٢٤؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير ١: ٨٧.

٣. مسند أحمد ٣: ٤٢٦ ـ ٤٢٧، ح ١٠٩٣٣؛ معرفة الصحابة ـ للباوردي ـ «مخطوط». وانظر: عقد الدرر: ٦٢ و١٥٦ و٢٣٧؛ فرائد السمطين ٢: ٣١٠، ح ٥٦١؛ مجمع الزوائد ٧: ٣١٣؛ العرف الوردي ٢: ٥٨؛ الصواعق المحرقة: ٢٥٤؛ كنز العمّال ١٤: ٢٦١، ح ٣٨٦٥٣. وراجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ٩٢ ـ ٩٦، ح ٥٣.

٢. «لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً».

أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذيّ وابن ماجة عن عليّ عليه السلام، عنه صلى الله عليه وآله[1].

٣. «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث رجلاً من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً».

أخرجه أبو داود عن ابن مسعود، عنه صلى الله عليه وآله[2].

٤. «ثمّ يخرج رجل من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».

أخرجه الطبراني عن جابر الصدفي، عنه صلى الله عليه وآله[3].

٥. «لا تقوم الساعة حتّى تُملأ الأرض ظلماً وعدواناً، ثمّ يخرج من عترتي مَن

---

١. مسند أحمد ١: ١٥٩، ح ٧٧٥؛ سنن أبي داود ٤: ١٠٤، ح ٤٢٨٣؛ الجامع الصحيح ٤: ٤٣٨، ح ٢٢٣٠ عن ابن مسعود و قال: «و في الباب عن عليٍّ...»؛ سنن ابن ماجة ٢: ٩٢٨، ح ٢٧٧٩ عن أبي هريرة نحوه.
وانظر: مصنّف ابن أبي شيبة ٨: ٦٧٨، ح ١٩٤؛ مسند البزّار ٢: ١٣٤، ح ٤٩٣؛ المعجم الكبير ١٠: ١٣٤، ح ١٠٢١٩ و ص ١٣٥، ح ١٠٢٢٤ و ص ١٣٦، ح ١٠٢٢٧؛ كلّها عن ابن مسعود: الاعتقاد على مذهب السلف ـ للبيهقي ـ: ١٢٢؛ الصواعق المحرقة: ٢٤٩. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ١١٩، ح ٦٩.

٢. سنن أبي داود ٤: ١٠٤، ح ٤٢٨٢. وانظر: المعجم الكبير ١٠: ١٣٥، ح ١٠٢٢٤؛ مسند الشاشي ٢: ١٠٩، ح ٦٣٢؛ الاعتقاد على مذهب السلف: ١٢٢؛ مصابيح السُنّة ٣: ٤٩٢، ح ٤٢١٠؛ عقد الدرر: ٢٧ و ٢٨ و ١٦٩؛ الصواعق المحرقة: ٢٤٩؛ منهاج السُنّة ٤: ٩٥؛ مشكاة المصابيح ٣: ١٧٠، ح ٥٤٥٢؛ كنز العمّال ١٤: ٢٦٧، ح ٣٨٦٧٦. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ١٥٧، ح ٨٦.
أمّا بالنسبة لزياده جملة «و اسم أبيه اسم أبي» الواردة في أحاديث أهل السُنّة، فانظر ما كتبه السيّد ثامر العميدي في فصل «اختلاف الأحاديث في تشخيص اسم والد المهديّ عليه السلام» من مقالة «تطبيق المعايير العلميّة لنقد الحديث على أحاديث المهديّ عليه السلام بكتب الفريقين»، المنشور في مجلّة تراثنا، العدد المزدوج ٤٣ ـ ٤٤، ص ١٢ ـ ٨٥؛ إذ استدلّ فيه على بطلان هذه الزيادة بعدّة أدلّة!

٣. المعجم الكبير ٢٢: ٣٧٤ ـ ٣٧٥، ح ٩٣٧. وانظر: معرفة الصحابة ـ لأبي نعيم ـ ٢: ٥٥٤، الرقم ١٥٣٨؛ الاستيعاب ١: ٢٢١، الرقم ٢٨٨؛ تاريخ دمشق ١٤: ٢٨٢ ـ ٢٨٣، ح ٣٥٦١ و ٣٥٦٢ و ج ٦١: ١٩٥، ح ١٢٥٩٩؛ أُسد الغابة ١: ٣١٠، الرقم ٦٥٣؛ عقد الدرر: ١٩؛ مجمع الزوائد ٥: ١٩٠؛ كنز العمّال ١٤: ٢٦٥، ح ٣٨٦٦٧. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ١٦، ح ٢.

يملؤها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً».

أخرجه أحمد عن عليّ عليه السلام [١]، عنه صلى الله عليه وآله [٢].

٦. «فيبعث الله رجلاً من عترتي وأهل بيتي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً».

أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد، عنه صلى الله عليه وآله [٣].

٧. «المهديّ من عترتي، يقاتل على سنّتي كما قاتلت أنا على الوحي».

أخرجه نعيم بن حمّاد عن عائشة، عنه صلى الله عليه وآله [٤].

٨. «المهديّ من عترتي، مِن وُلد فاطمة».

أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة، والبيهقي، وصاحب كتاب المصابيح، وصاحب جواهر العقدين، والبغوي، والسيوطي في الجامع الصغير، والكنجي، ونصّا على صحّته عن أُمّ سلمة، عنه صلى الله عليه وآله [٥].

---

١. كذا في الأصل، و لعلّه سهو؛ إذ أنّ الحديث بكلّ ألفاظه و في جميع المصادر مرويٌّ عن طريق أبي سعيد الخدري، فلاحظ.

٢. مسند أحمد ٣: ٤٢٤ ـ ٤٢٥، ح ١٠٩٢٠. وانظر: مسند أبي يعلى ٢: ٢٧٤، ح ٩٨٧؛ تأريخ أصبهان ١: ١١٥، ذيل الرقم ٣٣؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٨: ٢٩٠ ـ ٢٩١، ح ٦٧٨٤؛ المستدرك على الصحيحين ٥: ٧٧٠، ح ٨٧١٢، و صحّحه هو والذهبي على شرط الشيخين، و ص ٧٧١، ح ٨٧١٣، و صححّه على شرط مسلم؛ عقدالدرر: ١٦. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ١٠٤، ح ٥٩.

٣. المستدرك على الصحيحين ٥: ٦٥٩، ح ٨٤٨٦. وانظر: مصنّف عبد الرزّاق ١١: ٣٧١ ـ ٣٧٢، ح ٢٠٧٧٠؛ مصابيح السُنّة ٣: ٤٩٣، ح ٤٢١٥؛ عقد الدرر: ١٧ و ٦٠؛ كنز العمّال ١٤: ٢٧٥، ح ٣٨٧٠٨. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ٨٣، ح ٤٤.

٤. الفتن: ٢٢٩. وانظر: عقد الدرر: ١٦ـ١٧؛ جواهر العقدين: ٣٠٦؛ العرف الوردي ٢: ٧٤؛ الصواعق المحرقة: ٢٥١. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ٢٢٤، ح ١٣٦.

٥. مسند أحمد ١: ١٣٦، ح ٦٤٦ نحوه؛ صحيح مسلم ـ كما في كنز العمّال ١٤: ٢٦٤، ح ٣٨٦٦٢؛ و الصواعق المحرقة: ٢٤٩؛ وإسعاف الراغبين: ١٤٥ ـ سنن أبي داود ٤: ١٠٤، ح ٤٢٨٤؛ سنن النسائي ـ كما في: عقد الدرر: ١٥؛ كفاية الطالب: ٤٨٦؛ وجواهر العقدين: ٣٠٣؛ وغيرهما ـ سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٨، ح ٤٠٨٦؛ وأخرجه الحافظ أبوبكر البيهقي ـ كما في عقد الدرر؛ وجواهر العقدين؛ والصواعق المحرقة ـ مصابيح السُنّة ٣:

←

٩. «المهديّ رجل من وُلدي، وجهه كالكوكب الدُرّي».

أخرجه الروياني، والسيوطي وصحّحه، والطبراني، وأبو نعيم، والديلمي، والكنجي عن حذيفة، عنه ﷺ[1].

١٠. في خطابه ﷺ لفاطمة كريمته: «ومنّا المهديّ، وهو من وُلدك».

أخرجه الطبراني في الأوسط، وابن المغازلي، والكنجي عن حذيفة، عنه ﷺ[2].

١١. «نحن وُلد عبد المطّلب سادات أهل الجنّة، أنا و حمزة و عليّ و جعفر والحسن والحسين والمهديّ».

أخرجه ابن ماجة، وأبو نعيم، [و] الثعلبي، والحاكم في المستدرك، و صاحب الأربعين، والكنجي، والديلمي، والحمويني عن أنس، عنه ﷺ[3].

---

← ٤٩٢، ح ٤٢١١؛ شرح السُنّة ٨: ٣٥٤، ح ٤٢٨٠؛ الجامع الصغير: ٥٥٢، ح ٩٢٤١؛ البيان في أخبار صاحب الزمان: ٤٨٦؛ كفاية الطالب: ٥١٣. وانظر: التأريخ الكبير ٣: ٣٤٦، الرقم ١١٧١؛ تأريخ الرقّة: ٩٤ ـ ٩٥، ح ١٤٢؛ المعجم الكبير ٢٣: ٢٦٧، ح ٥٦٦؛ المستدرك على الصحيحين ٥: ٧٧١ ـ ٧٧٢، ح ٨٧١٤ ـ ٨٧١٥. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ ﷺ ١: ١٣٦، ح ٧٤.

١. مسند الروياني ـ كما في العرف الوردي ٢: ٦٦؛ كنز العمّال ١٤: ٢٦٤، ح ٣٨٦٦٦؛ و غيرهما ـ؛ الجامع الصغير: ٥٥٣، ح ٩٢٤٥؛ الطبراني ـ كما في الصواعق المحرقة: ٢٥١ ـ الحافظ أبونُعيم ـ كما في العرف الوردي ٢: ٦٦ ـ؛ فردوس الأخبار ٢: ٣٥٩، ح ٦٩٤٠؛ البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥١٣. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ ﷺ ١: ١٣٠، ح ٧٢.

٢. المعجم الأوسط ٦: ٤٠٩، ح ٦٥٤٠؛ مناقب الإمام عليّ ﷺ: ١٢٩ ـ ١٣٠، ح ١٤٤؛ البيان في أخبار صاحب الزمان: ٤٨٦ و ٥٠٢؛ كفاية الطالب: ٥٠٢ ـ ٥٠٣. وانظر: المعجم الكبير ٣: ٥٧ ـ ٥٨، ح ٢٦٧٥؛ المعجم الصغير ١: ٣٧؛ عقد الدرر: ١٥٣؛ مجمع الزوائد ٩: ١٦٥. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ ﷺ ١: ١٤٣ ـ ١٥٣، ح ٧٦ ـ ٨٠.

٣. سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٨، ح ٤٠٨٧، الحافظ أبو نُعيم ـ كما في عقد الدرر: ١٤٤؛ والعرف الوردي ٢: ٥٨ ـ، أبو إسحاق الثعلبي ـ كما في: المستدرك على الصحيحين ٤: ٢٢٠، ح ٤٩٩٣؛ مطالب السؤول: ٣١٣؛ الأربعين ـ لأبي نعيم ـ، كما في كشف الغمّة ٢: ٤٣٨؛ البيان في أخبار صاحب الزمان: ٤٨٨؛ فردوس الأخبار ١: ٤٧، ح ١٤٥؛ فرائد السمطين ٢: ٣٢، ح ٣٧٠، كفاية الطالب: ٤٨٨. وانظر: تأريخ بغداد ٩: ٤٣٤، الرقم ٥٠٥٠؛ مناقب الإمام عليّ ﷺ ـ لابن المغازلي ـ: ٩٥، ح ٧١؛ ذخائر العقبى: ٤٦ و ١٦١؛ النهاية في الفتن والملاحم ـ لابن كثير ـ: ٢٧. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ ﷺ ١: ١٩٨، ح ١١٠.

١٢. «المهديّ منّا، يختم الدين بنا كما فتح بنا».

أخرجه الطبراني، عن عليّ عليه السلام، عنه صلى الله عليه وآله [١].

ورواه الكنجي، قال: «هذا حديث حسن عال، رواه الحفّاظ في كتبهم». وذكر رواية الطبراني له في الأوسط، وأبي نعيم في الحلية، وعبدالرحمن بن [أبي] حاتم في عواليه [٢].

ونحوه في كنز العمّال في حديث ذكره نعيم بن حمّاد، والطبراني وأبو نعيم، والخطيب في التلخيص [٣].

١٣. «ثمّ يخرج رجل منّي يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً».

أخرجه الطبراني، والبزّار، عن قرّة المزني، عنه صلى الله عليه وآله [٤].

١٤. «كيف تهلك أُمّة أنا في أوّلها، وعيسى بن مريم في آخرها، والمهديّ من أهل بيتي في وسطها ؟!».

أخرجه الحاكم، وابن عساكر، عن ابن عبّاس، عنه صلى الله عليه وآله [٥].

بيان: كون المهديّ في وسطها باعتبار أنّه يظهر أوّلاً، ثمّ ينزل المسيح ويصلّي خلفه ويكون من أعوانه، كما كثر ذلك في الحديث عنه صلى الله عليه وآله.

---

١. المعجم الأوسط ١: ٩٨، ح ١٥٧.

٢. كفاية الطالب: ٥٠٦ ـ ٥٠٧؛ البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٠٦ ـ ٥٠٧.

٣. كنز العمّال ١٤: ٥٩٨، ح ٣٩٦٨٢. وانظر الفتن: ٢٢٩؛ عقد الدرر: ١٤٢. و راجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ٢٤٨، ح ١٥٤.

٤. المعجم الكبير ١٠: ١٣٦ ـ ١٣٧، ح ١٠٢٢٩ و ج ١٩: ٣٢، ح ٦٨. وانظر: مجمع الزوائد ٧: ٣١٤؛ كنز العمّال ١٤: ٢٦٦، ح ٣٨٦٦٩. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ١٧٠، ح ٩٨.

٥. المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٨٥، ح ٤٤٠٨ بتفاوت، وصحّحه على شرط الشيخين؛ تأريخ دمشق ٥: ٣٩٥، ح ١٣١٠. وانظر: قصص الأنبياء ـ للثعلبي ـ: ٤٠٤؛ مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ لابن المغازلي ـ: ٣١٣، ح ٤٤٩؛ عقد الدرر: ١٤٦ ـ ١٤٧؛ البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٠٨؛ فرائد السمطين ٢: ٣٣٨ ـ ٣٤٠، ح ٥٩٢ و ٥٩٣؛ كنز العمّال ١٤: ٢٦٦، ح ٣٨٦٧١ و ص ٢٦٩، ح ٣٨٦٨٢. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ٥٢٢، ح ٣٥٩.

١٥. «منّا الذي، يصلّي خلفه عيسى بن مريم».

أخرجه أبو نعيم في كتاب المهديّ، والكنجي عن أبي سعيد، عنه ﷺ [١].

١٦. «ومنّا مهديّ الأُمّة الذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم»، ثمّ ضرب على منكب الحسين، وقال:«مِن هذا مهديّ الأُمّة».

أخرجه الدارقطني، والكنجي عن أبيسعيد، عنه ﷺ [٢].

١٧. «حتّى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً».

أخرجه الحاكم، وابن ماجة، والكنجي عن ابن مسعود، عنه ﷺ [٣].

١٨. «لا تذهب الدنيا حتّى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي».

أخرجه الترمذي عن ابن مسعود، عنه ﷺ [٤].

هذا بعض ما جاء في كتب أهل السُنّة من الأحاديث المُسندة في شأن المهديّ عليه السلام.

---

١. البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٠٠؛ كفاية الطالب: ٥٠٠. وانظر: عقد الدرر: ٢٥ و ١٥٧ و ٢٣٠؛ كنز العمّال ١٤: ٢٦٦، ح ٣٨٠٧٣. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ٥٣٥، ح ٣٦٥.

٢. البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٠٢ ـ ٥٠٣ و قال: «هكذا أخرجه الدار قطني صاحب الجرح و التعديل»؛ كفاية الطالب: ٥٠٢ ـ ٥٠٣. وانظر الفصول المهمّة ـ لابن الصبّاغ المالكي ـ: ٢٩٦. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ١٤٧، ح ٧٨.

٣. المستدرك على الصحيحين ٤: ٦٥٧ ـ ٦٥٨، ح ٨٤٨٢؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٦، ح ٤٠٨٢؛ البيان في أخبار صاحب الزمان: ٤٩١؛ كفاية الطالب: ٤٨٠ ـ ٤٨١، وانظر: الفتن ـ لنعيم بن حمّاد ـ: ١٨٨؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٨: ٦٩٧، ح ٧٤ كتاب الفتن؛ الكنى والأسماء ـ للدولابي ـ ٢: ٢٦ مختصراً؛ مسند الشاشي ١: ٣٦٢، ح ٣٥١؛ الصواعق المحرقة: ٢٥٠. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ٣٨١، ح ٢٤٥.

٤. الجامع الصحيح ٤: ٤٣٨، ح ٢٢٣٠. وانظر سنن أبي داود ٤: ١٠٤، ح ٤٢٨٢؛ مسند أحمد ١: ٦٢٢، ح ٣٥٦٣، و ٧١٠، ح ٤٠٨٧؛ المعجم الكبير ١٠: ١٣٤، ح ١٠٢١٨؛ مسند الشاشي ٢: ١١٠، ح ٦٣٤؛ تأريخ أصبهان ١: ٣٨٦، الرقم ٧٢٠؛ مصابيح السُنّة ٣: ٤٩٢، ح ٤٢١٠؛ مشكاة المصابيح ٣: ١٧٠، ح ٥٤٥٢؛ عقد الدرر: ٢٩. وراجع معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ١١٥، ح ٦٨.

وقال الشيخ عبدالحقّ[1] في اللمعات:

قد تظاهرت الأخبار ـ البالغة حدّ التواتر معنىً ـ في كون المهديّ من أهل البيت، من وُلد فاطمة عليها السلام[2].

**وأمّا ما جاء من طُرق الشيعة ومسانيدهم،** فهو ممّا يضيق عن ذِكره هذا المجال.

وفي رسالة نصائح الهدى لبعض كتبتنا ـ المطبوعة في بغداد سنة ١٣٣٠[3] ـ ذكر من ذلك ـ من طرق الشيعة وأهل السُنّة، بالأسانيد المعتبرة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وعن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ـ مائة و سبعة أحاديث، كلّها تُصرّح أو تعيّن أنّ المهديّ هو ابن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، ذكر ذلك من صفحة ٩٤ إلى ١٣٤[4].

## [نزول المسيح وائتمامه بالمهديّ عليه السلام]

وأمّا ما جاء عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وصلاته خلف المهديّ عليه السلام، ومؤازرته له، فيكفينا أن نشير هنا إلى ما جاء منه في رواية أهل السُنّة، وهو كثير، ومنه:

---

١. هو عبدالحقّ بن سيف الدين بن سعد الله الدهلوي، وُلد سنة ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م، و توفّي سنة ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م، فقيه حنفي، صوفي، محدّث الهند في عصره، مشارك في بعض العلوم، جاور في الحرمين الشريفين أربع سنوات، وأخذ عن علمائهما، له مصنّفات كثيرة باللغتين العربيّة والفارسيّة، منها: لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح؛ رسالة في أقسام الحديث؛ مطالع الأنوار البهيّة في الحلية النبويّة؛ أخبار الأخيار في أسرار الأبرار. انظر: فهرس الفهارس والأثبات ٢: ٧٢٥، الرقم ٣٨٣؛ معجم المؤلّفين ٢: ٥٨، الرقم ٦٦٢٦؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٨٠.

٢. لمعات التنقيح مخطوط. والأحاديث الثمانية عشر التي أوردها الشيخ البلاغي رحمه الله تبيّن ذلك.

٣. كذا في الأصل المطبوع، وهو خطأ مطبعي، والصحيح السنة ١٣٣٩هـ، كما هو مثبت على طبعة الكتاب. وكتاب نصائح الهدى والدين إلى من كان مسلماً وصار بابيّاً هو ممّا جاد به يراع الشيخ البلاغي رحمه الله نفسه، وإنّما نسبه هنا لبعض كتبته تواضعاً ونكراناً للذات، كما هي عادته، وكلُّ من ترجم له قد نسب الكتاب إليه.

٤. و قد أحصيتُ الأحاديث بـ ١١٠ بدلاً من ١٠٧ بعد إعادة ترقيم الأحاديث.

١. ما أخرجه ابن عساكر عن ابن عمر، عنه ﷺ[١].

٢. وابن ماجة، وابن خزيمة، والضياء، والحاكم، والطبراني، وابن حبّان، والكنجي عن أبي أُمامة، عنه ﷺ[٢].

٣. وأحمد، وابن خزيمة، وأبو يعلى، والحاكم، والضياء عن جابر، عنه ﷺ[٣].

٤. وأحمد، ومسلم، وابن أبي أُسامة، وأبو نعيم، والكنجي عن جابر، عنه ﷺ[٤].

٥. والبخاري، ومسلم عن أبي هريرة، عنه ﷺ[٥].

٦. وأحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجة عن أبي هريرة، عنه ﷺ[٦].

٧. وإسحاق بن بشر، وابن عساكر عن ابن عبّاس، عنه ﷺ[٧].

٨. وأحمد، ومسلم، والأربعة عن حذيفة بن أسِيد، عنه ﷺ[٨].

٩. وابن جرير عن حذيفة بن اليمان، عنه ﷺ[٩].

---

١. انظر تأريخ دمشق ٤٧: ٥٠٠ ـ ٥٠١، ح ١٠٣١٧ ـ ١٠٣٢١ من عدّة طرق.

٢. سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦١، ح ٤٠٧٧؛ المستدرك على الصحيحين ٥: ٦٧٤، ح ٨٥٢٠؛ المعجم الأوسط ٩: ١٧٤، ح ٩٢٠٣ عن نافع؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٨: ٢٨٣، ح ٦٧٦٤ عن أبي هريرة، وفي ص ٢٨٩، ح ٦٧٨٠ عن جابر؛ البيان في أخبار صاحب الزمان: ٤٩٩، ح ١٢٥٥، وقال: «هذا حديث صحيح ثابت» و عن أبي سعيد في ص ٥٠٠، ح ١٢٥٦؛ كفاية الطالب: ٥١٩. وانظر: العرف الوردي ٢: ٦٥ عن ابن خزيمة؛ كنز العمّال ١٤: ٢٩٤، ح ٤٨٧٤٢ عن ابن خزيمة والضياء والحاكم.

٣. مسند أحمد ٤: ٣٠٧، ح ١٤٣١٠، و ٣٧٢، ح ١٤٧٠٧؛ مسند أبي يعلى ٤: ٥٩ ـ ٦٠، ح ٢٠٧٨. وانظر كنز العمّال ١٤: ٣٢٥ ـ ٣٢٦، ح ٣٨٨١٩ عن ابن خزيمة والحاكم والضياء المقدسي.

٤. صحيح مسلم ١: ١٣٧، ح ١٥٦/٢٤٧؛ البيان في أخبار صاحب الزمان: ٤٩٦ ـ ٤٩٧، ح ١٢٥١ وعن ابن أبي أُسامة و أبي نُعيم في صفحة ٥٠٧، ح ١٢٧٣، وقال: «هذا حديث حسن، رواه... رُزقناه عالياً»؛ كفاية الطالب: ٤٩٦ و ٥٠٧.

٥. صحيح البخاري ٣: ١٢٧٢، ح ٣٢٦٥؛ صحيح مسلم ١: ١٣٦، ح ٢٤٤.

٦. مسند أحمد ٢: ٥٣٢، ح ٧٦٢٣؛ الجامع الصحيح ٤: ٤٣٩، ح ٢٢٣٣؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٣، ح ٤٠٧٨.

٧. انظر كنز العمّال ١٤: ٦١٨ ـ ٦١٩، ح ٣٩٧٢٦ عن إسحاق وابن عساكر.

٨. انظر عقد الدرر: ٣٢٧.

٩. المصدر: ٢٢٩ ـ ٢٣٠ و ٣٢٨.

١٠. وأحمد، ومسلم، والترمذي عن النوّاس بن سمعان، عنه ﷺ[١].

١١. والترمذي عن مُجَمِّع بن جارية، عنه ﷺ[٢].

وقال الترمذي:

وفي الباب: عن عمران بن حصين، ونافع بن عتبة، وأبي برزة، وحذيفة بن أسِيد[٣]، وأبي هريرة، وكيسان، و عثمان بن أبي العاص[٤]، وجابر، وأبي أُمامة، وابن مسعود، وعبدالله بن عمر، وسمرة[ابن جندب] والنوّاس بن سمعان، وعمر بن عوف، وحذيفة بن اليمان.

١٢. وأحمد، ومسلم عن ابن عمر، عنه ﷺ[٥].

١٣. وأحمد، والطبراني، والروياني، والضياء عن سمرة، عنه ﷺ[٦].

١٤. والطبراني عن عبدالله بن مغفل، عنه ﷺ[٧].

---

١. مسند أحمد ٥: ١٩٦، ح ١٧١٧٧؛ صحيح مسلم ٤: ٢٢٥٠ـ ٢٢٥٥، ح ٢١٣٧/١١٠؛ الجامع الصحيح ٤: ٥١١ ـ٥١٣، ح ٢٢٤٠.

٢. الجامع الصحيح ٤: ٥١٦، ذيل الحديث ٢٢٤٤.

٣. في المصدر: «حذيفة بن أبي أَسِيد» وهو سهو، والصحيح ما في المتن. انظر: تهذيب التهذيب ٢: ١٩٧، الرقم ١٢٠٧؛ تهذيب الكمال ٤: ١٩٠، الرقم ١١٢٨.

٤. كذا في الأصل، وفي المصدر: «العاصي»؛ وهو الصحيح في كتابته لغةً؛ إذ أنّه من الأسماء المنقوصة، وهي كلّ اسم معرب في آخره ياء ثابتة مكسور ما قبلها، وحكمه الإعرابي حذف الياء منه في حالتي الرفع والجرّ كقولنا: هذا قاضٍ... ومررتُ بقاضٍ، وإثباتها عند الإضافة ودخول «أل» التعريف عليها، كقولنا: جئتُ من عند قاضي القضاة... والقاضي العادل أمان للضعفاء، وثبوتها في حالة النصب أيضاً كقولنا: رأيتُ قاضياً.
وقد شاع بين الكُتّاب والمتأدّبين من العصر الأوّل حتّى يومنا هذا كتابته بحذف الياء، وهو ليس بصحيح.
قال المبرّد: «هو العاصِيُ، بالياء، لا يجوز حذفها، وقد لهجتِ العامّةُ بحذفها».
انظر تاج العروس ١٩: ٦٨٢، «ع ص ى».

٥. مسند أحمد ٢: ٩٧، ح ٤٧٢٩، و ١٢٨، ح ٤٩٥٨؛ صحيح مسلم ١: ١٥٤، ح ١٦٩/٢٧٣.

٦. مسند أحمد ٥: ٦٤٠، ح ١٩٦٣٨؛ المعجم الكبير ٧: ٢٢١، ح ٦٩١٩ و ص ٢٦٥، ح ٧٠٨٢؛ مسند الروياني ٢: ٣٨ـ ٣٩، ح ٨٢٨. وانظر كنز العمّال ١٤: ٣١٨، ح ٣٨٧٩٥ عن الضياء.

٧. المعجم الأوسط ٥: ٨٦ ـ ٨٧، ح ٤٥٨٠. وانظر: مجمع الزوائد ٧: ٣٣٥ ـ ٣٣٦؛ كنز العمّال ١٤: ٣٢١، ح ٣٨٨٠٨، كلاهما عن المعجمين الكبير والأوسط.

١٥. وأحمد، ومسلم عن عائشة، عنه ﷺ[١].

## [الإمامة عند الشيعة]

ثمّ قال الكاتب على أثر مقاله الأوّل:

ويرجع ذلك إلى أنّه حدث في صدر الإسلام أن نهض جماعة شايعوا عليّ بن أبي طالب في إمامته، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده؛ وحجّتهم في ذلك أنّ الإمامة قضيّة ليست من المصالح العامّة التي تُطرح أمام الجمهور لإبداء رأيه فيها، بل هي وصيّة يوصيها القائم بالأمر إلى من يخلفه، ويتعيّن أن تخضع هذه الأُمّة لهذه الوصيّة.

وتلك الجماعة ـ التي يُطلق عليها اسم «الشيعة» في التأريخ ـ تقول: إنّ النبيّ ﷺ أوصى بإمامة عليّ قبل موته، وقال في ذلك أقوالاً كثيرةً، مثل: «من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه»[٢].

---

١. مسند أحمد ٧: ١١١، ح ٢٣٩٤٦، ولم نعثر عليه في صحيح مسلم. وانظر تأريخ دمشق ٤٧: ٤٩٧ ـ ٤٩٨، ح ١٠٣١٥ و ١٠٣١٦.

٢. وحديث الغدير صحيح متواتر، بل في أعلى درجات التواتر، قطعي الصدور، واضح الدلالة جليُّها على إمامة أمير المؤمنين عليّ ﷺ بالرغم من محاولات التعتيم عليه، وطمس معالمه، وكتم الكاتمين!! فقد قاله النبيّ الأكرم ﷺ أكثر من مرّة، وأشهرها وآخرها ما قاله ﷺ عند منصرفه من حجّة الوداع، في ١٨ ذي الحجّة من السنة العاشرة للهجرة، ورواه عنه أكثر من مائة صحابي؛ ثمّ كانت مناشدات أمير المؤمنين الإمام عليّ ﷺ الصحابةَ به لإثبات حقّه بالخلافة مشهورة.

وقد روي هذا الحديث في أُمّهات مصادر الجمهور، فانظر الجامع الصحيح ٥: ٥٩١، ح ٣٧١٣؛ السنن الكبرى ـ للنسائي ـ ٥: ١٣٠ ـ ١٣٢، ح ٨٤٦٤ ـ ٨٤٧٣؛ سنن ابن ماجة ١: ٤٣، ح ١١٦ و ص ٤٥، ح ١٢١؛ مسند أحمد ١: ١٣٥، ح ٦٤٢، و ٥: ٣٥٥، ح ١٨٠١١؛ التأريخ الكبير ـ للبخاري ـ ١: ٣٧٥، الرقم ١١٩١؛ مصنّف عبد الرزّاق ١١: ٢٢٥، ح ٢٠٣٨٨؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٤٩٤ ـ ٤٩٦، ح ٢ و ٩ و ١٠؛ مسند البزّاز ٢: ١٣٣، ح ٤٩٢ و ص ٢٣٥، ح ٦٣٢؛ مسند أبي يعلى ١: ٤٢٨ ـ ٤٢٩، ح ٥٦٧ و ج ١١: ٣٠٧، ح ٦٤٢٣؛ المعجم الكبير ٥: ١٧٠ ـ ١٧٢، ح ٤٩٨٣ ـ ٤٩٨٦؛ المعجم الأوسط ٢: ١٠، ح ١١١٥.

←

وغير خفيٍّ من الأحاديث المتقدّمة، والمشار إليها، وأضعافها ممّا لم نذكره، بل من اتّفاق المسلمين في أمر المهديّ والمسيح، أنّ أمر المهديّ يرجع إلى تبليغ رسول الله وبشراه في تعاليم دين الإسلام.

وأمّا اعتقاد الشيعة في الإمامة، فحججهم فيه معروفة عنهم ـ لمن له معرفة ـ مدوّنةٌ في كتبهم، المنتشر مطبوعها ومخطوطها في أطراف العالم، مجهّزة بالحجج النيّرة الباهرة من الكتاب والسُنّة والعقل.

ومن جملة ذلك: أنّهم يقولون: إنّ نصب الإمام، و تعيين الذي هو صالح للإمامة الدينيّة ـ بحسب علمه، وكماله الظاهر والباطن، وملَكاته الراقية الزكيّة الثابتة المستمرّة ـ إنّما يكون من الله تبارك اسمه وجلّت آلاؤه، ويكون ذلك بعهد متّصل بالرسول ﷺ، مستند إلى الوحي الإلهي.

وحجّتهم في ذلك من الكتاب المجيد تُؤخذ من قوله تعالى لخليله إبراهيم: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1].

فإنّه واضح الدلالة على أنّ الإمامة الدينيّة وزعامتها العامّة هي عهد الله وبجعله، ولا تنال الظالمين، بل تجري على روح الصلاحيّة الدينيّة وحقيقة مصالح البشر ورغائبهم الصالحة بواسطة العهد بأمرها إلى الصالح الكامل المقدّس في الظاهر والباطن، وهو من يعلم الله أن لا يظلم غيره ولا نفسه بتعدّي الحدود الشرعيّة والمعقولة، كما يشير إلى ذلك

---

← ولخطورة حديث الغدير وواقعته في تأريخ الإسلام فقد تناوله المؤلّفون عبر القرون ـ على اختلاف مذاهبهم وتخصّصاتهم ولغاتهم ـ بتخريج طرقه وألفاظه، والبحث فيه سنداً ودلالةً، ونظم الواقعة شِعراً.

فقد استوفى البحث فيما يتعلّق بذلك كلّه وما يرتبط به من بحوث علميّة تأريخيّة ورجاليّة وأدبيّة، العلّامة الشيخ عبدالحسين الأمينيّ ﵀ في موسوعته الغدير، والعلّامة السيّد عليّ الحسيني الميلاني ـ حفظه الله ورعاه ـ في الأجزاء ٦ ـ ٩ من موسوعته نفحات الأزهار.

هذا، وقد أحصى ممّا أُلّف في الغدير المحقّق السيّد عبد العزيز الطباطبائي ﵀ في كتابه: الغدير في التراث الإسلامي ما يقرب من مائتي كتاب ورسالة، مرتّبة حسب القرون؛ فللّه درّهم و عليه أجرهم.

١. راجع مثلاً: تقريب المعارف: ١٩١؛ قواعد العقائد: ٤٦٠. والآية في البقرة (٢): ١٢٤.

بفحواه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[١].

وحجّتهم من العقل ما يرشد إلى وجهه المشرق وَحْيُ الآيتين الكريمتين، وهو أنّ الإمامة الشرعيّة والزعامة العامّة الدينيّة التي تخلف مقام الرسالة وزعامتها، وتنوب عنها في وظائفها، إنّما هي زعامة ومصلحة عامّة للبشر، لا تختصّ بأُمّة ولا قوميّة ولا بمصلحة قطر خاصّ أو قادة مخصوصة، بل تسري بصلاحها العامّ مع الدين حيثما سار، يداً بيد، وجنباً لجنب.

ويشترك في أمرها وفائدتها وشؤونها ونفوذها كلٌّ من الأرملة، واليتيم، والطفل، والهرم، والضعيف، والقويّ، والعاجز، والعبد، والمولى، والفقير، والغنيّ، والصالح، وغيره. وهي أكبر مصلحة عامّة ينتظم بها الصلاح والإصلاح لأُمور البشر، ولا يكون من ذلك على الوجه المطلوب فيها والكامل في الصلاح، إلّا ما استند إلى علم الله القدّوس العليم واختياره.

فمن الغرائب ـ التي لا قيمة لها في سوق المعرفة والأدب والصدق والأمانة ـ قول القائل:

وحجّتهم في ذلك أنّ الإمامة ليست من المصالح العامّة التي تُطرح أمام الجمهور لإبداء رأيه فيها!

وكأنّه بهذا الكلام يرثي لحقوق الأُمّة، ويسكب لها عبرات الرحمة!

كفكف دموعَكَ أيّها الكاتب!! فإنّ مبدأ الشيعة بالوصيّة بالإمامة المُسنَدة إلى الرسول وإلى الوحي مبنيٌّ ومؤسّس على أحسن الوجوه وأصحّها في رعاية الصالح لعامّة البشر في الحال والمستقبل، ومطابقة الرغائب الصحيحة الصالحة الحرّة لجميع الناس بالنحو الجاري بروح اللطف الإلهي والعدل والحكمة، والمنزَّه عن الخطإ، والخداع، والاستبداد، والمحاباة، وعن تدخّل المُدلّسين في الحلّ والعقد وتمثيل الأُمّة، والذين يكمّون أفواه ذوي الحقوق بالضربة القاضية، و عن تمويه الاستبداد والضغط

---

١. الأنعام (٦): ١٢٤.

والاستعباد باسم الحرّيّة، وعن، وعن، و عن... .

ألا تدري أنّ الشيعة ينسبون هذه الوصيّة من إمام إلى إمام إلى عهد الرسول إلى عهد الله واختياره؟!([1]).

أوَليس الله بأنظر لخلقه منهم لأنفسهم، وأحسن رعايةً لمصالحهم العامّة والخاصّة؟! وهو القدّوس الحكيم الذي أحاط بكلّ شيء علماً، والغنيّ المطلق، واللطيف الرؤوف الرحيم.

وإنّ اختياره للإمام هو روح الرعايةِ لعامّةِ البشر وصلاح أمرهم، والنظر إلى المستقبل في شؤون الإمام والرعيّة، وهو الجامع لكلّ حكمة وفائدة تفرض في اجتماع الآراء، والمنزَّه من نقائص البشريّة، من حيث الجهل والخداع و التدليس والاستبداد والاستئثار والضغط والمحاباة والمَيل وجرّ النار إلى القرص والاستعجال واغتنام الفرص.

إذاً فالإمامة على مبدإ الشيعة تجري على أرقى وأحسن وجه في صلاح البشر، والرعاية لحقوقهم، ومساواة الضعيف بالقويّ.

وهل تُنكر بعد هذا ـ أيّها الكاتب ـ وجوب خضوع الأُمّة لهذه الوصيّة المستندة إلى الرسول وتعيينه واختياره القائم بحقيقة الصلاح العامّ؟!

وقد كتبَ الشيعة مبدأهم هذا ودوّنوه في كتبهم مدعوماً بالبراهين وموازين المنطق ونواميس المعقول([2])، فإنْ كانت لك مناقشة فيما دوّنوه، فهلمّ إلى البحث النزيه، فإنّ الحقيقةَ بِنتُه!

**وأمّا تعرّضك لقول الشيعة** بوصيّة الرسولﷺ بإمامة عليٍّ، فدع أمر هذه الوصيّة لِما مضى، وإن كانت رغماً عن الكوارث المتتابعة تثبت وجودها، وتظهر ذاتها بالمظاهر الجليّة، من خصوص روايات أهل السُنّة في مسانيدهم وجوامعهم وغير ذلك من كتبهم، تتجلّى منه

---

١. راجع الكافي ١: ٢٧٧ ـ ٢٧٩، باب أنّ الإمامة عهد من اللّه عزّ وجلّ معهود من واحدﷺ، ح ١ ـ ٤.

٢. راجع مثلاً: أوائل المقالات: ٦٤ ـ ٦٥؛ الذخيرة في علم الكلام: ٤٠٩ ومابعدها؛ تجريد الاعتقاد: ٢٢١ ومابعدها.

أحاديث الغدير[١]، والمنزلة[٢]، والولاية[٣]، والخلافة[٤]، والوصية[٥]، والثقلين[٦]، وغير ذلك.

---

١. مرّ تخريجه مختصراً في ص ١٤.

٢. إشارة إلى قول الرسول ﷺ لعليّ عليه السلام : «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ من بعدي»، وقد روي الحديث في أُمّهات مصادر الجمهور، فانظر مثلاً: صحيح البخاري ٣: ١٣٥٩، ح ٣٥٠٣، و ٤: ١٦٠٢، ح ٤١٥٤؛ صحيح مسلم ٤: ١٨٧٠، ح ٣٠/٢٤٠٤؛ الجامع الصحيح ٥: ٥٩٨ ـ ٥٩٩، ح ٣٧٣٠ و ٣٧٣١؛ سنن ابن ماجة ١: ٤٥، ح ١٢١؛ السنن الكبرى ـ للنسائي ـ ٥: ٤٤ ـ ٤٥، ح ٨١٣٨ ـ ٨١٤٣، و ص ١٠٧ ـ ١٠٨، ح ٨٣٩٩ و ص ١١٩ ـ ١٢٥، ح ٨٤٢٩ ـ ٨٤٤٩؛ مسند أحمد ١: ٢٩٢، ح ١٥٥٠، و ٣: ٤١٧، ح ١٠٨٧٩؛ مسند البزّاز ٣: ٢٧٦ ـ ٢٧٧، ح ١٠٦٥ ـ ١٠٦٦، و ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩، ح ١٠٦٨، و ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥، ح ١٠٧٤ ـ ١٠٧٦؛ مسند أبي يعلى ٢: ٨٦ ـ ٨٧، ح ٧٣٨ و ٧٣٩، و ص ٩٩، ح ٧٥٥؛ المعجم الكبير ١: ١٤٦، ح ٣٢٨، و ص ١٤٨، ح ٣٣٣ و ٣٣٤ و ج ٥: ٢٢١، ذيل الحديث ٥١٤٦.

وراجع الجزءين ١٧ و ١٨ من موسوعة نفحات الأزهار ففيه كلّ ما يتعلّق بالحديث وما يرتبط به من بحوث علميّة.

٣. إشارة إلى أحاديث كثيرة، منها قول الرسول ﷺ عن عليٍّ عليه السلام : «هو وليّ كلّ مؤمن بعدي» انظر مثلاً: الجامع الصحيح ٥: ٥٩٠، ح ٣٧١٢؛ السنن الكبرى ـ للنسائي ـ ٥: ١٢٦، ح ٨٤٥٣؛ مسند أحمد ٥: ٦٠٦، ح ١٩٤٢٦؛ المعجم الكبير ١٨: ١٢٨، ح ٢٦٥؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٤١ ـ ٤٢، ح ٦٨٩٠ و ٦٨٩١؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٧٣، ح ٤٦٣٦؛ تأريخ دمشق ٤٢: ١٩٧ ـ ١٩٩، ح ٨٦٦٢ ـ ٨٦٦٥.

وراجع الجزءين ١٥ و ١٦ من موسوعة نفحات الأزهار ففيه كلّ ما يتعلّق بالحديث وما يرتبط به من بحوث علميّة.

٤. إشارة إلى أحاديث للرسول الكريم ﷺ كثيرة في حقّ عليّ عليه السلام ، منها يوم الدار قوله ﷺ : «إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»، انظر مثلاً: مسند أحمد ١: ١٧٨، ح ٨٨٥؛ السنن الكبرى ـ للنسائي ـ ٥: ١٢٦، ح ٨٤٥١؛ تأريخ الطبري ١: ٥٤٢ ـ ٥٤٣؛ تأريخ دمشق ٤٢: ٤٩ ـ ٥٠، ح ٨٣٨١ و ٨٣٨٢؛ مجمع الزوائد ٩: ١١٣؛ كنز العمّال ١٣: ١٣١ ـ ١٣٣، ح ٣٦٤١٩.

٥. إشارة إلى أحاديث كثيرة للرسول ﷺ في عليّ عليه السلام ، قالها في مواطن متعدّدة، منها قوله ﷺ : «لكلّ نبيّ وصي ووارث، وإنّ عليّاً وصيّي ووارثي». وفي لفظ: «إنّ وصيّي ووارثي عليّ بن أبي طالب». فانظر مثلاً: مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ لابن المغازلي ـ: ١٩٢، ح ٢٣٨؛ فردوس الأخبار ٢: ١٩٢، ح ٥٠٤٧؛ مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ للخوارزمي ـ: ٨٤ ـ ٨٥، ح ٧٤؛ ذخائر العقبى ١٣١ ـ ١٣٢؛ تأريخ دمشق ٤٢: ٣٩٢، ح ٩٠٠٥ و ٩٠٠٦.

٦. وحديث الثقلين من الأحاديث المتواترة، وله طرق عديدة وألفاظ مختلفة، ومن ألفاظه أنّ الرسول ﷺ قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّوجلّ وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض، فانظروني بم تخلفوني فيهما»، ←

وإنّا بالنسبة للوئام وتوحيد الكلمة أشدّ احتياجاً منّا إلى إيراد الأدلّة والإدلاء بالحجج على هذه الحقيقة.

نعم، قد اعترضت الفترة[1] في نفوذ الإمامة الشرعيّة الدينيّة بأسباب بشريّة؛ إذ عرقل الناس مساعيها الكريمة، حيث إنّ الله لا يُلجئ عبادَه في أفعالهم وتروكهم، بل يريد منهم الطاعة الاختياريّة، لكي يرتقوا باختيارهم إلى معارج الكمال وسعادة الحال والمستقبل، بعد أن أرشدهم إلى سبيل الرشاد، وأقام لهم علم الهدى بتبليغ الرسول المتكرّر المؤكَّد كما يقتضيه لطفه و رحمته.

وعندئذٍ فالشيعة يقولون ـ كسائر المتمدّنين ـ: إنّ الزعامة السياسيّة الزمنيّة المدنيّة، القائمة بالأمن العامّ وانتظام المدنيّة، والمكافِحة لموبقات الفوضويّة، من شأنها وواجبها أن تُطرح أمام الجمهور وعامّة الرعيّة لإبداء رأيهم الحرّ فيها، من دون تدخّل كيت وكيت في أمرها، كما تشير إليه احتياطات الحكومة المتمدّنة في الانتخابات للاختيار والتأسيس.

---

← انظر مثلاً: صحيح مسلم ٧: ١٢٢ ـ ١٢٣؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٢١، ح ٣٧٨٦ و ص ٦٢٢، ح ٣٧٨٨؛ السنن الكبرى ـ للنسائي ـ ٥: ٤٥، ح ٨١٤٨ و ص ١٣٠، ح ٨٤٦٤؛ سنن الدارمي ٢: ٢٩٢، ح ٣٣١١؛ مسند أحمد ٣: ٣٨٨، ح ١٠٧٢٠، و ٣٩٣ ـ ٣٩٤، ح ١٠٧٤٧، و ٤٠٨، ح ١٠٨٢٧؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٤١٨، ح ٤١؛ مسند البزّاز ٣: ٨٩، ح ٨٦٤؛ مسند أبي يعلى ٢: ٢٩٧، ح ١٠٢١، و ص ٣٠٣، ح ١٠٢٧؛ صحيح ابن خزيمة ٤: ٦٢ ـ ٦٣، ح ٢٣٥٧؛ المعجم الكبير ٥: ١٥٤، ح ٤٩٢٣، و ص ١٦٦ ـ ١٦٧، ح ٤٩٦٩ ـ ٤٩٧١.

وراجع ماكتبه العلّامة السيّد عليّ الحسيني الميلاني ـ حفظه الله ورعاه ـ في الأجزاء ١ ـ ٣ من موسوعته نفحات الأزهار من بحوث علميّة فيما يتعلّق بالحديث وما يرتبط به.

وأمّا فيما يخصّ لفظ «كتاب الله وسُنّتي» فانظر ما كتبه السيّد عليّ الحسيني الميلاني في كتابه الآخر: حديث الثقلين تواتره، فقهه... كما في كتب السُنّة. ورسالته في حديث الوصيّة بالثقلين: الكتاب والسُنّة.

وكذلك ما كتبه الشيخ جلال الدين الصغير ـ حفظه الله ورعاه ـ في كتابه عصمة المعصوم عليه السلام وفق المعطيات القرآنيّة: ٢٠٥ ـ ٢٤٢.

١. الفَتْرَةُ: ما بين كلّ نبيَّين، وما بين كلّ رسولين من رسل الله عزّوجلّ من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة؛ انظر لسان العرب ٥٠: ٤٤، «ف ت ر».

والمعنى هنا: هو عدم تمكّن الإمام عليه السلام من تولّي الخلافة بلا فصل وبسط يده على العباد والبلاد، أو المراد هو زمان الغَيبة.

## [قيام الإمام الحسين عليه السلام]

وقال الكاتب:

قام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام مدفوعاً بإغراء الشيعة بأنّها ـ أي الإمامة ـ من حقّه الطبيعي، فاعتبره يزيد ـ الخليفة الأُموي، القائم بالأمر وقتئذٍ ـ ثائراً، فأرسل إليه جيشاً هزمه وقتله في وقعة كربلاء سنة ٦١. فهزّ قتل الحسين بناء الإسلام هزّاً عنيفاً، كان من نتائجه أن اضطربت الدولة في جميع الأرجاء.

فمن الطبيعي ـ والحالة هذه ـ أن يلجأ الناس إلى العناية الإلهيّة، وما لبثوا أن ساد الاعتقاد بأنّه لابُدّ لقمع تلك الفوضى من رجلٍ يرسله الله فيهدي القوم.

لم يقم الحسين عليه السلام لمنصب الإمامة والطلب بحقّها إلّا لعلمه بأنّه الإمام المنصوب من الله، والمعهود له بالإمامة بعد أخيه الحسن عليه السلام.

والمنصوص عليه ـ مع ذلك ـ بقول الرسول الأمين صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[1].

والعَلم الشاخص الهادي في وقته.

وعديل كتاب الله من العترة، أهل البيت، المنصوص عليهم في حديث الثقلين أو الخليفتين[2]، وهو الحديث المرويّ بالأسانيد المتعدّدة الكثيرة العالية، عن نيّف وعشرين صحابيّاً.

وهو الخامس من أهل الكساء، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً،

---

١. انظر: مناقب آل أبي طالب ٣: ٤٤٥، وفيه: «واجتمع أهل القِبلة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»؛ ومنهاج السُنّة ٤: ٦ وفيه: «إمامان بنصّ النبيّ».

٢. تقدّم تخريجهما قبيل هذا.

كما روي بطرق متعدّدة متضافرة من كلٍّ من الفريقين[١].

وسيّد شباب أهل الجنّة، كما أخرجه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن حبّان عن حذيفة، عنه ﷺ[٢].

وأحمد، وأبو يعلى، وابن حبّان، والطبراني، والحاكم في المستدرك عن أبي سعيد، عنه ﷺ[٣].

والطبراني، وأبو نعيم عن عليّ، عنه ﷺ[٤].

---

١. من الثابت المسلّم به بين الفريقين نزول آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب (٣٣): ٣٣] في خصوص الرسول الأكرم و عليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم، وخروج بقيّة بني هاشم وأقرباء النبيّ ﷺ وزوجاته من مراد الآية. أمّا ما في مصادرنا، فنحن في غنىً عن ذِكره لإثباته؛ لأنّ ذلك من أوضح الواضحات ومن ضروريّات مذهبنا، وأمّا ما ورد في مصادر الجمهور، فانظر مثلاً: صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣، ح ٢٤٢٤/٦١؛ الجامع الصحيح ٥: ٣٥١، ح ٣٢٠٥، وص ٦٦٣، ح ٣٧٨٧، وص ٦٩٩، ح ٣٨٧١، السنن الكبرى ـ للنسائي ـ ٥: ١٠٧ ـ ١٠٨، ح ٨٣٩٩؛ مسند أحمد ١: ٥٤٤، ح ٣٠٥٢؛ ٤: ١٥٧، ح ١٣٣١٧؛ فضائل الصحابة ـ لابن حنبل ـ ٢: ٧٢٦ـ ٧٢٨، ح ٩٩٤ ـ ٩٩٦؛ مسند الطيالسي: ٢٧٤، ح ٢٠٥٩؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٥٠١، ح ٣٩ ـ ٤٠، وص ٥٢٧، ح ٤؛ مسند عبد بن حميد: ١٧٣، ح ٤٧٥، وص ٣٦٧ ـ ٣٦٨، ح ١٢٢٣؛ التاريخ الكبير ـ الكنى ـ ٨: ٢٥ ـ ٢٦، الرقم ٢٠٥؛ السنّة ـ لابن أبي عاصم ـ: ٥٨٩، ح ١٣٥١؛ مسند البزّاز ٣: ٣٢٤، ح ١١٢٠؛ مسند أبي يعلى ٧: ٥٩ ـ ٦٠، ح ١٢٢٣ و ١٢٢٤ و ج ١٢: ٣١٣، ح ٦٨٨٨؛ المعجم الكبير ٣: ٥٢ ـ ٥٦، ح ٢٦٦٢ ـ ٢٦٧٣؛ المعجم الأوسط ٣: ٣٩، ح ٢٢٨١ و ج ٧: ٣٦٩، ح ٧٦١٤؛ المعجم الصغير ١: ٦٥ و ١٣٥؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٦١، ح ٦٩٣٧؛ مشكل الآثار ١: ٢٢٧ ـ ٢٣١، ح ٧٧٠ ـ ٧٨٥. وراجع نفحات الأزهار ٢٠: ٧١ ـ ١١١ ففيه كلّ ما يتعلّق بالحديث وما يرتبط به من بحوث علميّة. وكتاب مع الدكتور السالوس في آية التطهير.

وكذا المبحث الخاصّ بآية التطهير من كتاب: عصمة المعصوم ﷺ وفق المعطيات القرآنيّة: ١٣٠ ـ ١٩٠.

٢. مسند أحمد ٥: ٣٩١؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٦٠ ـ ٦٦١، ح ٣٧٨١؛ السنن الكبرى ـ للنسائي ـ ٥: ٨٠ ـ ٨١، ح ٨٢٩٨؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٥٥، ح ٦٩٢١. وانظر كنز العمّال ١٢: ٩٦، ح ٣٤١٥٨، وص ١٠٢، ح ٣٤١٩٢.

٣. مسند أحمد ٣: ٣٦٩، ح ١٠٦١٦، و ٤٦٩، ح ١١٢٠٠، و ٤٧٣، ح ١١٢٢٤، و ٥٠٢، ح ١١٣٦٨؛ مسند أبي يعلى ٢: ٣٩٥، ح ١١٦٩؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٥٥، ح ٦٩٢٠؛ المعجم الكبير ٣: ٣٨ ـ ٣٩، ح ٢٦١٠ ـ ٢٦١٥؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٥٦ ـ ١٥٧، ح ٤٨٣١.

٤. المعجم الكبير ٣: ٣٥ ـ ٣٦، ح ٢٥٩٩ ـ ٢٦٠٣؛ المعجم الأوسط ١: ١٧٣ ـ ١٧٤، ح ٣٦٨ عن الإمام الحسين ﷺ؛ حلية الأولياء ٤: ١٤٠.

والديلمي، عن أنس، عنه ﷺ[١].

ومن سادات أهل الجنّة، كما مرّ في الحديث الحادي عشر[٢].

وهذا كلّه متواتر النقل وقطعِيّه من طرق الشيعة.

وقد رأى عليه السلام أنّ استبداد يزيد ـ مع أحواله المعلومة ـ ممّا لا يسوغ له أن يتساهل في أمره ويعجّل بسبب يسير من الاضطرار إلى بيعته الجائرة قبل واجب المدافعة والمماطلة، إلى أن يرى ما تقتضيه المصالح الوقتيّة والظروف، فلعلّما يرجع الحقّ إلى نصابه، وتنال الأُمّةُ حقوقَها المغتصبة، فتنحّى عن بيعة يزيد الجائرة.

ولمّا استغاث به المسلمون، ووعدوه الطاعة والقيام بالنصرة، وأعطوه المواثيق، لم يجد بُدّاً من المطالبة بحقوق الإسلام والمسلمين ولازمِ الدفاع لطاغوت الظلم والمنكَر، فقام ولسان حاله يقول ما قاله أبوه أميرالمؤمنين عليه السلام: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، لألقيتُ حبلها على غاربها، وسقيتُ آخرها بكأس أوّلها»[٣].

ودعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأقام الحجج، وأنار البراهين، مع الثبات الهائل والبأس المروّع، ودافع عن حقوق الدين والمسلمين بأحسن ما يفتخر به التأريخ من صادق الجدّ والتفادي في سبيل الله والإصلاح، إلى أن جرى على الإسلام والمسلمين في يوم الطفّ مثل ما جرى في واقعة أُحد:

ولا مثلَ يومِ الطفِّ يومَ فجيعةٍ لذِكراه في الأيّامِ ينقصمُ الظهرُ
يذيب سويدا القلبِ حزناً فعاذِر إذا سفحت من ذوبها الأدمعُ الحمرُ[٤]

---

١. فردوس الأخبار ١: ٣٥٥، ح ٢٦٢٤ عن أبي سعيد.

٢. راجع ص ٨.

٣. نهج البلاغة: ٣٠، الخطبة ٣.

٤. البيتان من قصيدة للشيخ البلاغي رحمه الله نظمها ردّاً على قصيدة أحد علماء بغداد المنكرين لوجود الإمام الثاني ←

وما كنت أحسب أنّ واحداً من الناس ـ حتّى ممّن عرّقت فيه هند أو سميّة ـ يجترئ بكذبه، ويسوّد وجه المطبوعات بقوله في شأن الحسين عليه السلام: «فاعتبره يزيد ـ الخليفة الأُموي، القائم بالأمر وقتئذٍ ـ ثائراً، فوجّه إليه جيشاً هزمه وقتله»!!

ليت الكاتب يقول: إنّ يزيد خليفة مَن؟!!

ومتى قام بالأمر؟!

ومتى طُرحت حكومته أمام الجمهور؟!

ومتى رضي به المسلمون؟!

أليس أوّل ما مات معاوية، وأراد أن يتسلّق إلى الزعامة الجائرة، قامت عليه قيامة المسلمين من هاهنا وهاهنا، كما يشهد به التأريخ في أسباب وقعة كربلاء، ووقعة الحرّة، ووقعة هدم الكعبة؟!

ألَم يكن الحسين قد حبس يده الكريمة ـ في جملة الناس ـ عن البيعة الجائرة، وخرج من المدينة كما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكّة، وأمَّ الكوفة كما أمَّ رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة؟!

ولكن لمّا استفحل الجور والاستبداد، فوهن لذلك المستغيثون به، وغدروا به،

---

← عشر المهديّ المنتظر عليه السلام، والتي بعثها إلى علماء النجف الأشرف عام ١٣١٧ هـ، التي يقول فيها:

أيا علماءَ العصرِ يا مَن لهم خُبْرُ ... بكلِّ دقيقٍ حارَ في مِثله الفِكـرُ

لقد حارَ منّي الفِكرُ فـي القـائمِ الذي ... تنازعَ فيه الناسُ والتَبسَ الأمرُ

فأجابه العلّامة البلاغي رحمه الله بقصيدة طويلة، تقع في أكثر من مائة بيت، وهي من عيون شعره، ومطلعها:

أطعت الهـوى فـيهم فـعاصاني الصـبرُ ... فها أنا ما لي فيه نـهيٌ ولا أمـرُ

أنِستُ بهم سهل القِفارِ ووَعرَها ... فما راعني منهنَّ سهلٌ ولا وعْرُ

انظر: شعراء الغريّ ٢: ٤٤٤ ـ ٤٤٩؛ كشف الأستار: ٢٦٣ ـ ٢٨٦.

جاشَ عليه الجيش العَرمرم[١] في كربلاء، وهو في ثلّة يسيرة من أهل بيته وصفوة صحبه، فسامه[٢] الأعداء أن يستسلم ضارعاً لطاعة يزيد وحكم ابن مرجانة، ويخضع لبيعة الضلال.

فأبــى أن يــعيشَ إلّا عــزيزاً ... أو تُجلّى الكفاح وهو صـريعُ[٣]

فوقف في وجه الحرب وأدار رحاها ثابت الجَنان، ماضي العزيمة، على بصيرة من أمره.

أقرُّ على الأرضِ مِن ظهرِها ... إذا مَــلملَ الرعبُ أقــرانَـها

تــزيدُ الطـلاقةُ فـي وجـهِهِ ... إذا غَـــيّرَ الروعُ ألوانَــها[٤]

حتّى قال أحد أعدائه من جيش ابن سعد: «فوالله، ما رأيت مكثوراً قطّ قد قُتل وُلدُه وأهلُ بيتِه وصحبُه أربطَ جأشاً منه»[٥].

ولمّا قـضى للـعلا حـقَّها ... و شَـيّدَ بـالسيفِ بُـنيانَها

ترجَّلَ للموتِ عن سـابحٍ ... لهُ أخلَتِ الخيلُ مَيدانَـها

---

١. والعَرَمْرَم: الجيش الكثير؛ انظر: القاموس المحيط ٤: ١٥١، «ع ر م»؛ تاج العروس ١٧: ٤٧٣، «ع ر م».

٢. السَّوْم: أن تُجَشِّمَ إنساناً مشقّةً أو سوءاً أو ظلماً. انظر لسان العرب ١٢: ٣١٢، «س و م».

٣. ديوان السيّد حيدر الحلّي ـ القسم الحسيني ـ: ٣٣.

والبيت من قصيدة بعنوان «كلّ عضو في الروع منه جموع»، مطلعها:

قد عهدنا الربوعَ وهي ربيعُ ... أينَ لا أينَ أُنسُها المجموعُ

٤. ديوان السيّد حيدر الحلّي ـ القسم الحسيني ـ: ٤٨.

وهذان البيتان والأبيات الأربعة الآتية من قصيدة للسيّد حيدر الحلّي بعنوان «فنفس الأبيّ ومازانها» يرثي بها أبا الأحرار سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، مطلعها:

تَركتَ حَشاكَ وسُلوانَها ... فَخَلِّ حَشايَ وأحزانَـها

وفي الديوان: «الخوفُ» بدل «الروعُ» من هذا البيت، و «سابقٍ» بدل «سابحٍ» من البيت الرابع.

٥. انظر: تأريخ الطبري ٣: ٣٣٤ حوادث سنة ٦١ هـ؛ مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٤٤؛ النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ١٥٢ ـ ١٥٣، «ك ث ر»، وفيه: «ومنه حديث مقتل الحسين عليه السلام: «ما رأينا مَكْثوراً أجرأ مَقْدَماً منه».

المكثور: المغلوب، وهو الذي تكاثر عليه الناس فقهروه، أي ما رأينا مقهوراً أجرأ إقداماً منه.

❊ ❊ ❊

غريباً أرى يـا غـريبَ الطـفوفِ تـــوسُّدَ خَـــدِّكَ كُـــثبانَها
وقَـــتْلَكَ صـــبراً بأيْـــدٍ أبـــوكَ ثَـــناها وكَسّـــرَ أوثـــانَها

وليت شعري مَن ذا الذي اجترأ وقال قبل هذا الكاتب: «إنّ جيش يزيد هزم الحسين»؟!

من أين هزمه؟! وإلى أين هزمه؟!!

ولعمري إنّ قتل الحسين عليه السلام، وانتهاك حرمة الرسول والإسلام بقتله، قد هـزّ بـناء الإسلام هزّاً عنيفاً، ولكنّه رفع الخداع، وأماط الستار عن الحقيقة، ومحّص الأمر، وأزال التمويه، وبصّر المرتاب، ونبّه الغافل، وأثار أهل الدين، فانجلى بذلك غـياهب كـانت متراكمةً، وفتح للرشد أبواباً كانت موصدةً!

فإن لم يكن الحسين قد فتح بانتصاره، فقد فتح باب الهدى بقتله، وأزال عن الدين معاثر التدليس، وكان من نتائج ذلك أن ثار الناس للتحرّر من الاستبداد القاسي، وطرح ذلك النير الجائر عن أعناق الأُمّة المسكينة.

ومهما كان من الأمر، فإنّ العراقيل من سياسات تلك العصور لم تعرقل روح الحقّ من أن ينتعش في البصائر انتعاشاً جديداً باهراً، لم يزل ينمو على مرور الأيّام.

### [الاعتقاد بالمهديّ عليه السلام]

وأمّا قول الكاتب أخيراً:

فمن الطبيعي ـ والحال هذه ـ أن يلجأ الناس إلى العناية الإلهيّة، وما لبثوا أن ساد الاعتقاد... إلى آخره.

فقد أوضحنا في صدر الكـلام أنّ هـذا الاعـتقاد إنّـما هـو مـن التـعاليم الديـنيّة بالبشرى الإلهيّة، مَن ذا الذي يجحدها أو يستهزئ بها؟!

ثمّ قال:

أمّا المسلمون فيعتقدون أنّ هذا المهديّ سيظهر بعد اختفائه، أي إنّه لم تعترِه الوفاة.

لا يخفى أنّ هذا هو اعتقاد الشيعة الاثني عشريّة، وقد وافقهم عليه عدّة من أهل السُنّة وعرفائهم، وذكروه في كتبهم[١]. أمّا باقي أهل السُنّة فيقولون: إنّه سيولد[٢].

ثمّ قال الكاتب: «فقد قام رجل يسمّى عبدالله بن سبإ أسلم في خلافة عثمان».

---

١. ومن جملة هؤلاء الذين قالوا بولادته عليه السلام في ١٥ شعبان ٢٥٥ أو ٢٥٦هـ:

١ ـ محيي الدين ابن العربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ) في الفتوحات المكّيّة، الباب ٣٦٦، ونُقل ذلك عنه في مشارق الأنوار ـ للشيخ حسن العدوي الحمزاوي ـ: ١٣١، و في اليواقيت والجواهر ـ للشعراني ـ ٢: ١٤٤ ـ ١٤٥.

٢ ـ شمس الدين التبريزي (٥٨٢ ـ ٦٤٥هـ) كما في ينابيع المودّة ٣: ٣٤٨.

٣ ـ ابن طلحة الشافعي (٥٨٢ ـ ٦٥٢هـ) في مطالب السؤول: ٣١١.

٤ ـ سبط ابن الجوزي (٥٨١ ـ ٦٥٤هـ) في تذكرة الخواصّ: ٣٢٥.

٥ ـ الكنجي الشافعي (م ٦٥٨هـ) في البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٢١ ب ٢٥.

٦ ـ ابن خلّكان (٦٠٨ ـ ٦٨١هـ) في وفيات الأعيان ٤: ١٧٦، الرقم ٥٦٢.

٧ ـ الجويني الخراساني (٦٤٤ ـ ٧٣٠هـ) في فرائد السمطين ٢: ٣٣٦ ـ ٣٣٨، ح ٥٩٠ و ٥٩١.

٨ ـ ابن الصبّاغ المالكي (٧٨٤ ـ ٨٥٥هـ) في الفصول المهمّة: ٢٩١.

٩ ـ ابن طولون (٨٨٠ ـ ٩٥٣هـ) في الأئمّة الاثني عشر: ١١٧.

١٠ ـ عبدالوهّاب الشعراني (م ٩٧٣هـ) في لواقح الأنوار في طبقات الأخيار (الطبقات الكبرى) ٢: ١٣٩، الرقم ٢٥ ترجمة الشيخ حسن العراقي، واليواقيت والجواهر ٢: ١٤٣، ونقل ذلك عنه في استقصاء الإفحام: ٩٢.

١١ ـ ابن حجر الهيتمي (م ٩٧٤هـ) في الصواعق المحرقة: ٣١٤.

١٢ ـ الشبراوي (م ١١٧١هـ) في الإتحاف بحبّ الأشراف: ١٧٩.

١٣ ـ عبدالحقّ الدهلوي (٩٥٩ ـ ١٠٥٢هـ) في مناقب وأحوال أئمّة أطهار، ونقل ذلك عنه في استقصاء الإفحام: ١٠٦.

١٤ ـ العطّار النيسابوري في مظهر الصفات. ونقل عنه ينابيع المودّة ٣: ٣٤٨ و ٣٥٠ و ٣٩٧، ح ٥٠ و ٥١.

١٥ ـ سليمان القندوزي الحنفي (١٢٢٠ ـ ١٢٩٤هـ) في ينابيع المودّة ٣: ١٧١.

١٦ ـ الشبلنجي (م ١٣٠٨هـ) في نور الأبصار: ١٨٧.

١٧ ـ عبد الرحمن باعَلَوي (م ١٣٢٠هـ) في بغية المسترشدين: ٢٩٦.

١٨ ـ خير الدين الزركلي (١٣١٠ ـ ١٣٩٦هـ) في الأعلام ٦: ٨٠. وانظر كذلك كشف الأستار: ٤٦ ـ ٩٣؛ وكتاب الإمام الثاني عشر عليه السلام ففيهما ذِكر لكلمات مجموعة ممّن ذكرناهم أو غيرهم.

٢. كما هو المشهور المتداول بين الجمهور!

وقال:

إنّ الإمام الثاني عشر من أئمّة الشيعة، وهو محمّد بن الحسن العسكري، دخل في سرداب بدارهم في الحلّة وغاب هناك، وسيخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً، وقد تبع ذلك الرجل في رأيه جماعة من الشيعة، وهم الآن ينتظرونه؛ ولذا يسمّونه المنتظَر، ويقفون كلّ ليلة بباب ذلك السرداب الذي يزعمون أنّ الإمام اختبأ بداخله، فيهتفون باسمه، ويدعونه للخروج حتّى يغشاهم الليل، فينفضّون ويرجئون الأمر إلى الليلة الثانية.

وقد ذكرنا هذا الكلام على طوله، لكي يبتهج بصدقه وأمانته ومعارفه أبناء هذا العصر! وتفتخر المطبوعات بمثل هذه التحريرات الراقية!

بَخٍ بَخٍ[1]! زِهْ زِهْ[2]! فإنّ هذا الكاتب يقول: إنّ عبدالله بن سبإ، الذي أسلم في أيّام عثمان، وقتله عليٌّ في أيّامه بالكوفة من أجل إصراره على الغلوّ والكفر، فإنّه ادّعى أُلوهيّة عليٍّ عليه السلام، وأصرّ على ذلك.

هذا الرجل الذي أسلم في أيّام عثمان، وقتله عليٌّ عليه السلام قبل سنة الأربعين من الهجرة، نهض بعد سنة ستّين ومائتين وقال بالقول المذكور!!

فيا للأسف على الإنسانيّة وشرفها وكرامة العلم والتأريخ!!

ولا ينبغي أن يخفى على أحد أنّه لم يُعهد لأحد من الأئمّة الاثني عشر، ولم يُعرف له مكث في الحلّة، ولا سكنىً، ولا دار، ولا سرداب! بل لم تكن الحلّة في زمانهم موجودة!![3].

وإنّما مكث الهادي والعسكري عليهما السلام في سرّ من رأى بجلب الملك العبّاسي وحبسه

---

١. بَخٍ: كلمة فَخْر، وتقال عند تعظيم الإنسان، وعند التعجّب من الشيء، وعند المدح والرضا بالشيء؛ وقد تستعمل للإنكار. انظر لسان العرب ٣: ٥؛ تاج العروس ٤: ٢٥٧، «ب خ خ».

٢. زِهْ: كلمة تقال عند التعجّب والاستحسان بالشيء؛ انظر تاج العروس ١٩: ٤١، «ز هـ ه».

٣. وأوّل من بنى مدينة الحلّة بالجامعين وسكنها هو سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن عليّ بن مزيد الأسدي، وذلك في سنة ٤٩٥ هـ، وإنّما كان يسكن هو وآباؤه ومن قبله في البيوت العربيّة. انظر الكامل في التأريخ ٩: ٦٠ حوادث سنة ٤٩٥ هـ.

لهما فيها بحبس النظر، وفيها وُلد المهديّ سنة مائتين وستّ وخمسين[١]، وكان آخر ما ظهر من شؤونه فيها هو أنّ الملك العبّاسي صار يتتبّع آثار المهديّ بعد أبيه بالطلب الحثيث، ومن ذلك أنّ شرطته هجموا على المهديّ في السرداب، فَجَرت له كرامة حجبتهم عنه[٢]، فكانت للسرداب بتلك الكرامة مزيّة عند الشيعة.

ولا ينبغي أن يجهل أحد أنّ اعتقاد الشيعة هو أنّ المهديّ قاطن على وجه الأرض، يتمتّع بحياته بين الناس، وهو محجوب عن معرفتهم له، إلى أن يأذن الله له بالظهور.

فالشيعة إذا زاروا مرقد الهادي والعسكري عليهما السلام في سرّ من رأى قصدوا السرداب المذكور، ليلاً أو نهاراً، لأجل بركته بتلك المزيّة المذكورة، فيصلّون فيه، ويدعون الله بالفرج وظهور المهديّ، على جاري عادتهم من اغتنام الدعاء في مظانّ الإجابة من الأزمنة الشريفة والأماكن المباركة.

ولا ينبغي للكاتب ـ في مثل هذا العصر ـ أن يبدي قيمة أمانته و معارفه بمثل هذه التواريخ الكاذبة المتهافتة السخيفة!

ولا عذر له في ذلك وإن سبقه فيه بعض المصنّفين في الملل والنحل من بعض ذوي الشهرة![٣]

وإن كانت لأحدٍ مناقشة في معارف دين الإسلام، أو في أمر المهديّ فَلْيُبْدِ للحقّ

---

١. الكافي ١: ٥٨٧، ح ١٣٥٠.

٢. انظر: الخرائج والجرائح ١: ٤٦٠، ح ٥؛ كشف الغمّة ٢: ٤٩٩ ـ ٥٠٠؛ بحارالأنوار ٥٢: ٥٢، ح ٣٧ عن الخرائج؛ الفصول المهمّة: ٢٩٣.

وللميرزا النوري رحمه الله شرح وتوضيح لمسألة السرداب وما أُثير حوله من أقاويل جدير بالقراءة؛ انظر خاتمة كتابه كشف الأستار: ٢٠٩ ـ ٢٤٠.

وللأعلام ـ الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء والشيخ محمّد جواد البلاغي والسيّد محسن الأمين رحمه الله ـ ردود على ما حيك من شبهات حول السرداب فيما نظموه ردّاً على القصيدة التي وردت النجف الأشرف من أحد علماء بغداد، التي أشرنا إليها سابقاً؛ انظر كشف الأستار ـ ملحق الكتاب ـ: ٢٤١ ـ ٢٨٨.

٣. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣: ١١٤؛ منهاج السُنّة ١: ٤٤ ـ ٤٥.

صفحته؛ لنورد عليه أدلّتنا من المعقول و المنقول، والله المُعين، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وفي شأن الاعتقاد بأمر المهديّ وظهوره، يقول الكاتب المذكور في بعض كلامه المشار إليه:

وكان لهذه العقيدة نتيجة سيّئة في الأُمم الإسلاميّة؛ إذ ساغ لكثير من الدجّالين أو المعتوهين أن يدّعوا أنّهم ذلك المهديّ المختبئ.

مهلاً أيّها الكاتب! فإنّ أمثال هذه النتيجة جرت في أمر الإلهيّة، حيث ادّعاها البشر الناقصون أو ادُّعيت لهم.

وجرت في أمر النبوّة والرسالة، حيث ادّعاها بعد الإسلام مسيلمة وسَجاح[1] و... و... و... .

والعهد القديم والعهد الجديد يتعرّضان لكثرة المدّعين للنبوّة كذباً![2]

وإنّ مثل هذه النتائج إنّما هي نتائج التدجيل والضلال، لا نتائج الحقائق!

إذاً فماذا تقول في أمر الإلهيّة والنبوّة والرسالة مع ما ذكرناه من نتائج السوء؟!

وسبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون.

ولنكتفِ بهذا المقدار، والله الهادي، وهو المستعان.

النجف (ب)

---

١. انظر تأريخ الطبري ٢: ٢٦٨ ـ ٢٧١.

٢. انظر: سفر التثنية، الأصحاح ١٨: ١٩؛ سفر الملوك الأوّل، الأصحاح ٢٢: ٥ ـ ٢٣؛ سفر إرْميا، الأصحاح ١٤: ١٤ و ١٥؛ سفر إرْميا، الأصحاح ٢٣: ١٤؛ رسالة بطرس الثانية، الأصحاح ١: ٢٠ و ٢١.

# (٩)

# نصائح الهدى

تحقيق

السيّد محمّد عليّ الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أخي البَشَـري، ورجائي من الله أن يسعدنا بالتوفيق.

فأدعوك يا أخي الديني! إنّك قد كنت معتنقاً لدين الإسلام، معتقداً لمعارفه، مقرّاً برسالة نبيّه، متديّناً بشريعته، متمسّـكاً بكتابه، تابعاً لهدي أئمّته، جازماً بأنّ هذا كلّه حقّ اليقين، وعلى فطرته وُلدتَ، وعلى انتحاله نشأت.

وأراك انتحلت ـ جديداً ـ طريقة البابيّة، وهي مباينة لطريقة الإسلام، مادّةً وصورةً، أُصولاً وفروعاً، كتاباً وأحكاماً، فكان من حقّي عليك وحقّك علَيَّ أن أستقصي معك في السؤال، وأمشي معك حيث تبلغ الحاجة إلى الاستفسار.

راجياً منك ما هو الحقّ عليك في هدي نفسك، ودَعَوْتُك ـ لغيرك ـ أن لا تـخفي علَيَّ ـ في سير البحث والسؤال ـ شيئاً من نحلتك الجديدة، من أُصول العقائد، وفروع الأحكام، ومباني الأدلّة، وحقيقة الطريقة، بغير تورية، ولا إدماج، ولا إيهام.

فإنّ الإيضاح في البيان هو الواجب في سبيل الحقّ، واتّباع الرشد، وحسن الطاعة، في صدق الدعوة، وإنارة البرهان، واجتناب الخداع والتدليس، الناشِـئَـيْن مـن وبـال الضعف، ووهن الأساس، وداء الضلال.

على أنّه قدارتفع الحَجْرُ، وأُطلِقَ سراحُ الأفكار، وخُلِّيَت النِحَلُ في شؤونها وآثارها.

وإن التبس عليك شيءٌ من أمر نحلتك في البـيان فـاستوضح حـقيقته مـن كـبار دعاتك، ومَن تعوّل عليه أو تأتمّ به في الطريقة الجديدة.

فإنّي أراك ـ ويا أسفي عليك ـ كأغلب هذه الناشئة، قد اتّبعت طريقة عليّ محمّد ـ مؤسّس دعوة البابيّة ـ وأنت لا تدري بما فيها، ولم تطّلع على شيء من كتبه التي ينسبها إلى الوحي وكلام الله، ويجعلها معجزته وحجّته في دعوته!

أفلا تدري بأنّه كتب في كربلاء كتابه الذي سمّاه أحسن القصص وكتابه، الذي سمّاه قيّوم الأسماء، وكتب في أصفهان كتابه الذي سمّاه نبوّة خاصّة، وكتب كتابه الذي سمّاه البيان، وهو عدّة مجلّدات، وجمع جميع دعاويه ـ في دعوته ـ وحججها، ومقاصده وشريعته في هذه الكتب؟!

فلماذا لم تطلب ولا تطلب ممّن ورّطك في هذا الأمر أن يطلعك على كتب عليّ محمّد، لكي تعرف ما فيها، وتكون على بصيرة من أمرك؟!

أفلا تقول له: لعلّ الذي في هذه الكتب يكون لك حجّةً قاطعةً، وبرهاناً واضحاً، يؤمن بشريعته ومعارفه وأحكامه وحججه أغلب من يراه، ويذعن لإعجازه جلّ من يطّلع عليه؟!

فلماذا لا تجعلون هذه الكتب عَلَماً للدعوة وبياناً للحجّة؟!

فإنّ كاتبها كتبها لتُنشر وتنتشر بها شريعته وكمالاته وعلومه، لا لتطوى بيد الإخفاء الشديد!

وحرّرها لتُدرس علومها وحججها، لا لتندرس!

فلماذا تخفونها أشدّ الإخفاء، وتتستّرون بها أشدّ التستّر؟!

لماذا لا تجعلونها فخر دعوتكم وزينة جامعتكم بين الناس؟!

فهل تضيق أموالكم وهممكم عن استنساخها ونشرها؟!

أفأنتم وحسين عليّ ويحيى وعبّاس لا تملكون ـ فوق قوت يومكم ـ ما تستنسخونها به لكي تنشروها؟!

أفلا تنظرون إلى معاملة النصارى للعهد الجديد، ومعاملة المسلمين للقرآن؟!

فإنّا ما سمعنا بمثل هذا الإخفاء والتستّر في كلّ أُمّة وفي كلّ نحلة! وفي كلّ كتاب وفي كلّ ناشئة!

٤

فما هو السبب في إخفائها وقد انتشرت حرّيّة الأديان منذ سنين عديدةٍ؟!

أفلا تقول لهم: لماذا لا تُطْلِعون عليها من يأتيكم ملبّياً لدعوتكم، طالباً لِما عندكم؛ ليعرف رشدَه من غيّه؟!

هداك الله! ما هذا الاتّباع الأعمى؟!

أفلا تقول لأصحابك: إنّ الناس يسألوننا عن سبب إخفائها هذا الإخفاء الشديد، وينشدوننا قول الشاعر:

وكَم سائلٍ عَنْ أمرِهِ وهو عالِمُ

ويقولون: مهما بلغ الإخفاء بهذه الكتب، فإنّا رأيناها مجتمعةً ومتفرّقةً، فوجدناها تسوء الأدب! تسوء اللسان العربي! تسوء المعارف! تسوء التوحيد! تسوء الشرائع! تسوء الحكمة! تسوء الفلسفة! تسوء الشرف! تسوء الاستقامة! تسوء دعوتكم!!

فإنّها بما فيها من الخلل والتناقض والتخليط، حجّة واضحة ـ لكلّ ذي شعور ـ على بطلان دعوتها، واضطراب كاتبها، وتناقض أقواله وسخافتها، وضلال آرائه ووهنها.

وإنّ أصحاب دعوته شعروا بذلك، ولكنّ مقاصدهم اقتضت أن لا ينقضوا أساسَ جامعتهم، ولا يبطلوا أوّلَ أمرٍ لناشئتهم، بعد أن راج أمرهم، وتمهّدت أُمورهم، فدفنوا تلك الكتب في قبور الإخفاء، ستراً على أمرهم الخفيّ من معائبها، وإبقاءً على كلمتهم، فلعلّما تمرّ الدهور، وتُنسى الأُمور، فيُبرزون ما يسمّونه باسمها، وإنْ غيّروا به مادّتها وصورتها.

فإن قال أصحابك: ليس الأمر كما يقول الناس.

فقل لأصحابك: إذاً فكذِّبوا الناسَ بإظهارها لهم، واحفظوا بذلك شرف أمركم وشرف أساس ناشئتكم أقلّاً، وإنْ لم يحسن عندكم ـ كسائر الأُمم، وكسائر الكتب ـ جعلها لساناً للدعوة!

ولكم أن تخفوا منها تعليمها بعمل الكيمياء[1]، واحرموا الناس من هذا الخير!

١. تعريفه عندهم هو تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة.

وما يضرّكم أن يتعلّم الناس منها علوم العربيّة، والفصاحة، والبلاغة، واستقامة الكلام وارتباطه، وصحّة المعارف، وإنْ لم يؤمنوا بها ؟ ! هداك الله إلى رشدك.

أفلا تقول لأصحابك: لماذا تخفون هذه الكتب عنّا وتُبرزون كتباً صغاراً، إمّا من أدعية ملفّقة من فقرات أدعية أهل البيت عليهم السلام، بعدما حُلَّ نظامُها، وشُوِّهَت صورتُها بالخلل والغلط، وجُعِل في أثنائها شيءٌ من كلمات المتصوّفة واصطلاحاتهم.

وإمّا من خُطب فارسيّة أُلّفت من كلمات المتصوّفة وأشعارهم ؟ !

أفلا تقول لأصحابك: إنّ الدعوة التي غيّرت الدينَ والشريعةَ ماذا تفيد فيها الأدعية الملفّقة المغلّطة ؟ ! وماذا تفيد فيها وجديات المتصوّفة ؟ !

أرونا كتبَ عليّ محمّد أساس الدعوة، وجوامعَ تعليمِها، وحلالَها وحرامَها !

أفلا تقول لأصحابك: أُريد أن آخذ معارف هذه الناشئة وشريعتها وحججها من كتابها الأصلي، ولا أُريد أن أسمعها من زيد وعمرو ؟ !

أفلا تقول لأصحابك: إنّ مؤسّس هذه الطريقة ـ عليّ محمّد ـ قد أمرَ أتباعه كلّهم أجمعين بتلاوة البيان، كما ستسمعه من الباب التاسع من الواحد السادس من البيان ! !

بل أمرَ مَن يقدر بأن يتلو من البيان في كلّ يوم وليلة سبعمائة آية، كما في الباب الرابع عشر من الواحد الثامن.

وأمرَ بأن يكون عند كلّ نفس من البيان صحيفة أقلّ ما فيها ألف بيت، كما في الباب الأوّل من الواحد السادس.

فأين البيان لأتلوه ؟ !

أفلا تقول لأصحابك: إنّ حسين عليّ كتب كتاباً سمّاه إيقان وكتاباً سمّاه أقدس ذكر فيه شريعته، فأين الكتابان ؟ ! ولماذا أُخفيا ؟ ! ولماذا لم يُطبعا ؟ !

إنّ الناس يقولون: إنّ في كتب عليّ محمّد، وكتب حسين عليّ شطحاتِ الكفر، وادّعائهما الإلٰهيّة زيادةً على النبوّة، وفيها إنكارُ المعاد الجسماني، وإنكارُ معجزات

المسيح على ضدّ ما يقوله القرآن والأناجيل، وكتب العهد الجديد!!

فإنْ كان الناس يكذبون في ذلك، فأظهروا كذبهم بإظهار هذه الكتب؛ لكن بشرط أن يتوافق على كتب عليّ محمّد كلُّ فرقةٍ من البابيّة والأزليّة والبهائيّة، ويتوافق على كتب حسين عليّ ولداه وأتباعهما: عبّاس أفندي وأتباعه، وميرزا محمّد عليّ وأتباعه.

ومع ذلك تكون مطابقةً لِما ظفر به المسلمون وغيرهم ـ رغماً على الإخفاء الشديد ـ حيث أخذوها من أيدي البابيّة بحسن الوسائل.

هداك الله إلى رشدك، وفيما ذكرناه كفاية لهدي أُولي الألباب وتنبّههم من غفلتهم.

هذا بعض ما عليك.

وعَلَيَّ في شرع الهدى أن أُجاريك في البحث، وأجري معك في الإيضاح قطعاً للمعاذير، والله وليّ التوفيق.

ثمّ لا يخفى عليك ـ هداك الله ـ أنّ من الناس من انهمك بترويج نحلته، وحبّ الغلبة والاتّصاف بالعلم، وبغض المغلوبيّة وظهور صفة الجهل، فيحرّك هواهُ لسانَه في المكالمة ـ على رغم الحقّ والكمال ـ باضطراب المكابرة والمباهتة، والتشبّث بالواهيات، مغتنماً غرّة الجليس، أو خلوة المجلس، أو ميل الغالب من أهله إلى ما يقول.

ولكنّ الغالب من هؤلاء إذا طلبت منه كتابة مطالبه، التزم فيها ـ مهما أمكن ـ بالتهذيب والتنقيح، حذراً من ظهور الجهل وذمائم الأخلاق بظهور الكتابة للعموم!

فلذا آثرتُ أن أقلع هذه الجذور الفاسدة، منّي ومن غيري، في جعل السير في نهج الحقّ كَتْبِيّاً، والله الهادي إلى سواء السبيل.

فأقول في السؤال: لماذا تركتَ دينَ فطرتِك وشريعةَ نشأتِك والتمسّك بالقرآن الكريم، وعدلتَ إلى البابيّة، وهي مباينة للإسلام كما ذكرنا؟!

والذي يُفرض أن تقوله إحدى مقالات ثلاث:

## المقالة الأُولى

أن تقول ـ عافاك الله ـ: إنّي وجدتُ دين الإسلام ـ كشريعته ـ باطل الأصل والفرع، لا علقة له بالله، ولا مساس له بالحقّ، فعدلتُ إلى دين الحقّ وشريعة الرشد!

فنقول لك: إنّ لنا أن نسألك عن البرهان فيما قلت من توهين الإسلام وتمجيد البابيّة، فلعلّك تفيدنا أو نفيدك.

ولكن لنا معك طريقاً أقرب من هذا، وهو أنّ آساس[1] دعوتك ورؤساء نحلتك ـ وهم: عليّ محمّد وحسين عليّ ـ يكذّبانك في قولك هذا!

فإنّهما قد بَيّنا دعوتهما على أنّ الإسلامَ دينُ حقّ، وأنّ محمّداً رسولُ الله، وأنّ القرآنَ كتابُ الله، وأنّ أميرَ المؤمنين عليّاً والأئمّةَ من وُلده إلى الحسن العسكري عليهم السلام أئمّةُ حقّ، وأنّ المهديَّ ـ الموعود بظهوره في دين الإسلام ـ إمامُ حقّ.

فقد قال عليّ محمّد في الباب الثاني، من الواحد السادس، من كتاب الأسماء، من البيان:

> ولتشهدنّ أنّ مَثَلَ ظهور قائمكم كمَثَل ظهور محمّد رسول الله من قبل، إنّ الذي نزّل الفرقان من قبل قد نزّل تلك الآيات.

وفي الباب الثامن، من الواحد السادس، في معرفة اسم «المرئف»: «قد علّم الله محمّداً آيات القرآن، وعلّم عليّاً آيات...» إلى آخره.

وقال أيضاً في «آثار النقطة» في كتاب الفاء، المفتتح بقوله: «بسم الله الأبهى الأبهى» ثمّ استمرّ على هذه المادّة ـ في البهيان والابتهان! ـ حتّى قال فيها: «إنّا جعلناك جرداناً جريداً للجاردين»!! ـ إلى أن قال: ـ «قل إلى أن يُظهر الله مَن يُظهر الله، مِثلَ ما قد ظهر محمّد رسول الله»!

---

١. آساس: جمع أسَس ـ مقصور أساس ـ والأسَس والأُسُّ والأساس: كلّ مُبتدإ شيء، وأصل البناء. لسان العرب ٦: ٦، «أ س س».

وقال أيضاً في مقالته التي افتتحها بقوله: «يا خليل، بسم الله الأقدم الأقدم» واستمرّ على هذه المادّة ـ بالقدّامين والقادمات والقدمان! ـ إلى أن قال: ـ «وإنّ هؤلاء لا يتّبعوني، ولو اتّبعوني لآمنوا بموسى قبل عيسى، ثمّ بمحمّد بعد عيسى».

وقال في مقالته التي قال فيها: «قضى الله عدد النفر بالنفي: لا إله، وحقّ على كلّ نفس أن تثبتنّ ألف الإثبات»!! إلى أن قال:

> كلّ الدِين لا إله إلّا الله، ظاهراً وباطناً، أوّلاً وآخراً، ثمّ محمّد رسول الله، ثمّ الأئمّة والورثة حجج الله.

إلى أن قال:

> قد قدَّرنا أثمار شجرة الأُولى لمحمّد رسول الله، هذا عطاء ربّك غير مقطوع ولا ممنوع، ثمّ لعليٍّ إمام حقّ محبوب، ثمّ لفاطمة ورقة من شجرة الأُولى، كذلك أنتم تحشرون، ثمّ الحسن والحسين اللّذين قد جعلهما الله إماماً على العالمين.

وقال أيضاً ـ فيما قال في صناعة الإكسير ـ: «قد سمعت مثل محمّد رسول الله، قد وضع الحجر على بطنه».

وفي مقالته التي يقول فيها: «هو هذا، وإنّي القائم الذي كلٌّ ينتظرون يومه».

قال:

> ولَعَمري إنّ أمر الله في حقّي لأعجَبُ من أمر محمّد رسول الله من قبل لو أنتم فيه تتفكّرون، قل إنّه رُبي في العرب، ثمّ من بعد أربعين سنةً قد نَزّل الله عليه الآيات وجعله رسوله إلى العالمين، قل إنّي ربيت في الأعجمين، وقد نَزّل اللهُ عَلَيَّ من بعدما قضى من عمري خمسةً بعد عشرين سنةً آيات التي كلٌّ عنها يعجزون!!

إلى قوله: «وإنّا وعدنا من قبل في القرآن أنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون»!!

إلى قوله: «آمنت بسرّ آل محمّد»!!

وقوله بالفارسيّة: «ومحمّد رسول الله ركن هواء است، وعليّ والأئمّة حجج الله ركن ما است»!!

وفي كتابه إلى مفتي بغداد شهاب الدين الآلوسي[١] ـ الذي أوّله: «بسم الله الأمتع الأقدس»!! ـ قوله:

وإنّه من قبل رسول الله حقّ محبوب، وقد جاء بالهدى، وبلّغ ما أُنزل عليه من كتاب ربّه حيث أنتم يومئذٍ به مؤمنون.

وفي مقالته التي يقول فيها: «ولله علم ما يخرج من الأرض، ورقّ الشمس والقمر» قوله:

وما استشعرتم في قيمة محمّد رسول الله ولَـمّا جاءهم بالهدى والبيّنات من عند ربّهم، فما آمنوا به إلّا قليل!!

إلى أن قال: «ذِكْر الأوّل الذي هو محمّد رسول الله».

وفي مقالته التي يقول فيها: «فاعلم بأنّه ما نزل في القرآن كلّه قد نزل في البسملة»!

وقال: «إنّ فيه[٢] كلّ علم قد أحاط به علم الله، وما يعزب منه عن محمّد وآل محمّد من شيء». ثمّ استشهد بدعاء العشرات[٣]، ودعاء الصحيفة[٤]، ودعاء السحر[٥]،

---

١. هو شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (١٢١٧ ـ ١٢٧٠هـ. / ١٨٠٢ ـ ١٨٥٤م)، مفسّر محدّث أديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، كان سلفي الاعتقاد، تقلّد الإفتاء في بغداد سنة ١٢٤٨هـ، وعُزل، وسافر إلى الموصل والآستانة سنة ١٢٦٢هـ، ومرّ بماردين وسيواس، وأكرمه السلطان عبد المجيد، وعاد إلى بغداد بعد ٢١ شهراً يدوّن رحلاته، ويكمل ما بدأ به من مصنّفاته، ومن مؤلّفاته: روح المعاني في تفسير القرآن؛ نشوة المدام في العود إلى دار السلام؛ غرائب الاغتراب، وغيرها.

والآلوسي نسبة إلى جزيرة «آلوس» في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد، قرب مدينة عانة، فرّ إليها جدّ هذه الأُسرة من وجه هولاكو التتري عندما دهم بغداد، فنسب إليها. انظر: هديّة العارفين ٦: ٤١٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٧٦؛ معجم المؤلّفين ٣: ٨١٥، الرقم ١٦٦٢٩؛ معجم البلدان ١: ٧٥، الرقم ٣٦ مادّة «آلوسة».

٢. يعني القرآن. (منه ﷺ).

٣. انظره في جُنّة الأمان الواقية ١: ١٠٩ ـ ١١٣.

٤. المصدر: ٣٠٩ ـ ٣١١.

٥. المصدر ٢: ٦٨٩ ـ ٧٠٣.

ودعاء المباهلة[1]، وسورة الحشر!! إلی قوله:

ذلك في مقام الإمامة حروفه، ولقد خلق الله لكلّ حرف مظهراً كاملاً. أوّله محمّد، وثانيه عليّ، وثالثه فاطمة، ورابعه الحسن، وخامسه الحسين، وسادسه عليّ بن الحسين، وسابعه محمّد بن عليّ، وثامنه جعفر بن محمّد، وتاسعه موسى بن جعفر، وعاشره عليّ بن موسى، والحادي عشر محمّد بن عليّ، والثاني عشر عليّ بن محمّد، والثالث عشر الحسن بن عليّ.

ثمّ جعل نفسه الرابع عشر!!

وقال في هذه المقالة أيضاً: «واستشعر ما قال الله في آخر سورة الإسرى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾[2]» الآية.

ومن قوله في البيان:

كلّ الأسماء اسمه وهو لا اسم له، وكلّ الأنعات نعته وهو لا نعت له. باطنه كلمة لا إله إلّا الله، وظاهره في الفرقان محمّد رسول الله.

وراجع كتابه الذي سمّوه البيان، وراجع أيضاً كتابه الذي سمّاه أحسن القصص في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾[3] الآية.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾[5].

تجده منوّهاً بذِكر رسول الله وفاطمةَ والحسين، وأئمّةِ الحقّ، وشهادةِ الحسين، وفضل زيارته وزائره.

وقال حسين عليّ في ألواحه، في كتابه إلی أحد دعاته المسمّى عندليب: «وفي

۱. المصدر: ۷۹۹ـ۸۰۲.
۲. الإسراء (۱۷): ۱۱۰.
۳. يوسف (۱۲): ٤.
٤. يوسف (۱۲): ٥.
٥. يوسف (۱۲): ٦.

أوّل القدم يتمسّك بما أنزل الرحمٰن في القرآن بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾[١]، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[٢]».

ولنذكر جملة من كتابه المسمّى إيقان نقلاً من نسخة خطيّة عندنا، فإنّه قال في أثناء كلامٍ في رسالة موسى عليه السلام في ذِكر مؤمن آل فرعون ما لفظه: «ربّ العزّة براى حبيب خود مى‌فرمايد[٣]: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾[٤] الآية».

وقال في الباب الأوّل بعد ذِكر ما في الأناجيل، في علامات مجيء المسيح وانقضاء الدهر: «لهذا از شريعهٔ فيض محمّديه و از سحاب فضل احمديّه ممنوع شدند»[٥].

وقال في أوّل كلامه في تحويل القِبلة من بيت المقدس إلى الكعبة: «وبعد از هجرت شمس نبوّت محمّدى از مشرق بطحا به يثرب»[٦].

وقال في أُخريات الباب الثاني: «مثل در كتاب مبين ربّ العالمين بعد از ذِكر ختميّت[٧]، قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٨]»[٩].

ولعلّما إذا خاطبتك بهذه الحجّة رَمَزَ[١٠] إليك بعضُ دعاتك بطَرْفِه، ووَمَضَ[١١] ابتسامُه إلى سرٍّ مكتوم أحَسَّتْ به هواجِسُنا من بعض دعاتكم في دعوتهم لغير المسلمين من الأُمم، ومن معاونة بعضكم لأضداد الإسلام في الجرأة على قدس خاتم النبيّين وجلالة

---

١. الإسراء (١٧): ١١٠.

٢. الأنعام (٦): ٩١.

٣. أي قال ربُّ العزّة لحبيبه :...

٤. غافر (٤٠): ٢٨.

٥. أي لهذا فقد حُرِموا من الشريعة المحمّديّة المعطاة.

٦. أي وبعد الهجرة المحمّديّة من بطحاء مكّة إلى يثرب.

٧. يعني محمّداً صلى الله عليه وآله. (منه رحمه الله).

٨. الأحزاب (٣٣): ٤٠.

٩. أي كما في كتاب الله المبين بعد ذِكر خاتم النبيّين...

١٠. الرَمْزُ: إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم. لسان العرب ٥: ٣٥٦، «ر م ز».

١١. أي أشار إشارة خفيّة بابتسامته. لسان العرب ٧: ٢٥١، «و م ض».

القرآن الكريم ـ كما وجدناه في بعض الكتب المطبوعة ـ وعرفنا المُعين والمُعان، فيلقّنك برمزه وغمزه[١] أنّه ليس لدين الإسلام ولا لكتابه ولا لشرعه من حقيقة!

ولكن هذا الظهور، وسرّ النقطة، اقتضى أن ينتشل المسلمين إلى ساحل الإيمان، بما هو مألوف لهم من أساطير الأوّلين، حتّى إذا أضاء لهم صبح الإيمان، انكشف لهم أنّهم كانوا يؤمّون سراباً بقيعة[٢]!

فنقول إذاً: بخٍ بخٍ لهذا الظهور وهذا النور، حيث كان اجتذابه للناس إلى مزاعم إشراقه بضدّ الأمانة؛ إذ يستزلّهم بالخداع، وبضدّ الحكمة؛ إذ يجعل لهم نحلتهم حجر عثرة لهم في سبيل ما يدعوهم إليه؛ وبضدّ الفَهْم، حيث لم يدرِ بأنّ التصديق على أساس نحلتهم ينقض عليه أمره بالبرهان والجدل، ويردّ أمره إلى الخيبة والفشل؛ تعالى الحقّ عن ذلك، وحاشا الحقيقة عن أوهامه.

## المقالة الثانية: فيما يفرض أن تقوله

هو أن تقول: إنّ لدين الإسلام ولقرآنه ولرسالة رسوله جرثومةُ[٣] حقيقةٍ وأساسُ حقّ، ولكن دعوة البابيّة جاءت لإصلاحه!

قلت: ولهذا الكلام وجهان:

**الوجه الأوّل:** أن تقول: إنّ نبيّ الإسلام وكتابه ـ جاءا فيما جاءا به ـ بأُصول وأحكام غير صالحة، فجاءت البابيّة لتهذيب ذلك وإصلاحه!

فنقول: عافاك الله، هذا يرجع إلى المقالة الأُولى، فإنّ النبيّ المرسَل من الله، والكتاب المنزَل من الله، لا يكون منهما ما هو غير صالح، وإنّما يكون غير الصالح من

---

١. الغَمْزُ: الإشارة بالعين والحاجب والجَفْن. لسان العرب ٥: ٣٨٨، «غ م ز».

٢. قِيْعَة: جمع قاع، وقيل: تكون للواحد، والقاع: ما انبسط من الأرض، وفيه يكون السراب نصف النهار. لسان العرب ٨: ٣٠٤، «ق وع».

٣. الجُرْثومة: أصل كلّ شيء ومجتمعه. لسان العرب ١٢: ٩٥، «ج ر ث م».

النبيّ الكاذب والكتاب المفترى على الله.

**الوجه الثاني**: أن تقول: إنّ كلّ ما جاء به رسول الله وأُنزل في القرآن هو حقّ صالح مقرون بالمصلحة والحكمة، ولكن دَسّت فيه الأهواءُ والجهلُ أُموراً غريبةً، وأدخلتْ فيه ما لا يوافق الصلاح والحكمة؛ فالدعوة إلى البابيّة قامت لتهذيب الإسلام من هذا الغريب الدخيل، كالإصلاح الپروتستنتي[1] للنصرانيّة!

فنقول: كيف تقول ذلك ودعوى البابيّة قد خالفت المعلومات المسلَّمات في جامعة هذا الدين، وبدّلت من الإسلام أُموراً لا مساغ لعاقل عن اليقين بأنّها من حقيقة دين الإسلام وشرعه وصريح كتابه، كأحكام المواريث والنكاح والطلاق والشهور والصوم والصلاة، وغير ذلك؟!

عافاك الله! إنّ الدعاة أخفوا عليك، فَلِمَ لا تنظر في بيان الباب وصحيفة الأحكام للبهاء؟!

أفلا تلتفت إلى الصلاة والصوم؛ إذ كنت تعرف منهما ما هو ضروري يقيني في دين الإسلام، بحيث يعلم كلّ ذي شعور أنّه من لُباب الشرع المحمّدي؟!

وأين هذا من الإصلاح الپروتستنتي الذي أهمّ مقصد فيه هو المحافظة على ما جاء في الإنجيل والكتب القانونيّة الشرعيّة[2]؟!

وإنّما هذّبَ النصرانيّةَ من آراء الپاپاوات وتقاليدهم ـ كالسجود للصور والأيقونات ـ وبعضِ التأويلات المستحيلة، ممّا هو من المستحدَثات التي لا مساس لها بالكتب القانونيّة.

وإنّما نشأت هذه الأشياء في النصرانيّة مِن زعم كلّ پاپ أنّه الرسول والنائب الخاصّ عن المسيح، ورأيه ـ أو قل: إلهامه ـ مقدَّس في النصرانيّة.

---

١. حركة الإصلاح الپروتستانتي: هي الحركة التي تزعّمها الراهب الألماني مارتن لوثر (١٤٨٣ـ١٥٤٦م) في ألمانيا.

٢. الكتب القانونيّة الشرعيّة: هي الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا، وقد اكتسبت شرعيّتها وقانونيّتها منذ القرن الثاني الميلادي حينما تسلّمت الكنيسة هذه الأناجيل ككتابات وسجلّات يوثق بها وذات سلطان. انظر قاموس الكتاب المقدّس: ١٢١.

فتبصّر ـ عافاك الله وهداك ـ في مقايستك بالأُمور، فما كلّ بيضاء شحمة[١]!

## المقالة الثالثة: فيما يُفرض أن تقوله

هي أن تقول: إنّ دين الإسلام حقّ، وقرآنه حقّ، وكلّه من الله، قد أخذ بأطراف الكمال والصلاح، ولكن طريقة البابيّة وردت عليه وعلى كتابه، كما ورد هو على ما قبله من الأديان والكتب.

وكما أشارت تلك الأديان والكتب إلى حقيقته وشرفه، أشار هو إلى طريقة البابيّة وشرفها.

فالإسلام كافٍ في الدلالة عليها، وما جاء فيه كافٍ في الحجّة لها، فإنّا نبني أمرها عليه، ونرجع في شأن دعوتها إليه، ونحتجّ بكتابه وسُنّته ورواية أئمّته.

قلت: نعم، وهذا هو الذي صرّح به آساس طريقتكم ورؤساءُ دعوتكم، كما ذكرناه في الكلام على المقالة الأُولى، ونذكره في تقرير الدعوة، وإنْ كنتم قد أسررتم ضدّ ذلك فيما بينكم ـ كما يُنمى ويُنسب إليكم، ويُحَسُّ من همس بعض دعاتكم ـ فهو من أقبح الخيانة في الضلال، وأفحش الفجور في الكذب والتزوير الناشئ من وَبالِ الضلال والوهن في الطريقة.

ثمّ أقول: لا يخفى أنّ كلّ أمر يراد إثباته والاحتجاج عليه لابُدّ أن يُنظر أوّلاً في إمكانه وسلامته عن الموانع، ثمّ تعود النوبة إلى البرهان على وقوعه والاحتجاج لإثباته.

فأمّا إذا كان مقترناً بالموانع من ثبوته، فإنّ التصدّي لإثباته من الخبط والعبث، فإنّ اقتران دعوى «عليّ محمّد الباب» بالموانع كافٍ في الدلالة على بطلان دعوته وغلط حجّته.

---

١. مَثل يقال لمن قاس شيئاً على شيء فأخطأ قياسُه. انظر: شرح حماسة أبي تمّام ١: ٢٤٥، الرقم ٩٢؛ مجمع الأمثال ٣: ٢٧٥، الرقم ٣٨٦٨.

وهلمّ فلنجرِ الموانع، فإنْ تـركت لك سـبيلاً إلى الاحـتجاج، فـدونك ذلك لنـنظر في الحجّة.

وإنْ لم تترك لك سبيلاً لإيضاحها بطلانَ الدعوة، فلنحمد الله على هدايته إلى السداد، ونشكره على ظهور الحقّ من أقرب الطرق.

فنقول ـ والله المستعان ـ: إنّا لم تصل إلينا كتبكم، ومهما تطلّبناها حالَ بيننا وبينها حجابُ الإخفاء لها والتستّر بها، على ضدّ حكمة الدعوة وقانون الطاعة وشرع الصدق، حتّى إذا استحصلنا منها ـ بلطيف الجدّ ـ شيئاً قليلاً، بنسخ متعدّدة، فاعتمدنا منها على الذي توافقت فيه النسخ؛ فاستخرجنا مـن البيان و الألواح أسـاس الدعـوة وعـنوان الدعوى، ودللنا على موضعه من كتبكم، وسمّينا قائله، وذكرناه بلفظه، فاعرضوه على ما عندكم تجدوه مطابقاً حرفاً بحرف؛ إذ وجدنا «ميرزا عليّ محمّد» على أطوار:

[١ ـ **دعوى النيابة**]: فطوراً يدّعي أنّه نائب عن بقيّة الله المنتظَر إمامِنا؛ ولذا سمّى نفسه بـ: الباب. وأنّ أوّل نور ظهر هو حجّة الله مولاه، حيث قال في كتابه المسـمّى أحسن القصص في أوّل تفسيره لسورة يوسف من القرآن الكريم ـ وهو من أوائل ما كتبه ـ ما هذا لفظه ونصّه:

> الله قد قدّر أن يخرج هذا الكتاب في تفسير أحسن القصص من عند محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بـن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، على عبده، ليكون حجّة الله من عند الذِكر على العالمين بليغاً، يا معشر الملوك وأبناء الملوك انصرفوا عن ملك الله جميعكم على الحقّ بالحقّ جميلاً.

إلى آخر ما خاطب به ملك إيران محمّد شاه.

وقال أيضاً في تفسير سورة يوسف:

> ولا تقولوا كيف يكلّمُ عن الله مَن كان في السنّ خمس وعشرون، اسمعوا، فوربِّ السماء والأرض إنّي عبد الله آتاني الله البيّنات من عند بقيّة الله المنتظَر إمامِكم!

ونقل حسين عليّ في أواخر كتابه إيقان عن عليّ محمّد من أوّل كـتابه المسـمّى قيّوم السماء قوله:

يا بقيّة الله، قد فَدَيْتُ بكلّي لك، ورضيتُ السبَّ في سبيلك، وما تمنّيتُ إلّا القتل في محبّتك، وكفى بالله العليّ معتصماً قديماً.

وقال أيـضاً فـي خـطابه للـملّا مـحمّد عـليّ المـازندرانـي، المـلقّب بـالقدّوس، ما مختصره: «أوّلُ طرزٍ لاحَ ولمعَ ثمّ أشرقَ حضرةُ النور، وماحي الديـجور، حـجّةُ الله مولاي».

وقال في خطابه لزرّين تاج التي سمّاها بقرّة العين: «ثمّ إنّ رجعة القائم ـ عجّل الله فرجه ـ ظهور ذلك النور»!

**[٢ ـ دعوى المهدويّة]**: وطوراً يدّعي أنّه المهديّ، الثاني عشر من الأئـمّة عـند الشيعة، والرابع عشر من المعصومين، حيث قال في البيان: «في ذِكر البسملة والنقطة والاعتماد على تأويل الحروف المقطّعة»، وذكر كلاماً طويلاً على نحو طريقة الشيعة الاثني عشريّة في تعداد المعصومين والأئمّة في الدين، فذكر رسول الله وأمير المؤمنين والزهراء والأئمّة من بعدهم عليهم السلام، فعدّهم واحداً واحداً إلى قوله: «والثالث عشر الحسن العسكري»، وقال: «والرابع عشر البهاء الذي نزل في ليلة القدر»!

وقال في كتابه لشهاب الدين الآلوسي: «وإنّي أنا المهديّ، حقّ على كلّ مَن آمن بالقرآن بي يوعدون»!

**[٣ ـ دعوى النبوّة]**: وطوراً يدّعي أنّه نبيٌّ، بعثه الله وأرسله وأوحى إليه، وأنزل عليه كتاباً لا يقدر الجنّ والإنس على أن يأتوا بمثله، وأنّه رفع الأحكام العمليّة، ونهى أن يتّبع غير ما في كتابه البيان!

وافتخر على القرآن الكريم بأنّه يأتي بمقداره في أربعة أيّام مع أنّ القرآن الكريم نزل في ثلاث وعشرين سنةً، وبأنّ أمره أعجب من أمر رسول الله!

وهاك ما ذكره في هذه الدعاوي من بعض كلماته:

قال فيما كتبه للملّا محمّد عليّ المازندراني:

وإنّ شؤون التفسير شأن النبيّ، والمناجاة شأن الوليّ، والعلم شأن الأبواب، قد أظهرنا ذلك الشؤون!

وقال في تفسير سورة يوسف: «وإنّ الله قد أوحى إليّ: إنْ كنتم تحبّون الله فاتّبعوني»!

وقال في كتابه للآلوسي: «ولقد بعثني الله بمثل ما قد بعث محمّداً رسول الله من قبل»!

وقال: «ولقد رفعنا كلّ ما أنتم به تعملون»!

ثمّ قال: «ولا تتّبعنّ إلّا ما نزل في البيان، فإنّ ذلك ما ينفعكم»!

وقال: «وإنّ يوم الذي نزل الفرقان على محمّد إلى يوم نزّل الله البيان علَيَّ ألف ومائتين وستّين سنةً»!

وقال:

ما قد ينزّل الله في ثلاث وعشرين سنةً حينئذٍ ينزل في أربعة يوم، فإذاً فتحضرون بين يديَّ لتكوننّ من الشاهدين!

وقال في تفسير سورة يوسف:

لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذه الكتاب بالحقّ على أن يستطيعوا ولو كان أهل الأرض ومثلهم معهم على الحقّ ظهيراً!

وقال في البيان:

ولعمري إنّ أمر الله في حقّي أعجب من أمر رسول الله من قبل لو أنتم فيه تتفكّرون، قال: إنّه رُبّي في العرب، ثمّ من بعد أربعين سنةً نزّل الله عليه الآيات، وجعله رسوله إلى العالمين، قل: إنّي رُبّيت في الأعجمين، وقد نزّل الله علَيَّ من بعدما قضى من عمري خمسةً بعد عشرين سنةً آيات التي كلٌّ عنها يعجزون!

وقال:

ولعمري، أوّل من سجد لي محمّد، ثمّ عليّ، ثمّ الذين هم شهداء من بعده، ثمّ أبواب الهدىٰ، أُولئك الّذين سبقوا إلى أمر ربّهم وأُولئك هم الفائزون!!

١٨

هذا بعض ما وجدناه من دعاوي عليّ محمّد في دعوته على قلّة ما عثرنا عليه من كتابه.

وهناك دعاوٍ أُخر نؤخّر الكلام فيها وعليها إلى أن نفرغ من المكالمة في هذه الدعاوي المتقدّمة.

**[دعاوى حسين عليّ الملقّب بالبهاء]:**

وأمّا ما وجدناه من دعاوي حسين عليّ، الملقّب بالبهاء، فإنّه ادّعى أنّ الله بعثه وأرسله بآياتٍ بيّنات، وأنّه الروح المسيح جاء مرّةً أُخرى ليتمّ ما قاله من قبل، وأنّه جاء بكتاب سمّاه الأقدس بشريعةٍ وأحكام، ولكنّها كلّها مخالفة ومباينة لشريعة الإسلام!

قال حسين عليّ في رسالة يكفّر بها البابيّة الأزليّة، أتباع الميرزا يحيى، الملقّب بصبح الأزل:

قد بعثني الله وأرسلني إليكم بآيات بيّنات وأُصدّق ما بين أيديكم من كتب الله وصحائفه وما نزل في البيان!

وفي هذه الرسالة ذكر كتاباً إلى بعض القسّيسين من سُكّان القسطنطينيّة جواباً لكتابه، ولكنّ حسين عليّ زعم أنّ كتابه إلى القسّ من كلام الله وقوله، حيث قال في حكايته للكتاب: «قوله تعالى: قد حضر كتابك في ملكوت ربّك الرحمٰن» إلى آخره.

وقال مخاطباً للقسّ طالباً منه دعوة المسيحيّين إليه:

قل يا قوم قد جاءكم الروح مرّةً أُخرى ليتمّ لكم ما قال من قبل، كذلك وُعِدتم به في الألواح إن كنتم من العارفين ـ إلى قوله ـ: ثمّ اعلم بأنّ الذي صعد إلى السماء قد نزل بالحقّ، وبه مرّت روائح الفضل على العالم!

# موانع الاعتقاد
# بالبابيّة والبهائيّة

فلنبدأ بالنظر في دعاوي الميرزا عليّ محمّد، وقد تقدّم تقريرها، ولننظر معاً بعين الإنصاف إلى إمكانها وثبوتها.

## [المانع الأوّل: تناقض الادّعاءات]

**فنقول:** هل يخفى عليك أنّ كلّ دعوىً تَقلّبَ فيها مدّعيها بالمتنافيات والمتناقضات، فذلك التقلّب أصدق شاهد وأوضح دليل على كذب الدعوى وبطلان أساسها، وأنّها لا مساس لها بالحقّ والحقيقة؟!

فماذا ترى ـ بوجدانك ـ إذا قال شخص: أنا نائب فلان، ثمّ قال: أنا نفس فلان؟!

أفلا يرى كلّ مميّز أنّ هذا من تناقض الكلام، الذي يلتجئ الكاذب فيه إلى ما يرجو رواجه بحسب الوقت والمكان والحال؟!

أفلا تراه تارةً يقول:

إنّي عبد الله آتاني الله البيّنات من عند بقيّة الله المنتظَر إمامكم، وإنّ الطرز الذي لاح هو حجّة الله مولاه؟!

ثمّ يقول: «إنّي أنا المهديّ الذي كلٌّ به يوعدون»!

أفليس كلّ واحدة من الدعويَين تكذّب الأُخرى؟!

وهذا أحد الموانع المكذِّبة للدعوى، وفيه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وإليك فاستمع إلى كثير من الموانع.

## [المانع الثاني: دعاويه المكذّبة لأساسيّات دين الإسلام]

وقد ذكرنا لك اعترافه مراراً بحقّيّة دين الإسلام ونبوّته ورسالته وكتابه وإمامة أئـمّته الأحد عشر، وبنى على ذلك دعوته، وجعله أساساً لمزاعمه.

قل إذاً: فهل يُقبل منه دعاويه التي يبطلها دينُ الإسلام ومذهبُ الإماميّة بما هـو معلوم متيقّن من الدين والمذهب؟!

وذلك لكون تـلك الدعـاوي مكـذِّبة للأسـاسيّات المـعلومة مـن ديـن الإسـلام ومذهب الإماميّة!

فتكون اعترافاتُه السابقة من حقّيّةِ دين الإسلام ورسالته وقرآنه وشريعته، وحقّيّةِ مذهب الإماميّة وإمامتهم وطريقتهم، وإقـراراتُـه بـهذه كـلّها، مـانعةً أشـدّ المـنع مـن صدق دعاويه في دعوته، وزاجرةً من تصديقه، وكافيةً في البرهان القاطع على كذبه، حيث إنّ المعلومات المتيقّنات من دين الإسلام ومـذهب الإمـاميّة تكـذِّبه بـإبطالها لِما يدّعيه.

وإليك فاستمع إلى شرح ذلك؛ فإنّ الميرزا عليّ محمّد ادّعى أنّه المهديّ الموعود به، وأنّ الله بعثه وأوحى إليه، وجاء بكتاب فيه شريعة مخالفة لشريعة الإسلام!

وكلّ هذه الدعاوي مخالفة للمعلوم اليقيني من دين الإسلام ومذهب الإماميّة الاثني عشريّة، بمقتضى القرآن القويم والسُـنّة النبويّة وأحاديث أُولي العصمة؛ ولنـفصّل لك هذه المخالفات:

**فالأولى من المخالفات:** ادّعاؤه أنّه المهديّ المنتظَر!

مع أنّه هو الميرزا عليّ محمّد بن الميرزا رضا البزّاز الشيرازي، وأُمّه العَلَويّة خديجة.

وُلد بشيراز في أوّل محرّم سنة الألف ومائتين وخمس وثلاثين هجريّة.

ومات أبوه وهو رضيع، فنشأ في حجر خاله الميرزا سيّد عليّ التاجر.

وعند أوان بلوغه جعله خاله في متجره، وعلّمه لوازم التجارة. ثمّ أخذه إلى بوشهر، ومكث هناك عنده حتّى بلغ من العمر نحو العشرين سنةً.

وفي أثناء إقامته في شيراز وبوشهر تعاطى التأدّب بتعلّم شيء من مبادئ العلوم، كما يتعاطاه أولاد المترفّهين والتجّار، كالنحو والصرف وبعض أنحاء الحكمة الذي كان رائجاً في فارس.

ولكنّ الاختبار دلّ على أنّه لم يحصل على شيء من ذلك التأدّب، كما يشهد بذلك كثرة اللحن والغلط الفاحش في كلامه، ويدلّ عليه اعتذاره عند نظام العلماء في تبريز بأنّه قرأ الصرف وهو طفل صغير!

نعم، كثر منه في بوشهر تعاطي الرياضات الشاقّة في طلب استخدام الكواكب، حتّى ضجر خاله من ذلك، وحاول أن يرسله إلى العتبات، ليشغله عن ذلك بتكميله فيما كان يتعلّمه من مبادئ العلوم.

فسافر إلى العتبات الشريفة، وأقام في كربلاء يراجعُ تدريسَ السيّد كاظم الرشتي[1] لكتب الشيخ أحمد الأحسائي[2]، وبقي في العراق إلى السنة الخامسة والعشرين من عمره ورجع إلى بوشهر.

---

١. هو كاظم بن قاسم الحسيني الموسوي الجيلاني الرشتي الحائري (١٢١٢ ـ ١٢٥٩هـ = ١٧٩٧ ـ ١٨٤٣م)، أحد تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي، سكن كربلاء، وهو من المتوغّلين في كتب الحكمة، ورئيس فرقة الكشفيّة المشتقّة من الشيخيّة. وانظر: هديّة العارفين ٥: ٨٣٦؛ معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة ١: ٩٣٢؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢١٥؛ معجم المؤلّفين ٢: ٦٦٤، الرقم ١١١٦٦.

٢. هو أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الأحسائي البحراني (١١٦٦ ـ ١٢٤١هـ = ١٧٥٣ ـ ١٨٢٦م)، مؤسّس مذهب الكشفيّة، نسبة إلى الكشف والإلهام، وكان يدّعيهما، وربّما يقال لأتباعه: الشيخيّة، وُلد بالأحساء، وتعلّم في بلاد فارس، وتنقّل بينها وبين العراق، وسكن البحرين، وتوفّي وهو متوجّه إلى الحجّ قريباً من المدينة المنوّرة، وحمل إليها فدفن فيها، له مؤلّفات في الحكمة والكلام والأُصول والنجوم وغيرها. انظر: أعيان الشيعة ٢: ٥٨٩؛ هديّة العارفين ٥: ١٨٥؛ الأعلام للزركلي ١: ١٢٩؛ معجم المؤلّفين ١: ١٤٣، الرقم ١٠٦٦.

ثمّ استحضرته الحكومة إلى شيراز تاسع عشر شعبان سنة الألف ومائتين وإحدى وستّين هجريّة، فتداولته السجون في شيراز، ومنها إلى أصفهان، ومنها إلى قلعة چهريق في مدينة باكو من أذربايجان، إلى أن قُتل في تبريز في السابع والعشرين من شعبان سنة الألف ومائتين وخمس وستّين هجريّةً.

## [ما روي في الإمام المهدي عليه السلام]

مع أنّ ضرورة مذهب الإماميّة، وصريح المتضافر الصحيح من أخبار أئمّتهم ـ كما وافقهم عليه جملة من عرفاء أهل السُنّة[1] ـ أنّ المهديّ هو الولد الصُلبي للإمام الحسن العسكري عليه السلام، وُلد بسامرّاء من أُمّ ولد اسمها نرجس، ليلة النصف من شعبان سنة المائتين وستّ وخمسين من الهجرة[2].

والإمام أبوه أراه لبعض الشيعة، ونصّ على أنّه هو المهديّ المنتظر صاحب الغَيبة[3].

وقد ذكر جماعة من المؤرّخين ولادته وصفاته، منهم: ابن خلّكان في تأريخه[4]،

---

١. من هؤلاء: ١ ـ محيي الدين بن العربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ) في الفتوحات المكّيّة الباب ٣٦٦، ونُقل ذلك عنه في مشارق الأنوار ـ للشيخ حسن العدوي الحمزاوي ـ: ١٣١، وفي اليواقيت والجواهر ـ للشعراني ـ: ٢٨٨.

٢ ـ عبد الوهّاب الشعراني (٩٧٣هـ) في لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ٢: ١٣٩، الرقم ٢٥؛ واليواقيت والجواهر: ٢٨٧ ـ ٢٨٨، ونقل ذلك عنه في استقصاء الإفحام: ٩٢.

٣ ـ عبد الحقّ الدهلوي، في مناقب وأحوال أئمّة أطهار، ونقل ذلك عنه في استقصاء الإفحام: ١٠٦.

٤ ـ العطّار النيسابوري، في مظهر الصفات، ونقل ذلك عنه في ينابيع المودّة ٣: ٣٤٨ و ٣٥٠ و ٣٩٧ ح ٥٠ و ٥١.

٥ ـ شمس الدين التبريزي، كما في ينابيع المودّة ٣: ٣٤٨. انظر كلمات هؤلاء وغيرهم في كشف الأستار: ٤٦ ـ ٩٣.

٢. راجع: الكافي ١: ٥١٤، باب مولد الصاحب عليه السلام، ح ١؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٤ ـ ٤٣٢، ح ١ ـ ٣ و ٩ و ١٢، الباب ٤٢؛ الإرشاد ٢: ٣٣٩؛ الغَيبة، للطوسي: ٢٣١، ح ١٩٨، و ٢٣٤، ح ٢٠٤، و ٢٣٩، ح ٢٠٧، و ٢٤٠، ح ٢٠٨، و ٢٤٥، ح ٢١٢.

٣. الكافي ١: ٣٦٨، ح ٧، باب الإشارة والنصّ إلى صاحب الدار عليه السلام، ح ٣ ـ ٤ و ٦، وانظر: ٣٧١ ـ ٣٧٢، باب في تسمية من رآه عليه السلام، ح ١٢ ـ ١٤ و ٥١٤، باب مولد الصاحب عليه السلام، ح ٢؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣١ ـ ٤٣٢، ح ٨ و ٩، الباب ٤٢ و ٤٣٣، ح ١٦، و ٤٣٤ ـ ٤٣٦، ح ١ ـ ٥؛ الإرشاد ٢: ٣٤٨؛ إعلام الورى ٢: ٢٢٠ و ٢٤٨ ـ ٢٥٣.

٤. وفيات الأعيان ٤: ١٧٦، الرقم ٥٦٢.

وابن حجر في صواعقه[١]، ولم يذكر أحدٌ له تأريخَ وفاة، حتّى أنّ الملوك العبّاسيّين في ذلك العصر كانوا يعرفون من الأئمّة أنّ المهديّ هو ابن الإمام العسكري؛ ولذا صاروا يطلبونه بعد وفاة الإمام العسكري، حتّى أنّهم جعلوا بعض جواري الإمام العسكري تحت المراقبة تفصّياً[٢] عن حملهنّ منه[٣].

وإليك فاستمع أخبار النبيّ وأهل بيته فيما قلناه، ثمّ إنّا نذكر لك من كلّ حديث نصّ فقراته في هذا المطلوب، ونترك باقيه طلباً للاختصار، وحذراً من الإطالة، ولكنّا ندلّ على الكتب التي نستخرج منها هذه الأخبار، ونذكر مصنّفيها، وتأريخ عصرهم، ليتيسّر لك مراجعتها، لتطّلع على الأخبار بطولها ونصّها وسندها.

فنروي من كتاب سُليم، وهو ممّن أدرك أمير المؤمنين عليه السلام وسلمان وروى عنهما[٤].

ومن كتاب الغَيبة للفضل بن شاذان، وهو من خواصّ أصحاب الرضا عليه السلام، وأدرك ولادة الحجّة، وتوفّي في أيّام العسكري عليه السلام[٥].

ومن كتاب أُصول الكافي، لثقة الإسلام، وأوثق الناس في الحديث وأتقنهم، الشيخ أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكُليني، المتوفّى سنة الثلاثمائة وثمان وعشرين من الهجرة، قبل الغَيبة الكبرى بسنة[٦].

ومن كتاب الغَيبة، للشيخ أبي عبدالله محمّد بن إبراهيم، الكاتب النعماني، وقد ألّفه سنة الثلاثمائة واثنين وأربعين من الهجرة[٧].

---

١. الصواعق المحرقة: ٢٥٥ و ٣١٤.

٢. التفصّي: الاستقصاء، والتخلّص من المضيق أو البليّة. المصباح المنير: ١٨١؛ لسان العرب ١٥: ١٥٦؛ تاج العروس ٢٠: ٥٠، «ف ص ي».

٣. الكافي ١: ٥٠٥، باب مولد أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام، ذيل الحديث ١؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣.

٤. خلاصة الأقوال: ١٦١ ـ ١٦٣، الرقم ٤٧٣.

٥. المصدر: ٢٢٩، الرقم ٧٦٩.

٦. رجال النجاشي: ٣٧٧، الرقم ١٠٢٦. وفيه: أنّه توفّي سنة ٣٢٩؛ الفهرست للطوسي: ٣٩٣ ـ ٣٩٥، الرقم ٦٠٣.

٧. راجع: رجال النجاشي: ٣٨٣، الرقم ١٠٤٣؛ الذريعة ١٦: ٧٩، الرقم ٣٩٨.

ومن كتاب الاختصاص والأمالي والإرشاد، للشيخ الأجلّ الشيخ المفيد، المولود سنة ثلاثمائة وثلاث وثلاثين[١].

ومن كتاب إكمال الدين وكتاب عيون الأخبار، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القمّي، المتوفّى سنة الثلاثمائة وإحدى وثمانين من الهجرة[٢].

ومن كتاب كفاية الأثر، للشيخ الجليل عليّ بن محمّد بن عليّ الخزّاز، المعاصر للصدوق أبي جعفر[٣].

ومن كتاب مقتضب الأثر، للشيخ أحمد بن محمّد بن عيّاش، المتوفّى سنة إحدى وأربعمائة[٤].

ومن كتاب الغَيبة، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، المتوفّى سنة أربعمائة وستّين[٥].

ومن كتاب فرائد السمطين، للحمويني الشافعي.

ومن كتاب المناقب، للخطيب الفقيه ابن المغازلي الشافعي.

وغيرها من الكتب التي نصرّح بأسمائها.

### ١ ـ فصل: [فيما روي عن رسول الله ﷺ وحديث اللوح وصحيفة الزهراء عليها السلام]

١ ـ أسند الكليني في أُصول الكافي، والنعماني في كتاب الغَيبة، من سماعة من شيخٍ كتب هذا الحديث في كتابه سنة الثلاثمائة والثلاث عشر، والصدوق في كتاب العيون، والباب الثامن والعشرين من إكمال الدين، والمفيد في كتاب الاختصاص، والشيخ الطوسي في كتاب الغَيبة، والطبرسي في الاحتجاج، والحمويني الشافعي في

١. رجال النجاشي: ٣٩٩، الرقم ١٠٦٧؛ رياض العلماء ٥: ١٧٧.

٢. رجال النجاشي: ٣٨٩، الرقم ١٠٤٩.

٣. رياض العلماء ٤: ٢٢٦؛ روضات الجنّات ٤: ٣١٣، الرقم ٤٠١.

٤. رجال النجاشي: ٨٥، الرقم ٢٠٧.

٥. المصدر: ٤٠٣، الرقم ١٠٦٨؛ خلاصة الأقوال: ٢٤٩، الرقم ٨٤٥.

الباب الثاني والثلاثين من السمط الثاني من فرائد السمطين؛ بأسانيد متعدّدة عن جابر بن عبدالله الأنصاري في ذِكر اللوح الذي رآه عند الزهراء عليها السلام، من قول الله في ذِكر الأئمّة وتعدادهم، قوله تعالى ـ بعد ذِكر الحسن العسكري ـ: «ثمّ أُكملُ ذلك بابنه محمّد رحمة للعالمين، عليه كمال[1] موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيّوب»[2].

٢ ـ وأسند الصدوق أيضاً في الباب الثامن والعشرين من إكمال الدين، وفي العيون بسند مغاير لِما تقدّم، عن الصادق عليه السلام، أنّ الباقر عليه السلام جمع وُلدَه وأخرج لهم كتاباً بخطّ عليّ وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله فيه ما ذُكر في حديث اللوح المتقدّم بتمامه[3].

٣ ـ وأسند الصدوق أيضاً في الباب المذكور من إكمال الدين، وفي العيون بسند مغاير أيضاً لِما تقدّم، عن الصادق عليه السلام، قال: «وجدنا صحيفة بإملاء رسول الله ...» وذكر فيها ما ذُكر في اللوح المتقدّم بتمامه[4].

٤ ـ وأسند الصدوق أيضاً في الباب الثامن[5] والعشرين من إكمال الدين، والخزّاز في كفاية الأثر، عن جابر الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تعداد الأئمّة عليهم السلام، قوله صلى الله عليه وآله: «ثمّ الحسن بن عليّ[6]، ثمّ سميّي وكنيّي، حجّة الله في أرضه، وبقيّته في عباده، ابن الحسن بن عليّ، ذاك الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته [وأوليائه] غَيبة لا يثبت [فيها] على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان»[7].

---

١. كان في الأصل المطبوع: «جمال»، وهو تصحيف، وما أثبتناه هو الموافق لِما في المصادر والسياق.

٢. الكافي ١: ٥٢٧ ـ ٥٢٨، باب ما جاء في الاثنى عشر والنصّ عليهم عليهم السلام، ح ٣؛ الغَيبة، للنعماني: ٦٦ ذيل الحديث ٥؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٠، ذيل الحديث ٢؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٣١٠ ذيل الحديث ١، الباب ٢٨؛ الاختصاص: ٢١٢؛ الغَيبة، للطوسي: ١٤٦، ذيل الحديث ١٠٨؛ الاحتجاج ١: ١٦٦، ذيل الحديث ٣٣؛ فرائد السمطين ٢: ١٣٨، ذيل الحديث ٤٣٢ ـ ٤٣٥.

٣ و ٤. كمال الدين وتمام النعمة: ٣١٢، ذيل الحديث ٣، الباب ٢٨؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٠ و ٥١، ح ٣ و ٤.

٥. كذا في الأصل المطبوع، والصحيح: الثالث.

٦. أي العسكري. (منه رحمه الله).

٧. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٣، ح ٣، الباب ٢٣؛ كفاية الأثر: ٥٤.

٥ ـ وأسند الصدوق في كتاب العيون، وفي الباب السابع والعشرين من إكمال الدين، والطبرسي في الاحتجاج، والحمويني في الباب الثاني والثلاثين من السمط الثاني من فرائد السمطين: أنّ الباقر عليه السلام قال لجابر الأنصاري: «حدّثنا بما عاينت من الصحيفة»؛ فذكر له جابر شأن صحيفة الزهراء عليها السلام وما فيها من ذِكر أسماء الأئمّة واحداً بعد واحد، وأسماء آبائهم وأُمّهاتهم، إلى قوله بعد ذِكر الحسن العسكري عليه السلام: أبو القاسم محمّد بن الحسن، هو حجّة الله على خلقه، القائم، أُمّه [جارية] اسمها نرجس[1].

٦ ـ وأسند الشيخ الطوسي في أماليه في حديث الصحيفة ومقابلة الباقر للنسخة التي عنده مع نسخة جابر الأنصاري، فذكر بعد تعداد الأئمّة الهادي والعسكري عليهما السلام ما نصّه: والخَلَف محمّد... وهو المهديّ من آل محمّد، يملأُ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[2].

بيان: والمراد من الخَلَف: هو الولد الصُلبي الذي يخلف والده عند موته في مقامه الحميد وآثاره الكريمة، فالخلف هنا هو من يقوم بالإمامة عند موت الحسن العسكري عليه السلام، وهو ولده الحجّة.

٧ ـ وأسند الخزّاز في كفاية الأثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله حديثاً فيه تعداد الأئمّة إلى الحسن العسكري، ووصفه بأنّه أبو حجّة الله، قال: «ويخرج من صلب الحسن قائمنا أهل البيت، يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[3].

٨ ـ وأسند الخزّاز في كفاية الأثر أيضاً، والحمويني الشافعي في الباب الحادي والثلاثين من السمط الثاني من فرائد السمطين، عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، حديثاً مع اليهودي فيه تعداد الأئمّة واحداً بعد واحد، إلى أن بلغ إلى الحسن العسكري عليه السلام،

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٤٧ ـ ٤٨، ح ١؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٣٠٥ ـ ٣٠٧، ح ١، الباب ٢٧؛ الاحتجاج ٢: ٢٩٦ ـ ٢٩٨، ح ٢٤٧؛ فرائد السمطين ٢: ١٤٠ ـ ١٤١، ذيل الحديث ٤٣٢ ـ ٤٣٥.

٢. الأمالي: ٢٩١ ـ ٢٩٢، ح ٥٦٦.

٣. كفاية الأثر: ٨٤.

فقال ﷺ: «فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة ابن الحسن، محمّد المهديّ، فهؤلاء اثنا عشر»[١].

ورواه الفضل بن شاذان في كتاب الغَيبة عن محمّد بن أبي عمير وأحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن عبد الله بن عبّاس، عن رسول الله ﷺ.

٩ ـ وأسند الخزّاز في كفاية الأثر حديثاً عن ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ، فيه تعداد الأئمّة واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري، وقال ﷺ: «وإذا انقضى الحسن فابنه الحجّة»[٢].

١٠ ـ وأسند الخزّاز في كفاية الأثر بأسانيد ثلاثة عن الأصبغ بن نباتة، وشريح بن هاني، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى، كلّهم عن أمير المؤمنين، عن النبيّ حديثاً طويلاً في أمر الوصاية والإمامة من آدم عليه السلام إلى أن بلغ إلى الحسن العسكري، فقال: «والحسن يدفعها إلى ابنه القائم، ثمّ يغيب عنهم ما شاء الله، وتكون له غَيبتان، إحداهما أطول من الأُخرى».

ثمّ قال ﷺ: «الحذر الحذر إذا فُقد الخامس من وُلد السابع»[٣].

١١ ـ وأسند أيضاً عن محمّد بن الحنفيّة، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله ﷺ ـ في حديث ـ قوله ﷺ: «ومن ذرّيّتك الأئمّة المطهّرون... وستكون بعدي فتنة صمّاء صيلم، [يسقط فيها كلّ وليجة وبطانة] وذلك عند فقدان شيعتك الخامس من وُلد السابع»[٤].

بيان: ولعلّ الناظر إلى هذين الحديثين، قبل سنة الألف ومائتين وستّين، يستعظم مضمونهما ويستغربه ويقول:

ما عسى أن يحدث من الفتن بعد الغَيبة؟!

---

١. كفاية الأثر: ١٤؛ فرائد السمطين ٢: ١٣٣ ـ ١٣٤، ح ٤٣١.

٢. كفاية الأثر: ١٨.

٣. المصدر: ١٤٦ ـ ١٥٠.

٤. المصدر: ١٥٧ ـ ١٥٨.

وماذا حدث حتّى يمتاز عن الفتن التي حدثت بعد النبيّ ﷺ من اختلاف أُمّته، وإراقة الدماء بينهم، وقتل ذرّيّته، وسبي حريمه، وشيوع الظلم والجور والفسق والفجور، وسفك الدماء الزكيّة، وقتل النفوس المحترمة، ودفع الأئمّة عن حقّهم؟!

ولكنّ هذا الرجل لو عاين ما حدث في المسلمين بعد سنة الألف والمائتين وستّين، لعرف السرّ المودع في هاتين الروايتين، وبان له امتياز هذه الفتنة عن الفتن السابقة، وعرف أنّها هي التي يجب التحذير منها، حيث كانت طليعتها الدعوة إلى اطّراح القرآن الكريم لقول القائل: «إنّا جعلناك جرداناً جريداً للجادرين»!! وما أشبه ذلك.

ومن فضائع هذه الدعوة: أنّ بارعة الحسن، فريدة الجمال، زرّين تاج القزوينيّة، الملقّبة بقُرّة العين، رقت المنبر في قرية دشت، قريب مدينة بسطام، وهي بادية المحاسن الفتّانة، في ريعان الشباب وزهوّ الجمال، ونادت في الناس مجاهرةً بأنّ الشريعة المحمّديّة قد بطلت بظهور الباب، وأحكام الشريعة الجديدة البابيّة لم تصل إلينا، ونحن الآن في زمن فترة، والاشتغال بما جاء به محمّد لغوّ وباطل، فلا أمر اليوم ولا تكليف، ولا نهي ولا تعنيف!!

وأمرت بهتك حجاب النساء، ثمّ سارت المنازلَ بين قوم أخلاط، ليس لها فيهم محرم ولا قرابة ولا حميّ، بعدما أطلقتهم من قيود التكليف!

فكان ما كان ممّا لستُ أذكره      فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبرِ

ومن فظائع هذه الفتنة: أنّ الملّا حسين البشروئي لَمّا انهزم مقاتلوه والتجؤوا إلى قرية «فراد» من أعمال مازندران، عطف على أهل القرية، الذين هم لم يشتركوا في القتال، وأفناهم جميعاً، وذبحهم طرّاً، إناثاً وذكوراً، أطفالاً وشيوخاً، ودمّر القرية، وأحرقها بالنار![1]

ومن فظائع هذه الفتنة: قول البهاء حسين عليّ في الصفحة المائة والثامنة والثمانين،

١. في الأصل: «وأفناهم جميعاً، عطف على أهل القرية، الذين هم لم يشتركوا في القتال» والصواب ما أثبتناه.

من كتابه المسمّى إيقان، في شأن الملّا حسين البشروئي المذكور، ما نصّه بالفارسيّة: «و از اين جمله ملّا حسين است كه محل اشراق ظهور شدند»![1]

ثمّ قال بالعربيّة: «ولولاه[2] ما استوى الله على عرش رحمانيّته، وما استقرّ على كرسيّ صمدانيّته»!

وإنّ عندنا نسخة خطّيّة في ثمانين ورقة، تكون هذه الفقرات فيها قبل الآخر بنحو ثمان أوراق.

ولنكتف من هذا النحو هنا بهذا المقدار، ولعلّما نذكر أمثاله في الكفر والإلحاد.

ومن فظائع هذه الفتنة: أنّ كثيراً ممّن وُلد على فطرة الإسلام قد أنكروا ضروريّات الدين، وارتدّوا عن فطرة، وبدّلوا الشريعة، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

ولنرجع إلى ما نحن الآن بصدده.

١٢ ـ وأسند ابن المغازلي في مناقبه عن جابر، عن رسول الله ﷺ حديثاً فيه تعداد الأئمّة لجندل اليهودي، إلى أن بلغ الحسن العسكري ﷺ فقال ﷺ: «وبعده ابنه محمّد، يُدعى بالمهديّ والقائم والحجّة، فيغيب ثمّ يخرج، فإذا خرج يملأُ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، طوبى للصابرين في غَيبته»[3].

وهذا الحديث رواه الفضل بن شاذان في كتاب الغَيبة، عن محمّد بن الحسن الواسطي، عن زفر بن هذيل، عن سليمان بن مهران الأعمش، عن مورق، عن جابر بن عبدالله الأنصاري، عن رسول الله ﷺ.

١٣ ـ وأسند الخزّاز أيضاً في الكفاية مع تفاوت يسير في روايتهما عن رواية ابن المغازلي، ومن التفاوت قوله ﷺ ـ بعد ذِكر الحسن العسكري ـ: «ثمّ يغيب عنهم إمامهم».

فقال جندل: هو الحسن يغيب [عنهم]؟!

---

١. أي ومن هؤلاء كان الملّا حسين محلّ تجلّي الظهور.

٢. أي لولا الملّا حسين. (منه ﷺ).

٣. لم أجده في المناقب المطبوع، ونقله القندوزي عن المناقب في ينابيع المودّة ٣: ٢٨٣ ـ ٢٨٥، ح ٢.

فقال رسول الله: «لا، ولكن ابنه الحجّة»[١].

١٤ ـ وأسند الخزّاز في الكفاية عن الحسن السبط عليه السلام، قال: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله...»، وذكر الخطبة وتعداد النبيّ للأئمّة واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري، وبعده قوله صلى الله عليه وآله: «ويُخرج الله من صلب الحسن الحجّةَ القائم، إمام زمانه [ومنقذ أوليائه] يغيب حتّى لا يُرى»[٢].

١٥ ـ وأسند أيضاً عن الحسن السبط عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً ذكر فيه أنّه صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم، وذكر الأئمّة واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري عليه السلام، وقال صلى الله عليه وآله: «والحجّة ابن الحسن أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم»[٣].

١٦ ـ وبسند آخر عن الحسين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، في حديث أنّه قال لجبرئيل: «ومَن قائمنا أهل البيت؟» فقال: «هو التاسع من وُلد الحسين».

ثمّ ذكر جبرئيلُ الأئمّةَ واحداً بعد واحد حتّى بلغ الحسن العسكري عليه السلام فقال: «ويخرج من صلبه كلمة الحقّ، ولسان الصدق، ومظهر الحقّ، حجّة الله على بريّته، له غَيبة طويلة، يظهر الله به الإسلام وأهله، ويخسف به الكفر وأهله»[٤].

١٧ ـ وأسند أيضاً عن الصادق، عن آبائه، عن الحسين عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، في بعض ما أُوحي إليه ورآه لَـمّا أُسري به إلى السماء، وأنّه رأى أنوار الأئمّة عليهم السلام، وذكرهم واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري، فقال: «ومحمّد بن الحسن القائم في وسطهم كالكوكب الدُرّي»[٥].

١٨ ـ وأخرج أبو المؤيّد موفّق بن أحمد الخوارزمي بسنده، والحمويني في

---

١. كفاية الأثر: ٥٩.

٢. المصدر: ١٦٥.

٣. المصدر: ١٧٧.

٤. المصدر: ١٨٧ ـ ١٨٩، وفيه: «عن عائشة».

٥. المصدر: ١٨٥ ـ ١٨٦ بلفظ آخر، وفيه: «عن أُمّ سلمة».

فرائد السمطين، عن أبي سلمى[1] ـ راعي رسول الله ـ مثله، وفيه: «ومحمّد بن الحسن المهديّ، كأنّه كوكب دُرّي بينهم»[2].

١٩ ـ وأسند الشيخ الطوسي في غَيبته عن الصادق، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين عليهم السلام، في وصيّة النبيّ بتسليم عهد الإمامة من إمام إلى إمام، وعدّد الأئمّة، إلى أن قال في ذِكر الهادي: «فلْيسلّمها إلى ابنه الحسن [الفاضل]، فإذا حضرته الوفاة فلْيسلّمها إلى ابنه محمّد المستحفَظ من آل محمّد صلى الله عليه وآله»[3].

## ٢ ـ فصل: [فيما روي عن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام]

٢٠ ـ وأسند الكليني في أُصول الكافي في باب الغَيبة، والنعماني في كتاب الغَيبة، والصدوق في الباب السادس والعشرين من إكمال الدين، والمفيد في الاختصاص، والشيخ الطوسي في كتاب الغَيبة، والخزّاز في كفاية الأثر، بأسانيد مختلفة عن الأصبغ بن نباتة، من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «فكّرت في مولود يكون في ظهر الحادي عشر مِن وُلدي، هو المهديّ الذي يملؤها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، له حيرة وغَيبة، تضلّ بها أقوام، ويهتدي بها آخرون»[4].

بيان: المراد أنّ المهديّ يكون من وُلد أمير المؤمنين من ظهر الحادي عشر من الأئمّة.

٢١ ـ وذكر الشيخ المفيد في كتاب الجوابات ـ وهي رسالة مختصرة ـ أنّه ممّا روته العامّة والخاصّة خبر كميل بن زياد عن أمير المؤمنين، وفيه قوله عليه السلام: «ولكنّي أُفكّر في

---

١. كان في الأصل: «أبي سليمان»، وهو تصحيف؛ وما أثبتناه هو الصحيح، انظر: الإصابة ٧: ١٥٨، الرقم ١٠٠٤٧؛ الاستيعاب ٤: ١٦٨٣، الرقم ٣٠١٥؛ أُسد الغابة ٥: ١٥٣، الرقم ٥٩٧٤.

٢. مقتل الحسين عليه السلام: ٩٥ ـ ٩٦؛ فرائد السمطين ٢: ٣١٩ ـ ٣٢٠، ح ٥٧١ وفيه: «والمهديّ في ضحضاح من نور قياماً يصلّون، هو في وسطهم ـ يعني المهدي ـ كأنّه كوكب درّي».

٣. الغَيبة: ١٥٠ ـ ١٥١، ح ١١١.

٤. الكافي ١: ٣٣٨، باب في الغَيبة، ح ٧؛ الغَيبة، للنعماني: ٦٠ ـ ٦١، ح ٤؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٢٨٨ ـ ٢٨٩، ح ١، الباب ٢٦؛ الاختصاص: ٢٠٩؛ الغَيبة، للطوسي: ١٦٤ ـ ١٦٥، ح ١٢٧؛ كفاية الأثر: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

التاسع من وُلد الحسين، هو الذي يملأُ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، تكون له غَيْبة يرتاب فيها المبطلون. يا كميل! لا بُـدّ لله في أرضه من حجّة، إمّا ظاهر [مشهور] شخصه، وإمّا باطن مغمور؛ لئلّا تبطل حجج الله»[١].

٢٢ ـ وأسند الصدوق في الباب المتقدّم من إكمال الدين عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث ـ أنّه قال: «التاسع من وُلدك يا حسين هو القائم بالحقّ، والمُظهِر للدين، والباسط للعدل».

قال الحسين عليه السلام: «فقلت: يا أمير المؤمنين! وإنّ ذلك لكائن؟».

فقال: «إي والذي بعث محمّداً بالنبوّة واصطفاه على جميع البريّة، ولكن بعد غَيبة وحَيرة لا يثبت فيها على دينه إلّا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيّدهم بروح منه»[٢].

بيان: قوله عليه السلام: «لا يثبت فيها على دينه إلّا المخلصون» لا يُعرف الوجهُ فيه وسرّه العيني إلّا بعد سنة الألف ومائتين وستّين.

٢٣ ـ وأسند ابن عيّاش في كتاب مقتضب الأثر سماعاً في سنة خمس وثمانين ومائتين، عن جماعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث ـ أنّه قيل له: ومَن ابن خيرة الإماء؟

فقال: «ذلك الفقيد [الطريد] الشريد، محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين هذا»؛ ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام[٣].

٢٤ ـ وفي شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة، في شرح خطبة مشتملة على ذِكر بني أُميّة، قال: هذه الخطبة ذكرها جماعة عن أصحاب السير، وهي متداولة مستفيضة،

---

١. الرسالة الثانية في الغَيبة: ١٢.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٠٤، ح ١٦، الباب ٢٦.

٣. مقتضب الأثر: ٣١.

وفيها ألفاظ لم يوردها الرضيّ، منها قوله عليه السلام: «ليفرّجَنّ اللهُ [الفتنة] برجل منّا أهل البيت، بأبي ابن خيرة الإماء، لا يعطيهم إلّا السيف، هَرْجاً هَرْجاً [1]، موضوعاً على عاتقه [ثمانية أشهر]» [2].

٢٥ ـ ونقل ابن أبي الحديد، عن أصحابه المعتزلة أنّ المهديّ الذي يملأُ الأرض قسطاً وعدلاً هو لأُمّ ولد، كما ورد في هذا الأثر وغيره من الآثار [3].

٢٦ ـ وأسند النعماني في كتاب الغَيبة عن الصادق عليه السلام، عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال على منبر الكوفة: «وإنّ من ورائكم فتناً مظلمةً، عمياء منكسفة، لا ينجو منها إلّا النُّوَمة».

قيل: يا أمير المؤمنين! وما النُّوَمة؟

قال: «الذي يعرف الناس ولا يعرفونه؛ واعلموا أنّ الأرض لا تخلو من حجّة الله، ولكنّ الله سيعمي خلقه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم، ولو خلت الأرض ساعةً واحدةً من حجّة الله لساخت بأهلها، ولكنّ الحجّة يعرف الناس ولا يعرفونه» [4].

أقول: وهذان الحديثان الأخيران، وإن لم تكن لهما صراحة فيما نحن الآن بصدده، مِن أنّ المهديّ هو ابن الحسن العسكري، ولكنّهما بانضمامهما وبيان أنّ الأرض لا تخلو من حجّة ساعة واحدة، كافيان في التعيين، والحجّة على نفي الغير.

### ٣ ـ فصل: [فيما روي عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام]

٢٧ ـ وأسند الصدوق في الباب التاسع والعشرين من إكمال الدين، والطبرسي في الاحتجاج، والحمويني في الباب [السابع] والعشرين من السمط الثاني من فرائد السمطين،

---

١. الهَرْج: شدّة القتل وكثرته، والفتنة والاختلاط. الصحاح ١: ٣٥٠؛ لسان العرب ٢: ٣٨٩، «هرج».
٢. شرح نهج البلاغة ٧: ٥٨.
٣. المصدر: ٥٩.
٤. الغَيبة: ١٤١، ح ٢.

عن الحسن السبط المجتبى ـ في حديث ـ قوله عليه السلام: «القائم... يُخفي اللهُ ولادته، ويُغيّب شخصه؛ لئلّا يكون [لأحد] في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من وُلد أخي الحسين، ابن سيّدة الإماء، يطيل الله عمره في غَيبته، ثمّ يظهره بقدرته في صورة شابٍّ دون أربعين [سنةً]؛ وذلك لِيُعْلَمَ أنّ الله على كلّ شيء قدير»[1].

بيان: ومقتضى هذا الحديث: أنّ طول العمر والغَيبة يبلغ حدّاً يخالف العادة في أعمار أهل زمانه، بحيث يرتاب وينكر ذلك مَن أمالته الأهواء عن الإذعان بأنّ الله على كلّ شيء قدير.

**٤ ـ فصل: [فيما روي عن الإمام الحسين الشهيد عليه السلام]**

٢٨ ـ وأسند الخزّاز في الكفاية عن سيّد الشهداء حديثاً فيه تعداد الأئمّة عليهم السلام، إلى قوله: «عليّ الهادي، وبعده الحسن ابنه، فقال: وبعده الخلف المهديّ، هو التاسع من وُلدي، يقوم بالدين في آخر الزمان»[2].

بيان: قوله عليه السلام: «يقوم بالدين» أي يحيي معالمه بعدما دثرت وكادت أن تمحوها أهواء الضلال ـ كما سنوضّح ذلك إن شاء الله ـ بمقتضى دلالة الأخبار والقرآن من أنّ الدين عند الله الإسلام.

٢٩ ـ وأسند الصدوق في الباب الثلاثين من إكمال الدين، عن الحسين عليه السلام قوله: «قائم هذه الأُمّة هو التاسع من وُلدي، وهو صاحب الغَيبة»[3].

٣٠ ـ وأسند أيضاً قوله عليه السلام: «في التاسع من وُلدي سُنّة من يوسف، وسُنّة من موسى، وهو قائمنا أهل البيت»[4].

---

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٣١٦، ذيل الحديث ٢، الباب ٢٩؛ الاحتجاج ٢: ٦٨، ذيل الحديث ١٥٧؛ فرائد السمطين ٢: ١٢٤، ذيل الحديث ٤٢٤.

٢. كفاية الأثر: ٢٣٢ ـ ٢٣٤.

٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٣١٧، ح ٢، الباب ٣٠.

٤. المصدر، ح ١، الباب ٣٠.

٣١ ـ وأسند الصدوق أيضاً في الباب المذكور، وابن عيّاش في المقتضب، والخزّاز في الكفاية، بأسانيد مختلفة، قوله ﷺ: «منّا اثنا عشر مهديّاً، أوّلهم أمير المؤمنين، وآخرهم التاسع من وُلدي، وهو الإمام القائم بالحقّ، يظهر به الدين، له غَيبة يرتدّ بها قوم ويثبت على الدين فيها آخرون»[1].

بيان: ولا يخفى أنّ المراد بالتاسع هو التاسع في سلسلة التوالد وأظهُر التناسل؛ إذ لا معنى لغيره.

وفي قوله ﷺ: «يرتدّ بها قوم ويثبت على الدين فيها آخرون» سرّ عجيب وغيب عظيم، لا يُعرَف وجهه إلّا بالنظر إلى الحال الحاضر منذ خمس وسبعين سنةً، فإنّه وإنْ أنكر الغَيبةَ كثيرٌ من الناس وقالوا: إنّ المهديّ لم يولد؛ لكنّ ذلك لم يبلغ بهم مبلغ الارتداد، بل إنّ عنوان الدين محفوظ عندهم ثابتون عليه، حتّى نشأت بالفرقة الجديدة ناشئةً بدّلوا الدين والشريعة، ونبذوا الكتاب، وخالفوا ضروريّات الدين، وارتدّوا عن فطرة، وخلعوا ربقة[2] الإسلام عنهم بالكلّيّة.

٣٢ ـ وروى الفضل بن شاذان في كتاب الغَيبة عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن ثابت بن دينار[3]، عن أبي جعفر الباقر ﷺ، قال: «خطب الحسين أصحابه ليلة شهادته، فأخبرهم بالشهادة، وذكر لهم القائم المنتقم من أعداء الله».

فقيل له: يا بن رسول الله! ومن القائم؟

فقال: «هو السابع من أولاد ولدي محمّد بن عليّ، وهو الحجّة ابن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليٍّ ابني».

---

١. المصدر، ح ٣، الباب ٣٠؛ مقتضب الأثر: ٢٣؛ كفاية الأثر: ٢٣٢.

٢. الربْقة ـ في الأصل ـ: عروة في حبل تُجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها؛ فاستعيرت للإسلام، يعني كلّ ما يشدّ المسلم به نفسه من عرى الإسلام، أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه. انظر لسان العرب ١٠: ١٢٣، «ر ب ق».

٣. أي أبي حمزة الثمالي. (منه ﷺ).

**٥ ـ فصل: [فيما روي عن الإمام عليّ السجّاد عليه السلام]**

**٣٣** ـ وأسند الصدوق في الباب الحادي والثلاثين من إكمال الدين بسندين، والطبرسي في الاحتجاج عن زين العابدين عليه السلام ـ في حديث ـ أنّه سئل عن تسمية جعفر بن محمّد عليه السلام بـ«الصادق»، فقال: «إنّ رسول الله أمر بذلك؛ لأنّ الخامس من وُلده[١] اسمه جعفر، يدّعي الإمامة... فهو عند الله جعفر الكذّاب، المفتري على الله... ذلك الذي يروم كشف سرّ الله عند غَيبة وليّ الله».

ثمّ قال: «كأنّي بجعفر الكذّاب قد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله، والمغيّب في حفظ الله... جهلاً بولادته، وحرصاً على قتله إن ظفر به، طمعاً في ميراث أخيه ـ إلى أن قال: ـ ثمّ تمتدّ الغَيبة بوليّ الله»[٢].

أقول: وهذه الرواية رواها الفضل بن شاذان في كتاب الغَيبة عن صفوان بن يحيى عن إبراهيم بن أبي زياد، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي، عن زين العابدين عليه السلام، وهي تبلغ مبلغ النصّ على أنّ الحجّة القائم، الذي يغيب وتمتدّ غَيبته هو ابن الحسن العسكري عليه السلام.

**٣٤** ـ وأسند الصدوق في الباب المذكور بسندين عن زين العابدين عليه السلام، أنّه قال: «في القائم سُنّة من نوح، وهو طول العمر»[٣].

**٣٥** ـ وأسند أيضاً قوله عليه السلام: «إنّ للغائب منّا غَيبتين، إحداهما أطول من الأُخرى... أمّا الأُخرى فيطول أمدها حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به»[٤].

**٣٦** ـ وفي مسند آخر عنه عليه السلام: «إنّ في القائم منّا سُنّة من سبعة أنبياء ـ إلى أن

---

١. أي وُلد الصادق. (منه رحمه الله).

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٣١٩ ـ ٣٢٠، ح ٢، الباب ٣١؛ الاحتجاج ٢: ١٥٢ ـ ١٥٤، ح ١٨٨.

٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢٢، ح ٤ و ٥، الباب ٣١.

٤. المصدر: ٣٢٣ ـ ٣٢٤، ح ٨، الباب ٣١.

قال: ـ فأمّا من آدم ونوح فطول العمر، وأمّا من إبراهيم فاختفاء الولادة واعتزال الناس، وأمّا من موسى فالخوف والغَيبة»[١].

بيان: لا يلزم أن يكون عمر الحجّة بطول عمر آدم أو نوح، بل يجوز أن يكون أطول؛ لأنّ الشبه بالطول لا بالمقدار، وبمجرّد الغَيبة لا بمقدارها؛ وإنّ هذه الأحاديث الثلاثة لا تنطبق إلّا على المهديّ بن الحسن العسكري وإنْ لم يصرّح فيها باسمه واسم أبيه.

٣٧ ـ وأسند الخزّاز في الكفاية عن زين العابدين ـ في حديث ـ قوله عليه السلام في شأن الباقر عليه السلام: «يخرج من صلب محمّد ابني سبعة من الأوصياء، فيهم المهديّ»[٢].

بيان: الحديث دالّ على أنّ المهديّ القائم هو وصيٌّ عن الإمام الذي قبله، موجودٌ عند موته.

٣٨ ـ وأسند أيضاً عنه عليه السلام في شأن الباقر عليه السلام: «إنّ الإمامة في وُلده إلى أن يقوم قائمنا فيملؤُها قسطاً وعدلاً»[٣].

بيان: الحديث دالٌّ على استمرار الإمامة ووجود الإمام إلى قيام القائم عليه السلام.

٣٩ ـ وروى الفضل بن شاذان في كتاب الغَيبة عن صفوان بن يحيى، عن أبي أيّوب إبراهيم بن أبي زياد الخزّاز، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي، قال: دخلت منزل عليّ بن الحسين عليه السلام وفي يده صحيفة ينظر إليها وهو يبكي بكاءً شديداً. فقلت: ما هذه الصحيفة؟!

فقال: «نسخة اللوح الذي أهداه الله لرسوله، وفيها اسم رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام» وعدّهم واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري، وقال: «وابنه حجّة الله، القائم بأمر الله، المنتقم من أعداء الله، الذي يغيب غَيبةً طويلةً، ثمّ يظهر بعدها، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

---

١. المصدر: ٣٢١ ـ ٣٢٢، ح ٣، الباب ٣١.

٢. كفاية الأثر: ٢٤٣.

٣. المصدر: ٢٣٧.

### ٦ ـ فصل: [فيما روي عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام ]

٤٠ ـ وأسند الشيخ الطوسي في كتاب الغَيبة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام حديثاً فيه تعداد الأئمّة الاثني عشر، قوله عليه السلام بعد ذِكر عليٍّ الهادي عليه السلام: «وإلى ابنه الحسن، وإلى ابنه محمّد الهادي المهديّ عليه السلام»[1].

٤١ ـ وأسند الكليني في أُصول الكافي، والنعماني في كتاب الغَيبة، والشيخ الطوسي في كتاب الغَيبة، بأسناد متعدّدة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنّه سئل عن قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾[2]، فقال عليه السلام: «إمامٌ يخنس في... سنة ستّين ومائتين، ثمّ يبدو كالشهاب الواقد في ظلمة الليل»[3].

بيان: السنة المذكورة هي سنة وفاة الحسن العسكري، وسنة إمامة المهديّ وغَيبته.

٤٢ ـ وأسند الخزّاز في الكفاية، عن الكميت، قول الباقر عليه السلام له: «يا أبا المستهلّ! إنّ قائمنا هو التاسع من وُلد الحسين عليه السلام» وذكر الأئمّة واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري، وقال: «وهو أبو القائم الذي يخرج فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً»[4].

٤٣ ـ وأسند أيضاً قوله: «قائمنا هو السابع من وُلدي»[5].

### ٧ ـ فصل: [فيما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ]

٤٤ ـ وأسند الصدوق في الباب الثالث والثلاثين من إكمال الدين بسندين عن الصادق عليه السلام ـ في حديث ـ أنّه قيل له: يا بن رسول الله، فمن المهديّ من وُلدك؟

---

١. الغَيبة: ١٤٩، ح ١١٠.

٢. التكوير (٨١): ١٥ و ١٦.

٣. الكافي ١: ٣٤١، باب في الغَيبة، ح ٢٣؛ الغَيبة، للنعماني: ١٥٠، ح ٧؛ الغَيبة، للطوسي: ١٥٩، ح ١١٦.

٤. كفاية الأثر: ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

٥. المصدر: ٢٥٢.

قال ﷺ: «الخامس من وُلد السابع، يغيب عنكم شخصه، ولا يحلّ لكم تسميته»[١].

٤٥ ـ وأسند أيضاً عنه قوله: «الإمام بعدي موسى ابني، والخلف المأمول المنتظَر مَن خرجَ من الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى»[٢].

٤٦ ـ وأسند أيضاً عنه ﷺ ـ في حديث فيه تعداد الأئمّة ـ قوله بعد ذِكر الحسن العسكري: «ثمّ محمّد بن الحسن»[٣].

٤٧ ـ وأسند أيضاً عن أبي بصير ـ في حديث ـ قال: فقلت له[٤]: يابن رسول الله، ومن القائم منكم أهل البيت؟ فقال: «هو الخامس من وُلد ابني موسى، ذلك ابن سيّدة الإماء، يغيب غَيبةً يرتاب فيها المبطلون، ثمّ يظهره الله عزّ وجلّ فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها»[٥].

٤٨ ـ وأسند أيضاً عن الصادق ﷺ أنّه سئل عن الغَيبة، فقال: «إنّ الغَيبة ستقع بالسادس من وُلدي»[٦].

٤٩ ـ وأسند النعماني في غَيبته، عن الصادق ﷺ حديث الرقّ الذي فيه تعداد الأئمّة واحداً بعد واحد، وفيه بعد اسم الحسن بن عليّ[٧] ما نصّه: «والخَلَف الحجّة»[٨].

وهذا الحديث رواه الكراجكي أيضاً نقلاً من كتاب الغَيبة للمفيد.

**بيان:** قد ذكرنا لك أنّ الخلف هو الذي يخلف المتوفّى في مقامه الحميد وآثاره الكريمة، ويقوم مقامه، ويسدّ خلّة فقده.

---

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٣٣، ح ١، و ص ٣٣٨، ح ١٢، الباب ٣٣.
٢. المصدر: ٣٣٤، ح ٤، الباب ٣٣.
٣. المصدر: ٣٣٦ـ٣٣٧، ح ٩، الباب ٣٣.
٤. يعني الصادق ﷺ. (منه ﷺ).
٥. المصدر: ٣٤٥، ح ٣١، الباب ٣٣.
٦. المصدر: ٣٤٢، ح ٢٣، الباب ٣٣.
٧. أي العسكري. (منه ﷺ).
٨. الغَيبة: ٨٧ـ٨٨، ح ١٨.

٥٠ ـ وأسند الخزّاز في الكفاية، عن الصادق عليه السلام ـ في حديث ـ قوله عليه السلام: «إنّ قائمنا يخرج من صلب الحسن، والحسن يخرج من صلب عليّ، وعليّ يخرج من صلب محمّد، ومحمّد يخرج من صلب عليّ، وعليّ يخرج من صلب ابني هذا».

وأشار إلى موسى الكاظم عليه السلام[1].

٥١ ـ وأسند عنه أيضاً حديثاً في تعداد الأئمّة إلى الحسن العسكري، وقال: «والمهديّ وَلَدُ الحسن»[2].

٥٢ ـ وأسند النعماني في كتاب الغَيبة، والصدوق في الباب الثالث والثلاثين من إكمال الدين، والشيخ الطوسي في كتاب الغَيبة، والخطيب الفقيه الشافعي ـ المعروف بابن المغازلي ـ في كتاب المناقب، بأسانيدهم عن الصادق، في حديث طويل منه قوله عليه السلام: «إنّي نظرت... في كتاب الجفر... المشتمل على... علم ما كان وما يكون... وتأمّلت فيه مولدَ قائمنا، وغَيبتَه، وإبطاءَه، وطولَ عمره، وبلوى المؤمنين... وتولّد الشكوك... من طول غَيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم».

إلى أن قال عليه السلام: «إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ أدار للقائم ثلاثةً أدارها لثلاثةٍ من الرسل، قدّر مولده تقدير مولد موسى، وقدّر غَيبته تقدير غَيبة عيسى، وقدّر إبطاءه تقدير إبطاء نوح، وجعل له... عمر العبد الصالح ـ أعني الخضر ـ دليلاً على عمره».

ثمّ بيّن شَبه مولده بموسى عليه السلام فقال: «إنّ بني العبّاس وضعوا السيف في آل الرسول طلباً لقتل القائم، كما وضع فرعون السيف في بني إسرائيل طلباً لقتل موسى عليه السلام».

إلى أن قال عليه السلام: «وأمّا غَيبة عيسى فإنّ اليهود والنصارى اتّفقوا على أنّه قتل، فكذّبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[3]، وكذلك غَيبة القائم فإنّ الأُمّة ستنكرها لطولها، فمن قائل يهذي بأنّه لم يولد، وقائل [يفتري] يقول: إنّه وُلد ومات،

---

١. كفاية الأثر: ٢٦١ ـ ٢٦٢.

٢. المصدر: ٢٦٣، وفيه: «المهديّ من ولد الحسن»، وهو تحريف ظاهر!!

٣. النساء (٤): ١٥٧.

وقائل يكفر بقوله: إنّ حادي عشرنا كان عقيماً، [وقائل يمرق بقوله: إنّه يتعدّى إلى ثالث عشر فصاعداً]، وقائل يعصي الله بقوله: إنّ روح القائم ينطبق في هيكل غيره».

ثمّ بيّن عليه السلام شَبَهَ إبطاء القائم بإبطاء نوح، بأنّ الله أمر نوحاً بغرس النوى سبع مرّات، كلّ نواة من ثمر النواة التي قبلها، إلى أن تمحّص المؤمنون، وارتدّ الذين في قلوبهم مرض، فقال عليه السلام: «وكذلك القائم، [فإنّه] تمتدّ أيّام غَيبته، فيصرّح الحقّ من محضه، ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد [كلّ] من كانت طينته خبيثة من الشيعة»[1].

ثمّ بيّن عليه السلام أنّه لا حكمة مهمّة لنوع البشر في إطالة عمر الخضر إلّا الاستدلال به على عمر القائم، ليقطع بذلك حجّة المعاندين، لِما كان في سابق علمه أن يقدّر من عمر القائم ما يقدّر من عمر الخضر عليه السلام.

انتهى محلّ الغرض من هذا الحديث، ولا بأس بالتعرّض لبعض البيان ممّا يتعلّق ببعض فقراته.

قوله عليه السلام: «قدّر إبطاءه بتقدير إبطاء نوح»، أي بنحو ذلك القضاء، كما يوضّحه قوله عليه السلام بتقدير مولد موسى، وبتقدير غَيبة عيسى، فقضى جلّ وعلا إبطاء القائم بنحو قضائه لإبطاء نوح، لنحو تلك الحكمة والتمحيص للمؤمنين بارتداد مرضى القلوب.

وليس المراد من التقدير: المقدار؛ إذ لا يساعد عليه اللفظ، وتأباه القرائن في قوله عليه السلام بتقدير مولد موسى وتقدير غَيبة عيسى.

مضافاً إلى أنّ إرادة المقدار ترجع إلى التوقيت، وقد تضافرت الأخبار بأنّ زمان ظهوره ممّا استأثر الله بعلمه، وقولهم عليهم السلام: «كذب الوقّاتون»[2].

وقد نقل بعض الناس أنّ بعض من يجنح لطريقة البابيّة قد ابتهج لهذا الحديث، وعدّه من الدلائل على طريقتهم، ويطالب الناس بالتدبّر في معناه وفهم كلام أُولي

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٥٢ ـ ٣٥٧، ح ٥٠، الباب ٣٣؛ الغَيبة، للطوسي: ١٦٧ ـ ١٧٣، ح ١٢٩.
٢. الغَيبة، للنعماني: ٢٨٩ ـ ٢٩٠، ح ٦، و ص ٢٩٤، ح ١١ ـ ١٣.

العصمة عليهم السلام! فيحمل «التقدير» في قوله عليه السلام: «بتقدير إبطاء نوح» على إرادة المقدار، بحيث يرجع إلى بيان الوقت لظهور المهديّ، فيقول:

إنّ المهديّ وُلد سنة المائتين وخمس وخمسين أو ستّ وخمسين، ونوحاً لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، فينطبق على دعوة الميرزا عليّ محمّد، الملقّب بـ«الباب»!

قلت: وإنّ حسابه هذا يقتضي أن يكون وقت الظهور سنة الألف ومائتين وخمس سنين أو ستّ، وعليّ محمّد وُلد سنة الألف ومائتين وخمس وثلاثين، وادّعى دعواه لخمس وعشرين سنةً من عمره، فتكون دعوته سنة الألف ومائتين وستّين، فأين التطبيق؟!

أفلا يكون من غرائب الكلام أن يعترف الشخص بأنّ المهديّ وُلد سنة المائتين وخمس وخمسين، وأنّه أبطأ بإبطاء نوح تسعمائة وخمسين سنةً، ثمّ يقول: هو عليّ محمّد المولود سنة الألف ومائتين وخمس وثلاثين؟!

أفلا يقول: إنّ المولود بذلك التأريخ كيف يكون هو المولود بعد تسعمائة وخمسين سنةً؟! إلّا أن يقول: بأنّ المولود الأوّل مات وحلّت روحه بعد المدّة الطويلة في المولود الثاني بنحو التناسخ!!

ولكنّ نفس الرواية تكذّبه فضلاً عن دليل العقل والنقل، فإنّ نفس الرواية وبّخت من يقول بأنّ المهديّ وُلد ومات، ومن يقول بأنّ روح القائم ينطبق في هيكل غيره على التناسخ.

**والحاصل**: أنّ مضمون الرواية قد عيّن أنّ القائم المهديّ هو ابن الإمام الحادي عشر عليه السلام بقوله: «وقائل يكفر بقوله: إنّ حادي عشرنا كان عقيماً»، وبيّن عليه السلام أيضاً أنّ طول غَيبته كثير، يحتاج إلى إقامة الحجّة فيه على الناس المعترفين بالخضر وطول عمره، فإنّ طول عمر الخضر قد بلغ الآن ما يزيد على الألفَي سنة.

**فائدة**: إنْ سأل سائل وقال: لماذا كانت الحجّة بعمر الخضر ولم تكن بعمر آدم؟! وكثير من ذرّيّته الذين ذكرت التوراة أنّهم عمّروا نحو التسعمائة والألف، بل ونوح الذي

ذكر القرآن الكريم أنّه لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، بل وعمر عيسى الذي قارب في هذا الوقت أن يبلغ الألفَي سنة.

قلت: إنّ الله خبير بعباده، عالم بالجهات التي تميلهم إليها الأهواء، عالم بأنّ في الناس من يقول ـ إذا ضايقته الحجّة ـ: إنّ طول عمر آدم وبعض ذرّيّته إلى نحو الألف سنةً لم يثبت؛ لأنّ التوراة محرّفة، والتواريخ لا عبرة بها، وإنْ ثَبتَ فهو كطول عمر نوح، كان من مقتضيات الطبيعة في ذلك الدور، ومناسبة الارتباط ببعض الأوضاع الفلكيّة ونوبة بعض السيّارات في التأثير.

وأمّا في هذه الأدوار فلا يكون ذلك؛ لاقتضاء الطبيعة ـ بمناسباتها ـ قصر الأعمار.

وأمّا عمر عيسى، فإنّ طوله لأجل حلوله في السماء، وتأثير العالم العلوي غير تأثير العالم السفلي.

هذا غاية ما يتوهّم في هذا المقام، وحيث علم الله أنّ الأهواء تتمايل بالناس إلى مثل هذه الأوهام، شاء الله أن يجاريهم ويحتجّ عليهم بالحجّة البالغة فيما يقرّون ويذعنون به في دينهم واعتقادهم من أمر الخضر، ويقول لهم: إنّ الله القادر، خالق الأفلاك والسماوات، والأرض والسيّارات، ومناسباتها، ربّ العالم العلوي والسفلي، وذلك الدور، وهذا الدور، لَقادرٌ على أن يطيل عمر القائم لحكمة عظيمة فيه، كما أطال عمر الخضر في الأرض في هذه الأدوار، دور القائم وما قبله.

وهذا هو الحكمة بالاحتجاج بطول عمر الخضر قطعاً لشبهات الأوهام.

ولعلّ ناشئة البابيّة تكابر وتنكر وجود الخضر وطول عمره إلى الآن، ولكنّ اتّفاق المسلمين على ذلك، وتضافر الأحاديث ـ ومن جملتها هذا الحديث ـ حجّة على هذه الناشئة الجديدة، شاءت أو أبت!

وفي هذه الرواية أيضاً من أنباء الغيب ما أبانت الأيّامُ مصداقه، وصرّحت بإشارته في أنّ كثيراً من المؤمنين لأجل طول الغَيبة يرتدّون عن دينهم، ويخلعون ربقة الإسلام عن أعناقهم، حيث إنّ كثيراً ممّن وُلد على فطرة الإسلام لم يبق على شيء من دين

الإسلام وشريعته، وعاند بجحوده ضروريّات الدين ونصوص القرآن ومتواترات السُنّة ؛ والله المستعان على ما يصفون.

٥٣ ـ وأسند الكليني في أُصول الكافي عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: «للقائم منّا غَيبتان: إحداهما قصيرة والأُخرى طويلة، [الغَيبة] الأُولى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة شيعته، والأُخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة مواليه»[1].

بيان: المراد بمواليه خدمه وحشمه.

٥٤ ـ وأسند أيضاً هو والنعماني في كتاب الغَيبة قوله عليه السلام: «للقائم غَيبتان: يشهد في إحداهما المواسم، يرى الناس ولا يرونه»[2].

٥٥ ـ وأسند كلاهما أيضاً قوله عليه السلام: «يفقد الناس إمامهم، يشهد المواسم، يراهم ولا يرونه»[3].

٥٦ ـ وأسند ابن عيّاش في مقتضب الأثر عن الصادق عليه السلام في ذِكر الأئمّة الاثني عشر ومَن هو بعد الباقر عليه السلام، فقال: «أنا وابني هذا ـ وأشار إلى موسى الكاظم عليه السلام ـ والخامس من وُلده يغيب شخصه، ولا يحلّ ذِكر اسمه»[4].

بيان: اكتفى الإمام في البيان على ذِكر موسى على ما هو معلوم، وفيه كثير من الروايات أنّ الإمامة من بعد الحسين تنتقل في الأولاد، فكأنّه قال عليه السلام: «وفي أولاد موسى»، ثمّ بيّن عليه السلام أنّ خاتم الأئمّة وتمام عدّتهم يغيب.

٥٧ ـ وأسند الحافظ أبو نعيم في أربعينه عن الصادق عليه السلام قوله: «الخلف الصالح من وُلدي، وهو المهديّ، اسمه محمّد، وكنيته أبو القاسم، يخرج في آخر الزمان، يقال لأُمّه: نرجس».

---

١. الكافي ١: ٣٤٠، باب في الغَيبة، ح ١٩.

٢. الكافي ١: ٣٣٩، باب في الغَيبة، ح ١٢؛ الغَيبة: ١٧٥ ـ ١٧٦، ح ١٦.

٣. الكافي ١: ٣٣٧ ـ ٣٣٨، باب في الغَيبة، ح ٦؛ الغَيبة: ١٧٥، ح ١٤.

٤. مقتضب الأثر: ٤١.

٥٨ ـ وروى الفضل بن شاذان في كتاب الغَيبة عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن علقمة بن محمّد الحضرمي، عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: «الأئمّة اثنا عشر».

فسئل عن أسمائهم، فذكرهم واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري عليه السلام، وقال عليه السلام: «وبعده ولده المهديّ عليه السلام».

## ٨ ـ فصل: [فيما روي في الغَيبة والتمحيص أثنائها]

٥٩ ـ وأسند الكليني في الكافي، والصدوق في الباب الرابع والثلاثين من إكمال الدين، والخزّاز في كفاية الأثر، والشيخ الطوسي في كتاب الغَيبة، بأسانيدهم عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، أنّه قال: «إذا فُقد الخامس من وُلد السابع فالله الله في أديانكم لا يردّكم أحد عنها، إنّه لا بُدّ لصاحب [هذا] الأمر من غَيبة حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به»[1].

٦٠ ـ وأسند الصدوق أيضاً، والخزّاز في الكفاية عن يونس بن عبد الرحمٰن، قال: دخلت على موسى بن جعفر، فقلت له: يا بن رسول الله، أنت القائم بالحقّ؟ فقال عليه السلام: «أنا القائم بالحقّ، ولكنّ القائم الذي يطهّر الأرض من أعداء الله ويملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً هو الخامس من وُلدي، له غَيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتدّ فيها أقوام، ويثبت فيها آخرون»[2].

**تنبيه:** انظر إلى التحذير في الحديث السابق، والتأكيد في الأمر بالتمسّك بالدين، وعدم الارتداد عن الدين بما يلفّقه الضُّلّال في حال الغَيبة، كما أخبر به في هذا الحديث، وقد ظهر مصداق إخباره وتحذيره، وبانَ فيه سرُّ الغيب، ولا بأس بأن نتعرّض لشيء من هذا النحو، عسى أن يكون موعظةً ونجاةً لبعض المؤمنين.

١. الكافي ١: ٣٣٦، باب في الغَيبة، ح ٢؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٣٥٩ ـ ٣٦٠، ح ١، الباب ٣٤؛ كفاية الأثر: ٢٦٤؛ الغَيبة: ١٦٦، ح ١٢٨.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٦١، ح ٥، الباب ٣٤؛ كفاية الأثر: ٢٦٥.

٦١ ـ أسند الكليني في أُصول الكافي، والنعماني في كتاب الغَيبة، بسنديهما عن يمان التمّار، قال: كنّا عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام جلوساً، فقال لنا: «إنّ لصاحب هذا الأمر غَيبة، المتمسّك فيها بدينه كالخارط للقتاد»، ثمّ قال هكذا بيده: «فأيّكم يمسك شوك القتاد بيده؟!».

ثمّ أطرق مليّاً ثمّ قال: «إنّ لصاحب هذا الأمر غَيبة، فليتّقِ اللهَ عبدٌ وليتمسّك بدينه»[1].

٦٢ ـ وروى المفيد في كتاب الجوابات عن الصادق عليه السلام قوله: «كيف بكم إذا التفتّم يميناً فلم تروا أحداً! والتفتّم شمالاً فلم تروا أحداً! واستوت أقدام بني عبد المطّلب، ورجع عن هذا الأمر كثير ممّن يعتقده، يمسي أحدكم مؤمناً ويصبح كافراً، فالله الله في أديانكم!»[2].

٦٣ ـ وأسند الصدوق في الباب الثالث والعشرين[3] من إكمال الدين، عن أبي عبدالله عليه السلام قوله: «إنّ لصاحب هذا الأمر غَيبة، فليتّقِ الله عبدٌ وليتمسّك بدينه»[4].

٦٤ ـ وأسند الكليني في أُصول الكافي بسندين، والصدوق في الباب الثالث والعشرين من إكمال الدين، والشيخ الطوسي في غَيبته، بأسانيدهم عن المفضّل بن عمر، عن الصادق عليه السلام قوله: «أمَا والله لَيغيبنّ عنكم صاحب هذا الأمر... ولتكفأنّ كما تكفأ السفينة في أمواج البحر، لا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه، وكتب الإيمان في قلبه، وأيّده بروح منه».

قال المفضّل: فبكيت، ثمّ قلت: فكيف نصنع؟

قال: فنظر إلى شمس داخلة في الصُفّة[5]، فقال: «يا أبا عبدالله، ترى هذه الشمس؟».

---

١. الكافي ١: ٣٣٥ ـ ٣٣٦، باب في الغَيبة، ح ١؛ الغَيبة: ١٦٩، ح ١١.

٢. الرسالة الثانية في الغَيبة: ١٣.

٣. كذا في الأصل في هذا الحديث والذي يليه، وهو تصحيف في الموضعين؛ والصحيح في كليهما: الباب ٣٣، وهو فيما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في النصّ على الإمام المهديّ عليه السلام؛ لاحظ المصدر!

٤. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٤٣، ح ٢٥، الباب ٣٣ و ص ٣٤٧، ذيل الحديث ٣٤، الباب ٣٣.

٥. الصُفّة ـ من البُنيان ـ: شبه البهو الواسع الطويل السَمْك. لسان العرب ٩: ١٩٥، «ص ف ف».

قلت: نعم.

فقال: «والله، لَأمرُنا أبينُ من هذه الشمس»[١].

٦٥ ـ وأسند الكليني في أُصول الكافي، والصدوق في الباب الثالث والثلاثين من إكمال الدين، والشيخ الطوسي في كتاب الغَيبة عن منصور الصيقل، أنّ الصادق قال له: «يا منصور، إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلّا بعد يأس، ولا والله، لا يأتيكم حتّى تميّزوا، ولا والله، لا يأتيكم حتّى يشقى من شقي ويسعد من سعد»[٢].

٦٦ ـ وروى الشيخ الطوسي في كتاب الغَيبة عن جابر الجعفي، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: متى يكون فرجكم؟ فقال عليه السلام: «هيهات هيهات! لا يكون فرجنا حتّى تغربلوا، ثمّ تغربلوا، [ثمّ تغربلوا] ـ يقولها ثلاثاً ـ حتّى يُذهب اللهُ الكدرَ ويُبقي الصفوَ»[٣].

٦٧ ـ وأسند النعماني والشيخ الطوسي في كتابيهما في الغَيبة، عن أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال: «لتمحّصنّ يا معاشر الشيعة تمحيص الكحل في العين؛ لأنّ صاحب الكحل يعلم متى يقع في العين ولا يعلم متى يذهب، فيُصبح أحدُكم وهو يحسب أنّه على شريعة من أمرنا فيمسي وقد خرج منها، ويمسي وهو على شريعة من أمرنا فيُصبح وقد خرج منها»[٤].

٦٨ ـ وأسند [الشيخ الطوسي] أيضاً عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قوله: «والله، لَتُكَسَّرنّ كسر الزجاج، وإنّ الزجاج يعاد فيعود كما كان، والله، لَتُكَسّرنّ كسر الفخّار، وإنّ

---

١. الكافي ١: ٣٣٦، باب في الغيبة، ح ٣ و ص ٣٨٠، ح ١١؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٣٤٧، ح ٣٥، الباب ٣٣؛ الغَيبة: ٣٣٧ ـ ٣٣٨، ح ٢٨٥.

٢. الكافي ١: ٣٧٠ ـ ٣٧١، باب التمحيص والامتحان، ح ٣ و ٦؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٣٤٦، ح ٣٢، الباب ٣٣؛ الغَيبة: ٣٣٥ ـ ٣٣٦، ح ٢٨١.

٣. الغَيبة: ٣٣٩، ح ٢٨٧.

٤. الغَيبة، للنعماني: ٢٠٦، ح ١٢؛ الغَيبة، للطوسي: ٣٣٩، ح ٢٨٨.

الفخار لا يعود كما كان، واللهِ، لَـتُمحّصنّ، والله، لَـتُغربلنّ كما يغربل الزُوَان[١] من القمح»[٢].

٦٩ ـ وأسند النعماني عن الرضا عليه السلام: «والله، لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تُمحّصوا وتُميّزوا، وحتّى لا يبقى منكم إلّا الأندر فالأندر»[٣].

٧٠ ـ وأسند أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «فوالذي نفسي بيده، ما ترون ما تحبّون [حتّى يتفل بعضكم في وجوه بعض و] حتّى يسمّي بعضكم بعضاً كذّابين ـ إلى أن قال: ـ وكذلك تميَّزون حتّى لا تبقى منكم إلّا عصابة لا تضرّها الفتنة شيئاً»[٤].

٧١ ـ وأسند أيضاً عن الباقر عليه السلام نحو هذا[٥].

بيان: والمراد أنّ الفتن وأهواء الضُلّال تغربل الشيعة، وتميّز منهم فرقاً مبتدعة، حتّى لا يبقى على دين الحقّ وسُنّته إلّا السعداء الخلّص، الذين لا تضرّهم ولا تزعزعهم عواصف الفتن.

**إيقاظ**: وإنّك لترى من هذه الأخبار الشريفة أنّ صعوبة التمسّك بالدين المشبّهة لخرط العوسج[٦] باليد، والانكفاء كما تنكفئ السفينة في أمواج البحر، والتمييز والتمحيص، وبيان شقاوة الشقيّ وسعادة السعيد، والخروج من الشريعة، والتكسّر تكسّر الفخّار، والارتداد عن الدين، كما صرّحت به وحذّرت منه الأخبار المتقدّمة.

هذه كلّها تكون في زمن الغَيبة وقبل ظهور قائم الحقّ من آل محمّد صلوات الله عليهم.

---

١. الزُوَان والزِوَان والزَوَان ـ وقد يهمز ـ: ما يخرج من الطعام فيرمى به، وهو الرديء منه، وهو أيضاً حبّ يخالط البُرّ. راجع: الصحاح ٥: ٢١٣٢؛ لسان العرب ١٣: ٢٠٠، «ز و ن»؛ الصحاح ٥: ٢١٢٩؛ لسان العرب ١٣: ١٩٣، «ز أ ن».

٢. الغَيبة: ٣٤٠، ح ٢٨٩.

٣. المصدر: ٢٠٨، ح ١٥.

٤. المصدر: ٢٠٩ ـ ٢١٠، ح ١٧.

٥. المصدر: ٢١٠ ـ ٢١١، ح ١٨.

٦. العَوْسَج: شجر كثير الشَوْك، وهو ضروب، واحدته عَوْسَجة. الصحاح ١: ٣٢٩؛ لسان العرب ٢: ٣٢٤، «ع س ج».

وهذه الأخبار وغيرها تخبر أنّ هذه الأحوال تقع في الشيعة من أجل ضلال الأهواء في شأن الغَيبة وبطئها، فيكون الارتداد عن الدين والخروج عن الشريعة من هذه الجهة!

وهل سمعت بوقوع هذه الحوادث المذكورة في الروايات، وارتداد الكثير من الشيعة عن دينهم، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم، وخروجهم من الشريعة قبل سنة الألف ومائتين وستّين؟!

وهل ترى في الفرقة الجديدة البابيّة شيئاً وأثراً من أُصول دين الإسلام وفروعه وأحكامه وشريعته؟!

فقد بدّلوا الشريعة، وخالفوا أحكام القرآن، حتّى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾[1]، فجعلوا السنة تسعة عشر شهراً!

وقد أوضح أئمّة الهدى عليهم السلام نهجَ الهدى والنجاة في هذه الفتنة بأنواع الإيضاح، منها ما تقدّم وقرع سمعك من الروايات، ويقرعه مِنَ الأمر بالثبات على الدين والتمسّك به، ومدح الثابتين عليه، وأنّهم ممّن أخذ الله ميثاقهم، وكتب الإيمان في قلوبهم، وأيّدهم بروح منه، وبالحذر من الارتداد عن الدين، وأنّ المرتدّ عن الدين هو من كانت طينته خبيثة من الشيعة.

وإنّك لتجد من كلمات أُولي العصمة فيما ذكرناه أنّها ترمي قصدها إلى الحال الحاضر منذ خمس وسبعين سنةً، كأنّه بمنظر منهم ومسمع.

ولنرجع في طرد الفصل إلى المرويّ عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

٧٢ ـ أسند الصدوق في الباب الثالث والثلاثين من إكمال الدين، والخزّاز في كفاية الأثر بسنديهما عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله: «النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، والنعمة الباطنة الإمام الغائب».

---

١. التوبة (٩): ٣٦.

فقلت له: ويكون في الأئمّة من يغيب؟! قال: «نعم، يغيب عن أبصار الناس شخصُه، ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذِكرُه، وهو الثاني عشر [منّا...] يُفني به كلّ جبّار عنيد، ويُهلك على يديه كلّ شيطان مريد، ابن سيّدة الإماء، الذي تخفى [على الناس] ولادته... حتّى يظهره الله، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1].

## ٩ ـ فصل: [فيما روي في أنّ الغيبة عند الشيعة كانت معهودة]

٧٣ ـ وأسند الصدوق في الباب الخامس والثلاثين من إكمال الدين، والخزّاز في كفاية الأثر، والحمويني الشافعي في فرائد السمطين عن الرضا عليه السلام أنّه قيل له: ومن القائم منكم أهل البيت؟

قال: «الرابع من وُلدي، ابن سيّدة الإماء، يطهّر اللهُ به الأرض من كلّ جور، ويقدّسها من كلّ ظلم، وهو الذي يشكّ الناس في ولادته، وهو صاحب الغَيبة»[2].

**بيان:** قوله عليه السلام: «وهو صاحب الغَيبة» يدلّ على أنّ غَيبة المهديّ كانت معهودة عند الإماميّة وغيرهم؛ لكثرة ما تضافرت بها الأخبار عن النبيّ وآله صلوات الله عليهم.

ولقد كانت معلومةً في زمان محمّد بن الحنفيّة، حيث زعم الكيسانيّة[3] أنّه هو

---

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٦٨ ـ ٣٦٩، ح ٦، الباب ٣٤؛ كفاية الأثر: ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٧٢، ذيل الحديث ٥، الباب ٣٥؛ كفاية الأثر: ٢٧١؛ فرائد السمطين ٢: ٣٣٧، ذيل الحديث ٥٩٠.

٣. الكيسانيّة: قيل: هم أصحاب كيسان، مولى أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام، أو تلميذ محمّد بن الحنفيّة، وقيل: إنّهم أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي، سُمّوا بذلك؛ لأنّه لُقّب باسم صاحب شرطته أبي عمرة، وأيّاً كان سبب التسمية فقد قالوا بإمامة ابن الحنفيّة، وأنّه المهديّ المنتظَر، وهو حيّ لم يمت، وأنّه في جبل رضوى إلى حين خروجه.

انظر: فرق الشيعة: ٢٣ ـ ٢٩؛ الفَرق بين الفِرق: ٢٧ ـ ٢٩؛ الملل والنحل ١: ١٤٥.

المهديّ صاحب الغَيبة، وأنّه غاب في جبل رَضْوى[١]، حتّى قال فيه السيّد الحميري[٢]؛ إذ كان كيسانيّاً:

ألا إنّ الأئـمّةَ مِـنْ قُـرَيْشٍ ... وُلاةُ الأمْـرِ أرْبَـعَةٌ سَـواءُ
عـليٌّ والثلاثَـةُ مِـنْ بَـنِيهِ ... هُـمُ أسْـباطُنا وَالأوصياءُ
فَسِـبْطٌ سِـبْطُ إيمانٍ وَبِـرٍّ ... وَسِـبْطٌ قَـدْ حَـوَتْهُ كَـرْبَلاءُ
وَسِبْطٌ لا يَذُوقُ المَوْتَ حتّى ... يَقُودَ الجَـيْشَ يَـقْدِمُهُ اللِواءُ
يَـغِيبُ لا يُـرى عَـنّا زمـاناً ... بِرَضْوى عِنْدَهُ عَسَلٌ ومـاءُ[٣]

وقال أيضـاً[٤]:

أيا شِعْبَ رَضْوى ما لِمَنْ فـيكَ لا يُـرى ... فَـحتّـى مَـتى تَـخْـفى وَأنْـتَ قَرِيبُ؟!
فَلَوْ غـابَ عَـنّا عُـمْرَ نُـوحٍ لَأيْـقَـنَـتْ ... بِـهِ الـنَـفْسُ مِـنّا أنّـهُ سَـيَـؤوبُ

ثمّ إنّ السيّد الحميري تـاب مـن مـقال الكـيسانيّة، واهـتدى إلى الحـقّ بـبركة الصادق عليه السلام، وصار يقول في ذلك الأشعار.

٧٤ ـ أسند الصدوق في أوائل إكمال الدين عـن السـيّد الحـميري، قـال: قـلت

---

١. رَضْوى ـ بفتح أوّله وسكون ثانيه ـ: جبل بين مكّة والمدينة، قرب ينبع، على مسيرة يوم منها، ويبعد عن المدينة سبع مراحل، به مياه كثيرة وأشجار في شعابه، قفاه حجارةٌ وبطنه غَوْرٌ يضربه الساحل.
انظر معجم البلدان ٣: ٥٨، الرقم ٥٥١٩.

٢. هو أبو هاشم إسماعيل بن محمّد بن يزيد بن ربيعة الحِمْيَري (١٠٥ ـ ١٧٣ هـ)، الشاعر المفلّق، له مدائح بديعة في أهل البيت عليهم السلام، ونظمه في الذروة، حتّى أنّ بشّار بن برد قال له: لولا أنّ الله شغلك بمدح أهل البيت لافتقرنا!
انظر: سير أعلام النبلاء ٨: ٤٤، الرقم ٨؛ لسان الميزان ١: ٤٣٦، الرقم ١٣٥٤؛ أعيان الشيعة ٣: ٤٠٥ ـ ٤٣٠؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٢٢.

٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢، في مقدّمة المصنّف؛ ديوان السيّد الحميري: ٥١، ولم يرد فيه البيت الأخير.
كما وردت الأبيات في كثير من المصادر باختلاف في بعض الألفاظ، وقد نُسبت في بعضها إلى الشاعر كثيّر عزّة، فانظر مثلاً: الفَرق بين الفِرق: ٢٨ ـ ٢٩؛ الملل والنحل ١: ١٤٨ ـ ١٤٩.

٤. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢ في مقدّمة المصنّف؛ ديوان السيّد الحميري: ٦٨ ـ ٦٩، وقد جاء عجز البيت الثاني فيهما غير موزون، هكذا: «منّا النفوس بأنّه سيؤوب».

للصادق عليه السلام: قد روي لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغَيبة وصحّة كونها، فأخبرني بمن تقع الغَيبة؟

فقال عليه السلام: «إنّ الغَيبة ستقع بالسادس من وُلدي، وهو الثاني عشر من الأئمّة الهداة بعد رسول الله، أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وآخرهم القائم بالحقّ، بقيّة الله في الأرض، وصاحب الزمان، والله لو بقي في غَيبته ما بقي نوح في الأرض لم يخرج من الدنيا حتّى يظهر، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1].

وممّا قال الحميري في توبته وأمر الغَيبة ـ كما رواه الصدوق في أوائل إكمال الدين، والشيخ المفيد في كتاب الجوابات ـ قوله[2]:

أيا راكِباً نَحْوَ المَدينةِ جَسْرَةً ... عَذافِرَةً يَطوي بِها كُلَّ سَبْسَبِ
إذا ما هداكَ اللهُ عايَنْتَ جَعْفراً ... فَقُلْ لِوَليِّ اللهِ وابنِ المُهَذَّبِ
ألا يا أمينَ اللهِ وابنَ أمينِهِ ... أتُوبُ إلى الرحمٰنِ ثمّ تأوُّبي
وما كان قولي في ابنِ خَوْلَةَ مُطنباً ... معانَدَةً منّي لِنَسْلِ المُطَيَّبِ
ولٰكِنْ رُوينا عَنْ وَصيٍّ مُحمّدٍ ... وَلَمْ يَكُ فِي ما قالَهُ بالمُكَذَّبِ
بأنّ وليَّ اللهِ يُفْقَدُ لا يُرى ... سِنينَ كِفعْلِ الخائِفِ المُتَرَقِّبِ
وَتُقْسَمُ أموالُ الفَقيدِ كأنّما ... تَغَيّبَ ما بينَ الصَفيحِ المُنَصَّبِ
فَيَمْكُثُ حِيناً ثُمّ يَنْبُعُ نَبْعَةً ... كَنَبْعَةِ دُرّيٍّ مِنَ الأُفْقِ كَوْكَبِ
يَسيرُ بِنَصْرِ اللهِ مِنْ بَيْتِ رَبّهِ ... على سُؤْدَدٍ مِنْهُ وَأمْرٍ مُسَبَّبِ
يَسيرُ إلى أعدائِهِ بِلِوائِهِ ... فَيَقْتُلُهُمْ قَتْلاً كَحَرّانَ مُغْضِبِ
لَهُ غَيْبةٌ لا بُدّ أنْ سَيَغِيبها ... فَصَلّى عليهِ اللهُ مِنْ مُتَغَيِّبِ

---

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٣ في مقدّمة المصنّف.

٢. المصدر: ٣٣ ـ ٣٥ في مقدّمة المصنّف؛ الرسالة الثانية في الغَيبة: ١٣ ـ ١٤؛ وانظر ديوان السيّد الحميري: ١١٤ ـ ١١٧.

**١٠ ـ فصل: [فيما روي عن الإمام عليّ الرضا ﷺ]**

٧٥ ـ وأسند الصدوق في الباب المذكور[١]، والخزّاز في كفاية الأثر، والحمويني في فرائد السمطين، عن دعبل الخزاعي، قال: لَمّا انتهيت في إنشاد قصيدة للرضا ﷺ إلى قولي:

خُرُوجُ إمامٍ لا محَالةَ خارجٌ　　　يَقومُ على اسمِ اللهِ والبركاتِ
يَميزُ فِينا كُلَّ حَقٍّ وباطلٍ　　　وَيَجْزي على النَعْماءِ والنَقِماتِ

بكى الرضا ﷺ بكاءً شديداً وقال فيما قال: «هل تدري من هذا الإمام، ومتى يقوم؟»!

قلت: لا يا مولاي، إلّا أنّي سمعت بخروج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد، ويملؤها قسطاً وعدلاً.

قال: «يا دعبل، الإمام بعدي محمّد [ابني]، وبعد محمّد ابنه عليّ، وبعد عليّ ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، المنتظَر في غَيبته، المطاع في ظهوره»[٢].

٧٦ ـ وأسند الصدوق أيضاً في الباب المذكور عن الريّان بن الصلت، قال: قلت للرضا ﷺ: أنت صاحب [هذا] الأمر؟

قال: «أنا صاحب [هذا] الأمر، ولكنّي لست بالذي أملؤها عدلاً كما ملئت جوراً... ولكنّ القائم هو الذي إذا خرج كان بسنّ الشيوخ ومنظر الشبّان ـ إلى أن قال: ـ ذاك الرابع من وُلدي، يغيّبه الله في ستره ما شاء الله، ثمّ يظهره فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[٣].

---

١. كذا في الأصل هنا وفي الحديث التالي، والمراد فيهما هو: الباب ٣٥، وهو فيما روي عن الإمام الرضا ﷺ في النصّ على الإمام المهديّ ﷺ؛ لاحظ المصدر!

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٧٢، ح ٦، الباب ٣٥؛ كفاية الأثر: ٢٧٢ ـ ٢٧٣؛ فرائد السمطين ٢: ٣٣٧ ـ ٣٣٨، ح ٥٩١.

٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٧٦، ح ٧، الباب ٣٥.

٧٧ ـ وأسند الحافظ أبو نعيم في أربعينه عن الرضا عليه السلام، أنّه قال: «الخلف الصالح من وُلد الحسن بن عليّ العسكري، هو صاحب الزمان، وهو المهديّ».

ورواه ابن الخشّاب البغدادي في مواليد الأئمّة[1]، وكلاهما من أجلّاء علماء أهل السُـنّة.

## ١١ ـ فصل: [فيما روي عن الإمام محمّد الجواد عليه السلام]

٧٨ ـ وأسند الصدوق في الباب السادس والثلاثين من إكمال الدين، والخزّاز في كفاية الأثر عن عبد العظيم الحسني، قال: دخلت على سيّدي محمّد الجواد عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن القائم [أهو المهديّ أو غيره؟] فابتدأني، فقال لي: «يا أبا القاسم، إنّ القائم منّا هو المهديّ الذي يجب أن يُنتظر في غَيبته، [ويطاع في ظهوره]، وهو الثالث من وُلدي»[2].

٧٩ ـ وأسند الصدوق أيضاً في الباب المذكور، والخزّاز في الكفاية عنه عليه السلام قوله: «إنّ الإمام من بعدي ابني عليّ... والإمام بعده ابنه الحسن...».

قال الراوي: ثمّ سكت، فقلت: يا بن رسول الله، فمن الإمام بعد الحسن؟

فبكى بكاءً شديداً، ثمّ قال: «إنّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحقّ المنتظَر».

فقلت: ولِمَ سمّي القائم؟

قال: «لأنّه يقوم بعد موت ذِكره، وارتداد أكثر القائلين بإمامته».

فقلت: ولِمَ سمّي المنتظَر؟

قال: «لأنّ له غَيبة يكثر آياتها[3]، ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، [ويستهزئ بذِكره الجاحدون]، ويكذب فيه الوقّاتون، ويهلك فيه المستعجلون، وينجو فيه المسلّمون»[4].

---

١. تأريخ مواليد الأئمّة ووفياتهم ـ ضمن «مجموعة نفيسة» ـ: ٢٠٠.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٧٧، ح ١، الباب ٣٦؛ كفاية الأثر: ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

٣. كذا في الأصل. وفي المصدر: «أيّامها».

٤. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٧٨، ح ٣، الباب ٣٦؛ كفاية الأثر: ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

**قلت**: وقد تقدّم منّا مراراً أنّ أخبارهم عليهم السلام بارتداد بعض الناس من أنباء الغيب، التي ظهر مصداقها فيمن ارتدّ بتغيير الدين وتبديل الشريعة، بادّعاء المهدويّة في فرصة طول الغَيبة وفتنتها.

## ١٢ ـ فصل: [فيما روي عن الإمام عليّ الهادي عليه السلام ]

٨٠ ـ وأسند الفضل بن شاذان عن سهل بن زياد، عن عبد العظيم الحسني، أنّه عرض على الإمام عليّ الهادي دينه وإقراره بالأئمّة واحداً بعد واحد، إلى قوله: ثمّ أنت يا مولاي.

فقال الهادي: «ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده؟!».

فقلت: وكيف ذاك يا مولاي؟

فقال عليه السلام: «لأنّه لا يُرى شخصه، ولا يحلّ ذِكر اسمه حتّى يخرج، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[١].

٨١ ـ وأسند الكليني في أُصول الكافي، والصدوق في الباب المذكور[٢]، والخزّاز في كفاية الأثر، عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن صاحب العسكر عليه السلام يقول: «الخلف من بعدي ابني الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟!»[٣].

٨٢ ـ وفي مسند آخر عنه عليه السلام، في مكاتبته للشيعة قوله: «الأمر إليّ ما دمتُ حيّاً، فإذا نزلت بي مقادير الله أتاكم الخلف منّي، فأنّى لكم بالخلف بعد الخلف»[٤].

---

١. انظر كفاية الأثر: ٢٨٢.

٢. كذا في الأصل؛ والمراد به هنا وفي الأحاديث التالية هو: الباب ٣٧، وهو فيما روي عن الإمام الهادي عليه السلام في النصّ على الإمام المهديّ عليه السلام؛ لاحظ المصدر.

٣. الكافي ١: ٣٢٨، باب الإشارة والنصّ على أبي محمّد عليه السلام، ح ١٣؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٣٨١، ح ٥، الباب ٣٧؛ كفاية الأثر: ٢٨٥.

٤. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٨٢، ح ٨، الباب ٣٧.

٨٣ ـ وأسند الصدوق في الباب المذكور، والخزّاز في الكفاية عنه، قوله عليه السلام: «والخميس ابني ، ظلماً [الحسن] والجمعة ابن ابني، وإليه تجتمع عصابة الحقّ، وهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1].

٨٤ ـ وأسند أيضاً قوله عليه السلام: «إنّ الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[2].

٨٥ ـ وأسند الصدوق في الباب الرابع والأربعين[3] من إكمال الدين، والشيخ الطوسي في كتاب الغَيبة، في حديث شراء نرجس ـ أُمّ الحجّة عليه السلام ـ وتزويجها بالإمام الحسن العسكري، قول الإمام الهادي لها: «أُبشّرك بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

قالت: ممّن؟

فبيّن لها أنّه من الإمام الحسن العسكري؛ وقوله عليه السلام فيها أنّها زوجة الإمام أبي محمّد وأُمّ القائم[4].

### ١٣ ـ فصل: [فيما روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام]

٨٦ ـ وأسند الصدوق في الباب الثامن والثلاثين من إكمال الدين عن أحمد بن إسحاق الأشعري، عن الإمام الحسن العسكري ـ في حديث ـ قال: قلت له: من الإمام والخليفة بعدك؟

فنهض عليه السلام مسرعاً ودخل البيت، وخرج وعلى عاتقه غلام... ابن ثلاث سنين، وقال عليه السلام: «لولا كرامتك [على الله عزّ وجلّ وعلى حججه] ما عرضت عليك ابني هذا،

---

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٨٣، ذيل الحديث ٩، الباب ٣٧؛ كفاية الأثر: ٢٨٧.

٢. المصدر، ح ١٠، الباب ٣٧؛ كفاية الأثر: ٢٩٢.

٣. كذا في الأصل؛ والصحيح: الباب ٤١، لاحظ المصدر!

٤. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٣، ذيل الحديث ١، الباب ٤١؛ الغَيبة: ٢١٤، ذيل الحديث ١٧٨.

إنّه سميّ رسول الله وكنيّه، الذي [يملأ] الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، مَثَلُه في هذه الأُمّة مَثَل الخضر... واللهِ ليغيبنّ غَيبةً لا ينجو من الهلكة فيها إلّا من ثبّته الله».

فقلت: يا مولاي، هل من علامة؟

فنطق الغلام بلسان فصيح، وقال: «أنا بقيّة الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، ولا تطلب أثراً بعد عين».

قال: فعدت إلى الإمام العسكري عليه السلام من الغد وسألته: ما السُنّة الجارية في ابنه المهديّ من الخضر؟

قال عليه السلام: «طول الغَيبة».

قلت: وإنّ غَيبته لَتطول؟

فقال: «إي وربّي، حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به»[١].

٨٧ ـ وأسند الملّا عبد الرحمٰن الجامي ـ من أهل السُنّة ـ في كتاب شواهد النبوّة إلى قوله: «ظلماً وجوراً»[٢].

٨٨ ـ وروى الفضل بن شاذان عن أحمد بن إسحاق، والصدوق في الباب المذكور بسنده عن أحمد بن إسحاق أيضاً، عن الحسن العسكري، قوله عليه السلام: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتّى أراني الخلف من بعدي، أشبه الناس برسول الله، يحفظه الله في غَيبته، ثمّ يظهره، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[٣].

٨٩ ـ وأسند الصدوق في الباب المذكور من إكمال الدين، والخزّاز في الكفاية، عن العسكري عليه السلام، قوله عليه السلام: «أمَا إنّ المقرّ بالأئمّة [بعد رسول الله صلى الله عليه وآله] المنكِر لولَدي، كمن

---

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٨٤ ـ ٣٨٥، ح ١، الباب ٣٨.

٢. شواهد النبوّة: ٤٠٩.

٣. انظر: إثبات الهداة ٣: ٥٦٩، ح ٦٨٢ عن إثبات الرجعة لابن شاذان؛ وكمال الدين وتمام النعمة: ٤٠٨ ـ ٤٠٩، ح ٧، الباب ٣٨.

أقرّ بجميع الأنبياء وأنكر نبوّة رسول الله ﷺ... أمَا إنّ لولَدي غَيبة يرتاب فيها الناس»[1].

٩٠ ـ وأسند أيضاً قوله ﷺ: «ابني محمّد هو الإمام والحجّة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة، أمَا إنّ له غَيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقّاتون»[2].

٩١ ـ وأسند الصدوق في الباب الخامس والأربعين[3] من إكمال الدين، والكليني في أُصول الكافي، والشيخ الطوسي في غَيبته، والخواجه پارسا الحنفي في فصل الخطاب، رواية حكيمة بنت الجواد بشأن ولادة الحجّة، وإخبار الإمام العسكري بولادته، وأنّ أباه العسكري ﷺ لَمّا رآه أمره بالتكلّم، فتشهّد الشهادتين، وأقرّ بالأئمّة، وفعل في اليوم السابع مثل ذلك، وتلا قوله تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ـ إلى قوله: ـ يَحْذَرُونَ﴾[4].

٩٢ ـ وفي مسند آخر: أنّ الإمام العسكري ﷺ عرض ابنه الحجّة على أصحابه في اليوم الثالث، فقال: «هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً»[5].

٩٣ ـ وفي مسند آخر: أنّه لَمّا وُلد الحجّة ﷺ كتب الإمام الحسن العسكري بخطّ يده الشريف إلى أحمد بن إسحاق: «وُلد لنا مولود، فليكن عندك مستوراً، وعن الناس مكتوماً»[6].

---

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٠٩، ح ٨، الباب ٣٨؛ كفاية الأثر: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٠٩، ح ٩، الباب ٣٨؛ كفاية الأثر: ٢٩٢.

٣. كذا في الأصل؛ والصحيح هو الباب ٤٢ في هذا الحديث والحديثين التاليين، وهو فيما روي في ميلاد الإمام المهديّ ﷺ، لاحظ المصدر.

٤. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٤ ـ ٤٢٦، ح ١، الباب ٤٢؛ الغَيبة: ٢٣٤ ـ ٢٣٧، ح ٢٠٤ و ٢٠٥ والآية في سورة القصص (٢٨): ٥ ـ ٦.

٥. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣١، ح ٨، الباب ٤٢.

٦. المصدر: ٤٣٣ ـ ٤٣٤، ح ١٦، الباب ٤٢.

٩٤ ـ وأسند الصدوق في الباب الحادي والأربعين[١] من إكمال الدين، والخزّاز في الكفاية: أنّ أبا محمّد الحسن العسكري عليه السلام قال لجاريته: «ستحملين ذكراً واسمه محمّد، وهو القائم من بعدي»[٢].

٩٥ ـ وفي مسند آخر عن جماعة، قالوا: عرض علينا أبو محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام ابنه في منزله، وكنّا أربعين رجلاً، فقال: «هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم»[٣].

٩٦ ـ وأسند الصدوق في الباب الحادي والأربعين[٤] من إكمال الدين، والملّا عبدالرحمٰن الجامي في شواهد النبوّة عن يعقوب بن منقوش، قال: دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام وهو جالس في الدار، على يمينه بيتٌ عليه ستر، فقلت: يا سيّدي! من صاحب هذا الأمر بعدك؟

قال: «ارفع الستر».

فرفعته، فخرج إلينا غلام خماسي... فجلس على فخذ أبي محمّد، ثمّ قال لي: «هذا صاحبكم».

ثمّ وثب، فقال له: «يا بنيّ، ادخل إلى الوقت المعلوم»[٥].

٩٧ ـ وروى الفضل بن شاذان عن محمّد بن عبد الجبّار، قال: قلت لمولاي الحسن بن

---

١. كذا في الأصل؛ والصحيح هو الباب ٣٨، وهو فيما روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في النصّ على الإمام المهديّ عليه السلام، لاحظ المصدر.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٠٨، ح ٤، الباب ٣٨؛ كفاية الأثر: ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٥، ح ٢، الباب ٤٣.

٤. كذا في الأصل؛ والصحيح هو الباب ٣٨، وهو فيما روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في النصّ على الإمام المهديّ عليه السلام.

وربّما كان مراد المؤلّف ١: الباب ٤٣، وهو في ذِكر من شاهد القائم عليه السلام ورآه وكلّمه؛ فقد ورد الحديث في البابين المذكورين، لاحظ المصدر.

٥. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٠٧، ح ٢، و ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧، ح ٥، الباب ٤٣؛ شواهد النبوّة: ٤٠٦.

عليّ العسكري: يا بن رسول الله، جعلت فداك، أُحبّ أنْ أعرف الإمام وحجّة الله على خلقه بعدك من هو؟

فقال عليه السلام: «الإمام والحجّة بعدي ابني، سميُّ رسول الله وكنيّه الذي هو خاتم حجج الله وآخر خلفائه».

فقلت: من هو ابنك الذي سيولد؟ فقال: «هو من بنت قيصر، واعلم أنّه سيأتي يوم يولد فيه، ثمّ يغيب عن الناس غَيبةً طويلةً، ثمّ يظهر ويقتل الدجّال، ويملأُ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[١].

٩٨ ـ وروى أيضاً عن محمّد بن عليّ بن حمزة بن الحسين بن عبيد الله بن العبّاس بن عليّ بن أبي طالب، قال: سمعت الإمام الحسن العسكري يقول: «قد وُلِد وليّ الله وحجّته على عباده خليفتي من بعدي مختوناً ليلة النصف من شعبان في سنة المائتين وخمس وخمسين عند طلوع الفجر»[٢].

هذا بعض ما وجدناه من الأحاديث الصريحة في هذا المعنى على الاستعجال وعدم الفرصة لما ينبغي من التتبّع.

وقد تركنا ممّا وجدنا ما هو مجمل، كقولهم عليهم السلام: «الأئمّة من وُلد الحسين عليه السلام تسعة، تاسعهم قائمهم»، كما وردت به أحاديث كثيرة[٣].

بل تركنا كثيراً من الأحاديث الدالّة على أنّ التاسع من وُلد الحسين عليه السلام هو الحجّة المهديّ.

ولكن لا بأس أن نذكر شيئاً ممّا في كتاب سُليم، الذي هو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام،

---

١. انظر إثبات الهداة ٣: ٥٦٩، ذيل الحديث ٦٨٠ عن إثبات الرجعة.

٢. المصدر: ٥٧٠، ح ٦٨٣ عن إثبات الرجعة.

٣. انظر مثلاً: الغَيبة، للنعماني: ٦٧، ح ٧ و ص ٩٤، ح ٢٥؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٦ ـ ٢٥٧، ح ١ و ٢، و ص ٢٥٩ ـ ٢٦٢، ح ٥ ـ ٩، و ص ٢٦٩، ح ١٢؛ الغَيبة، للطوسي: ١٤٠، ح ١٠٤، و ص ١٤٣، ح ١٠٧؛ الصراط المستقيم ٢: ١٢٩ ـ ١٣٤.

وكتاب الغَيبة للشيخ الجليل، عظيم المنزلة في الطائفة، الفضل بن شاذان، الذي أدرك الرضا عليه السلام وروى عنه، وتوفّي في أيّام الحسن العسكري عليه السلام بعد مولد الحجّة عليه السلام.

**١٤ ـ فصل: [فيما روي في ذكر أُولي الأمر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وعددهم]**

**٩٩ ـ** ففي كتاب سُلَيم، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في ذِكر أُولي الأمر: «يا عليّ، أنت أوّلُهم... ثمّ عدّ الأئمّة واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري عليهما السلام، وقال: ثمّ ابنه الحجّة القائم، خاتم أوصيائي وخلفائي، والمنتقم من أعدائي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1].

**١٠٠ ـ** وقال سُليم: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا وأوصيائي الأحد عشر من وُلدي أئمّة هادون مهديّون».

فقلت: يا أمير المؤمنين، من هم؟

فقال: «ولداي الحسن والحسين، ثمّ وَلدي هذا ـ وأخذ بيد عليّ بن الحسين، وكان رضيعاً ـ ثمّ ثمانية من وُلده، واحداً بعد واحد، كلّهم أوصياء»[2].

بيان: وقد ذكرنا لك أنّ وصف الأئمّة بالأوصياء، يدلّ على أنّ كلّ إمام لابدّ أن يدرك حياة الإمام الذي قبله، ويكون وصيّاً عنه.

**١٠١ ـ** وروى الفضل بن شاذان في كتاب الغَيبة عن عبد الرحمٰن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة[3]، عن الباقر عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأميرالمؤمنين في حديث ذكر فيه الظالمين، وأنّ ولده ينتقم منهم في الدنيا، فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: مَن هذا يا رسول الله؟

فقال: «التاسع من أولاد وَلَدي الحسين، الذي يظهر بعد غَيبة طويلة فيعلن أمر الله،

---

١. انظر مؤدّاه في كتاب سُلَيم ٢: ٨٧٧ ـ ٨٧٨، ح ٤٩، و ص ٩٠٦ ـ ٩٠٧، ح ٦١.

٢. كتاب سُليم ٢: ٨٢٤ ـ ٨٢٥، ذيل الحديث ٣٧.

٣. يعني الثمالي. (منه رحمه الله).

ويظهر دين الله، وينتقم من أعداء الله».

١٠٢ ـ وروى الفضل بن شاذان عن محمّد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، عن جابر الجعفي، عن سعيد بن المسيّب، عن عبد الرحمٰن بن سمرة، عن رسول الله ﷺ في حديث خلق إبراهيم وأنوار النبيّ والأئمّة، وإخبار الله لإبراهيم بأسمائهم إلى الحسن العسكري عليه السلام، فقال جلّ اسمه: «والحجّة بن الحسن، الذي يظهر بعد غَيبة عن شيعته ومحبّيه».

١٠٣ ـ وروى أيضاً عن عبد الرحمٰن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي.

وعن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ في حديث المعراج وقول الله له في ذِكر الأئمّة والخلفاء بعده، وذِكر الأئمّة واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري عليه السلام، فقال جلّ اسمه: «وبعده الحجّة بن الحسن».

١٠٤ ـ وروى أيضاً عن فضّال بن أيّوب، عن أبان بن عثمان، عن محمّد بن مسلم، عن الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: أنا أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم، وبعدي أنت أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم»، وذكر هذا الوصف للأئمّة واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري عليه السلام، وقال: «وبعده الحجّة ابن الحسن، الذي تنتهي إليه الخلافة والوصاية، والغائب مدّةً طويلةً، ثمّ يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

١٠٥ ـ وعن عليّ بن الحكم، عن جعفر بن سليمان الضبيعي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن سلمان الفارسي، قال: خطبنا رسول الله ﷺ وذكر الخطبة، وفيها أنّ التاسع من الأئمّة من وُلد الحسين عليه السلام مهديّهم، ثمّ ذكر الأئمّة واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري عليه السلام، وقال: «وبعده الحجّة القائم، المنتظَر في غَيبته، المطاع في ظهوره».

١٠٦ ـ وعن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن عبدالله بن بكير، عن عبد الملك بن إسماعيل الأسدي، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن عمّار بن ياسر، عن رسول الله ﷺ ـ في حديث ـ أنّه قال: «إنّ الله عهد إليَّ أن يعطيني اثني عشر خليفةً»، وعدّهم واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري، وقال: «وبعده ابنه الذي يغيب غَيبةً طويلةً، ثمّ يخرج، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

١٠٧ ـ وعن عبدالله بن جبلة، عن عبدالله المستنير، عن المفضّل بن عمر، عن جابر الجعفي، عن ابن عبّاس ـ في حديث ـ قال: قلت لرسول الله ﷺ: كم الأئمّة من بعدك؟ قال: «اثنا عشر، أوّلهم عليّ»، ثمّ عدّد الأئمّة واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري عليه السلام، وقال: «فإذا انقضت أيّام الحسن فابنه الحجّة».

١٠٨ ـ وعن الحسن بن عليّ بن فضّال وابن أبي نجران، عن حمّاد بن عيسى، عن عبدالله بن مسكان، عن أبان بن تغلب، عن سُليم بن قيس الهلالي، عن سلمان الفارسي، عن رسول الله ﷺ ـ في حديث ـ أنّه قال: «أُبشّركم بالمهديّ»، وقال: «إنّه سلطان عادل، وإمام قاسط، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهو التاسع من أولاد ولدي الحسين».

١٠٩ ـ وفي كتاب إيضاح الدفائن لمحمّد بن أحمد بن شاذان القمّي، وذكر في أوّله أحاديثه أنّه سمعه سنة ثلاثمائة وأربع وسبعين، روى في المنقبة الثانية والتسعين عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله ﷺ حديثاً فيه تعداد الأئمّة واحداً بعد واحد، فقال ﷺ ـ بعد ذِكر الهادي ـ: «ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ ابنه القائم بالحقّ، مهديّ أُمّتي». الحديث.

١١٠ ـ وفي كتاب الأربعين للشيخ الحافظ محمّد بن أحمد بن أبي الفوارس، المتوفّى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ـ على ما ذكره الذهبي في كتاب دول الإسلام ـ أسند في الحديث الرابع عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن النبيّ صلوات الله عليهم أجمعين، في فضل ولاية كلّ واحد من الأئمّة عليهم السلام، وذكرهم واحداً بعد واحد حتّى ذكر الحسن

العسكري عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله: «ومن أحبّ أن يلقى الله عزّ وجلّ وقد كمل إيـمانه وحسـن إسلامه فليتوال ابنه المنتظَر محمّداً صاحب الزمان المهديّ»[1].

فانظر ـ هداك الله ـ إلى دعوة الميرزا عليّ محمّد، ودعواه أنّه المهديّ قـائم أهـل البيت المنتظَر! وكيف تراها إذا عرضتها على مضمون كلّ واحد من هذه الأحاديث ـ التي تيسّر جمعها عاجلاً ـ وما فيها من الخواصّ والنكات؟!

وكيف ترى إمكان دعواه مع القدر المشترك بين هذه الأحاديث التي بلغت به حدّ التواتر والتضافر المفيد لليقين؟! وهو أنّ المهديّ والقائم المنتظَر من آل محمّد هو ابن الحسن العسكري، وخلفه الصالح، المولود سنة المائتين وخمس وخمسين.

وكيف ترى دعوته وتبديله للدين والشريعة، مع الأمر في كثير من هذه الأحاديث بالتمسّك بالدين، والتحذير عن الارتداد والتوبيخ عليه؟!

أعاذنا الله وإيّاك وجميع المسلمين.

هذا ما تيسّـر تعجيل بيانه من المانع الثاني، والله الهادي، ومنه التوفيق والتسديد.

## المانع الثالث: [المهديّ عليه السلام ابن خيرة الإماء]

ما تقدّم متعدّداً في الأحاديث المتقدّمة من أنّ القائم المهديّ صلوات الله عليه هو ابن أمَة، وابن سيّدة الإماء، كما في الحديث ٥ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٧ و ٤٧ و ٥٧ و ٧٢ و ٧٣ و ٨٥ و ٩١ و ٩٤ و ٩٧، وكما ذكر ابن أبي الحديد أنّه وردت به آثار كثيرة[2]، وبـه قال أصحابنا.

ونذكر هنا زيادةً على تلك الأحاديث أحاديث أُخر تقوم بها الحجّة البالغة:

١١١ ـ فقد أسند النعماني في كتاب الغَيبة عن الباقر أو الصادق عليهما السلام ـ والشكّ من

١. دول الإسلام: ٢١٦.

٢. شرح نهج البلاغة ٧: ٥٩.

أحد الرواة ـ قوله ﷺ في صفة المهديّ أنّه «ابن سبيّة، وابن خيرة الإماء»[١].

يعني أنّها أمَة مجلوبة بالسبي، وهي خيرة الإماء.

١١٢ ـ وأسند أيضاً عن الصادق ﷺ في خطبة خطبها وذكر فيها القائم المهديّ، فقال في آخر صفته: «ابن سبيّة، ابن خيرة الإماء»[٢].

١١٣ ـ وأسند أيضاً أنّه قيل للباقر ﷺ ـ في قول أمير المؤمنين ﷺ: «بأبي ابن خِيَرة الإماء» ـ: أهي فاطمة؟

فقال ﷺ: «إنّ فاطمة ﷺ هي خِيَرة الحرائر»[٣].

١١٤ ـ وأسند أيضاً أنّه قيل للصادق ﷺ: إنّ عمّك زيداً خرج يزعم أنّه ابن سبيّة، وأنّه قائم هذه الأُمّة، وأنّه ابن خيرة الإماء؟!

فقال ﷺ: «ليس كما قال، إن خرج خارج قُتل قبل قائم هذه الأُمّة، وإنّه ـ يعني القائم ﷺ ـ ابن خيرة الإماء»[٤].

بيان: وهذا الحديث يدلّ على أنّ المعلوم عند الناس ـ من بيان أُولي العصمة ـ في

---

١. جاءت هذه العبارة في ذيل حديث في باب صفة الإمام المهديّ ﷺ وسيرته وفِعله وما نزل من القرآن فيه؛ فقال محقّق كتاب الغَيبة تعليقاً عليها بعد أن عدّها زيادة ملحقة بأصل الحديث: «الحديث تمّ إلى هنا، وما زاد في المطبوع الحجري والبحار من زيادة «ابن ستّة، وابن خيرة الإماء» فهي عنوان لِما يأتي بعدها خُلط بالحديث، كما هو ظاهر النسخ المخطوطة». انظر: الغَيبة: ٢١٦، ح ٥ وهامشه، الرقم ٤، وكذا طبعته غير المحقّقة: ١٤٥، وفيه «ابن سبيّة»؛ بحار الأنوار ٥١: ٤١، ح ٢٢، وفيه: «ابن ستّة» بدل «ابن سبيّة».

ويبدو أنّ الصواب مع المحقّق؛ إذ أنّ العبارة المذكورة لا تناسب عنوان الباب؛ فتوضيح الشيخ البلاغي ﵀ الآتي يناسب ما يأتي من الأحاديث التالية، فلاحظ.

٢. لاحظ الغَيبة: ٢٢٨، ذيل الحديث ٧، والطبعة غير المحقّقة: ١٥١، وما قلناه في الهامش السابق ينطبق هنا تماماً؛ إذ أنّ الحديث ٧ المشار إليه آنفاً هو في بيان صفة مطلق الإمام المعصوم لا في خصوص صفة الإمام المهديّ ﷺ، فالنصّ الذي في المتن هو عنوان لِما يأتي من الأحاديث لا جزء من خطبة الإمام الصادق ﷺ، فلاحظ.

٣. الغَيبة: ٢٢٨ ـ ٢٢٩، ح ٩.

٤. المصدر: ٢٢٩، ح ١٠ باختلاف يسير.

صفات المهديّ القائم كونه ابن أَمَة سبيّة.

١١٥ ـ ويدلّ عليه أيضاً ما أسنده النعماني عن أبي حازم، أنّ الصادق عليه السلام قال له في شأن القائم المهديّ: «أوَلم تعلموا أنّه ابن سبيّة؟!»[١].

١١٦ ـ وأسند أيضاً عن الحارث الهمداني، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في ذِكر المهديّ: «بأبي ابن خِيَرة الإماء»[٢].

١١٧ ـ وأسند الشيخ الطوسي في كتاب الغَيبة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ذكر لعمر صفات القائم المهديّ، ثمّ قال: «بأبي ابن خِيَرة الإماء»[٣].

فهذه الأحاديث ـ مع ما تقدّم ـ تسعة عشر حديثاً، تدلّ على أنّ المهديّ عليه السلام ابن أمَة سبيّة هي سيّدة الإماء وخيرتهنّ.

إذا عرفت هذا فكيف إذاً يكون «عليّ محمّد» هو المهديّ المنتظر القائم من آل محمّد؟! مع أنّ أُمّه العَلَويّة خديجة، أُخت الميرزا عليّ التاجر، من عائلة من السادات معروفة!!

وكيف تُقبل دعواه أنّه القائم المهديّ المنتظر الموعود به من آل محمّد؟!

ولعلّك تقول: إنّ هذه الأحاديث والأحاديث المتقدّمة ـ في بيان المانع الثاني ـ أخبار آحاد لم تبلغ التواتر.

فنقول: إنّ القدر المشترك بين هذه الأحاديث متواتر، وهو أنّ المهديّ هو ابن الحسن العسكري، وأُمّه أَمَة سبيّة، ولو لم يكن من المتواتر لكان من المتضافر المستفيض الذي يفيد القطع؛ إذ قد روته العلماء الأثبات من الشيعة والسُنّة ممّن قربت عصورهم من عصور الأئمّة.

وكيف تحيد عمّا تواترت وتضافرت به الأحاديث الصحاح والمعتبرة؟! والحال أنّ

---

١. المصدر: ٢٣٠، ذيل الحديث ١٢.

٢. المصدر: ٢٢٩، ح ١١.

٣. المصدر: ٤٧٠، ح ٤٨٧.

مقتداك ـ الباب ـ قد تشبّث واعتمد في دعواه ودعوته على حديث مرسَل تفرّد بروايته العيّاشي عن الباقر عليه السلام، وهو حديث أبي لبيد المخزومي، واستقرّ عند قوله: ﴿الٓمٓرٰ﴾[1].

انظر إلى ما ذكره في البيان بعد قوله: «فاعلم بأنّ ما نزل في القرآن كلّه قد نزل في البسملة»، ودع عنك الغلط في حسابه، والخبط والإدماج في تلفيقه!

ولعلّ دعاتك يخادعونك فيقولون لك: إنّا نقبل هذه الأحاديث ونؤمن بها، ونعتقد منها أنّ القائم المنتظر من آل محمّد صلى الله عليه وآله هو ابن الحسن العسكري، وابن السبيّة خيرة الإماء نرجس، المولود سنة المائتين وخمس وخمسين في سرّ من رأى، وهو الإمام الثاني عشر، والتاسع من سلسلة أولاد الحسين عليه السلام، ولكنّه مات وحلّت روحه في جسد الميرزا عليّ محمّد، المولود سنة الألف ومائتين وخمس وثلاثين من السيّد رضا الشيرازي والعَلَويّة خديجة، فأظهر دعوته بتلك الروح، وإنّما الآثار للأرواح لا للأشباح!

فأقول أوّلاً: يكفي في ردّ هذه الدعوى اعتراف «عليّ محمّد» بأنّ كتابه المسمّى أحسن القصص، نزل عليه من عند محمّد بن الحسن العسكري عليه السلام وقوله فيه أيضاً: «فوربّ السماء والأرض إنّي عبدالله آتاني البيّنات من عند بقيّة الله المنتظر إمامكم».

وقوله في كتابه المسمّى قيّوم الأسماء: «يا بقيّة الله، قد فديت بكلّي لك، ورضيتُ السبّ في سبيلك».

وقوله: «أوّلُ طرزٍ لاحَ وأشرقَ حضرةُ النور وماحي الديجور، حجّة الله مولاي».

كما ذكرنا تلك [الأُمور] في صحيفة ١٦ و ١٧[2].

ومن المعلوم الذي يعترف به كُتّابكم في كتبهم، وتشبّثوا له بشعر شاه نعمة الله: أنّ أوّل ما ادّعاه «عليّ محمّد» هو أنّه نائب المهديّ بن الحسن العسكري وبابه، كما يشهد له تسميتكم بـ«البابيّة».

---

١. تفسير العيّاشي ٢: ٣، ح ٣، و ص ٢٠٢، ح ٢.

٢. في ادّعائه النيابة طوراً، والمهدويّة طوراً آخر.

وأقول ثانياً: أتدري كم في هذه الدعوى من الدعاوي التي تحتاج إلى إقامة الحجج التي دونها خرط القتاد؟! فضلاً عن معارضة الموانع من المعقول والمنقول، فإنّ هذه الدعوى مبنيّة على التناسخ!

فعليك أوّلاً: أن تثبت إمكان التناسخ وعدم امتناعه في العقل والشرع.

وعليك ثانياً: أن تثبت وقوعه في ارتباط الأرواح والأجساد، فإنّه ما كلّ ممكن واقعاً.

وعليك ثالثاً: أن تثبت أنّ ابن الحسن العسكري عليه السلام قد مات.

وعليك رابعاً: أن تثبت أنّ روحه حلّت في جسد الميرزا عليّ محمّد.

وأنّى لك بذلك؟! ما لا يكون فلا يكون بحيلة!

وإنّا نريحك من الخوض في أمواج هذه اللجج، ببيان الموانع لهذه الدعوى، وإيضاح بطلانها من نفس الأخبار المتقدّمة وغيرها، وذلك بوجوه:

[الوجه] الأوّل: أنّ الرواية ٥٢ المرويّة عن الصادق عليه السلام ناطقة ببطلان هذه الدعوى؛ وذلك ببيانها أنّ المهديّ عليه السلام يبقى حيّاً في غَيبته الطويلة، ويعمّر كعمر الخضر إلى أن يظهر؛ وبتوبيخها لمن ينكر الغَيبة، ويقول: إنّه مات؛ وبتوبيخها لمن يقول: إنّ روح القائم تنطبق في هيكل غيره؛ وإنّ القائل بذلك يعصي الله؛ وهذا عين ما تزعمونه.

الوجه الثاني: دلالتها على أنّ المهديّ بن الحسن العسكري يطول عمره، كما طال عمر نوح والخضر، ويغيب غَيبةً طويلةً لغاية أن يظهر، فيملأ الأرض عدلاً وليس لأحد في عنقه بيعة.

الوجه الثالث: أنّ النبيّ والأئمّة قد مجّدوا ونوّهوا بوَلَد الحسن العسكري عليه السلام، وبيان أنّه المهديّ والقائم المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً بنحو ما سمعت بعضه من الأحاديث، وأخبروا عن الله بهذا التمجيد والتنويه، ولو كان الأمر كما تقولون لَما كان لهذا التمجيد والتنويه معنىً.

بل لو كان هذا التمجيد والبيان منّا، وكنّا نقول بمثل ما تقولون من التناسخ وانتقال

روح المهديّ، لكان من أفحش الغلط؛ وذلك لأنّ القول بالتناسخ وقدم الروح، وأنّها تُنقل من جسد إلى جسد، و[من] هيكل إلى هيكل، يلزم منه أن لا تكون الروحُ وَلَدَ الحسن العسكري، وإنّما وَلَدُه نفس الجسد المتكوّن من نطفة، وهذا الجسد لم يظهر ـ ولا يظهر ـ منه أثر من آثار المهدويّة والقائميّة مدّة حياته على زعمكم!

فإن قلت: إنّ التمجيد والتنويه في هذه الأحاديث بولد الحسن العسكري عليه السلام إنّما كان باعتبار تعلّق تلك الروح به وإنْ لم تظهر عليه آثار مهدويّتها وقائميّتها المذكورة إلى أن مات وفارقته.

قلنا: فيكون ذلك التمجيد والتنويه من أفحش الظلم والجور، حيث صار التمجيد ـ بالمهدويّة والقائميّة، وآثارها الحميدة، وكرامتها العظمى ـ لجسدٍ لم تظهر منه آثار روح المهدويّة والقائميّة، وترك التمجيد «لميرزا عليّ محمّد» الذي تزعمون أنّه هو الذي ظهرت فيه آثار المهدويّة، وصار مَظهراً لنورانيّة تلك الروح المنقول؛ [و] أنّ كلام الله وكلام أُولي العصمة في هذه الأحاديث وغيرها جرى على الغلط والظلم؟!

هداك الله! فلا يصحّ معنى الروايات إلّا على ما صرّحت به من بقاء المهديّ، وطول غَيبته، وطول عمره كطول عمر نوح والخضر، إلى أن يظهر، فيطهّر الأرض من دنس الضلال، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

ولعلّك تقول: إنّ ما ذكرناه غير مبنيّ على التناسخ وانتقال الأرواح من جسد إلى جسد، بل هو مبنيّ على تجلّيات الإله وظهوره في الأنبياء والأولياء، كما تكرّر معناه في كلام الباب والبهاء.

فنقول: كبرت كلمة تخرج من أفواههم، فلا نعاجلك الآن ببطلان هذا الكلام وما فيه من الإلحاد! ولكنّا نقول لك ـ كما قدّمناه ـ: إنّ تجلّي الإله ـ تعالى الله عن ذلك ـ في وَلَد الحسن العسكري لم تظهر عليه آثار المهدويّة المذكورة في هذه الروايات وغيرها، ولم يكن ابن العسكري مَظهراً لها.

وإنّكم تزعمون أنّها ظهرت عند تجلّي الإله في «ميرزا عليّ محمّد»، وهو المظهر

لها، فيعود في الروايات ما ذكرناه من الغلط والظلم؛ إذ مَجّدَتْ بآثار المهدويّة غير مَن هو مظهرٌ لها، ونسبتها إلى التجلّي الذي لم تقع تلك الآثار في أيّامه، ولا كانت من شؤونه، بل إنّ ذلك التجلّي في أيّامه ـ على ما تزعمون ـ كان أقلّ التجلّيات في الآثار النورانيّة الحميدة.

ولعلّك تقول لي: لماذا تجافيت عن التعرّض لبطلان التناسخ وتجلّيات الإلٰه في الأنبياء والأئمّة وظهوره في هياكلهم؟

فأقول: إنّ التعرّض لبطلان ذلك من حيث المعقول والفلسفة ربّما يقدح في ذهنك أنّي أُريد أن أُغالطك في الكلام بالمغلَقات، وأُطاولك بالبحث الذي ليس من فنّك، ولم تمرّ مقدّماته على ذهنك، ولا تجري في محاوراتك، ولئن شئت الخوض في ذلك فعرّفني من سؤالك وجوابك بمقدار استعدادك في مقدّمات الفلسفة وأبحاثها.

وهذا من المجاراة لك، وإلّا فقد بيّنّا أنّ هذه الروايات لا تنطبق على مزاعمك وإنْ ذهبتَ إلى التناسخ في النفوس والأرواح، أو إلى تجلّي الإلٰه وظهوره في هياكل الأنبياء والأئمّة، حيث بيّنّا أنّ تمجيدها لولد الحسن العسكري بالمهدويّة والقائميّة ـ مع زعمك أنّه مات ولم تظهر منه تلك الآثار ـ يكون من الغلط القبيح والظلم الفاحش لمن تزعم أنّ تلك الآثار ظهرت منه أحسن ظهور وأتمّه؛ فتبصّر هداك الله في رشدك!

## المانع الرابع: [صفة المهديّ عليه السلام]

قد تواترت الروايات في كثير من روايات أهل السُنّة في صحاحهم وغيرها، وروايات الشيعة ـ بأضعاف ما مرّ ذِكره في الروايات ـ عن رسول الله والأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، وأعلنت في صفة المهديّ، وبشّرت بأنّه يملك العرب ومشارق الأرض ومغاربها، ويقهر بسلطانه، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

بل قلّما يرد خبر في صفة المهديّ إلّا ونوّه بهذا الوصف.

وأين هذا من «عليّ محمّد»؟! الذي لم تمض على دعواه إلّا سنةً وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً حتّى تداوله الجلب محفوظاً، والاعتقال في السجون في شيراز وأصفهان وماكو، إلى أن قتل في تبريز يوم الاثنين السابع والعشرين من شعبان، سنة الألف ومائتين وخمس وستّين هجريّة، كما هو معروف وتذكره السجلّات الرسميّة لحكومة إيران، أو اليوم الثامن والعشرين من شعبان، سنة الألف ومائتين وستّ وستّين هجريّة على زعم البابيّة.

وقد كان ابتداء دعواه بعد الساعة الثانية من الليلة الخامسة من جمادى الأُولى، سنة الألف ومائتين وستّين في ساعة تحويل الشمس إلى برج الحمل، كما ذكره في البيان في الفصل الذي ذكر فيه أسماء الأيّام والشهور والسنين، وغيّر فيه عدد أيّام الشهر إلى تسعة عشر يوماً، وأشهر السنة إلى تسعة عشر شهراً!

وقد جُلب محفوظاً من بوشهر في اليوم السادس عشر من شعبان سنة الألف ومائتين وإحدى وستّين هجريّة.

ولكنّا مع ذلك نجاريك، ونستقصي معك محتملات تأويلك.

فإذا قلت: إنّ المراد من هذه البُشرى أنّ أحكامه الموزونة بالعدل والقسط تنتشر في البلاد، وتملأ الأرض بتبليغ الدعاة وإنْ لم يحصل لها إجراء، بل يكون الإجراء لغيرها.

قلنا لك: فإذا كان النبيّ والأئمّة يريدون هذا المعنى فهم يقولون إذاً ـ على هذا ـ: إنّ الأحكام التي جاء بها رسول الله ﷺ والقرآن الكريم، وانتشرت في أقطار العالم، وجرى عليها الإجراء في كلّ قرن بين ملايين من المسلمين، هذه كلّها ليست موزونة بالعدل والقسط، بل هي ظلم وجور، فالنبيّ والأئمّة عليهم السلام يعزّوننا عن وبال أحكامهم الظُلْميّة والجَوريّة، ويسلّوننا ويبشّروننا بأنّ المهديّ يأتي بأحكام العدل!!

أيقول هذا واحد من عقلاء المبطلين فضلاً عن أُمناء الوحي وهداة البشر؟!

وإذا قلت: إنّ المراد من هذه البشرى أنّ أحكام «الباب» توفّق للإجراء بين جميع البشر، بحيث لا يتخلّف عنها أحد في جميع الأرض، ولا يَجري حكم أو عمل جَوري،

وإنْ لم يكن هذا النحو من الإجراء في زمان الباب وسيطرة سلطانه، بل وإن تأخّر عن زمانه بمئات من السنين.

قلنا: فالنبيّ والأئمّة ظَلموا مَن يُجري هذه الأحكام بسلطانه، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بنهضته وسيطرته، ولم ينوّهوا به وبفضيلته ومنّته على البشر بالقسط والعدل، بل نسبوا ذلك إلى المهديّ، مع أنّه لم يصنع شيئاً من ذلك ولم يوفّق له؟!

وهب أنّه جاء بالأحكام لأنّه ـ على ما تقول ـ ليس إلّا كسائر من جاء بالشرائع.

هذا لو صحّت الأحلام بأنّ أحكامه سوف تجري على هذا النحو، وإنّك لتدري بما جرى في الأرض منذ دعوة الباب إلى الحال الحاضر!

وإذا قلت: إنّ الأُمور سترجع بعد الحال الحاضر في سيرها الطبيعي إلى أنّ الدول المتمدّنة ستجعل باتّفاقها سيطرةً متّحدةً، تقوم بإجراء قوانينها العدليّة بأحسن قيام وأتقنه وأتمّه في الحفظ لحقوق جميع البشر وآمنهم في جميع المسكونة.

قلنا لك: وأيّ دخل لهذا بالباب والمهديّ؟! وهل نسبة هذا إليه إلّا من أفحش الظلم والهذر في الكلام؟! إذ يُنسب للباب ما لا مساس له به أصلاً ورأساً، ويظلم الدول المتمدّنة في نهضتهم بهذا المشروع، فأين وإلى أين تذهب بتأويلك الذي قدّمنا لك ما في ارتكابه من توبيخ العقلاء وأهل اللسان ونصّ القرآن الشريف وكتاب دعوتك؟!

وإذا انفتح باب هذا التأويل لم يُعرف الصدق من الكذب!

## المانع الخامس: [ادّعائه النبوّة]

هو أنّ «عليّ محمّد» ادّعى أنّه نبيٌّ ورسول ـ كما قدّمنا في نقل كلماته ـ وهذه الدعوى تكذّبها ضرورة الإسلام، فضلاً عن إجماعهم القطعي على أنّه لا نبيّ بعد رسول الله ﷺ.

وتكذّبها السُنّة المتواترة القطعيّة في قول النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة

هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[١]، ونحوه كثير من الأخبار الدالّة على ختام النبوّة برسول الله ﷺ.

ويكذّبها أيضاً قول الله ـ جلّ شأنه ـ في كتابه الكريم: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٢].

والخاتَم: ما يُخْتَمُ به، ويُعرف به الختام؛ ولذا سُمّي ما يُجعل في الإصبع خاتَماً لأنّه تُختم به الصحيفة[٣].

١١٨ ـ وروى الصدوق في الفقيه، بسند صحيح عن أبي جعفر الباقر ﷺ، قال ـ في حديث ـ: «قال النبيّ ﷺ: أيّها الناس، إنّه لا نبيّ بعدي، ولا سُنّة بعد سُنّتي، فمن ادّعى [بعدُ] ذلك فدعواه وبدعته في النار، فاقتلوه ومن تبعه، فإنّه في النار»[٤]، الحديث.

١١٩ ـ وقول أمير المؤمنين ﷺ في خطبة له في نهج البلاغة، في وصف النبيّ ﷺ: «أرسله على حين فترة من الرسل، وتنازع من الألسن، فقفّى به الرسل، وختم به الوحي»[٥].

١٢٠ ـ وقوله ﷺ في خطبةٍ: «أمينُ وحيه، وخاتَمُ رسله، وبشيرُ رحمته، ونذيرُ نِقمته»[٦].

١٢١ ـ وقوله عند تغسيل النبيّ ﷺ: «بأبي أنت وأُمّي، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت نبيّ غيرك من النبوّة والإنباء وأخبار السماء»[٧].

---

١. انظر مثلاً: كتاب سُليم ٢: ٦٤٧ و ٦٥٠ و ٧٦٢، وفي مواضع كثيرة أُخرى؛ الإرشاد ١: ١٥٦؛ صحيح البخاري ٤: ١٦٠٢، ح ٤١٥٤؛ صحيح مسلم ٤: ١٨٧٠، ح ٢٤٠٤؛ مسند أحمد ١: ٢٩٢، ح ١٥٥٠، و٢٩٨، ح ١٥٨٧، و٣٠١، ح ١٦١١.

٢. الأحزاب (٣٣): ٤٠.

٣. انظر لسان العرب ١٢: ١٦٣ ـ ١٦٤، «خ ت م».

٤. الفقيه ٤: ١٢١، ح ٤٢١.

٥. نهج البلاغة: ٢٥١، الخطبة ١٣٣.

٦. المصدر: ٣٢٩، الخطبة ١٧٣.

٧. المصدر: ٤٨٦، الخطبة ٢٣٥.

١٢٢ ـ وقوله ﷺ في خطبةٍ له في ذِكر رسول الله ﷺ: «محمّد عبدِك ورسولِك، الخاتِمِ لِما سبق، والفاتحِ لِما انغلق»[١].

١٢٣ ـ وفي كتاب سُليم، من قول أمير المؤمنين ﷺ: «أمّا رسول الله، فخاتم النبيّين، ليس بعده رسول ولا نبيّ، ختم الله برسوله الأنبياء، وختم بالقرآن الكتب»[٢].

١٢٤ ـ وفي أُصول الكافي، في باب أنّ الأئمّة ﷺ محدَّثون[٣]، بسند صحيح عن أبي عبد الله ﷺ ـ في حديث ـ: «إنّ الله عزّ ذِكره ختم بنبيّكم النبيّين، فلا نبيّ بعده أبداً، وختم بكتابكم الكتب، فلا كتاب بعده أبداً»[٤].

١٢٥ ـ وفي باب الفرق بين الرسول والنبيّ، بسند معتبر عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ ـ في آخر حديث ـ: «لقد ختم الله بكتابكم الكتب، وختم بنبيّكم الأنبياء»[٥].

## المانع السادس: [الإتيان بشريعة مخالفة للقرآن والسُنّة]

ادّعى أنّه جاء بشريعة مخالفة لشريعة القرآن الكريم والسُنّة المعلومة.

وهذا مخالف لِما هو المعلوم من دين الإسلام، وهو إنّ حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

ومخالف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾[٧].

---

١. المصدر: ١٠٦ـ١٠٧، الخطبة ٧٢.

٢. كتاب سُليم ٢: ٦٥٣ ضمن الحديث ١١.

٣. هو سهو من قلمه الشريف؛ لأنّ الحديث كما يأتي كان في باب أنّ الأئمّة بمن يشبّهون....

٤. الكافي ١: ٢٦٩، باب في أنّ الأئمّة بمن يشبّهون...، ح ٣.

٥. المصدر: ١٧٧، باب الفرق بين الرسول والنبيّ والمحدّث، ح ٤.

٦. الإسراء (١٧): ٩.

٧. آل عمران (٣): ١٩.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[1].

١٢٦ ـ وقول أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة له في وصف الإسلام، كما في نهج البلاغة: «إنّ هذا الإسلامَ دينُ الله الذي اصطفاه لنفسه... ثمّ جعله لا انفصام لعروته، ولا فَكّ لحلقته، ولا انهدام لأساسه، ولا زوال لدعائمه، ولا انقلاع لشجرته، ولا انقطاع لمدّته، ولا عَفاءَ لشرائعه، ولا جَذَّ لفروعه»[2].

١٢٧ ـ وفي أُصول الكافي، في باب البدع، بسند صحيح عالٍ عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، قوله عليه السلام: «حلال محمّد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره، ولا يجيء غيرُه»[3].

١٢٨ ـ وفي باب الأخذ بالسُنّة، بسند معتبر عن الصادق عليه السلام، يقول: «مَن خالف كتاب الله وسُنّة محمّد صلى الله عليه وآله فقد كفر»[4].

١٢٩ ـ وفي باب البدع، بسند معتبر عن الكاظم عليه السلام ـ في حديث ـ: «مَن تَرَك كتابَ الله وقولَ نبيّه كَفَر»[5].

١٣٠ ـ وروى الصدوق في العيون، بسند معتبر عن الرضا عليه السلام ـ في حديث ـ قال: «وشريعة محمّد لا تُنسَخ إلى يوم القيامة، ولا نبيّ بعده إلى يوم القيامة، فمن ادّعى نبيّاً أو أُوتي بعده بكتاب فدمُه مباح لكلّ من سمعه»[6].

هذا، وإنّ «عليّ محمّد» قد أبطل جميع أحكام الإسلام، وبدّل الدين؛ وهذا هو

---

١. آل عمران (٣): ٨٥.

٢. نهج البلاغة: ٢٢٥ ـ ٢٢٦، الخطبة ١٩٨.

وعَفا الأثر: دَرَسَ وامّحى. لسان العرب ١٥: ٧٢، «ع ف ا».

والجَذّ: كسر الشيء الصُلْب وقطعه. لسان العرب ٣: ٤٧٩، «ج ذ ذ».

٣. الكافي ١: ٥٨، باب البدع والرأي والمقائيس، ح ١٩.

٤. المصدر: ٧٠، باب الأخذ بالسنّة وشواهد الكتاب، ح ٦.

٥. المصدر: ٥٦، باب البدع والرأي والمقائيس، ح ١٠.

٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٨٦ ـ ٨٧، ح ١٣، باب ٣٢.

الارتداد الذي أخبرت به الروايات وحذّرت عنه!

وإنّ تصديق «علي محمّد» لرسول الله ﷺ والقرآنِ يقتضي ظهور كذبه عندما يجيء في دعواه بما يخالف القرآن والرسول ﷺ.

ولعلّك تقول: إنّه قد جاء في الأخبار أنّ المهديّ يأتي في ظهوره بأمر جديد وكتاب جديد، كما جاء في رواية النعماني عن أبي عبدالله عليه السلام، من قوله في شأن الحجّة عليه السلام: «ولكأنّي أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد على العرب شديد»[١].

وروايته عن الباقر عليه السلام قوله: «يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلّا السيف، لا يستتيب أحداً»[٢].

فنقول أوّلاً: إنّه يكفي في البصيرة ورفع الاشتباه من هاتين الروايتين، ما سمعت من الصراحة في الآية والروايات المتقدّمة، في هذا المانع والذي قبله، فراجع صراحتها، وخذ حظّك من رشدك.

وثانياً: أمّا الرواية الأُولى كيفما فسّرناها لا يكون «الميرزا عليّ محمّد» مصداقاً لها؛ لأنّه إلى أن قُتل لم يبايع الناس بين الركن والمقام على شيء من الأشياء، فضلاً عن المبايعة على الكتاب الجديد.

وثالثاً: قد روى المفيد في الإرشاد عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «إذا قام قائم آل محمّد ضرب فساطيط لمن يعلّمُ الناسَ القرآنَ كما أُنزل، فأصعبُ ما يكون على مَن حفظه الآن؛ لأنّه يخالف فيه التأليف»[٣].

فهذا معنى الكتاب الجديد.

١٣١ ـ وأسند النعماني في حديث عن الباقر، وفي آخر عن الصادق عليهما السلام، قولهما

---

١. الغَيبة: ٢٦٣، ح ٢٤.

٢. المصدر: ٢٣٣ ح ١٩.

٣. الإرشاد ٢: ٣٨٦.

في شأن المهديّ: «يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر الجاهليّة، ويستأنف الإسلام جديداً»[١].

١٣٢ ـ وأسند الشيخ الطوسي في التهذيب عن محمّد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر ـ يعني الباقر عليه السلام ـ [عن] القائم إذا قام بأيّ سيرة يسير في الناس؟

فقال عليه السلام: «بما سار به رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يظهر الإسلام».

قلت: وما كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: «أبطل ما كان في الجاهليّة، واستقبل الناس بالعدل، وكذلك القائم إذا قام، يبطل ما كان في الهدنة ممّا كان في أيدي الناس، ويستقبل بهم العدل»[٢].

بيان: الهدنة هو الزمان الخالي من نفوذ من يسوس جميع المسلمين بسياسة الشريعة، فيحوط الإسلام، ويحمي شريعته عن الدخيل.

١٣٣ ـ وأسند النعماني عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبدالله: أخبرني عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ»؟

فقال: «يا أبا محمّد، إذا قام القائم استأنف دعاءً جديداً كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله»[٣].

١٣٤ ـ وأسند أيضاً عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قوله: «إنّ قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد كما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ»[٤].

بيان: «فالأمر الجديد» هو دين الإسلام، الذي يعيده القائم ـ عجّل الله فرجه ـ بسيفه وسطوة دعوته جديداً، بعد خموله وتضعضع أركانه، فيكون غريباً عند عوده؛ لقلّة أهله وتابعي حقيقته قبل العود، كما كان غريباً في بدء أمره.

---

١. الغَيبة: ٢٣٢ ـ ٢٣٣، ح ١٧، و ص ٢٣٠ ـ ٢٣١، ح ١٣.

٢. تهذيب الأحكام ٦: ١٥٤، ح ٢٧٠.

٣. الغَيبة: ٣٢٢، ح ٥.

٤. المصدر: ٣٢٠ ـ ٣٢١، ح ١.

وإنّ القائم يدعو إليه دعاءً جديداً بالسيف والقهر، وإجبار الناس عليه، وإلجائهم إليه، كدعوة رسول الله ﷺ في أوّل الأمر، فتكون دعوة الإسلام دعاءً جديداً مستأنفاً بعد دعاء رسول الله ﷺ، حيث تخلّلت الفترة[1] بينهما، وأصاب دِينَ الإسلام من صدمات الضلّال ما أصابه.

أفلا تنظر إلى ما حلّ من صدمات الضلّال في دين الإسلام وشريعته، وما جرى عليه من أهل البيان وأشباههم ممّن يتسمّى مسلماً، ويتضجّر من دين الإسلام وشريعته؟! ونعوذ بالله من اتّساع الخرق.

**١٣٥** ـ فقد أسند النعماني عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «كأنّي بدينكم هذا لا يزال مولّياً يفحص بدمه، ثمّ لا يردّه عليكم إلّا رجل منّا أهل البيت ـ إلى أن قال: ـ وتؤتون الحكمة في زمانه، حتّى أنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسُنّة رسوله»[2].

**بيان**: قوله عليه السلام: «يفحص بدمه» تشبيه للدين في تأثّره بجنايات الضلّال عليه بالجريح الصريع، الذي سال دمه على الأرض، فهو يفحص فيه.

**١٣٦** ـ ومن خطبة لأميرالمؤمنين عليه السلام ـ كما في نهج البلاغة ـ: «أيّها الناس، سيأتي عليكم زمان يُكفأ فيه الإسلامُ كما يُكفأ الإناءُ بما فيه»[3].

**١٣٧** ـ ومن خطبة له عليه السلام: «اتّقوا البدع، والزموا المَهْيَع، إنّ عوازمَ الأُمور أفضلُها، وإنّ محدَثاتِها شرارُها»[4].

**بيان**: «المهيع»: هو الطريق الواضح[5].

---

١. الفَتْـرَة: الانكسار والضعف، وما بين كلّ نبيّين أو رسولين من رسل الله عزّ وجلّ من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة. لسان العرب ٥: ٤٣، «ف ت ر».

والمراد هنا هو: ابتعاد الناس عن أحكام الدين وتعاليمه، وعدم عملهم بها، وضعف الإيمان، وقلّة العلم والعمل.

٢. الغَيبة: ٢٣٨ ـ ٢٣٩، ح ٣٠.

٣. نهج البلاغة: ١٩٢، ذيل الخطبة ١٠٣.

٤. المصدر: ٢٦٥، ذيل الخطبة ١٤٥.

٥. انظر لسان العرب ٨: ٣٧٨ ـ ٣٧٩، «هي ع»، وفيه كذلك أنّ المهيع: هو الطريق الواسع المنبسط، الواضح البيّن.

و«عوازم الأُمور»: ما تقادم منها وكانت عليه ناشئة الدين؛ يقال: «ناقة عَـوْزَم»، أي عجوز فيها بقيّة شباب[١].

١٣٨ ـ وروى المفيد في الإرشاد، مسنداً عـن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قوله عليه السلام: «إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمر قد دثر، فضلّ عنه الجمهور»[٢].

بيان: «دثر»، أي درس[٣]، فضلّ الجمهور عن الإسلام، حتّى أنّ القائم ـ عجّل الله فرجه ـ يدعوهم.

١٣٩ ـ ويوضّح هذا ويبيّن فيه الرشد ما رواه الفضل بن شاذان في كتاب الرجعة عن الكابلي، ورواه العيّاشي في تفسيره مسنداً عن عبد الأعلى الحلبي، بروايتيهما عن الباقر عليه السلام، قال: «يبايع الناسُ القائمَ بمكّة على كتاب الله وسُـنّة رسوله ـ إلى قوله عليه السلام: ـ ثمّ ينطلق فيدعو الناس بين المسجدين إلى كتاب الله وسُـنّة رسوله صلى الله عليه وآله»[٤].

١٤٠ ـ وروى المفيد في الإرشاد عن المفضّل بن عمر، عن الصادق عليه السلام ـ في حديث ـ أنّ القائم إذا قام دعا الناس إلى حقّه، وأنّه يسير فيهم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، ويعمل فيهم بعمله[٥].

١٤١ ـ وأسند الصدوق في الباب الثاني والعشرين من إكمال الدين عن رسول الله صلى الله عليه وآله في صفة القائم، قوله صلى الله عليه وآله: «وسُـنّته سُـنّتي، يقيم الناس على ملّتي وشريعتي»[٦].

---

١. إنّ مراد المصنّف رحمه الله هنا هو فرائض الله التي أوجبها علينا وأمرنا بها، وإنّ خير الأُمور ما وكّدتَ رأيك وعزمك ونيّتك عليه ووفيت بعهد الله فيه.

انظر: الصحاح ٥: ١٩٨٥؛ لسان العرب ١٢: ٤٠١، «ع ز م».

٢. الإرشاد ٢: ٣٨٣.

٣. انظر لسان العرب ٤: ٢٧٦، «د ث ر».

٤. انظر تفسير العيّاشي ٢: ٦١، ح ٤٩ نحوه.

٥. الإرشاد ٢: ٣٨٢ ـ ٣٨٣ بتفاوت في الألفاظ.

٦. كمال الدين وتمام النعمة: ٤١١، ح ٦، باب ٣٩ وليس في الباب ٢٢.

١٤٢ ـ وأسند الترمذي وأبو داود وابن ماجة في صحاحهم عن أُمّ سلمة، عن رسول الله ﷺ، في حديث المهديّ ومبايعته بين الركن والمقام، ما نصّه: «ويعمل في الناس بسُنّة نبيّهم، ويلقي الإسلامُ بجِرانه إلى الأرض»[1].

١٤٣ ـ وأسند الشيخ المفيد في أماليه عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ ـ بعد ذِكر من الفتنة وضلّالها ـ قوله ﷺ: «ثمّ يبعث الله عزّ وجلّ رجلاً [منّي و]عترتي، فيملأ الأرض عدلاً كما ملأها مَن كان قبله جوراً، وتخرج له الأرض أفلاذ كبدها، ويحثو المال حثواً ولا يعدّه الإسلام [عدّاً]، يضرب الإسلام بجِرانه»[2].

بيان: «جِران البعير» باطن رقبته[3]، يلقيه على الأرض إذا استقرّ في إناخته وارتاح بالراحة، كما هو المشاهد منه، فاستعير ذلك لتمكُّن الإسلام واستقراره من بعد القلق والمتاعب من عواصف أهواء الضلال، وتبديل منتحليه له، وتلاعب أهوائهم بضروريّاته ومعلومات شريعته.

١٤٤ ـ ومن خطبة لأميرالمؤمنين في الملاحم، وتعرّض فيها للمهديّ وصفته، قوله ﷺ: «يَعطِفُ الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويَعطِفُ الرأيَ على القرآنِ إذا عطفوا القرآنَ على الرأي»[4].

١٤٥ ـ وقوله ﷺ: «وتخرج له الأرض من أفاليذ كبدها، وتلقي إليه سلماً مقاليدها،

---

١. سنن أبي داود ٤: ١٠٧ ـ ١٠٨، ح ٤٢٨٦، ولم أجده في سنن الترمذي وسنن ابن ماجة، وصرّح بوجوده فيهما ـ وفي غيرهما من مصادر أهل السُنّة ـ المقدسي الشافعي في كتابه عقد الدرر: ٦٩ ـ ٧٠؛ وكذا الكنجي الشافعي في كتابه البيان: ٤٩٤ ـ ٤٩٥، الباب ٦.
وانظر بخصوص هذا الحديث معجم أحاديث الإمام المهديّ ﷺ ١: ٤٤٢ ـ ٤٤٦، الرقم ٣٠٣ والمصادر المذكورة في هامشه.

٢. لم أجده في أمالي المفيد، ووجدته في أمالي الطوسي: ٥١٢ ـ ٥١٣، ح ١١٢١، المجلس ١٨.

٣. لسان العرب ١٣: ٨٦، «ج ر ن».

٤. نهج البلاغة: ١٩٥، الخطبة ١٣٨.

فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسُّنّة»[١].

١٤٦ ـ وقوله ﷺ ـ بعد ذِكر السفياني ـ: «فالزموا السنن القائمة، والآثار البيّنة، والعهد القريب، الذي عليه باقي النبوّة، [واعلموا] أنّ الشيطان [إنّما] يُسَنّي[٢] لكم طُرقَه لتتّبعوا عقبه»[٣].

أقول: وهل يبقى مع هذه الروايات الكثيرة مجال لأوهام الضلّال في تأويل قوله ﷺ: «بكتاب جديد»، و «أمر جديد»، بحيث يُحمل على بيان الميرزا «عليّ محمّد»، الذي هو ضدّ القرآن الكريم والسُّنّة المطهّرة؛ وعلى دين «عليّ محمّد» المبتدع، الذي هو ضدّ دين الإسلام وشريعته في جميع ما جاء فيه، أُصولاً وفروعاً؟!

على أنّه يكفي في قمع هذه الأضاليل قول النبيّ في الحديث المتواتر المشهور، المسلّم بين فرق المسلمين: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيَّ الحوض»[٤].

---

١. المصدر: ١٩٦، الخطبة ١٣٨.

٢. أي يسهّل ويمهّد ويرغّب. انظر: لسان العرب ١٣: ٢٢٧؛ تاج العروس ١٨: ٣٠٤، «س ن ن».

٣. نهج البلاغة: ١٩٦، الخطبة ١٣٨.

٤. انظر: صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، ح٣٦، الجامع الصحيح ٥: ٦٦٢ ـ ٦٦٣، ح٣٧٨٦، ٣٧٨٨؛ مسند أحمد ٣: ٣٨٨، ح ١٠٧٢٠، و٣٩٣ ـ ٣٩٤، ح١٠٧٤٧، و٤٠٨، ح ١٠٨٢٧؛ خصائص الإمام عليّ ﷺ، للنسائي: ٦٩ ـ ٧٠، ح ٧٤؛ فضائل الصحابة، للنسائي: ١٥، ح ٤٥؛ سنن الدارمي ٢: ٢٩٢، ح ٣٣١١؛ المصنّف، لابن أبي شيبة ٦: ٣١٣، ح ٣١٦٧٠؛ مسند أبي يعلى ٢: ٢٩٧، ح ١٠٢١، و ص ٣٠٣، ح ١٠٢٧، و ص ٣٧٦، ح ١١٤٠؛ المعجم الأوسط ٤: ٨١، ح ٣٤٣٩، و ص ١٥٥، ح ٣٥٤٢؛ المعجم الصغير ١: ١٣١ و ١٣٥؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٢٩، ح٤٧٦٥؛ الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤؛ حلية الأولياء ١: ٣٥٥، الرقم ٥٧ و ج ٩، الرقم ٦٤؛ مناقب الإمام عليّ ﷺ، للمغازلي: ٢١٤ ـ ٢١٥، ح ٢٨١ ـ ٢٨٤؛ كفاية الطالب: ٥٣؛ مناقب الإمام عليّ ﷺ، للخوارزمي: ١٥٤، ح ١٨٢ و ص ٢٠٠ ضمن الحديث ٢٤٠؛ فردوس الأخبار ١: ٥٣، ح ١٩٧؛ تأريخ دمشق ٤٢: ٢١٦، ح ٨٧٠٢ و ص ٢١٩ ـ ٢٢٠، ح ٨٧١٤؛ مختصر تأريخ دمشق ١٧: ١٢٠ و ٣٥٣؛ فرائد السمطين ١: ٣١٧ و٢: ١٤٢ ـ ١٤٧، ح ٤٣٦ ـ ٤٤١؛ البداية والنهاية ٥: ١٥٩؛ مجمع الزوائد ٩: ١٦٣ ـ ١٦٥؛ جامع الأحاديث الكبير ٢: ٤٤٣، ح ٦٥٢٦ و ٦٥٢٧ و ج ٣: ٢٣١، ح ٨٣٤١ و ص ٢٣٢، ح ٨٣٤٥ و ٨٣٤٦ و

←

١٤٧ ـ وروى الفضل بن شاذان في كتاب الغَيبة عن ابن أبي عمير، عن غياث بن إبراهيم، عن الصادق عليه السلام؛ كما روى الصدوق في الباب الثاني والعشرين من إكمال الدين بسنده عن ابن أبي عمير، عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه، عن الحسين عليهم السلام قال: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي، مَن العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمّة التسعة من وُلد الحسين، تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم حتّى يرِدوا على رسول الله حوضه»[1].

١٤٨ ـ وفي كتاب سُلَيم أنّه سمع عليّاً عليه السلام يخطب في أيّام عثمان، فنقل في خطبته هذا المضمون من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وشهد له بذلك جماعة من خيار الصحابة[2].

كما رواه النعماني في كتاب الغَيبة، والصدوق في الباب الثالث والعشرين من إكمال الدين[3].

هداك الله! فما تقول إذاً بمن يدّعي أنّه القائم المهديّ من العترة، وقد نبذ القرآن

---

← ص ٢٣٤، ح ٨٣٥٤ و ص ٢٣٦، ح ٨٣٦٥؛ كنز العمّال ١: ١٨٦ ـ ١٨٧، ح ٩٤٤ ـ ٩٤٦ ـ ٩٥٣ و ص ١٨٨ ـ ١٨٩، ذيل الحديث ٩٥٨؛ الجامع الأزهر ١٠: ١٩٩، ح ٣٠٢٠٨؛ إسعاف الراغبين: ١١٩؛ ينابيع المودّة ١: ٧٣ ـ ٧٤، ح ٩، و ص ٩٥ ـ ٩٦، ح ٧، و ص ٩٧، ح ٩، و ص ١٠٢، ح ١٧ و ٢٠، و ص ١٠٣ ـ ١٠٦، ح ٢٢ ـ ٢٥، و ص ١٠٩، ح ٣١، و ص ١١٢ ـ ١١٣، ح ٣٣ ـ ٣٥، و ص ١١٤ ـ ١٢٦، ح ٣٧ ـ ٦٠ و ص ٣٤٩، ذيل الحديث ٣، و ص ٤٦٠؛ الأمالي، للصدوق: ٥٠٠، ح ٦٨٦؛ الخصال ١: ٦٥ ـ ٦٧، ح ٩٨؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٢٣٤ ـ ٢٤٠، ح ٤٤ ـ ٦٣، الباب ٢٢؛ الأمالي، للطوسي: ٢٥٥، ح ٤٦٠؛ الاحتجاج ١: ١٧٢، ضمن الحديث ٣٦.

ولمزيد الاطّلاع والتفصيل والتوسّع في دراسة هذا الحديث الشريف من كلّ جوانبه ـ ألفاظه، طرقه، أسانيده، دلالته، تواتره، وفقهه ـ يمكن مراجعة كتابَي نفحات الأزهار في الأجزاء ١ ـ ٣ منه و حديث الثقلين، وكلاهما للعلّامة السيّد عليّ الحسيني الميلاني حفظه الله ورعاه.

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٤٠ ـ ٢٤١، ح ٦٤، الباب ٢٢.

٢. كتاب سُليم ٢: ٧٥٧ ـ ٧٦٤، ضمن الحديث ٢٥.

٣. الغَيبة: ٦٨ ـ ٧٣، ح ٨؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٢٧٤ ـ ٢٧٩، ح ٢٥، الباب ٢٤ وليس في الباب ٢٣.

الذي خلّفه النبيّ وراء ظهره، فبدّل شريعته وخالف معارفه؟! حتّى أنّه نهى عن تلاوته!
وقال غير مبال في الباب التاسع من الواحد السادس من البيان:

قل إنّ يوم الذي يظهر الله فيه مظهر نفسه أنتم تتلون البيان كلّكم أجمعون. أنتم فلتتركنّ ما تتلنّ من قبل، ثمّ بما يتلو الله لتتلنّ أن يأكل شيء، فلتدخلنّ في البيان. فإنّ هذا رسول الله للعالمين!!

## المانع السابع: إنكاره المعاد وبعثة الأموات

كما هو المعروف من طريقته، وعلى ذلك جرى أتباعه وبه لهجوا.

والذي وصل إلينا من كلامه في ذلك قوله في البيان:

تكون الدنيا هكذا إلى الأبد، يظهر من يظهره الله ما لا عدد له، وكلّ ظهور هو عبارة عن قيام ونشور ـ إلى أن قال: ـ أتحسبون أنّ الحساب والميزان في غير هذا العالم. قل سبحان الله عمّا يظنّون، وقد وضع الميزان وحسبنا كلّ شيء بقول واحد إنّا كنّا حاسبين، كلّ من قال بلى قد أدخلناه في الرضوان، وكلّ من قال لا قد أدخلناه في النار!

وقال في الباب الثاني من الواحد السادس من كتاب الأسماء:

وقد جاء يوم القيامة بعد أشراطها وكلٌّ راقدون، وقد عُرِضوا على الله ربِّك كلُّ الأوّلين والآخرين، ثمّ الظاهرين والباطنين، كلّ على درجاتهم، فبعضهم عُرضوا على الله بين يديه وهم مؤمنون، وبعض قد عُرضوا واحتجبوا عمّن قد خلقهم ورزقهم وهم لا يعلمون!

وهذا مخالف لضرورة دين الإسلام ونصّ القرآن الكريم فيما تكرّر فيه من ذِكر المعاد، ونشر الأموات، وبعثهم من القبور، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[١].

١. الأنعام (٦): ٢٩ ـ ٣٠.

﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2].

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[4].

﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا * فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[5].

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[6].

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[7].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ

---

١. هود (١١): ٧.

٢. الرعد (١٣): ٥.

٣. النحل (١٦): ٣٨.

٤. الإسراء (١٧): ٤٩ ـ ٥١.

٥. مريم (١٩): ٦٦ ـ ٦٨.

٦. طه (٢٠): ١٠٢.

٧. الأنبياء (٢١): ١٠٤.

مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[1].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴾[2].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[3].

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[4].

وقال: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ * قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ * فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ * وَقَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[5].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[6].

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[7].

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾[8].

﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾[9].

---

١. الحجّ (٢٢): ٥ ـ ٧.

٢. الحجّ (٢٢): ٦٦.

٣. المؤمنون (٢٣): ١٦.

٤. يٓس (٣٦): ٥١ ـ ٥٢.

٥. الصافّات (٣٧): ١٦ ـ ٢١.

٦. الأحقاف (٤٦): ٣٣.

٧. قٓ (٥٠): ١٥.

٨. قٓ (٥٠): ٤٤.

٩. القمر (٥٤): ٧ ـ ٨.

﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْأَخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[1].

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾[2].

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ * وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾[3].

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْيِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[4].

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ * إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ * فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ * وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ * وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ * إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾[5].

وكقول أمير المؤمنين عليه السلام ـ من خطبة له ـ: «حتّى إذا بَلَغ الكتابُ أجلَه، والأمرُ مقاديرَه، وأُلحِق آخرُ الخَلقِ بأوّله، وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد خلقه، أمادَ السماءَ وفطرَها، وأرَجّ الأرضَ وأرجفَها، وقلع جبالَها ونسفها، ودَكّ بعضُها بعضاً من هيبة جلالته ومَخُوف سَطوته، وأخرج مَن فيها، فجدّدهم بعد إخلاقهم، وجمعهم بعد

١. الواقعة (٥٦): ٤٧ ـ ٥٠.

٢. المعارج (٧٠): ٤٢ ـ ٤٤.

٣. القيامة (٧٥): ١ ـ ٤.

٤. القيامة (٧٥): ٣٦ ـ ٤٠.

٥. الطارق (٨٦): ٥ ـ ١٧.

تفرّقهم، ثمّ ميّزهم لِما يريده من مسألتهم عن خفايا الأعمال وخبايا الأفعال»[١].

ومن كلام له ﷺ: «حتّى إذا تَصَرّمت الأُمـور، وتـقضّت الدهـور، وأزِفَ النشـور، أخرجهم من ضرائح[٢] القبور، وأوكار الطيور، وأوْجِـرة[٣] السـباع، ومـطارح المـهالك، سراعاً إلى أمره، مُهْطِعِين[٤] إلى معاده»[٥].

ومن كلامه ﷺ: «عبادٌ مخلوقون اقتداراً، ومربوبون اقتساراً، ومقبوضون احتضاراً، ومضمّنون أجداثاً، وكائنون رفـاتاً، ومـبعوثون أفـراداً، ومـدينون جـزاءً، ومـميَّزون حساباً... فاتّقوا [اللهَ ]عبادَ الله جهةَ ما خلقكم له، واحذروا منه كُنهَ ما حذّركم من نفسه، واستحقّوا منه ما أعدّ لكم، بالتنجُّز لصدق ميعاده، والحذر من هول معاده»[٦].

ومن كلامه ﷺ: «وإنّ الخَلق لا مَقْصَرَ[٧] لهم عن القيامة، مُرْقِلِين[٨] في مضمارها إلى الغاية القصوى... قد شخصوا من مستقرّ الأجداث، وصاروا إلى مصائرِ الغايات؛ لكلّ دار أهلها، لا يَستبدِلون بها، ولا يُنقَلون عنها»[٩].

فانظر هداك الله! هذاكلامالله العظيم،المنزل على رسوله الكريم، وفيه الهدى والشفاء بنصّه الكافي، وصريحه الوافي، وبرهانه الأنور، وحجّته الدامغة، وموعظته الحسنة.

وهذا كلام أمير المؤمنين، إمام الهدى، ونور العرفان، ودليل الحقّ والحقيقة.

---

١. نهج البلاغة: ٢٠٨، الخطبة ١٠٩.

٢. الضريح: الشقّ في وسط القبر، واللحد في الجانب. لسان العرب ٢: ٥٢٦، «ض ر ح».

٣. أوْجِرة ـ جمع: الوِجار ـ: جُحْر الضبع والأسد والذئب والثعلب ونحو ذلك. لسان العرب ٥: ٢٧٩ ـ ٢٨٠، «و ج ر».

٤. هَطَعَ وأهْطَعَ: أقبل مسرعاً خائفاً، لا يكون إلّا مع خوف، وقيل: نظرَ بخضوع؛ والإهطاع: الإسراع في العَدْو. لسان العرب ٨: ٣٧٢، «هـ ط ع».

٥. نهج البلاغة: ١١٩، الخطبة ٨٣.

٦. المصدر: ١٢١ـ١٢٣، الخطبة ٨٣.

٧. أي لا محبس للخلق عن يوم القيامة، ولا بُدّ لهم منه. لسان العرب ٥: ٩٩، «ق ص ر».

٨. الإرقال: ضرب من العَدْو فوق الخَبَب. لسان العرب ١١: ٢٩٣، «ر ق ل».

٩. نهج البلاغة: ٢٨٧، الخطبة ١٥٦.

ولولا ضيق المجال والاكتفاء بالعمدة، لذكرت من كلام رسول الله وأُولي العصمة من آله شيئاً كثيراً، بالنصّ الصريح والبيان الواضح، في متواترات الأخبار في أمر المعاد الجسماني، وقيامة جميع الأموات إلى الحساب والجزاء[١].

وليس إنكار المعاد الجسماني ـ مع النصّ الصريح الواضح والبرهان القاطع ـ إلّا تكذيباً للقرآن وللرسول، وهذا هو الارتداد عن الدين، والخروج عن ربقة الإسلام، ولا ينفع فيه التعلّل بضلال التأويل بعد قيام الحجّة بالصراحة ووضوح البيان.

فتبصّر ـ هداك الله ـ في أمر داعيك وأساس طريقتك «الميرزا عليّ محمّد» كيف يكون حاله؟! إذ هو معترف بأنّ القرآن كلام الله منزل على رسول الله، ثمّ ينكر المعاد الجسماني! بحيث يرجع ذلك إلى تكذيب الله ورسوله.

ولقد سمعتُ بعض من أماله الهوى يلوّح بإنكار المعاد، ويتشبّث لإنكاره من دين الإسلام برواية لم يفهم نكتة بيانها، ولم يسمع من الكلام البليغ نظائرها، فيعرف مرمى قصدها، ولا يعرف راويها، ولا مَن رُويت عنه، وهي: «إذا مات الإنسان قامت قيامته»[٢].

أفلا يقول له العارف: إنّ هذه الرواية ـ لو كان مفادها كما تزعم ـ ماذا يكون لها من المحلّ مع نصّ كتاب الله وكلام أُولي العصمة بالمعاد الجسماني؟!

وأيضاً: إنّ من يفهم معاني الكلام، وله وقوف ـ في الجملة ـ على بعض المحاورات ـ كقولهم: ثلثا الطريق عتبة الباب، وقول بعضهم في شأن ميّت: إنّه مات منذ وُلد، والمثل المعروف: زَمَّـرْ ابْـنِـچ يا عجوز[٣] ـ.

لَيعرف أنّ المراد أنّ الإنسان إذا مات أشرف على القيامة إشرافاً تامّاً، فكانت نصب

---

١. انظر تفصيل ذلك في الأجزاء ٥ ـ ٨ من موسوعة بحار الأنوار.

٢. انظر كنز العمّال ١٥: ٥٤٨، ح ٤٢١٢٣، و ص ٦٨٦، ح ٤٢٧٤٨، وكلاهما عن أنس بلفظ: «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته».

٣. مثل شعبي باللهجة الدارجة العراقيّة، يضرب لمن يهيّئ أسباب قضاء حاجته وتمام أمره، وأصل قصّته ـ على ما يحكى ـ: أنّ أُناساً قرويّين أرسلوا أحدهم إلى المدينة ليشتري لهم حوائجهم ولم يعطوه أقيامها، إلّا عجوزاً فقد طلبت منه أن يشتري لابنها مزماراً وأنقدته ثمنه مقدّماً، فقال لها:...

عينَي يقينه، وبمرأى بصيرته، فإنّه بالموت ينكشف الغطاء، فتنكشف عنده القيامة حقّ اليقين، فالصالح يرتاح إلى نعيمها المنكشف بعلمه، نحو ارتياحه إلى نعيمها إذا تنعّم به، والطالح يكون هَوْلُها المنكشف بعلمه بمنزلة هَوْلِها إذا ابتُلي به، حيث انقطعت عنه علائق الجهل والغرور التي تسوّل له إنكار القيامة، أو الشكّ فيها، أو العمل بما يعمله الناسون لها.

أفلا تشعر ـ هداك الله ـ بأنّك في تفسيرك الرواية بما تتوهّم قد خالفت نصّ القرآن ولسان أهل المحاورات كما قدّمنا لك؟!

وخالفت أيضاً داعيك الباب، حيث إنّه يجعل القيامة المذكورة في القرآن والأحاديث عبارةً عن ظهوره وقيامه بدعوته، فقد سمعت فيما تقدّم قوله: «كلّ ظهور فهو قيامة ونشور»!!

هداك الله! ليس الميزان للكلام هي حركة اللسان واتّباع سانح الوهم الوقتي، فإنّ الكلام لا بُدّ من أن يكون مرتبطاً بقاعدة وطريقة، فإنّ «لسان العاقل وراء قلبه»[1].

## [حاصل الكلام]

ولنؤكّد لك البيان، ونجمع حاصل الكلام في هذه الموانع: وهو أنّ الميرزا عليّ محمّد ـ كما قدّمنا لك في صدر الرسالة ـ معترف بحقّ دين الإسلام وحقيقته، مصدّق بأنّ القرآن كلام الله، مصدّق بأنّ محمّداً رسول الله، مصدّق بأنّ الأئمّة الهداة حجج الله والأدلّاء على دينه.

فكلّ ما يرجع في دعاويه إلى مخالفة نصّ القرآن وصريحه المتكرّر، فهو مكذّب للقرآن في محكمه المبين!

وكلّ ما يخالف به ضروريّات الدين وبديهيّاته فهو تكذيب لرسول الله ولدين الإسلام!

١. هو قول أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. انظر غرر الحِكم ودرر الكلم ٢: ١٤٧، ح ١.

وكلّ ما يخالف به المعلوم الصريح من قول الأئمّة الهداة فهو تكذيب لهم!

وقد وقع كلّ ذلك منه كما بيّنّا، وكفى بذلك شاهداً وحجّةً على كذبه وتناقضه، وزاجراً عن تصديقه والركون إليه، وحاكماً بتسجيل اسمه في دفتر إخوانه الكاذبين.

ويكفي في ذلك تناقضه في دعواه ـ أوّلاً ـ أنّه نائب عن المهديّ مولاه!

ودعواه ـ ثانياً ـ أنّه هو المهديّ!

ودع عنك دعواه النبوّة والأُلوهيّة!

ولا تنحصر دلالة هذا الدليل بالمسلمين، بل يَستدلّ به أيضاً على كذب «عليّ محمّد» كلُّ واحد من غير المسلمين، من أيّ ملّة كان من الملل، حيث يقرّر هذا الدليل بتقرير آخر، ويبيّنه ببيان واضح، حيث يقول مخاطباً لـ«عليّ محمّد»:

يا هذا، إنّك حيث اعترفت لمحمّد وقرآنه ودينه والأئمّة من عترته بما تقدّم من الحقّ والتصديق، واعتمدت عليهم في دعوتك ودعاويك، فقد حكّمتهم في أمرك، وجعلت لهم فصل القضاء في شأن دعوتك ودعاويك.

وها هو محمّد ﷺ وعترته الأئمّة يكذّبونك في دعواك أنّك المهديّ؛ كما مرّ في المانع الثاني والثالث والرابع[١].

وها هو القرآن ومحمّد وعترته الأئمّة يكذّبونك في دعوى النبوّة والرسالة والوحي بالكتاب والشريعة؛ كما مرّ في المانع الخامس والسادس[٢].

وها هو القرآن ومحمّد وعترته الأئمّة يكذّبونك في إنكارك المعاد الجسماني؛ كما مرّ في المانع السابع[٣].

وتكذيبهم لك مع اعترافك السابق بحقّهم حجّة على كذبك.

---

١. راجع ص ٢٢ و ٦٦ و ٧٢ وما بعدها.

٢. راجعهما في ص ٧٤ و ٧٦ وما بعدهما.

٣. راجعه في ص ٨٥ وما بعدها.

فإن قلت: إنّي أُؤوّل ما جاء في القرآن وكلام رسول الله ﷺ وأهل بيته بحيث لا يخالف ما جئتُ به في دعوتي.

قلنا: إنّ كافّة أهل الملل ممّن وقف على أحوال محمّد وعليّ يعرفون منهم حصافة العقل، وسداد الرأي، واستقامة المسلك، واعتدال السليقة، وأنّ كلامهم من أحسن الكلام وأوفقه بالحكمة، والجري على النهج المستقيم من كلام العقلاء في محاوراتهم، فلا يسعك أن تؤوِّل كلامهم ـ الذي سبق ذِكره ـ على ما تشتهيه! خصوصاً مع قولك: إنّ القرآن كلام الله.

هذا إنْ كنت تريد أن تُعَدَّ من العقلاء، أو ممّن يستحي من شطحات الكلام وشططه!

أَوَلا تدري بأنّ العقلاء لا يرضون بتأويل النصّ الصريح من كلام المجانين إذا لم يظهر عليه آثار التخليط والهذيان؟!

وإنّ إخراجَك تلك النصوص الصريحة المتكرّرة إلى تأويلك، إخراجٌ لها من شرف كلام العقلاء المستقيمين إلى الخسّة في كلام أهل الهذيان، ولعلّ نسبتهم إلى الكذب فيه أحسن لهم في شرف حكمتهم ومجراهم على النهج العقلائي.

ولعلّك تغتنم منّي الموافقة وتقول: إنّ السرّ الذي لا أبوح به إلّا لأهله هو أنّ النصوص المتقدّمة بأجمعها لا حقيقة لها، وإنّما اقتضت لهم حكمة الدعوة وفلسفة السياسة أن يقولوا تلك الأقوال وإن كانت خاليةً من الحقيقة والصدق!

فأقول لك: مرحباً بالوفاق، ولكنّك سجّلت ـ إذاً ـ على نفسك أنّك كاذب في شهاداتك السابقة، وفي اعتمادك في أساسيّات دعوتك على دين الإسلام، وينقدح من ذلك الظنّ بأنّ عادتك الدائمة قد جرت على أن تقول الكذب ترويجاً لأمرك وسيادة كلمتك!

وليس لعاقل أن يركن في الأُمور الجزئيّة إلى من عُرف منه الكذب، فكيف يركن العاقل في أعظم الأُمور، وهو الدين ودعوى النبوّة والرسالة والشريعة، بل والإلٰهيّة، كما يُعرف من البيان و الألواح؟!

هذا كلام غير المسلمين معكم.

**تتميم**: وحيث إنّ «حسين عليّ» قد بنى دعوته ودعواه على دعوة «الميرزا عليّ محمّد»، فإنّ ما ذكرناه من الموانع من صدق «الميرزا عليّ محمّد» تكون مانعاً من صدقه في دعواه؛ لامتناع أصلها.

وأيضاً: قد ادّعى «حسين عليّ» أنّ الله أرسله وأوحى إليه، وأنّه جاء بكتاب وشريعة من عند الله ـ كما قدّمنا ـ فيجري في شأنه المانع الخامس والسادس والسابع على النحو المتقدّم[1].

وإنّه ـ أيضاً ـ قد جاهر بإنكار المعاد الجسماني كما وجدناه في كتابه إيقان، فإنّ القيامة التي هي من ضروريّات دين الإسلام سمّاها «قيامه موهوم»[2] كما تكرّر منه في أواخر الباب الأوّل؛ وجاهر بإنكار المعروف في دين الإسلام وغيره، كما في أوائل الباب الثاني.

## [موانع دعوة حسين عليّ]

ولنعرض للموانع التي تختصّ بدعوة «حسين عليّ» وتكذّب دعواه، فنقول:

### الأوّل من الموانع: [ادّعاؤه أنّه المسيح عليه السلام]

إنّ حسين عليّ ادّعى أنّه المسيح، جاء ثانياً ليكمل ما قال من قبل، كما ذكرناه سابقاً[3].

بل إنّه قال في تلك الرسالة التي أشرنا إليها سابقاً: «فاعلم بأنّ الذي صعد إلى السماء قد نزل بالحقّ، وتعطّر العالم برجوعه وظهوره...»، إلى آخره.

ولا يخفى على كلّ أحد أنّ الذي يعتقده النصارى والمسلمون، ونطق به القرآن

---

١. تقدّم في ص ٧٤ و٧٦ و٨٥.

٢. أي القيامة المزعومة.

٣. في رسالته إلى القسّ، المتقدّمة في ص ١٩.

والأناجيل، هو أنّ الذي صعد إلى السماء هو المسيح بجسده الطاهر ونفسه القدسيّة[١].

وليت شعري أنّ هذا المدّعي هو «حسين عليّ» بن الميرزا عبّاس المدعوّ ميرزا بُزُرْك النوري المازندراني المستوفي[٢]، وكان تولّده[٣] يوم الثلاثاء الثاني من شهر المحرّم سنة الألف ومائتين وثلاث وثلاثين هجريّة.

فكيف إذاً يكون هو المسيح عيسى بن مريم، المولود في بيت لحم في التأريخ المعلوم؟!

وكيف يكون هو المسيح الذي صعد إلى السماء وينزل منها؟!

ومتى نزل «حسين عليّ» من السماء وهو معروف المولد، معروف المنشأ؟!

تنبيه: قد نظم أحد البهائيّة تأريخ ولادة «حسين عليّ» بقوله:

مستعد باشيد ياران مستعد  جاء يوم غيب لم يولد ولد

فالتفِت إلى ما في هذا الشعر من الكفر والجرأة على تمجيد الله وتقديسه لذاته في سورة الإخلاص بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٤]، فإنّ هذا الشاعر يريد بشعره أنّ الآية تقول: إنّ الله لم يولد في الزمان الماضي ولسان غيبها يقول: إنّه يولد في المستقبل، وقد جاء يوم هذا الغيب ووُلد الله في هذا التأريخ!!

فإن قلت: إنّ كون حسين عليّ هو المسيح مبنيٌّ على التناسخ وحلول روح المسيح في جسد حسين عليّ.

قلت: هب أنّا أغضينا عن بطلان التناسخ، ولكنّ المسيح ليس بميّت حتّى تنتقل روحه إلى جسد «حسين عليّ»، فإنّ من البديهي في دين النصارى والمسلمين، والمعلوم عندهم المتّفق عليه، هو أنّ المسيح من صبيحة يوم الأحد، الذي هو اليوم الثالث من حادثة الصليب، إلى الآن لم يزل حيّاً في السماء، وعند النصارى أنّه سينزل من السماء للدينونة،

---

١. ستأتي الإشارة إلى ذلك قريباً.
٢. يعني مأمور الماليّة. (منه ﷺ).
٣. أعني حسين عليّ. (منه ﷺ).
٤. الإخلاص (١١٢): ٣.

وعند المسلمين ـ بحسب المتواتر من أخبارهم ـ أنّه ينزل وزيراً للمهديّ في ظهوره[١].

نعم، يقول النصارى ـ كما صرّحت به الأناجيل الأربعة ـ: إنّه صُلب يوم الجمعة، ودفن في عشيّتها والسبت يلوح، فقام حيّاً من القبر يوم الأحد، واجتمع مع تلاميذه مراراً، وأكل معهم، ثمّ ارتفع إلى السماء.

ويقول بولس: إنّ المسيح التقى معه في طريق الشام بعد مدّة وأرسله.

فانظر إلى الأصحاحات الأخيرة من الأناجيل الأربعة، وإلى أعمال الرسل.

ويا عجباً! إنّك تعترف بأنّ الأناجيل كتب وحي إلهي، وغير محرّفة، فكيف تعاند صراحتها بأنّ المسيح من يوم الأحد ـ ثالث يوم الصليب ـ قام من الأموات، وارتفع حيّاً ممجّداً إلى السماء؟!

أفلا تدري بذلك؟! أو أنّك تدري وتستره، وتغتنم غفلة الناس عن مثل ذلك؟!

**والحاصل**: أنّ دعوى «حسين عليّ» كونه المسيح، وتطبيقها على التناسخ بموت المسيح وانتقال روحه إلى جسده، يكذّبها ضرورة دين الإسلام والنصرانيّة ونصّ الأناجيل الأربعة والقرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢].

فإن قلت: إنّ القرآن قد أخبر بموت المسيح بقول الله ـ جلّ اسمه ـ: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾[٣]، وقوله ـ حكاية عن المسيح ـ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[٤].

---

١. الفتن: ٣٤٧، وعنه في التشريف بالمنن في التعريف بالفتن: ١٧٤، ح ٢٣٥، وراجع ـ في نزول عيسى عليه السلام ـ معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١: ٥١٢ ـ ٥٧٠، ح ٣٥٤ ـ ٣٨١، و ج ٢: ١٥٧ ـ ١٦٢، ح ٤٩٥ ـ ٤٩٩، و٣: ١٢١ ـ ١٢٣، ح ٦٥٩ و ٦٦٠، و ص ١٧٠، ح ٦٩٥، و ص ٣١٦ ـ ٣١٧، ح ٨٥٦ و ٨٥٧، و ج ٤: ١٦٩، ح ١٢٣٢، ومصادر الفريقين المذكورة بهوامشها.

٢. النساء (٤): ١٥٧ ـ ١٥٨.

٣. آل عمران (٣): ٥٥.

٤. المائدة (٥): ١١٧.

قلت: ليس معنى التوفّي هو الإماتة، بل هو من الاستيفاء، بمعنى أخذ ما هو له من الغير، بدليل قوله تعالى في سورة الزمر، الآية ٤٢: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[1].

فمعنى الآية الأولى: يا عيسى إنّي آخذك من بين الناس؛ ومعنى الآية الثانية: فلمّا أخذتني من بين الناس؛ ولا تقل: إنّ هذا تأويل للآيتين، بل هو بيان لمعناهما اللغوي، كما تشهد بذلك كتب اللغة والتفسير والآيتان الأخيرتان[2].

ويا عجباً! إنّ «حسين عليّ» تارةً يدّعي أنّه الحسين السبط عليه السلام، وأنّ أيّامه هي الرجعة الحسينيّة، ولابدّ من أنْ يريد أنّ روح الحسين عليه السلام حلّت في جسده على سبيل التناسخ!

وتارةً يدّعي أنّه المسيح!

فكيف يكون ذلك؟!

فهل مات وخرجت منه روح الحسين عليه السلام ثمّ ولجته روح المسيح فعاد حيّاً؟!

وهل كان جسده شبكة صيّاد يصيد كلّ يوم حمامةً؟!

ولعلّك تقول: إنّا لا نبني على أنّ روح المسيح والحسين حلّتا في «حسين عليّ» على سبيل التناسخ، بل إنّ المقصود من قولنا: «إنّه الحسين السبط عليه السلام في الرجعة، وإنّ أيّامه هي أيّام الرجعة الحسينيّة»، هو أنّ فيه نورانيّة الحسين عليه السلام، وأنّه يسير بالسيرة التي رُوي في أحاديث الرجعة أنّ الحسين عليه السلام يسير بها في رجعته.

---

١. الأنعام (٦): ٦٠.

٢. انظر: لسان العرب ١٥: ٤٠٠؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٥٦٦، «و ف ي»؛ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣١٢ وج ٧ ـ ٨: ٥٠٠؛ تفسير الصافي ٢: ١٢٦، ح ٦٠، وج ٤: ٣٢٣، ح ٤٢؛ تفسير الفخر الرازي ـ التفسير الكبير ـ ١٣: ١٣ ـ ١٤، المسألة ٥، وج ٢٦: ٢٨٥، المسألة ٢.

وكذلك المقصود من قولنا: «إنّه المسيح ﷺ» هو أنّ فيه نورانيّة المسيح، وأنّه يسير بسيرة المسيح ونورانيّته، من الهدوء، والسكون، والأمر بالصفح، والمداراة، وعدم القتال، وغير ذلك من أوصافه وسيرته.

قلنا أوّلاً: إنّ كلام «حسين عليّ» ـ كما تقدّم ـ صريح في دعوى أنّه المسيح الذي صعد إلى السماء حسب معتقد النصارى والمسلمين، فأين هذا من حديث النورانيّة؟!

وثانياً: أين الهدوء والصفح والمداراة وعدم القتال، مع ما هو معروف ممّا جرى في «أدرنه» بينه وبين أخيه الميرزا يحيى وأصحابهما من الفتنة وتشهير السلاح الأبيض، حتّى فرّقت بينهما الحكومة، فساقت بعضاً إلى قبرص وبعضاً إلى عكّا؟!

وستسمع قتله ـ هو وأصحابه ـ ثمانيةً من أصحاب أخيه في ليلة واحدة بالسكاكين والساطور، وقد كان المقتولون من أعيان البابيّة وأئمّة دعوتهم، وإنْ سَكَنَ بعد ذلك فمن أجل ما قاساه من هول الحبس وزجر التهديد من الحكومة (عِفَّتِ بى بى از بى چادُرِى [است])[1].

وثالثاً: إنّ نورانيّة الحسين ﷺ في الرجعة ـ بحسب الأحاديث ـ مخالفة ومناقضة لِما زعمته من نورانيّة المسيح بحسب ما وصفت، فإنّ سيرة الحسين ﷺ المرويّة في الرجعة هو القتل والقتال والانتقام وأخذ الثار والسلطة[2]، وأنت تقول: إنّ نورانيّة المسيح في «حسين عليّ» عبارة عن الهدوء، والسكون، والأمر بالصفح واللين والمداراة؛ فكيف تجتمع فيه النورانيّتان المتناقضتان؟!

---

١. أي إنّ صلاح وعفاف وعدم تبرّج المرأة وهي جليسة الدار لا عبرة به، فإنّ ذلك ليس لتديّنها، وإنّما لعدم امتلاكها للحجاب، وإلّا لخرجت من دارها وفعلت ما شاءت! وهو مثل فارسي يضرب لمن يودّ ركوب أمرٍ مّا ولكن لا حيلة له على ذلك.

٢. تفسير العيّاشي ٢: ٢٨١، ح ٢٠، و ص ٢٨٢، ح ٢٣؛ الكافي ٨: ٢٠٦، ح ٢٥٠؛ الاختصاص: ٢٥٧ ـ ٢٥٨؛ مختصر بصائر الدرجات: ٢٩ و ٤٦؛ منتخب الأنوار المضيئة: ٢٠٢، وراجع تفصيل ذلك في بحار الأنوار ٥٣: ٣٩ ـ ١٤٩، باب الرجعة وباب خلفاء المهديّ ﷺ وأولاده وما يكون بعده.

ورابعاً: إنّ «حسين عليّ» لم يظهر فيه شيء من نورانـيّة الحسـين عليه السلام حسب مـا تذكره أحاديث الرجعة التي منها عرفنا رجعة الحسين عليه السلام؛ إذ لم تصدر في أيّام حسين عليّ ثورة وانتقام منه أو من أصحابه إلّا ببعض المخالسات الغدريّة من آحاد أصحابه، وكلّما غدروا غدرة بواحد أتى عليهم جرمُها بالبلاء والانتقام الشديد.

وإنّ ثورة الملّا حسين البشروئي والملّا محمّد عليّ الزنجاني قد انقضت بـفنائهما وفناء جيشيهما قبل قتل عليّ محمّد بحسب تأريخ البابيّة لقتله.

ولئن بقيت ثورة الزنجاني بعد قتل الباب بيسير فليس «لحسين عليّ» فيهما أثر.

وعلى كلّ حال، فقد كانت عاقبة تلك الثورات هـو هـلاك جـندهم، وبـوارهـم، والانتقام منهم.

وخامساً: ماذا تريد من نورانيّة المسيح بحسب صفاته؟ !أهي صفاته وحالاته في أوّل أمره إلى حين حادثة الصليب، التي كان يسير فيها بالهدوء واللين ويأمر بالصفح والمداراة؟!

أم تريد نورانيّته في رجعته التي يذكرها الإنجيل، ووعد بها المسيحُ أصحابَه؟!

فإن أردت نورانيّته في رجعته، فهذا الإنجيل ـ الذي تقول بأنّه كتاب وحي وغير محرّف ـ انظر إليه، فإنّه يكذّبك ويدلّ على أنّ حسين عليّ خالٍ من تلك النورانيّة، فإنّ الإنجيل يقول: «إنّ المسيح في رجعته يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذٍ يجازي كلّ واحد حسب عمله» كما في إنجيل متّى، في الأصحاح السادس عشر، في الفقرة السابعة والعشرين.

ويرسل ملائكته، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم، ويطرحـونهم في أتون النار؛ كما في إنجيل متّى، في الأصحاح الثالث عشر، في الفقرة الأربعين.

وأحاديث المسلمين عن رسول الله وأهل بيته تقول: إنّ المسيح يشـارك المـهديّ ويؤازره في تطهير الأرض من أرجاس الكفر والظلم[١].

فأين هذا من حسين عليّ؟!

---

١. راجع ص ٩٦، الهامش ١.

وإنْ أردت من النورانيّة الحالّة في «حسين عليّ» هي نورانيّة المسيح من حين رسالته إلى حادثة الصليب.

قلنا: إنّ «حسين عليّ» خالٍ منها أصلاً ورأساً، فإنّ من نورانيّة المسيح في ذلك الوقت زهده العظيم، حتّى أنّ الإنجيل يذكر أنّه قال: «للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكار، وأمّا ابن الإنسان فليس له أينٌ يسند رأسه»[1]، يعني أنّه لم يتّخذ مأوىً يستريح إليه، ولا أعدّ له بيتاً يسكنه «وحسين عليّ» كان يتنعّم في الدور المشيّدة في طهران وبغداد وأدرنه وعكّا، ودع عنك باقي التنعّمات المباينة لحالات المسيح.

### [الثاني من الموانع: إنكاره معجزات المسيح عليه السلام]

ومن نورانيّة المسيح أنّه صدرت منه المعجزات العجيبة مكرّراً في مدّة مكثه في الأرض، ولم يصدر من «حسين عليّ» شيء من تلك المعجزات ولا من أمثالها.

فإنّ القرآن الكريم يذكر أنّ المسيح كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، ويخلق من الطين كهيئة الطير، وينفخ فيه، فيكون طيراً بإذن الله، ويخبرهم بما يدّخرون في بيوتهم[2].

والإنجيل الذي تعتقد أنّه من الوحي الذي لم يحرّف يقول: إنّ المسيح أشبع الأُلوف من الناس مرّتين من خمسة أرغفة أو سبعة، وفضل من كسراتها أمثالها.

فانظر في إنجيل متّى، في الأصحاح الرابع عشر والخامس عشر؛ وإنجيل مرقس، في الأصحاح السادس والثامن؛ وإنجيل لوقا، في الأصحاح التاسع؛ وإنجيل يوحنّا، في الأصحاح السادس.

---

١. إنجيل متّى ٨: ٢٠.

٢. إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٤٩ من سورة آل عمران (٣): ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ...﴾.

وأبرَأ برصاً بمجرّد لمسه لهم، ورَدّ بصرَ عميان، وأبرأ مُقعَدِين ومفلوجين، وأخرج الشياطين من المجانين ومن يعتريهم الصرع، وشفى من الأمراض الصعبة، وأحيى أمواتاً، كلّ ذلك ببركته ومعجزته، ولم يصدر من «حسين عليّ» من ذلك شيء، ولم تبرق فيه من تلك النورانيّة برقة!!

فإن قلت: إنّ جميع هذه المذكورات ليست على حقيقتها، بل المراد أنّه أبرأ من برص داء الجهل، وشفى سقيم الغفلة، وفتح عيون القلوب العمي، وهذه الصفات قد حازها البهاء بأتمّ وجه، فقد برئ في أيّامه برص داء الجهل بدون أن يقول له «كن» ظاهراً، وبظهوره قد برئ العالم وأهله من كلّ داء وسقم، وهذا هو الفضل الذي ما سبقه فضل.

قلنا: هذه كلمات مقتداك «حسين عليّ» في رسالة إلى بعض القسوس في القسطنطينيّة، ذكرها في كتاب ألواح في ضمن رسالة أوّلها: «ورد مكتوب ذلك الجناب إلى المنظر الأكبر...»، إلى آخره.

وقد أنكر بذلك معجزات المسيح، فعاند بذلك صراحة القرآن ونصوص الأناجيل الأربعة!

فإنّ القرآن الكريم يذكر قول الله لعيسى في سورة المائدة، في الآية المائة وعشر: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾.

ويذكر في الآية التاسعة والأربعين من سورة آل عمران، أنّ من بعض ما أُرسل به المسيح أن يقول لبني إسرائيل: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

وأمّا الأناجيل فإنّها تذكر لك قصصاً مفصّلةً ووقائع معيّنةً، تعيّن لمواقعها مواضع وأشخاصاً معروفين، لا يسع المقام ذِكرها ها هنا مفصّلاً؛ لطولها وتكرّر غالبها في الأناجيل الأربعة، ولكنّ الأناجيل مبذولة، وأنا أدلّك على مواضع هذه القصص منها، فإن كنت تريد التبصّر فانظر إلى القصص بتمامها وراجع وجدانك!

فإنّي أرجو منك بحقّ الحقّ وشرف الدين وعزّة نفسك عليك، أن لا تكون ممّن إذا ضايقه البرهان والحجّة يأخذه اللجاج ويقول: ما علينا من شغل الله!

هداك الله ! إنّ الذي يعيننا في ديننا ونجاتنا هو الشغل المنسوب لله، لنعرف أنّه من الله أو من غيره، فيتميّز عندنا الكفر من الإيمان، والحقّ من الباطل، فربما تكون النجاة في فكرة ساعة، وربما تكون الهلكة في غفلة ساعة أو تغافل ساعة !

وإنّي لم أُكلّمك في هذه الرسالة بمقدّمات فلسفيّة وأُمور من غوامض المعقول، بل كلّمتك بواضح المنقول ومجرى العقلاء في محاوراتهم وطريقتهم ممّا هو بديهيّ عند الكلّ.

وإن أردت الدلالة على مواضع ما ذكرت لك من معجزات المسيح في الأناجيل فانظر إلى:

إنجيل متّى، في الأصحاح الثامن والتاسع بتمامهما.

والأصحاح الثاني عشر في الفقرة الثانية والعشرين.

والأصحاح الخامس عشر في الفقرة الثلاثين وما بعدها.

وانظر إلى:

إنجيل مرقس، في الأصحاح الأوّل، من الفقرة الثالثة عشرة.

وفي الأصحاح الخامس، إلى [الفقرة] الثالثة والأربعين.

وفي الأصحاح السادس، في الفقرة الخامسة والخمسين وما بعدها.

وفي الأصحاح السابع، من [الفقرة] الرابعة والعشرين إلى السابعة والثلاثين.

وفي الأصحاح التاسع، من الفقرة الرابعة عشرة إلى الخامسة والعشرين.

وفي الأصحاح العاشر، من الفقرة السادسة والأربعين إلى الثامنة والخمسين.

وانظر إلى:

إنجيل لوقا، في الأصحاح الرابع، من الفقرة الثالثة والثلاثين إلى الثامنة والأربعين.

وفي الأصحاح الخامس، من الفقرة الثانية عشرة إلى السادسة والعشرين.

وفي الأصحاح السادس، من الفقرة السادسة إلى العشرين.

وفي الأصحاح السابع، إلى الفقرة الرابعة والعشرين.

وفي [الأصحاح] الثامن، من [الفقرة] السادسة إلى السادسة والخمسين.

وفي [الأصحاح] التاسع، من [الفقرة] السابعة والثلاثين إلى الثالثة والأربعين.

وفي [الأصحاح] السابع عشر، من الفقرة الثانية عشرة إلى العشرين.

وفي الأصحاح الثامن عشر، من الفقرة الخامسة والثلاثين إلى الآخِـر.

وانظر إلى:

إنجيل يوحنّا، في الأصحاح الخامس، من أوّله إلى الفقرة العاشرة.

وفي الأصحاح التاسع، إلى الفقرة الرابعة والثلاثين.

وفي الأصحاح العاشر، من الفقرة الحادية والعشرين إلى الآخِـر.

وفي الأصحاح الحادي عشر، من أوّله إلى [الفقرة] الرابعة والخمسين.

وفي الأصحاح الثاني عشر، من الأوّل إلى الفقرة الثانية.

فإذا نظرت إلى هذا كلّه عـرفتَ أنّ المسـلمين والنـصارى، والقـرآن والأنـاجيل، يكذّبون «حسين عليّ» في إنكاره لحقيقة معجزات المسيح.

وإنْ كنت لا تبالي بإطباق المسلمين والنصارى، ولا بالقرآن، ولا بالأناجيل، وتقول: إنّ هذا كلّه لا حقيقة له، ولا يضرّ البهاء شيئاً.

فنقول لك: إنّا سامحناك عن ذلك وأغضينا عنه، ولكن ما تقولُ وإنّ نفس حسين عليّ يشهد ويعترف بأنّ القرآن والأناجيل كُتُب الله، وهو مكذّب لصراحتها وقـصصها الطويلة المفصّلة ؟!

فقل إذاً هو بأيّ الأمرين كاذب ؟! أبشهادته واعترافه ؟! أم بتكذيبه ؟!

وهذا مانع آخر من صدق دعواه!

تنبيه: إنْ سأل سائل ـ على ما ذكرناه من إنكار معجزات المسيح ـ وقال: ما كان الداعي لِأنْ يُقْدِم «حسين عليّ» ـ في هذا المقام ـ على مخالفة المعلوم عند النصارى والمسلمين، وصريحِ نصِّ القرآن والأناجيل، مع اعترافه بأنّها كتب وحي ؟!

قلنا: من جملة الدواعي لذلك هو أنّه لَمّا اقتضى المقام أن يدّعي أنّـه المسـيح ـ لمناسبة ادّعاء «الميرزا عليّ محمّد أنّه المهديّ» ـ فخشي أن يقال له: إنّ المسيح أبرأ

كذا وكذا، وأحيا كذا وكذا، فإن كنت المسيح فأبرِئ أقلّاً من يشتكي الصداع، أو افتح عين أرمد! فرأى سدّ هذا الباب بأن يدّعي أنّ المنسوب للمسيح لم يكن إبراءً وإحياءً حقيقيّاً، بل هو إرشاد محض، ويدّعي أنّه قد صدر منه ما هو أفضل من ذلك!

تتميم: هداك الله! إنْ كنت سمعت بلفظ التأويل فليس لك أن تقبل كلّ شيء يُدّعى أنّه تأويل، بل عليك في قانون الفهم وخطاب العقلاء ومحاوراتهم أن تعرف حقيقة التأويل وميزانه، وأيّ لفظ يصلح للتأويل؟ وأيّ لفظ لا يصلح؟ وعلى تقدير صلاحيّة اللفظ للتأويل فلابُدّ من الحجّة والقرينة على أنّ هذا هو تأويله.

أترى أنّه إذا جاء بعض أصحابك وحكى لك قصّته في سفره في العسكريّة، وما رآه من الحروب الهائلة، وذكر تفصيل وقائعها ومواقعها، وأسماء أُمرائها ومقاتليها، وما جرى من كلّ واحد منهم، فهل يصحّ منك ـ وأنت ترى هذا المخبر صادقاً ـ أن تقول: إنّه يقول: إنّه قد تنازع اثنان في دار وأصلح القاضي بينهما؟!

كما أنّك و«حسين عليّ» تؤوِّلون ما جاء في القرآن والأناجيل في معجزات المسيح من القصص الطويلة، في الأوقات المعيّنة، والأمكنة المعيّنة، والأشخاص المعيّنين، وتقولون: إنّ المراد من هذه القصص هو أنّ المسيح شفى من برص الجهل وعمى القلب!

وأيضاً: إذا أخذت ورقة حوالة باسمك واسم أبيك على شخص بأربع وثمانين ليرة ذهب عثمانيّة، بتصريح مكرّر وتأكيد لصراحتها، فهل ترى من ذلك الشخص أن يقول: نعم، هذا خطّ المحوِّل وإمضاؤه وتصريحُه وتأكيدُه، ولكنّ تأويل حوالته أن أضربك أربعاً وثمانين عصا؛ لأنّ الفرق ما بين «عصا» و «ليرة» بحساب الجمّل الكبير أربع وثمانين؟!

كما أوّلَ «عليّ محمّد» ما ورد في القرآن مكرّراً مؤكّداً ببيانات متعدّدة في أمر المعاد الجسماني، وإحياء العظام وهي رميم، وجمع الأوّلين والآخِرين، فقال في البيان باللغة الفارسية ما معناه: إنّ القيامة والمعاد والحشر والنشر عبارة عن ظهوره بدعوته،

وإنّ مَن لم يؤمن به فقد دخل النار، ومَن آمن به فقد دخل النور؛ لأنّ الفرق بين نار ونور بحساب الجمّل الكبير خمسة، بمقدار عدد «باب».

أو يقول المحوَّل عليه: إنّ الحوالة وإن كانت باسمك معيّناً، وأنت صاحب الحقّ فيها، وأنت الذي تدفع الأجناس المبيعة بإزائها، وتمهّد سبيل التجارة كما أخبر المحوِّل بذلك، ولكنّ تأويل الحوالة أن أدفع المبلغ إلى مَن يأتي بعد سنين، ويزعم أنّ روحك قد حلّت فيه على سبيل التناسخ وإنْ لم أعلم بموتك، أو يزعم أنّ فيه نورانيّتك وإنْ كان لا يدفع جنساً ولا يمهّد تجارةً.

هذا تأويل الحوالة كما أوّلتم الأحاديث الواردة في شأن المهديّ بن الحسن العسكريّ عليه السلام وسلطانه وعدله، وقلتم: إنّ المراد منها «ميرزا عليّ محمّد!» مع أنّه لم يكن فيه شيء من آثار المهديّ المذكورة في الروايات.

هداك الله! ولولا إرادة الاختصار لضربنا لك كثيراً من الأمثال لتأويلاتكم، فبيّن لنا ما عند العقلاء وأهل المحاورات من ميزان التأويل وبيان حقيقته، لتزن بذلك الميزان تأويلاتك وتأويلات بابك وبهائك.

وإنْ لم يكن عندك من ذلك شيء، فاعلم أنّ التأويل يقال في مقامات:

**أحدها**: تأويل الفعل؛ وهو بيان السبب والداعي الحقيقي له إذا كان مجهولاً، كقوله تعالى في سورة الكهف ـ حكايةً عن قول العالِم لموسى عليه السلام في شأن خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، لَمّا بيّن له السبب الحقيقي في هذه الأُمور ـ: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[1].

**المقام الثاني**: تأويل الأحلام؛ وهو تعبيرها، وهو يرجع إلى مناسبات خياليّة، وإليه ترجع ألفاظ التأويل الواردة في سورة يوسف، وعليه جرت تعبيرات دانيال لأحلام بخت نصّر، وتعبيرات الملك لرؤيا دانيال[2]؛ وهذا لا ربط له بتأويل الكلام، بل

---

١. الكهف (١٨): ٨٢.

٢. الأصحاح ٢ من سفر دانيال، وانظر قاموس الكتاب المقدّس: ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

هو عالَم آخر، كما أنّ عالَمَ الأحلام التي هي من تصرّف المخيّلة غير عالَمِ الكلام الذي هو للتفهيم والتفهّم والبيان في نظم أمر المعاش والمعاد ومعرفة الحقائق.

**المقام الثالث**: تأويل الكلام؛ وهو المهمّ في المقام؛ إذ ليس بيننا أحلام وأطياف ورؤيا يوحنّا [١] لتتسارعوا إلى تأويلها بما تشتهون، بل إنّما الذي بيننا هو كلام الله ورسله وحججه، تكلّموا به لإرشاد الخلق وبيان الحقائق لهم، وهداهم إلى الحقّ والصراط المستقيم.

فتأويل الكلام، هو بيان المراد الذي يرجع ويؤول الكلام إليه من أحد المعاني التي يحتملها اللفظ، بالاحتمالات الصحيحة المتساوية، بحسب الاستعمال اللغوي ومحاورات العقلاء وأهل اللسان في تلك اللغة.

ومع ذلك لا تُقبل دعوى من يدّعي أنّ هذا المعنى هو المراد بمجرّد الدعوى، بل لابُدّ له من حجّة مقبولة عند عقلاء أهل اللسان وتلك اللغة.

فمن موارد التأويل هو اللفظ الذي دلّت القرينة على عدم إرادة المعنى الحقيقي منه، ولكنّ القرينة اللفظيّة لم تعيّن معناه المجازي، كقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢]، فإنّ قرينة العقل دالّة على أنّه ليس المراد من قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ هو العضو المعروف؛ لأنّ الله تعالى ليس بجسم و[ليس] له يد ورجل، فتؤوّل اليد بالقدرة، لكونها أقرب المجازات وأنسبها بالمقام.

وهذا اللفظ وأمثاله هو المتشابه الذي هو ضدّ المحكم، كما قال ـ جلّ شأنه ـ في سورة آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[٣].

---

١. انظر الأصحاح ١ ـ ٢٢ من رؤيا يوحنّا اللاهوتي في الكتاب المقدّس.

٢. الفتح (٤٨): ١٠.

٣. آل عمران (٣): ٧.

ومن موارد التأويل هو اللفظ الدالّ على فرد كلّي شائع في جنسه، فيكون بيان الفرد المعيّن في نفسه تأويل ذلك اللفظ، ولهذا المورد في القرآن الكريم أمثلة:

منها: أنّ الآيات الدالّة في القرآن على يوم المعاد والبعث من القبور والحساب والعقاب، إنّما دلّت على يوم مردّد بين أوقات كثيرة، فهي من قسم المحكم وأُمّ الكتاب من غير هذه الجهة[١]، وإنْ كانت من هذه الجهة دالّة على وقت غير معيّن، وتأويلها تعيين يوم المعاد والبعث من القبور وبيان وقته المعيّن، وهذا معنى قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾[٢]، فليقرأ لك من الآية السادسة والثلاثين إلى الثانية والخمسين.

ومن الأمثلة: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٣]، فإنّ لفظ القرآن لم يعيّن «الهادي» لقوم النبيّ ﷺ وأُمّته، فهو من المتشابه في الدلالة على تعيين «الهادي» ولولا رواية أحمد بن حنبل في مسنده وغيرها، في قول رسول الله ﷺ: «يا عليّ، أنا المنذر وأنت الهادي»[٤]، لَما كانت لنا حجّة على تأويلها بأمير المؤمنين عليه السلام.

---

١. أي من غير جهة تحديد يوم القيامة بيوم محدّد بعينه.

٢. الأعراف (٧): ٥٣.

٣. الرعد (١٣): ٧.

٤. لم نعثر عليه في مسند أحمد بن حنبل بهذه الصراحة، ولكن في ج ١، ص ٢٠٣، ح ١٠٤٤ عن عليّ، قال: قال رسول ﷺ: «أنا المنذر، والهادي رجل من بني هاشم». راجع: المعجم الصغير ١: ٢٦١ ـ ٢٦٢؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٠١، ح ٤٧٠٢؛ تفسير الطبري ٧: ٣٤٤، ح ٢٠١٦١؛ تفسير الفخر الرازي ١٩: ٢٠؛ شواهد التنزيل ١: ٢٩٣ ـ ٣٠٣، ح ٣٩٨ ـ ٤١٦؛ تفسير البحر المحيط ٥: ٣٦٧؛ تفسير زاد المسير ٤: ٢٣٦؛ تفسير النهر المادّ ٣: ٣٦٤؛ تفسير القرآن العظيم ٢: ٤٨٣؛ تفسير الدرّ المنثور ٤: ٦٠٨؛ جامع الأحاديث الكبير ٣: ٢٨١، ح ٨٦٤٤؛ كنز العمّال ١١: ٦٢٠، ح ٣٣٠١٢؛ ينابيع المودّة ١: ٢٩٦ ـ ٢٩٧، ح ٥ ـ ١٠؛ تفسير العيّاشي ٢: ٢٠٣ ـ ٢٠٤، ح ٥ ـ ٩؛ تفسير الحبري: ٢٨١، ح ٣٨؛ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٧٨.

وقد استوعب السيّد عليّ الحسيني الميلاني إثبات تفسير هذه الآية بأمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام من مصادر أهل السُّنّة، في الحلقة ٩ من مقاله «تشييد المراجعات وتفنيد المكابرات» المنشور في مجلّة «تراثنا» العدد المزدوج ٥٠ ـ ٥١، السنة ١٣، ربيع الآخر ـ رمضان ١٤١٨، ص ٧ ـ ١٠٦، وقد شغلت آية الإنذار الصفحات ٤٣ ـ ١٠٦ منه، فراجع.

ومن الأمثلة: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[١].

فإنّ لفظ الآية لم يعيّن المراد ممّن يؤتي الزكاة وهو راكع، ولولا تكاثر الروايات بأنّ الآية نزلت في شأن أمير المؤمنين عليه السلام ـ لَمّا تصدّق وهو راكع بخاتمه على المسكين[٢] ـ لَما كانت لنا حجّة على تأويلها بأمير المؤمنين.

هداك الله! فاللفظ الذي يصلح للتأويل هو ما لا ظهورَ له في المراد ولا صراحةَ ولا نصّ، بل تساوت فيه الاحتمالات في تعيين المراد الذي هو تأويله الحقيقي، ومع ذلك فتأويله بمحض التشهّي والهوى بلا حجّة ولا دليل هو الذي ذمّ الله عليه، وجعله من دأب الذين في قلوبهم زيغ يبتغون بذلك الفتنة للضعفاء، ترويجاً لأباطيلهم؛ إذ يؤوِّلونه بلا هدىً ولا كتاب منير.

وأمّا اللفظ المبيَّن الدلالة ـ بظهوره، أو صراحته، أو نصّه ـ فهو المحكَم الذي لم يحم حوله حماه أحد، حتّى الذين في قلوبهم زيغ من أكياس أهل اللسان، الذين يحاذرون أن يظهر عليهم الشطط في أمر اللغة والمحاورة الذي يعرفها الخاصّ والعامّ،

---

١. المائدة (٥): ٥٥.

٢. انظر: تفسير الطبري ٤: ٦٢٨ ـ ٦٢٩، ح ١٢٢١٥ ـ ١٢٢١٩؛ أحكام القرآن ـ للجصّاص ـ ٢: ٦٢٥ ـ ٦٢٦؛ تفسير الماوردي ٢: ٤٩؛ أسباب النزول ـ للواحدي ـ: ١٦٢ ـ ١٦٣؛ شواهد التنزيل ١: ١٦١ ـ ١٨٦، ح ٢١٦ ـ ٢٤٢؛ تفسير البغوي ٢: ٣٨ ـ ٣٩؛ تفسير الكشّاف ١: ٦٢٤؛ تفسير الفخر الرازي ١٢: ٢٨؛ تفسير النسفي ١: ٢٨٩؛ التسهيل لعلوم التنزيل ١: ١٨١؛ تفسير البحر المحيط ٣: ٥١٣ و ٥١٤؛ تفسير زاد المسير ٢: ٢٢٧؛ تفسير القرآن العظيم ٢: ٦٧ ـ ٦٨؛ تفسير البيضاوي ١: ٢٧٢؛ تفسير الثعالبي ١: ٤٣٨؛ تفسير الدرّ المنثور ٣: ١٠٤ ـ ١٠٦؛ تفسير روح المعاني ٦: ٢٤٤ ـ ٢٤٥؛ نور الأبصار: ٨٦ ـ ٨٧؛ تفسير الحبري: ٢٥٨ ـ ٢٦٠، ح ٢١ و ٢٢؛ تفسير فرات الكوفي ١: ١٢٣ ـ ١٢٨، ح ١٣٤ ـ ١٤٦؛ تفسير العيّاشي ١: ٣٢٧ ـ ٣٢٨، ح ١٣٧ و ١٣٩؛ تفسير القمّي ١: ١٧٨ ذيل الآية.

وراجع: الحلقة ١١ من مقال «تشييد المراجعات وتفنيد المكابرات» المنشور في مجلّة «تراثنا» العدد المزدوج ٥٣ ـ ٥٤، السنة ١٤، محرّم ـ جمادى الآخرة ١٤١٩، ص ٧ ـ ٢٦، فقد أورد فيه السيّد عليّ الحسيني الميلاني أدلّة اختصاص هذه الآية بأمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام من مصادر أهل السُنّة، دافعاً كلّ شكٍّ أو شبهة.

بل اتّبعوا المتشابه، وجعلوه مَكْمَناً لإغوائهم.

ويا عجباه كيف خبّأ لنا الزمان أُناساً أقدموا على التلاعب بالمحكم والصريح والنصّ!!

وأعجبُ من ذلك أن أصغى لهم من يدّعي الكياسة وحصافة الرأي ومعرفة اللسان والمحاورات!!

وما عشتَ أراك الدهر عجباً!

## [المانع المشترك لدعاوى عليّ محمّد وحسين عليّ]

ومن الموانع المشتركة بين عليّ محمّد وحسين عليّ المانعة من صدقهما في دعواهما، والدالّة على بطلان دعوتهما، هو ادّعاؤهما الإلٰهيّة والربوبيّة! وهذا هو الداهية العظمى، والبليّة الكبرى، وقد وجدنا مجاهرتهما بذلك مكرّراً في الشيء القليل الذي حصلت منه نسخ متعدّدة في أيدينا، ولعلّ ما خفي علينا ممّا أخفوه أعظم وأشنع.

قال عليّ محمّد في البيان وهذا لفظه:

كلّ الأسماء اسمه وهو لا اسم له، وكلّ الأنعات نعته وهو لا نعت له. باطنه كلمة لا إله إلّا الله، وظاهره في القرآن محمّد رسول الله، وفي البيان ذات الله، حروف سبع ع ل ي م ح م د.

وقال في البيان أيضاً فصلاً ملفّقاً من العربي والفارسي، وفيه قوله: «وإنّني أنا القائم الذي ينتظرون يومه وكلٌّ به يوعدون».

فقال فيه بالفارسيّة، وهذا لفظه:

مختصر مقال: مَنْ قيّوم أسماء از ظهورم گذشت آنچه گذشت، وصبر كردم تا كلّ ممحّص شوند، ونماند إلّا وجهي، وبدانكه من من نيستم، بلكه مرآتي هستم كه در مَن غير خدا ديده نميشود.

وترجمته بالعربيّة: مختصر المقال: أنا قيّوم الأسماء، مضى من ظهوري ما مضى،

وصبرتُ حتّى يمحّص الكلّ، ولا يبقى إلّا وجهي، واعلم بأنّه أنا لست أنا، بل أنا مرآة، فإنّه لا يُرى فيَّ إلّا الله !!

وأيضاً: جاء بمثل ذلك في أُخريات اللوح الذي يقول في ابتدائه: «يا خليل، بسم الله الأقدم الأقدم»، حيث قال:

أن اشهد أن يا إبراهيم أنت كنت في يوم عرش ظهور ربّك، وإنّا كنّا من قبل، ثمّ من بعد الظاهرين، انظر قد خلقناك ورزقناك وأمتناك وأحييناك إلى حينئذٍ، وإنّ الذين الصحف هم إلى حينئذٍ محتجبون، فلمّا أُنزِلتْ على الله ربّك، ربّ ما يُرى وما لا يُرى ربّ العالمين.

ويكفي من هذا الكلام أنّ الصحف ـ يعني كتبه ـ أُنزلت على الله ـ يعني عليه ـ فهو ربّ ما يُرى وما لا يُرى ربّ العالمين !!

وليت شعري إذا كانت الصحف أُنزلت على الله ربّ العالمين، فمَن ذا الذي أنزلها عليه ؟!

وعلى هذا جرى حسين عليّ عند كلامه في شأن الملّا حسين البشروئي، وفي شأن عليّ محمّد، في الصفحة المائة وثمانٍ وثمانين، من الكتاب المسمّى إيقان، حيث قال: «ولولاه[1] ما استوى الله على عرش رحمانيّته، وما استقرّ على كرسيّ صمدانيّته»؛ وذلك لأنّ الملّا حسين البشروئي هو مِن أوّل مَن لبّى دعوة عليّ محمّد، ونشر أقواله ورسائله، وسافر مبعوثاً بها إلى أصفهان وكاشان وخراسان وطهران، واستمرّ على الدعوة والقتال مع المسلمين إلى أن قُتل في نواحي بارفروش ومازندران.

وينسب لعليّ محمّد في شأن الميرزا يحيى ـ الملقّب بصبح الأزل ـ نحو هذه الشطحات في كتاب ـ في أواخر أمره ـ للميرزا يحيى بمنزلة الوصيّة والعهد، ونصّه:

إنّه كتاب من المهيمن القيّوم إلى العزيز المحبوب على أنّ البيان هديّة منّي إليك، موقناً على أنّه لا إله إلّا أنت، وأنّ الأمر والخلق لك !! انتهى.

---

١. أي ولولا الملّا حسين. (منه ﷺ).

ومن جملة ما وجدنا فيه هذه الكلمات، كتابٌ للبابيّة يسمّى: كتاب الإيمان في إظهار نقطة البيان وعنوان الكتاب الذي أرسله عليّ محمّد للميرزا يحيى هكذا:

در مكتب خانه من يظهره الله منوّر فرمايند. هو الأبهى. الله لا إله إلّا هو العزيز المحبوب، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وهو المهيمن القيّوم. إنّه كتاب من المهيمن القيّوم... إلى آخره.

وإنّ حسين عليّ في كتابه إيقان قد حلب في هذا المقام حلباً له شطره، بل كلّه، فادّعى الإلٰهيّة لكلّ من يظهر للدعوى، وجعل ذلك ظهور الله!

فقال ممّا قال في الصحيفة الثانية، في شأن الظاهر: «لقاء او كه عين لقاء الله است»[١]!

وقال بعد ذلك في ذِكر الله: «بظهور مظاهر نفس خود»[٢]!

وقال في أوّل الباب الثاني في شأن عليّ محمّد:

الباب المذكور في بيان أنّ شمس الحقيقة ومظهر نفس الله قد كان سلطاناً على مَن في السماوات والأرض!

وقال بعد ذلك: «و اينست مقام أنا هو وهو أنا»[٣]!

وقال بعد ذلك:

وجميع آنچه بايشان[٤] راجع است في الحقيقة بحضرة ظاهر راجع، پس از لقاء اين انوار مقدّسه لقاء الله حاصل ميشود[٥]!

وقال بعد ذلك:

واگر شنيده شود از مظاهر «إنّي أنا الله» حقّ است ورَيبى در اين نيست، بظهور وصفات وأسماء ايشان ظهور الله واسم الله وصفة الله!

---

١. أي لقاؤه هو عين لقاء الله.

٢. أي بظهور مظاهر نفس الله.

٣. أي وهذا هو مقام...

٤. يعني الله جلّ وعلا. (منه ﷺ).

٥. أي وكلّ ما يتعلّق به هو متعلّق بالله في الحقيقة، وبلقاء هذه الأنوار المقدّسة يحصل لقاء الله.

يعني: إذا سُمع من المظاهر قولُ كلٍّ منهم: «إنّي أنا الله» فهو حقّ لا ريب فيه، فإنّه بظهورهم وصفاتهم وأسمائهم ظهور الله واسم الله وصفة الله. انتهى.

تنبيه: إنّ حسين عليّ كتب كتابه إيقان وهو في بغداد كما صرّح به في أثناء الكتاب، وكان في ذلك الوقت مقيّداً ـ في الظاهر ـ بتابعيّة أخيه «يحيى» وإنْ كان يعمل التدابير الخفيّة للاستبداد بالدعوة لنفسه؛ ولذا لم يَدّعِ في ذلك الوقت أنّه مظهر الله! وأنّه الله! على مقتضى كلامه هنا. ولكنّه لمّا اقتضت حاله أن يدعو لنفسه في أدرنه، وتجاهر بذلك في عكّا، جاهر بهذا.

**فأمّا ادّعاء حسين عليّ للأُلوهيّة والربوبيّة فقد وجدناه في كلامه مكرّراً.**

قال في كتابه في الأحكام الذي سمّاه أقدس ما لفظه:

> يا ملأ الإنشاء، اسمعوا نداء مالك الأسماء، إنّه يناديكم من شطر سجنه الأعظم، إنّه لا إله إلّا أنا المقتدر المتكبّر!

وفي كتابه المسمّى ألواح كتبه وهو محبوس في حبس العدليّة في عكّا، في قولٍ خاطبَ فيه من دعاته عندليب وحسن والسيّد عبد الغنيّ، قال:

> يا حسن، اسمع النداء من شطر السجن، إنّه لا إله إلّا هو الفرد الخبير، إذا رأيت أنجم سماء بياني، وشربت رحيق العرفان من كأس عطائي، قل إلٰهي إلٰهي لك الحمد بما أيقظتني وذكرتني في سجنك!

وقال أيضاً في كتابه ألواح، في مكتوبٍ هو جواب لبعض مراسلات أصحابه، وأوّله: «قد ورد مكتوب ذلك الجناب إلى المنظر الأكبر»!

ومضمون هذا المكتوب وجلّ الغرض منه هي الشكاية من أخيه الميرزا يحيى ـ المسمّى بـ: صبح الأزل ـ والذمّ له، وتكفيره، وتكفير أتباعه ولعنهم!

وقد أخذ فيه أيضاً ببيان مقام نفسه، وسمّى نفسه «قيّوم» وقال فيه: «قوموا يا قوم على نصرة الله، قد جاءكم القيّوم الذي بشّركم به القائم»!

وقال فيه: «قل يا قوم، هذا لهو القيّوم قد وقع تحت أظفاركم، إن لا ترحموه فارحموا أنفسكم»!

ثمّ قال في مقام الشكاية من أخيه وأصحابه:

قد خسر الذين كفروا بالذي باسمه زيّنت الصحيفة المكنونة. وقد ظهرت طلعة الأحديّة، ونُصبت راية الربوبيّة، ورفع خباء الإلٰهيّة، وظهر السرّ المستسرّ، المقنّع بالسرّ الأعظم، فَوَعَمرِه إنّ البيان قد عجز عن بيانه، تعالى هذا القيّوم. فَوَنفسِه الرحمٰن إنّ البيان ينوح ويقول: أي ربّ! أنزلتني لذِكرك والذي كان قائماً [١] بأمرك أمَرَ العباد بأن لا يحتجبوا بي عن جمالك القيّوم، ولكنّ القوم قد حرّفوا ما نزل فيَّ في إثبات حقّك، وجعلوني جُنّة لأنفسهم وبها يعترضون عليك، فيا ليت ما نزلتُ وما ذكرتُ، وعزّتك لو تجعلني معدوماً لَأحسن عندي أن أكون موجوداً ويقرأني عبادك الذين قاموا على ضرّك وأرادوا في حقّك ما أرادوا!

تنبيه: لمّا قُتل عليّ محمّد كان المعروف بين أصحابه بالقيام مقامه هو الميرزا يحيى، وأنّه الذي لقّبه الباب بـ: «صبح الأزل»، وكان أخوه حسين عليّ بمنزلة النائب المبلّغ عنه، حيث كان الميرزا يحيى محجوباً عن أصحابه وغيرهم حتّى قدموا بغداد غرّة محرّم سنة ألف ومائتين وتسع وستّين، فسنح لحسين عليّ أن يدّعي الأمر لنفسه، فأظهر دعوته ودعواه لنفسه خامس جمادى الأُولى من السنة المذكورة، وتسمّى هذه السنة عند البهائيّة «عام بعد حين»، فكان كلّ من الميرزا يحيى وحسين عليّ يسعى في ترويج أمره بالتدابير الخفيّة.

ونشبت بينهما البغضاء، لكنّ ضيق المجال أكمن نار كلّ منهما في زناد حقده، فأحسّ حسين عليّ من أخيه وأصحابه بالغدر؛ إذ كانوا يعدّونه ناكثاً مرتدّاً بعدما كان مسلّماً لأمر أخيه وداعيةً له، فهرب إلى كردستان بقرب السليمانيّة [٢] نحو سنتين، ثمّ

---

١. يعني: علي محمّد. (منه ﷺ).

٢. مدينة في شمال شرق العراق، وهي مركز المحافظة المسمّاة باسمها.

عاد إلى بغداد حيث عرف قوّة أمره بكثرة أصحابه، ثمّ نُفي الفريقان إلى إسلامبول.

وكان خروج حسين عليّ وأصحابه من بغداد في خامس عشر ذي القعدة سنة الألف ومائتين وتسع وسبعين، وخرج الميرزا يحيى قبلهم بأيّام، واجتمع معهم بالموصل، ثمّ تقرّر في إسلامبول نفيهم منها جميعاً إلى أدرنه التي يسمّيها البهاء والبهائيّون : أرض السرّ، وذلك سنة الألف ومائتين وثمانين.

وهناك قام النزاع والفتن والمناشرات[1] بين الأخوين وحزبيهما، فتقرّر نفي الميرزا يحيى إلى جزيرة قبرص، ونفي الميرزا حسين عليّ إلى عكّا، وجعلت الحكومة مع كلّ منهما عيوناً ورقباء من أصحاب أخيه وأعيانهم.

وكان مع الميرزا حسين عليّ من الرقباء ثمانية، فورد عكّا ثاني عشر جمادى الأُولى سنة الألف ومائتين وخمس وثمانين.

ولَمّا رأى أنّ الرقباء المذكورين حجر عثرةً دون دعوته وترويج كلمته، بيّتهم هو وأصحابه ليلاً، فقتلوهم جميعاً بالحراب والساطور، فقبضت الحكومة على الميرزا حسين عليّ وحزبه، وألقوهم في السجن، وبقي حسين عليّ فيه ـ بمقتضى قول الحكومة ودفتر التوقيف ـ أربعة أشهر، فكتب الرسائل ـ التي تقدّمت إليها الإشارة ـ وهو في السجن، وأظهر فيها تشكّيه من أخيه وتكفيره، حيث كان التشديد في سجنه من تهييج أخيه وحزبه للحكومة.

وقال حسين عليّ في ألواحه أيضاً في دعوى الإلٰهيّة :

شهد شَعري لجمالي بأنّي لا إله إلّا أنا، كنت في أزل القدم إلٰهاً فرداً أحداً صمداً قيّوماً، هذا العرش الظهور الله لا إله إلّا أنا، مع ذلك كيف تعترضون على هذا الجمال !

هداك الله ! كيف ترضى لبشر أن يدّعي أنّه الله، والربّ، وربّ العالمين، ويقول : «لا إله إلّا أنا»، وهو بشر حادث ضعيف، يحمل في جوفه عذرةً وبولاً، ويتألّم ويحزن، ويشكو من الظلم، ويموت أو يقتل ؟ !

---

١. أي طعن كلٌ منهما بصاحبه.

هداك الله! إنّ البدوي الوحشي، عابدَ الوثن، لمّا رأى الثعلب قد بال على صنمه راجعه شيء من الشعور وقال:

أربٌّ يـبولُ الثـعلبان بـرأسـهِ؟!     لقد خابَ من بالتْ عليه الثعالبُ[1]

هداك الله! أتدري بوجود هذه البلايا العظائم وأمثالها من هذه الناشئة الجديدة أم لا تدري؟!

فإن كنت لا تدري فكيف أضعتَ رشدك، ومِلْتَ إليهم بهواك بدون أن تطّلع على حقيقة دعواهم وخفيّات كتبهم؛ لكي تعرف أقلّاً من دعواهم وخفيّات كتبهم ما هو المانع من صدقهم، وما هو المكذِّب لهم، والكاشف عن حالهم، ليتبيّن لك الرشد من الغيّ؟!

وإن كنت تدري فقل لي كيف أمكن في رشدك وشعورك أنّ البشر ـ وخصوص عليّ محمّد وحسين عليّ ـ يكون إلٰهاً، ويكون هو الله ربّ العالمين؟! فاذكر لي دليلك الذي أقنعك في ذلك، حتّى أُبيّن لك بعون الله ضلاله.

هداك الله! إنّك وكلّ ذي شعور لتشمئزّون وتنفرون من الإنسان الكاذب، أفلا تقول لـ«عليّ محمّد أو حسين عليّ»: يا هذا الذي يزعم أنّه الإله! ألستَ تقول: إنّك أنت الإلٰه الذي ظهر بظهور موسى وعيسى ومحمّد والأئمّة من بعده، وأنزلت من كلامك ووحيك كتباً هي التوراة والأناجيل الأربعة والقرآن؟!

فذكرتَ في الأناجيل في معجزات عيسى قصصاً طويلةً عريضةً متكرّرةً في حوادث خاصّة، ووقائع عجيبة، وأشخاص مخصوصين، وجلوتها بأوضح النصوص.

وذكرتَ في القرآن وظهورك في محمّد ﷺ وعليّ والأئمّة، أنّ محمّداً خاتم النبيّين، انقطع بموته الوحي، وأنّه لا نبيّ بعده، وأنّ الدين عند الله الإسلام، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وأنّه لا أمد ولا غاية لشريعة الإسلام، وأنّ القرآن يهدي

---

١. اختلفت المصادر في تسمية قائل هذا البيت، وفي ضبط كلمة «الثعلبان»، انظر دلائل النبوّة ـ لأبي نعيم ـ ١: ١٢١ ـ ١٢٢؛ حياة الحيوان الكبرى ١: ١٧٤ ـ ١٧٥؛ وانظر الصحاح ١: ٩٣؛ لسان العرب ١: ٢٣٧؛ تاج العروس ١: ٣٣٤، «ث ع ل ب». وفي الجميع: «ذلّ» بدل «خاب».

للتي هي أقوم، وأنّ من يتمسّك به لا يضلّ أبداً إلى يوم البعث، وأنّ الله يبعث الموتى في القبور من الأوّلين والآخِرين، ويحييهم في يوم الجزاء بعد أن كانوا تراباً ورميماً، واحتججت على ذلك بقدرتك على خلقهم أوّل مرّة، وذممت المنكِرين لذلك، ووبّختهم توبيخاً عظيماً، وكرّرت ذلك في القرآن، وفي أقوالك بظهورك في محمّد والأئمّة.

وبشّرت في أقوالك بظهورك في محمّد والأئمّة بأنّ التاسع من وُلد الحسين المهديُّ بن الحسن العسكري، من أُمّ ولده نرجس، يظهر بعد غَيبة طويلة، يطول عمره فيها كطول عمر نوح والخضر، فيكون فيها الفتنة والارتداد عن الدين، فيملأ بظهوره وسلطانه الأرضَ قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فما بالك ـ يا هذا الإله ! ـ بظهوراتك الجديدة تخالف جميع الأقوال المتقدّمة وتناقضها، كما أحصوها الناس علينا مفصّلةً على ما مرّ في الموانع المتقدّمة ؟ !

فيا حبّذا صَمْتُ الصُمِّ؛ إذ لا تظهر عليه هذه التناقضات والمخالفات !

هداك الله ! وهذا كافٍ لك في إبطال مزاعم هؤلاء، ورجوعك إلى الحقّ والهدى، وكافٍ في قيام الحجّة عليك عند الله.

وإن شئت زيادة الاستيضاح، أو التبس عليك شيءٌ ممّا كتبناه، أو شككت فيه، فراجعنا فيما عندك من الحجج والشبهات، فإنّي بعون الله لا أضجر ولا أنكل.

ولئن ساءك ـ عاجلاً ـ قولي : فلانٌ كاذب ومتناقض الأقوال ؛ فأرجو منك المسامحة في ذلك ؛ لأنّ الحجّة لا تسير سيرها إلّا بذلك، وقد قلتُ منه أقلّ المجزي، وإنّي لم أقله إلّا في حقّ بشر قد ساءني في ديني، وشريعتي، وقرآني، وإلٰهي وكُتُبِ وحيِه، ونهجِ الهدى وسبيلِ الحقّ، وأهلِ ديني وإخواني، ولغتي العربيّة في كلماتها وإعرابها، ومحاورةِ العقلاء، وطريقِ المكالمة والخطاب، وطريقةِ التفهّم والتفهيم !

وقد بقي في نفسي معك سؤال، أُقسم فيه عليك بشرف الكمال ومجد الديانة، وأرجو أن تجيبني بحرّيّة الإنصاف وفضيلة طلب الحقيقة، وهو :

إنّ المعاني والأُمور التي احتججنا بها في الآيات والأحاديث المتقدّمة، لو أردتَ

أنت وغيرك بيانها بحيث لا تجري فيها تأويلاتكم، فبأيّ لفظ من محاورات العقلاء، وبأيّ نصّ صريح تبيّنها؟!

فهل تجد لفظاً أوضح دلالةً من الألفاظ المتقدّمة على المعاني التي احتججنا بها؟!

وانظر في خطابك مع أهل بيتك وأولادك وخدمك وعَمَلَتِك، فبماذا تخاطبهم إذا أردتَ أن يفهموا مرادك ويطيعوك ولا يخالفوك؟! وبماذا تخاطبني إذا أردتَ أن أفهم مرادك وأعرف مقصودك؟! أعندك غير طريقة العقلاء في محاوراتهم؟!

أفلا تنظر أنّ الطريق الذي تعسّفتموه من التأويل لا يبقي بقيّةً في مقام التفهيم والتفهّم، ولا يبقي لك في كلام كلّ متكلّم أن تقول: إنّي فهمته، وإنّه صدق أو كذب، أو أمر أو نهي؟!

فإنّ تأويلكم الذي لا ميزان له يجري على طريقتكم في كلّ كلام، فلا يفهم للكلام معنىً محصّل، خصوصاً إذا لم نراعِ قواعد اللغة في مادّة اللفظ وإعرابه، بل جعلنا الغلط والإلحان ديدناً في الكلام كما هو ديدن «بيانكم».

وقد ذكرنا قريباً قول حسين عليّ أنّ البيان ينوح ويقول له: «إنّ القوم قد حرّفوا ما نزل فيَّ لإثبات حقّك»!

أرشدك الله! فانظر إلى البيان من أوّله إلى آخره، وقل أيّ كلام فيه هو نصّ أو صريح أو ظاهر في حقّ حسين عليّ، بحيث تكون مخالفته تحريفاً مذموماً؟!

مع أنّ مخالفاتكم لنصّ القرآن، والأحاديث وصراحتها المكرّرة المؤكّدة في شأن المهديّ بن العسكري عليه السلام، وشأن المعاد، وشأن ختام الرسالة والوحي، هذه كلّها تجعلونها تأويلاً مقبولاً!!

أفلا تعتبر بهذا أقلّاً وتراعي شرف الحقّ وعزّة نفسك عليك؟!

وفيما ذكرناه من الموانع كفاية في الهدى لأُولي الألباب.

ولكن ربّما تريد أن تنظر في حجّة الميرزا عليّ محمّد، والميرزا حسين عليّ، فنقول: إنّا نذكر لك غاية ما وجدناه من الحجج، ونتكلّم على ما فيها، وإن كان عندك غيرها فاذكره لنا بشواهده ودلائله لننظر فيه، وهاك ما وجدناه من وجوه الاحتجاج بالشبهات:

## [الشبهات التي احتجّت بها البابيّة والبهائيّة]

### الشبهة الأُولى: [عدم نزول العذاب والعقوبة]

احتجّ أصحابكم بأنّ الميرزا عليّ محمّد والميرزا حسين عليّ جاءا بكتب وقالا: إنّها من وحي الله وكلامه؛ فلو كانا كاذبين لأهلكهما الله بضربة عذابه وقطع منهما الوتين، وعجّل لهما العقوبة ولم يمهلهما؛ وذلك لقوله جلّ اسمه في القرآن الكريم في سورة الحاقّة: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[1].

فنقول: دع عنك الكثيرين الذين ادّعوا النبوّة والوحي كذباً على الله، من مسيلمة والعنسي، ومن قبلهما ومن بعدهما، فأمهلهم الله بأكثر ممّا أمهل به عليّ محمّد.

ولكن تبصّر أقلّاً في أنّ الميرزا يحيى ـ الملقّب بصبح الأزل ـ قد جاء بكتاب وكلام ينسبه إلى الوحي وقول الله عزّ وجلّ، وهذا أخوه بهاؤكم يكفّره ويكذّبه، ويجعله وقومه شرّاً من فرعون وهامان والشيطان، وأنّهم حرّفوا البيان، ويلعنهم، إلى غير ذلك ممّا هاجت به أحزانه في كتابه المسمّى ألواح؛ إذ كتبه في السجن الذي تسبّب عن معارضة أخيه الميرزا يحيى، كما ذكرناه في مقام ادّعاء «حسين عليّ» للإلٰهيّة! فراجعه[2].

---

١. الحاقّة (٦٩): ٤٤ ـ ٤٦.

٢. راجع ص ١٢٠.

وهذا حسين عليّ جاء بكتب ينسبها إلى الوحي الإلٰهي وقول الله عزّ وجلّ، وهذا أخوه الميرزا يحيى يكذّبه ويعدّه مرتدّاً كافراً، وأنّه بمنزلة عجل بني إسرائيل، وأنّ أصحابه مشركون!

وممّا وجدناه من كلام الميرزا يحيى في هذا المقام قوله:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، لقد جاءكم نور من لدنّا بالحقّ مصدّقاً لما معكم من الكتاب، فلا تتّخذوا العجل من بعده وأنتم تعلمون، إنّ الذين يتّخذون العجل من بعد نور الله هم المشركون!

ومن ذلك قوله أيضاً:

قاتلوا الذين كفروا بنور الله حتّى لا تكون بينكم فتنة، وأن استعينوا بالبيان يوم التقاء الجمعان، حينئذٍ عن العرش استوى الرحمٰن، اتّقوا الله وثمّ تتّقون. انتهى.

فقل: أيكون هذان الرجلان صادقَين فيما يدّعيان من الوحي وقول الله عزّ وجلّ في تكفير كلّ واحد منهما لصاحبه؟! أم تقول: كلاهما كاذبان في هذا الموضوع؟! أم تقول: إنّ أحدهما كاذب؟!

فنقول: إذاً لابُدّ من أن يكون أحدهما أو كلٌّ منهما كاذب متقوّل على الله، مع أنّ الله لم يضربه بالهلكة، ولم يقطع وتينه، بل أملى له وأمهله، فسقط احتجاجكم، وبهذا تعرف أنّ مفاد الآيات المتقدّمة يختصّ ـ كاختصاص لفظها ـ برسول الله خاتم النبيّين، الذي ما ينطق عن الهوى.

## الشبهة الثانية: [ثبات البابيّة على أمرهم]

ما سمعناه عن بعض الناس، وهو أنّه خُيِّل له أنّ ثبات البابيّة على أمرهم دليل على حقّهم.

فنقول له: إنّا نستلفت اعتبارك إلى جميع نحل الضلال كيف قد ثبت عليها أهلوها قروناً متطاولةً، يبذلون في سبيلها النفس والنفيس، فهذه الضلالة كتلك الضلالات!

وإنّ أكثر الذين تلبّسوا بالبابيّة يتستّرون مدّةً من الزمان، ويموّهون أمرهم في الظاهر بإجراء رسوم الإسلام، وما يدريك بأنّه كم من بابيٍ رجع من هؤلاء إلى الحقّ قبل افتضاحه بنحلة الباطل، ولو ذكرنا لك الراجعين عن البابيّة بعد أن عُرِفوا بها لقلت: إنّها أسماء بغير مسمّىً؛ وذلك لأنّهم أُناس غير معروفين لديك، فلنكتف بالعمدة وفيه الكفاية، وذلك:

إنّ المؤرّخين لأحوال الميرزا عليّ محمّد يذكرون أنّه في شيراز حين برّح به الضرب تاب وأناب على يد الوالي نظام الدولة حسين خان المراغي، وأعلن بتوبته على يد العلماء في مسجد شيراز الأعظم المسمّى «مسجد نو» وجاهرَ بها على المنبر، واستغفر من جميع دعاويه، وعدّها واحدةً واحدةً في مقام التوبة والاستغفار.

وكرّر التوبة والاستغفار أيضاً في تبريز، عند جلبه إليها من «ماكو» في جلبه الأوّل، بمحضر ناصر الدين شاه والعلماء، حينما كان ناصر الدين شاه وليّ عهد الدولة وحاكم أذربايجان، وذلك سنة الألف ومائتين وثلاث وستّين.

لكنّه لم يتب عند جلبه الذي قُتل فيه؛ ليقينه بأنّ التوبة لا تنجيه من القتل كما أنجته من الضرب؛ لأنّه إن سومح في أمر الدين، فلا يسامَح في أمر السياسة، وحَمْله لدعاته على الثورات التي أهلكوا فيها مئات من أطفال المسلمين فضلاً عن غيرهم.

وهذا عدمُ ثباتِ عليّ محمّد، وهو الداعي وأساس الدعوى، ولم يصدر مثل ذلك من مؤسّسٍ لِدينِ حقٍ وداعٍ إليه أصلاً ورأساً، بل لا يجوز عقلاً ونقلاً، بل لم يُسمَع بمثل ذلك مِن غالب مَن أسّس دعوةَ ضلال!

### [من تاب من البابيّة]

[١] وممّن تاب من البابيّة: الملّا عليّ أصغر النيسابوري، فإنّه كان الداعية المعاضد للبشروئي على الدعوة في خراسان، ولمّا أحضره الشاهزاده حشمة الدولة حمزة ميرزا في مرتع «زادگان» خاف على نفسه، فتاب وأخذ يسبّ الباب ويشتمه ويتبرّأ منه.

[٢] وممّن أظهر التوبة هو: السيّد حسين اليزدي، وهو من قدماء أصحاب عليّ محمّد ودعاته، وقرينه في الحبس في «ماكو»، وزميله في جلبه إلى تبريز للقتل، فإنّه لمّا أُخذ هو وعليّ محمّد إلى محفل السيّد عليّ الزنوري[1] في تبريز، وأفتى السيّد المذكور وحكم بقتل علي محمّد، وعرضوا التوبة على السيّد حسين المذكور، وأمروه بالتبرّي من عليّ محمّد، فاغتنم فرصة ذلك ـ حيث أحسّ بنزول البلاء ـ فأظهر التوبة والتبرّي من عليّ محمّد، وسبّه ولعنه حتّى بصق في وجهه، فأطلقوا سبيله ونجا من القتل، ولكنّه عاد إلى البابيّةً مرّة ثانيةً!

[٣] وممّن تاب أيضاً: الآقا رسول مع ثلاثين نفراً من عسكر البابيّة، تابوا بعد قتل البشروئي، وحينما صار القائد لهم الحاجّ محمّد عليّ ـ الملقّب «قدّوس» ـ فإنّهم استأمنوا من عسكر المسلمين وتابوا وتبرّؤوا من «الباب»، ولكنّ بعض العسكر قتل الآقا رسول مع بعض أصحابه غيلةً، فرجع الباقون إلى قلعة البابيّة، فقتلهم البابيّة لأجل ارتدادهم عن الدين الجديد!!

[٤] وممّن تاب أيضاً من هذا العسكر: رضا خان بن محمّد خان مير آخور الملك محمّد شاه مع ثلاثة وعشرين رجلاً، استأمنوا من عسكر المسلمين وأحسنوا توبتهم، وأخبروا قائد العسكر الإسلامي بانحلال قوى البابيّة في القلعة؛ ولمّا سُلّم الحاجّ محمّد عليّ قائد العسكر البابي لعسكر المسلمين أظهر شطرٌ منهم توبتَهم والعدولَ عن دين البابيّة.

[٥] وممّن تاب من أركان البابيّة ودعاتهم هو الحاجّ عبد الكريم الطهراني، ونجله محمّد حسن، نزيلا مصر، وكان الحاجّ عبد الكريم هاجر إلى أمريكا لتقوية أمر عبّاس أفندي على أخيه محمّد عليّ، وبعد أن رجع إلى مصر تاب من البابيّة، ورجع

---

١. كذا في الأصل، ولعلّه هو المولى المتألّه الآقا عليّ ـ الشهير بالمدرّس الطهراني ـ ابن المولى عبد الله المدرّس الزنوزي التبريزي، المتوفّى حدود سنة ١٣٠٩هـ.
انظر أعيان الشيعة ٨: ٢٦٨.

إلى الإسلام، هو ونجله، وأخذا يُظهران معائب البابيّة ويذكران قبائح أعمالهم وخفيّات أُمورهم؛ وتوفّي الحاجّ عبد الكريم على التوبة وهدى الإسلام، واستمرّ نجله على ذلك أيضاً.

وهذا ما وصل إلينا بالنقل المعتمَد من التواريخ المتعدّدة في أمر التوبة من البابيّة، من زعيم دعوتها وأركانها.

نعم، ثبت عليها أبو الفضل الگلپايگاني الجربادقاني، ومن ثباته أنّه صار يعين بعض الملل ويحرّر لهم الاعتراضات على الإسلام والقرآن الكريم! ثمّ جاهر بذلك في كتابه الدرر البهيّة! بل من ثباته ورسوخ إيمانه في البابيّة صار يأخذ من كلّ ملّة دراهمها، ويلفّق لها من الواهيات ردّاً على أضدادها!

وثبت على البابيّة أيضاً البهائيّةُ والأزليّةُ، ومن ثباتهم صار يكفّر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً!

وثبت على البابيّة ولدا حسين عليّ وأصحابهما، وهم الميرزا محمّد عليّ وأصحابه، وعبّاس أفندي وأصحابه، وصار الفريقان ـ أيضاً ـ يكفّر بعضهم بعضاً، ويشنّع بعضهم على بعض!

فإن كنت ترى الحقّ في واحدة من الفرق، فقد ارتدّ باقي الفرق عن الحقّ وكفروا، فبخٍ بخٍ لهذا الثبات!

## الشبهة الثالثة: [كثرة الأتباع في مدّة قصيرة!؟]

إنّ رسول الله دعا الناس عشر سنين فلم يتّبعه إلّا قليل من ضعفاء الناس؛ و«الباب» لم تمض على دعوته خمس سنين حتّى تبعه الجمّ الغفير، وفيهم الأشراف والأكابر، فانعقدت لهم الألوية، وتجنّدت منهم الجنود، وقامت الحروب بهم على ساق.

فأقول أوّلاً: إنّ المتمهّدي محمّد أحمد في أفريقا امتدّ أمره في أقلّ من خمس سنين، ومَلَكَ من تخوم مصر إلى ما وراء خطّ الاستواء، وجنّد الأجناد العظيمة، ومن

جملة ذلك أنّه حاصر الخرطوم واحتلّها بسبعين ألف مقاتل، وهو يستطيع أن يجنّد من الفادِين له أضعاف ذلك.

وثانياً: لا يخفى على ذي شعور أنّه شتّان ما بين رسول الله والمتمهّدين، فإنّ رسول الله جاهر قومه بصريح دعوته ولم يترك منها مخبّأً، ولم يتدرّج فيها بالحيل، بل جاءهم فيها دفعةً بأثقل ما يكون على أهوائهم، وما انطبعوا عليه من الشرك، وعبادة الأوثان، وضلالات الجاهليّة، فكانت طليعة دعوته الذمّ والعيب لآلهتهم، والتوبيخ على عبادتها، والدعوة إلى عبادة الله وحده، والإعراض عن آلهتهم، وثنّى ذلك بالدعوة إلى الإقرار بأنّه رسول الله.

ومرجع ذلك إلى انحطاطهم عن سياداتهم ورئاساتهم ومنعة قوميّتهم، فينقلبوا خاضعين إلى نفوذ أوامره ونواهيه وسيطرة شريعته، وهذه الأُمور ممّا يهيج الشفيع[1] والوضيع من العرب إلى بغض دعوته وردّها والتنفّر منها، ولكنّ بركة الحقّ سهّلت على كثير من الناس سلوك نهج الهدى، وصبروا في ذلك على مقاساة[2] الشدائد حتّى أظهر الله أمره.

وأين هذا ممّن رأى الناس وقد ملأ دينهم أسماعهم بالبشرى بالمهديّ، وحشا قلوبهم وجوانحهم بالشوق إليه، وطالت عليهم ليالي الانتظار في توقّع صبح الفرج، فكان من يأتيهم باسم المهديّ يكون حاجتهم المطلوبة وأُمنيّتهم المنتظَرة، وعلى الخصوص أهل إيران؛ لِما تعرفهم به من التشيّع والعلاقة بأهل البيت عليهم السلام، والشوق إلى دولة المهديّ عليه السلام وعدلها وأمنها.

فقد قاسَوا في مملكتهم أشدّ القلق والضيق من اضطراب أمر السياسة، وتقلّب الدولة، من الصفويّة... إلى نادر... إلى الزنديّة... إلى القاجاريّة؛ كلّ ذلك مع اختلال نظام السياسة، وطغيان الفتن، وتتابع الثورات المبيدة، ودوام الحروب والغارات، حتّى كادت

١. أي ذو الشأن الرفيع؛ لشفاعته للمقصّرين.

٢. المُقاساة: مكابدة الأمر الشديد. لسان العرب ١٥: ١٨١، «ق س و».

أن تأتي على رمق عيشهم، ونفس راحتهم، وبقيّة حياتهم.

فكان من يأتيهم متسمّياً بالمهديّ يأتي إلى مهاد موطّد وأمر ممهّد، قد امتلأت بالرغبة إليه القلوب، واشتاقت إليه النفوس، وامتدّت الأعناق، وشخصت الأبصار.

فلا يحتاج المتمهّدي ـ فيه ـ من ضعفاء البصائر إلّا إلى شيء من التمويه والتلبيس الذي قد فُتح بابه، وقدح زناد فتنته، من حين ما قال القائل: إنّ المهديّ بن الحسن العسكري حال الغَيبة هو في جابلقا[1]، في العالم الهورقوليائي وعالم المثال، مع أنّه ليس في الأحاديث ما يذكر أنّ المهديّ بن الحسن العسكري في جابلقا، ولا ما يذكر أنّ جابلقا في العالم الهورقوليائي وعالم المثال!

بل إنّ صريح المأثور ـ كما سمعته في الحديث الثاني والخمسين والثالث والخمسين[2] ـ أنّ المهدي في هذا العالم يشهد المواسم ويراه مواليه، فأين جابلقا وأين هورقوليا؟! إنْ هي إلّا أسماء سمّيتموها، بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً، ولكن رُبّ ساعٍ لقاعد[3]، فإنّ هذا القائلَ طَبخَ وغيره أكَل!

## الشبهة الرابعة: [الإتيان بكتاب معجز!؟]

هو أنّ عليّ محمّد جاء بكتاب ادّعى أنّه معجز، واستدلّ به على صدق دعواه، وادّعى أنّه لا يقدر الجنّ والإنس على أن يأتوا بمثله!

ففي كتاب أحسن القصص في تفسير سورة يوسف، في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ الآية[4]. قال:

لو اجتمعت الجنّ والإنس على أن يأتوا بمثل هذا الكتاب بالحقّ على أن

---

١. جابلق: رستاق بأصبهان. معجم البلدان ٢: ١٠٦.

٢. بل في الحديثين ٥٣ و ٥٤، وكذا الحديث ٥٥؛ راجع ص ٤٦.

٣. مثل يضرب لمن يأتيه الأمر من دون سعي أو جهد. مجمع الأمثال ٢: ٤٥، الرقم ١٥٨٣.

٤. يوسف (١٢): ٨.

يستطيعوا ولو كان أهل الأرض ومثلهم معهم على الحقّ ظهيراً. فَوَرَبِّك الحقّ لا يقدرون بمثل بعضٍ من حروفه!

وقال في كتابه للمفتي الآلوسي:

أفلا تنظرنّ إلى الدلائل، فإنّ كلّ ذلك يثبت بما نزّل الله في الكتاب، وما يثبت الكتاب إلّا وأنّ فيه، لتعجبنّ ما على الأرض كلّهنّ بما لا يقدرن أن يأتين بمثله!

وقال في البيان:

أنا أنا ليس غيري، وبرهاني ومعجزي كلامي وبياني، لو اجتمعت الإنس والجنّ لا يأتون مثلها حرفاً واحداً!

قلت: إنّ هذا الذي يدّعي ميرزا عليّ محمّد أنّه معجزٌ وحجّةٌ على صدق الدعوى، يتعيّن عند من له تمييز ومعرفة أن يكون مانعاً، وشاهدَ صدقٍ على كذب الدعوى، وقصورَ المدّعي عن غير الأوباش[1] من أبناء جنسه.

فإنّه جاء بكتاب بالأُسلوب العربي على نهج القرآن في فصول الآيات، وجاء فيه بأُمور، وهي:

إنّه في أكثره، بل غالبه جاء بجمل القرآن وأبعاض آياته، فيؤلّف ما بينها تأليفاً يشوّه صورتها الحسناء، ويحطّها من السماء إلى الأرض؛ إذ يجمع فيها بين الأضداد، وسوء الترتيب، وسخافة التركيب، والغلط، والإلحان في الإعراب.

وإنْ جاء بألفاظ من غير جمل القرآن، رأيته كأنّه تعمّد فيها الغلط والإلحان ومخالفة أُسلوب اللغة العربيّة، ومع ذلك فأغلبها لا يكاد يبين منها مرادٌ أو يظهر منها معنىً محصّل.

وإنْ انفرد بأُسلوب، أرى أهلَ التمييزِ من سخافته العجبَ؛ وستسمع بعض ذلك إن شاء الله، واعرضه على المستشرقين من الغربيّين، وقل لهم: ما يكون هذا من اللغة العربيّة، وصحّة الكلام، وأدب المتكلّم؟!

---

١. الأوْباش ـ جمع: وَبَش أو وَبْش ـ: الأخلاط والسَفِلَة، والضُرُوب المتفرّقون من الناس. الصحاح ٣: ١٠٢٤؛ النهاية في غريب الحديث والأثر ٥: ١٤٥ ـ ١٤٦؛ القاموس المحيط ٢: ٣٠٣، «و ب ش».

وإنّ الله قد ضرب المثل لنوره بالمشكاة والمصباح[١]، فسهّلَتْ لي حكـمةُ ذلك أن أضرب لك الأمثال للقرآن وابتلائه بمقابلة كتب بابكم.

**ومن الأمثال:** إنّه اجتمع فارسيّان، فقال أحدهما لصاحبه: ما صناعتك؟

قال: شاعر؛ وأنت ما صناعتك؟

قال: أنا ماعر؛ فاقرأ لي من شِـعرك!

فقال الشاعر: إنّي قلت في انقضاء برد الشتاء والثلج وارتياح الأطيار بطيب الربيع وبهجة الأزهار: كَـبكْ دَر كُوه مِيزَنَد خَنْده[٢] فاقرأ لي معرك!

فقال الماعر: وأنا قلت: مَـبك در مُوه ميزنَد مَنده.

فقال الشاعر: هذا شِـعري وأنت مسختَه!

فقال الماعر: لا، هذا معري، وأنا أنشأتُه.

هذا، ولكنّ الماعر أحسن الإتباع بالوزن والأُسلوب والانسجام!

**ومن الأمثال:** إنّ الحذّاق الذين يمشون على الحـبل، ويـعملون عـليه الحـركات الغريبة العجيبة، يجعلون على الأرض رجلاً يعمل مثل أفـعالهم وهـو عـلى الأرض، وذلك ليزداد أُنس الحاضرين، ويعتبروا بمقابلة الضدّين، فتجسّم لهم البراعة والسخافة، ومع ذلك فالرجل الذي على الأرض يحسن الإتباع والشبه في هزله.

فإنْ قلت: ما محلّ هذه الأمثال في وقار المباحثة؟!

قلت: إذا ألقى المجنون في بئرك حجراً فأعطَـشَ أحبابَك وأصحابَك، فلابُـدّ أن تجمع جماعةً من العقلاء، وتطلب منهم إعمال أنواع التدبير في إخـراجـه حسب مـا تقتضيه الحكمة.

فإنْ قلت: إنّ كُتب الباب ـ التي تصفها بهذا الوصف ـ قد انقاد لها جماعات كثيرة، وعدّوها من الوحي وكلام الله، فتركوا لأجلها القرآن، فأين ما تقول وتصف؟!

---

١. إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ النور (٢٤): ٣٥.

٢. أي الفاختة تضحك في الجبل.

قلت: لا يخفى أنّ الناس حينما جاء الميرزا عليّ محمّد بكتبه، واحتجّ بها على دعوته، قد كانوا على أصناف:

فصنف منهم؛ وهم الذين ابتدأهم بالدعوة، هم أُناس من عوامّ العجم، لا يعرفون شيئاً من اللسان العربي.

نعم، طرق أسماعهم القرآن الكريم، وأدعية أهل البيت، فهم يتلونها سواداً على بياض، أو يسمعونها ألفاظاً وحروفاً، ولا يعرفون لها معنىً إلّا بحسب الترجمة بالفارسيّة، كما تراه في كثير من المصاحف المطبوعة وكتب الأدعية والزيارات.

وهذا الصنف إذا تُلي عليه كلُّ كلام أُسلوبه أُسلوب الكلام العربي، وإنْ كان مهمَلاً، حسبوه من أعالي الكلام، خصوصاً إذا كان على طرز القرآن الكريم وطرز الأدعية المأثورة، وخصوصاً إذا سمع فيه لفظ: «سميع، عليم، حكيم، نور، سماوات، نار، عذاب».

فإذا تلوت عليه قول القائل من المهمَل: «إنّا ترفنا لكم وبيس الذراف وحداً من عندنا وما كنّا عن الأفلاج سامهين». وأسمعته أمثال ذلك، لم يميّزه من آيات القرآن الكريم.

وإذا تلوت عليهم من المهمل: «ما لي كلّما تسحت جوالي ذنوبي وتلجت في أعصامي الآمت بي هو أجيج الأرباق، وهلمتني سواسل الأفلاق، فما لي لا أبكي وأنا بين سماسيح الأعمال وألاطيح العذاب، يوم المسى إلى قبري فأُوَلّي إلى عملي وأُلاج إلى معادي في يوم النشيح المعلوم» وتلوتَ عليه هذا وأمثاله لم يميّزه من أدعية الصحيفة ومواعظ نهج البلاغة.

وقد سبق في أذهان هذا الصنف ـ إجمالاً ـ أنّ صاحب الزمان يظهر، وهم من الشوق إليه، والانتظار له، والضجر من الجور، على الحالة التي سمعتها في أثناء الكلام على الشبهة السابقة، فحين سمعوا دعوة «الباب» وما يتلوه من «بيانه» تحكّم في أذهانهم صدق الدعوة، وأنّها هي الأُمنيّة التي كانوا يُبشِّرون بها آمالهم، ويقضون في لواعج شوقها طوال الليالي والأيّام، فتهالكوا في تلبية هذه الدعوة وتأييدها.

وصنف من الناس قدانحرفت طريقتهم بتعاطي بعض الأنحاء من حكمة اليونان،

ولم يمكّنهم الوقت من قطع العلائق عن الإسلام، فصاروا يؤوّلون ما جاء في الدين على أضداد معناه التي اضطربت فيها آراء الحكماء، وأخذوا يقولون ما تشتهيه أنفسهم على طبق أهوائهم، فتجاوزوا في الأُمور الدينيّة حدّ الحقيقة، وغالوا في البشر لأجل إنقاصهم من واجب الوجود صفات جماله، فسلبوا عنه الإرادة والاختيار، ولم يجعلوا لمقام البشر في الكمال حدّاً محدوداً، وراموا إخضاع الناس لنفوذ أهوائهم، وطمعوا في العوامّ؛ إذ رأوهم يرغبون فيمن يَجْلُو[1] لهم مألوفاتهم بالإفراط جلوةً جديدةً وإن غيّر مادّتها وشوّه صورتها.

فهُرِع إليهم كثير من الناس كما هُرِع بعضٌ لمشايخ التصوّف المدّعين للوصول، فقالوا فيهم بالإرادة والانقياد لِما يقولون ويفعلون، حتّى بدّلوا لهم عبادات الشريعة بأُمور لا أثر لها في الشرع، ومنشأ ذلك ثقل الأُمور الشرعيّة على الأهواء، وميل النفوس السقيمة إلى الجديد.

وهُرِع بعضٌ إلى مَن يقول: كلّ شيء بكى على الحسين، ألا ترى إلى الإناء إذا انكسر يقول: طق!!

وهُرِعوا إلى من ادّعى أنّه انكشف له الستر وظهر له السرّ، فصار بقول ما يشتهي!

ومن بعض ذلك أنّه تعرّض لتفسير «مدينة العلم» في قول النبيّ ﷺ: «أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها»[2]، فجاء بالعجائب المضحكة أو المبكية، وذكر مدناً ثلاثاً، وذكر

---

١. أي يكشف ويُظهر ويوضح. لسان العرب ١٤: ١٥٠، «ج ل ي».

٢. ورد هذا الحديث الصحيح في كتب الفريقين، فانظر: الأمالي ـ للصدوق ـ: ٤٢٥، ذيل الحديث ٥٦٠؛ الإرشاد ١: ٣٣؛ فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٣٩، الرقم ١٨؛ إعلام الورى ١: ٣١٧؛ جامع الأخبار: ٥٢ ـ ٥٣، ح ٥٩؛ الجامع الصحيح ٥: ٥٩٦، ح ٣٧٢٣؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٩٦ ـ ٩٧، ح ٤٦٩٣ ـ ٤٦٩٤؛ المعجم الكبير ١١: ٥٥، ح ١١٠٦١؛ مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ للمغازلي ـ: ١١٥ ـ ١٢٠، ح ١٢٠ ـ ١٢٩؛ كفاية الطالب: ٢٢٠ ـ ٢٢٢؛ جامع الأحاديث الكبير ٣: ٢٨٢، ح ٨٦٤٩؛ الجامع الصغير: ١٦١، ح ٢٧٠٤ و ٢٧٠٥؛ كنز العمّال ١١: ٦٠٠، ح ٣٢٨٨٩، و ٣٢٨٩٠ و ص ٦١٤، ح ٣٢٩٧٨، و ٣٢٩٧٩.

وقد صنّف الحافظ أحمد بن محمّد بن الصدّيق الغماري الحسني كتاب «فتح الملك العليّ بصحّة حديث باب مدينة العلم عليّ» جمع فيه طرقه؛ وسلك فيه مسلكاً مبتكراً أثبت فيه صحّة الحديث بتسعة مسالك، فراجع.

للمدينة محلّاتٍ تعرّض منها لإحدى وثلاثين محلّة، وذكر لبعض نواحي المحلّة الثانية والعشرين ثلاثمائة وستّين عقداً، وجعل لكلّ عقد صاحباً ذا صورةٍ واسمٍ طويل تعسُر قراءته لكثرة حروفه!

ومن جملة أصحاب العقود امرأة بيدها دفّ! ومن جملتها امرأة فاجرة تدعو الناس إلى نفسها! ومن جملتها رجل يفعل برجل!

وذكر كثيراً من نحو ذلك ممّا لم يُذكر لا في كتاب الله، ولا في سُنّة نبيّه، ولا في أحاديث الأئمّة، ولا في كتب القدماء، ولا في كتاب ألف ليلة وليلة، ولا في كتاب كريم كرد، ولا في الرومانات، بل قال هو في آخر هذا المقام: «نحن شرطنا أن لا نذكر ما هو في الكتب مذكور، ولا نبيّن ما بيّنه غيرنا في السطور»!

ولم ينكر الناس على هذا الصنف مجاهرته في كتبه بقولها: «إنّه بعد الألف ومائتين سنة من الهجرة قد انقضت دورة محمّد الأرضي، وجاءت دورة أحمد السماوي»! كما هو مذكور في كتابَي جوامع الكلم و شرح القصيدة حتّى كأنّ الناس لم يفطنوا إلى الباب الذي يراد فتحه بهذا الكلام، وما خبّئ فيه للإسلام وعقائده وشريعته، فراجت هذه الترّهات بين كثير من الناس، ورحّبوا بها بالقبول الأعمى.

ولمّا رأى أهل الضلال والإضلال أنّه قد انفتح في الناس باب التصرّف بالدين وتقليب الحقائق، طمعوا في استدراج العوامّ شيئاً فشيئاً، واستحلابهم كلّ بحسب مشربه ومألوفه ومحبوبه.

ولكنّ الأُمور بعدُ ـ إذ ذاك ـ تحت سيطرة الدين ونفوذ الشريعة، فصاروا ينتظرون فرصة الوثبة والتعاضد لتغيير مجاري السياسة والدين وإن كانت أغراضهم مختلفة، لعلّما ينال كلّ منهم مقصوده أو بعض مقصوده، فيتمّه في فرصة أُخرى.

وقد جرّبوا في إيران تقلّب الدولة والسياسة بحسب الثورات، كما في دولة الصفويّة، ونادر شاه، والزنديّة، والقاجاريّة، ورأوا أنّ كثيراً من أعضاء الدولة منحرفين عن حقيقة الدين، يتسارعون بالإرادة والاتّباع لكلّ من أظهر التصوّف وادّعى المكاشفة،

فيغالون به، ويرجون منه ما لا يرجونه من الله!

وقد كانت سياسة إيران مختلّة النظام؛ لأجل ابتلاء محمّد شاه بالأمراض المزمنة التي شغلته عن السياسة كما ينبغي، فاقتضت هذه الأُمور للصنف المذكور أن يلبّوا كلّ داع يجمع كلمتهم ليتوصّلوا إلى مقاصدهم، وذلك لوثوقهم بالنجاح عند اجتماع الكلمة بالثورة والدعوة، خصوصاً إذا كانت الدعوة توافق مذاق الشيخيّة والكشفيّة والمتصوّفة؛ إذ كان الشطر الكبير في إيران من هذا النحو.

فلمّا أظهر الميرزا عليّ محمّد دعوته، وجدوا أنّها هي الفرصة التي يطلبونها وينتظرونها، وخُيِّلَ لهم أنّ الشيخيّة والكشفيّة والمتصوّفة وضعفاء الشيعة جميعاً يلبّونها، فيأخذون بزمام السياسة وبدعة الديانة، وبعد ذلك ينتظر كلّ واحد في غرضه الشخصي فرصةً؛ فلذا رفعوا لكتب عليّ محمّد لواء الوحي وحيّوها بتحيّة كلام الله!

وصنف من أهل اللسان والتمييز والتمسّك بالدين، لمّا أتتهم كتب الميرزا عليّ محمّد ورأوا ما فيها من وجوه الوهن، تلقّوها بالسخرية والضحك والاستهجان لرأي قائلها وداعيتها، وحسبوا أنّ كلّ الناس سيتلقّونها بالردّ والاستهزاء كما هو حقّها، وكأنّهم لم يفطنوا إلى انقداح نار الفتن الدينيّة في تلك الأزمان، ولم يعرّفهم الوجدان والتجارب باختلاف شؤون الناس في الأهواء والتمييز.

**والحاصل**: لم يقابلوا تلك الكتب إلّا بالإعراض عنها، والموعظة والنصيحة للداعية، وقد غفلوا عمّا ينبغي، وكان اللازم أن يلاينوها ويحيّوها بالمعارضة والمقابلة بمثلها وبلحنها وغلطها، فيعارضوا الحجّة بمثلها، ويعرّفوا الضعفاء بذلك وهنها حسب ما يقتضيه قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾[1]. فإنّ الحكمة هاهنا أن يعارضوا الحجّة بمثلها كيفما كانت، ولا يَدَعُوا للشيطان على الضعفاء سبيلاً، ولا يتركوا مساغاً للداعية أن

---

١. النحل (١٦): ١٢٥.

يرجع للضعفاء، ويقول افتراءً: «قد عجز العلماء عن معارضة كتب الباب لأنّها كلام الله» !

هذا، ولكنّ الوقت لم يفت، والواجب عليهم واجب علينا، وإنْ فاتنا هدي أهل ذلك الزمان فلا يفوتنا إن شاء الله هدي أهل هذا الزمان، وهم أحبّاؤنا وأعزّاؤنا.

فلنذكر شيئاً من كتب عليّ محمّد، ثمّ نذكر معارضته بما هو مثله أقلّاً، ليعرف كلّ أحد أنّ عليّ محمّد كاذب في دعواه: أنّ كلامه في كتبه لا يقدر الجنّ والإنس على أن يأتوا بمثله.

فإن قال عليّ محمّد:

إنّ نار إعجازي قد تحقّقت بالحقّ على الحقّ في الحقّ بليغاً، وجاءت من سدرة الإلحان في شجرة الغلط في القبّة الحمراء عجيباً !

قلنا: إنْ ألحنَ فإنّا لاحنين، وإنْ أكثر الغلط كنّا في غلطوط الغلطيط المتغلطط الغلطاط من الغالطون، ولن يك لحجّته من أوّل الإمكان وقادوم القدمان في جملان البهيان ودور الإبهاء محيطاً !

قال في البيان ما لفظه:

شؤون الحمراء، آثار النقطة، جلّ وعزّ البيان، في شؤون الخمسة من كتاب الله عزّ وجلّ، كتاب الفاء: بسم الله الأبهى الأبهى، بالله الله البهيّ البهيّ، الله لا إله إلّا هو الأبهى الأبهى، الله لا إله إلّا هو البهيّ البهيّ، الله لا إله إلّا هو المبتهى المبتهى، الله لا إله إلّا هو المبهي المبهي، الله لا إله إلّا هو الواحد البهيان، ولله بهيّ بهيان بهاء السموات والأرض وما بينهما، والله بهاء باهي بهيّ، ولله بهيّ بهيان بهية السموات والأرض، والله بهيان مبتهى مبتهاء، قل الله أبهى فوق كلّ ذي بهاء، لن يقدر أن يمتنع عن مليك سلطان إبهائه من أحد لا في السموات ولا في الأرض ولا ما بينهما، إنّه كان بهاءً باهياً بهيّاً !

ثمّ أكثر من هذا التكرار بهذه المادّة في البهيان والمبتهى ! إلى أن قال: «إنّا قد جعلناك جلالاً جليلاً للجاللين، وإنّا جعلناك جمالاً جميلاً للجاملين» !

ثمّ أخذ يكرّر «إنّا قد جعلناك» وما بعدها، فلنحذف قوله: «إنّا قد جعلناك» ونذكر ما بعدها، وهو:

عظماناً عظيماً للعاظمين، نوراناً نويراً للناورين، رحماناً رحيماً للراحمين، تماماً تميماً للتامّين، كمالاً كميلاً للكاملين، كبراناً كبيراً للكابرين، عزاناً عزيزاً للعاززين، نصراناً نصيراً للناصرين، فتحاناً فتيحاً للفاتحين، قدراناً قديراً للقادرين، ظهراناً ظهيراً للظاهرين، حباناً حبيباً للحاببين، شرفاناً شريفاً للشارفين، سلطاناً سليطاً للسالطين، برهاناً بريهاً للبارهين، حكماناً حكيماً للحاكمين، جوداناً جويداً للجاودين، وزراناً وزيراً للوازرين، بطشاناً بطيشاً للباطشين، نبلاناً نبيلاً للنابلين، جهراناً جهيراً للجاهرين، جرداناً جريداً للجاردين، سرجاناً سريجاً للسارجين، طرزاناً طريزاً للطارزين!!

إلى أن قال: «تبارك الله من سلط مستلط رفيع، وتبارك الله من وزر مؤتزر وزير»!!

وكرّر قوله: «تبارك الله من» في قوله:

جمل مجتمل جميل، عظم معتظم عظيم، نور متنوّر نوير، رحم مرتحم رحيم، شمخ مشتمخ شميخ، بذخ مبتذخ بذيخ، بدء مبتدئ بديء، فخر مفتخر فخير، ظهر مظتهر ظهير، قهر مقتهر قهير، غلب مغتلب غليب، كبر مكتبر كبير، عزّ معتزز عزيز، جود مجتود جويد، طرز متطرّز طريز، جذب مجتذب جذيب!!

هذا كلامه! واسأل الكردي المكترد الكريد، والزنج المنزنج الزنيج، ممّن له أقلّ إلمام بالعربيّة ومعرفة أُصولها، وقل: أيّة فقرة سالمة من الغلط المغتلط الغليط؟!

فإنّه يقول: ليس فيها صحيحاً إلّا قوله: «رحماناً رحيماً للراحمين»!

فاعتبروا إن كنتم من المعتبرين، واسمعوا المعارضة، وشرطنا أن لا نذكر فيها أسماء الله وصفاته الكريمة؛ تنزيهاً لجلاله عن مثل هذا الهذر في الهاذرين، بل نصرف الكلام إلى بستان تجلّت من زهيان الإنشاء في البقعة الخضراء، في شؤون الصفراء، تحت الزرقاء، مهمَلاً مسلسَلاً كما يقولون:

كتاب الصاد، بزهو البستان الأزهى، بستان من لم يزدهي إلّا هو الزهيّ

الزهيّ، المزدهي المزهيّ المزهيّ، الأوحد الزهيان، له زهيّ زهيان زهاء الخالص وخريسان[1] وما بينهما، زهاءٌ زاهي زهيّ زهيّ زهيّة الخالص وخريسان وما بينهما، زهيان مزدهي مزداهٍ أزهى فوق كلّ ذي ازدهاء، أزهى فوق كلّ بستان ذي زهاء، لا يتوصّل أن يعاند عن ملكوت سلطان زهيانه من بستان لا في الخالص ولا خريسان، إنّه كان زهاءً زاهياً، إنّه كان زهياناً مزدهياً زهيّاً، قل أيّها البستان إنّك أنت زهيان الزهائين، إنّا ملكناك بستاناً بسيتاً للباستين، إنّا ملكناك نخلاناً نخيلاً للناخلين، إنّا ملكناك جدعاناً جديعاً للجادعين، إنّا ملكناك جرداناً جريداً للجاردين!

واعتبر هذا التكرار في قولنا: سعفاناً سعيفاً للساعفين، خوصاناً خويصاً للخاوصين، كرباناً كريباً للكاربين، ليفاناً لييفاً للّايفين!

واعتبر هذا التصريف في اللفظ بقولنا: طلعاناً، لقحاناً، بلحاناً، غدقاناً، بسراناً، رطباناً، تمراناً، قسباناً، قصّاناً، كرساناً، كبساناً، دبساناً، شجراناً، نبعاناً، ورقاناً، غصناناً، ورداناً، ثمراناً، عنباناً، خوخاناً، تفحاناً، كوجاناً، نوماناً، سنداناً، إنّا ملكنا فيك باسق النخل ويانع الشجر وجنى الثمر ممّا يشتهون، فحيّاك الحَيا من بست مبتست بسيت!

وكرِّر قولنا: «حيّاك الحَيا مِن» مع قولنا: خضر مختضر خضير، عمر معتمر عمير، حيط محتيط حييط!

واعتبر بهذا التصريف في قولنا: كبر، طول، عرض، عمل، سمد، كرب، هلز، وهكذا!
وقال أيضاً:

يا خليل! بسم الله الأقدم الأقدم، بسم الله الواحد القدام، بسم الله المقدم المقدم، بسم الله القادم القدام، بسم الله القادم القدوم، بسم الله القادم القدمان، بسم الله المقتدم المقتدوم!

---

١. الخالص مدينة من مدن وسط العراق، شمال شرق بغداد. وخريسان هي إشارة إلى مقاطعة «خراسان» في إيران بلهجة بعض أهل جنوب العراق وإيران.

وكرّر هذا التصريف بقوله: القادم، المتقادم، المستقدم، القيدوم، القدم، القدم، القادم، القدامين، القدمات، القدومين، القدامين، المقاديم، المتقدّمات، التقدمات، المستقدمات، القدام، القدادم!

وجرى على التقلّب في هذا التصريف نحو ثلاث أوراق كما تقلّب في البهيان والابتهاء!!

ولنضرب لك مثلاً، بالنظر إليه يسهل عليك أن تعارض هذا الكلام، فلا نحتاج إلى التطويل في المعارضة، والتبذير في القرطاس، وقد أعطيناك أُنموذج الكلام. أمّا المثل فهو:

إنّه لمّا تمّت عمارة صحن الكاظمين عليهما السلام عملوا له احتفالاً عظيماً، ونظم فيه الشعراء، فجاء بعض الظرفاء ممّن ليس له طبع الشعر، وقال: إنّي قد عملت قصيدةً بديعةً في عمارة الصحن الشريف، وذكرت جميع أجزاء العمارة بما لم يأت به الشعراء، ونظمتها بالفارسيّة لمناسبة الباذل لمصارف العمارة، وهو الشاهزاده فرهاد ميرزا، وها هي القصيدة:

عَجَبْ صَحْنى چِه صَحنى خُوب صَحنى[1]

عجب طينى چه طينى خوب طينى

عجب نوره چه نوره خوب نوره

عجب آجُر چه آجُر خوب آجُر

عجب كاشى[2] چه كاشى خوب كاشى

واستمرّ على هذا في جميع أجزاء العمارة وأسبابها، ثمّ التفت إلى ذِكر العَمَلَة على هذا المنوال فقال: عجب أُستا. عجب خلفة. عجب صانع. عجب مهديّ. عجب أحمد. عجب ناصر ... وهكذا!

والقصيدة على طولها لم يأتِ فيها بلفظ مهمَل كالبهيان والمقتدوم وأشباهها.

---

١. أي صحنٌ عجيب! يا له من صحن! ما أحسن الصحن!... وهكذا في باقي الأبيات!

٢. أي البلاط.

ثمّ إنّه بعد مدّة قدم العالم الميرزا أبو الفضل الطهراني ﷺ من سفر الحجّ، فمضى ذلك الرجل الظريف إلى زيارته، وقال: إنّي نظمت في حجّك وقدومك قصيدةً غرّاء.

فقال له الميرزا المذكور: أنا أتلو قصيدتك عليك قبل أن أسمعها منك، ألستَ تريد أن تقول:

عجب حجّى چه حجّى خوب حـجّى

عـــجب نـاقه چـه نـاقه خـوب نـاقه

عجب محمل چـه محمل خوب محمل

وهكذا في جميع أجزاء السفر وأسماء الأماكن ذهاباً وإياباً؟!

فقال الظريف: أحسنت! وإنّك لَشاعر عالِم بما في الضمير!

فقل في المعارضة للكلام السابق ـ على شرطنا ـ: يا حبيب! بحموضة الخلّ الأعتق الأعتق. بحموضة الخلّ الممتاز المعتاق. بحموضة الخلّ المعتّق المعتّق. بحموضة الخلّ العاتق العتاق، بحموضة الخلّ العاتق العتقان، بحموضة الخلّ المعتق المعتوق!

وكرِّر هذا التصريف بقولك: العاتق المتعاتق. المستعتق العيتوق. العتق العتق. العتاقة. العاتق. العتاقين. العتقات العتوقين، العتاقين المعاتيق. المتعقات. المستعتقات. العتاق العتاتق!

وحيث ارتفع ـ بِـهِمّة الميرزا عليّ محمّد ـ حَرَجُ العقلاءِ وأهلِ اللسان في تصريف الألفاظ، فزد في ذلك وقل في التكرار: العتقتق، العتيقيق، العيتقوق ... ونحو ذلك ممّا هو أشبه ببعض الألفاظ من لفظ «المقتدوم»!

وقال في البيان أيضاً: «بسم الله الأجمل الأجمل، بالله الجمل الجمل، بسم الله الجمل ذي الجمالين، بسم الله الجمل ذي الجملاء»!

واستمرَّ على النحو السابق من التكرار بهذه الألفاظ من: الجاملات والجملات والجاملين والمجمل والمجتمل والجمول والمستجمل والجملان والإجمال، كما كرّر وتقلّب في الأبهى والبهيان والأقدم والقدمان!

فنقول في معارضته: بحسن البستان الأحسن الأحسن، البستان الحسن الحسن... ونكرّر ونتقلّب على ذلك المنوال بالحسانين والحسناء والحاسنات والحسنات والحاسنين والمحسن والمحتسن والحسّون والمستحسن والحسنان والإحسان.

بل إنّك ـ بحسب المثل ـ تقدر على الزيادة والتكرار، وتكتب كلّ يوم من نحو هذا أوراق عديدة.

ثمّ اجرِ على هذاالمنوال في التكرار والتقلّب في قولك: بفضل العالم الأفضل [الأفضل]. وهكذا: بعلم الفاضل الأعلم الأعلم، بعبادة الناسك الأعبد الأعبد، بجود الكريم الأجود الأجود، بكرم الجواد الأكرم الأكرم، بإتقان المعمار الأتقن الأتقن... وهكذا!

واصنع من هذا النحو مائة كتاب وسمّها: البيان الأبين ذا البينان والبينان والبيانين، وهكذا.

ومن العجب، ولا عجب، ممّن يقرأ أمثال هذا في كتب البابيّة ويقول مفتخراً: هذه الحقائق! لا قولهم في علم الصرف: نصر ينصر نصراً!

فنقول له: إنّا نعلّم أطفالنا علمَ النحو والصرف لنحفظ لهم شرف أدبهم وكمالهم في معرفة الصحيح من اللغة والكلام، وليميّزوا بأدبهم مَن هو الذي يغلط ويهذر ويكفر، وهو يدّعي أنّه باب العلم، ونبيّ مبعوث، وإله، جاء بكتاب معجز في اللغة العربيّة، وقد سمعتَ أُنموذجه!!

وقال في البيان:

قل كلّ لَيقولون إنّه لا إله إلّا هو الذي آمنَتْ به كلّ الفتّاقيّين. قل كلّ لَيقولون إنّه لا إله إلّا هو الذي آمنَتْ به كلّ السبّاقيّين!

وجرى على هذا مكرّراً قوله: «قل كلّ لَيقولون إنّه لا إله إلّا هو الذي آمنَتْ به كلّ...» مع كلّ كلمة من قوله: السماعيّين، الرتاحيّين، السوائيّين، الأسافيّين، النقابيّين، الخيّاطيّين، المقاتيّين، اللهاميّين، العرّافيّين، الوصّافيّين، النعّاتيّين، الزراعيّين، الذرائيّين، الإزاليّين، الكباريّين، البذّاخيّين، الضمّانيّين، الأماريّين، النعاميّين، العقابيّين... وهكذا

إلى نحو مائة لفظة من هذا النحو من المهمَل!!

فنقول في المعارضة: من نشأة الخطّ ورمز الهزل، كتاب الطاء: هذا هو اللوح المنظوم: من السرّ المكتوم، على الحكم الموهوم، في الوقت المعلوم، لعلّكم تعرفون، إنّا رأينا النعمة المشكورة النازلة من سماء الإفضال، من سدرة المعيشة على هنيء المعيشة هي التي عن شكرها تعجزون، فاعرفوا قدرها وقدرة خالقها إن كنتم بالله وآياته تؤمنون، فإن سألك العابرون في أيّام الأزمة والضيق، واحتشاد الناس في المضيق. شاخصةً أبصارهم. عاليةً أصواتهم، وقالوا فماذا يطلبون؟ وبماذا في لغطهم يلهجون؟ قل كلٌّ لَيقولون ما هي إلّا الحنطة التي رغب بها جُلّ الزراعيّين، قل كلٌّ لَيقولون ما هي إلّا الحنطة التي رغب بها جُلّ الكرابيّين.

وكرِّر قولنا: «قل كلٌّ لَيقولون ما هي إلّا الحنطة التي رغب بها جُلّ» مع كلّ كلمة من قولنا: النثاريّين، اللواحيّين، المراريّين، السواقيّين، النهاريّين، الكراديّين، المكانيّين، النواعيريّين، الدلّائيّين، الكبّاسيّين، الحدّاديّين، النجّاريّين، الفصاليّين، الحصاديّين، النقّاليّين، الكداسيّين، الدوّاسيّين، الذراويّين، القسّاميّين، الملّاكيّين، الفلّاحيّين، الشحانيّين، الشحّاذيّين، الفواديّين، الحمّاليّين، المكاريّين، البيّاعيّين، الشرائيّين، العمّاليّين، التجّاريّين، الحرازيّين، السيافيّين، العلاويّين، الدكّانيّين، الركاشيّين، الطحّانيّين، النخّاليّين، العجّانيّين، الخبّازيّين، الأكّاليّين، العشّائيّين، الغذّائيّين، البقّاليّين، العطاريّين، البزّازيّين، الحيّاكيّين ... وهكذا.

وقال أيضاً في البيان:

> سبحانك اللّهمّ أن لا إله إلّا إيّاك وإنّك أنت الكشف ذو الكشّافيّين. سبحانك اللّهمّ أن لا إله إلّا إيّاك وإنّك أنت العذب للعذابيّين. سبحانك اللّهمّ أن لا إله إلّا إيّاك وإنّك أنت الهلك ذو الهلاكين. سبحانك اللّهمّ أن لا إله إلّا إيّاك وإنّك أنت الجذب ذو الجذابين!

وكرّر قوله: «سبحانك اللّهمّ أن لا إله إلّا إيّاك وإنّك أنت» مع كلّ فقرة من

قوله: القصص ذو القصاصين، الصبب ذو الصبابين، الركب ذو الركابين، الخول ذو الخوالين، النفح ذو النفاحين، الولج ذو الولاجين، العزل ذو العزالين، الدرج ذو الدراجين، البيض ذو البياضين، النسي ذو النسائين، الزيغ ذو الزياغين، الخزي ذو الخزائين، الرجع ذو الرجاعين، العجل ذو العجالين، الكور ذو الكوارين، الزوج ذو الزواجين، الفرش ذو الفراشين، السرج ذو السراجين، الجمم ذو الجمامين!... وهكذا إلى أن قال:

سبحانك اللّهمّ لا إله إلّا إيّاك لك الأسماء الحسنى كلّهنّ، والأمثال العليا بما فيهنّ وعليهنّ، يسبّح لك من في السموات والأرض وما بينهما، ويسجد لك ما في ملكوت الأمر والخلق وما دونهما، إنّك أنت المهيمن القيّوم!

أقول: ولا غرو إذا اغترّ عوامّ العجم بهذه الهمهمة والدمدمة، وتوهّموا أنّها ترجع إلى طائل ومعنىً محصّل، فقبلوها وهم لا يشعرون!

ولكن ما بال بعض العرب ـ وهم يدّعون الفهم والأدب ـ قد انخدعوا لصاحب هذه الطامّات والخرافات والأغلاط المضحكة؟!!

وأعجب من هذا أنّه يدّعي بها الإعجاز وهم يؤمنون!

ولا عجب من الهوى وخداعه، سُنّةً في الذين خلوا أفلا تتفكّرون؟! أفلا تسمعون معارضتنا لِما لفّق من الغلط والإلحان، والكلام الذي يبكي على المعنى ويضحك ضحك المغبونين؟!

إنّا قلنا في معارضته إن كنتم سامعين: أيّها النقد ذو الوجهين، البارز بالثوبين القشيبين، الأبيض الناصع، والأصفر الفاقع، أنت الفتنة التي افتتن بها الناس وزعموا أنّهم لا يفتنون، أنت الذي خدعت أبناء الدنيا وأخذت بسمعهم وأبصارهم ومجامع قلوبهم، فشغفتهم حبّاً وملكتهم رغبةً وهم لا يشعرون، قد صرت لهم ديناً وشفيعاً وجيهاً وحكماً عدلاً وأميراً مطاعاً، فهم بغيرك لا يعبأون، ولغيرك لا يطلبون، ما شأنك لا يطلب أهل الطمع إلّا إيّاك كأنّك أنت الشافع للشافعين، ما شأنك لا يطلب أهل الطمع إلّا إيّاك كأنّك

أنت المالك للمالكين، ما شأنك لا يطلب أهل الطمع إلّا إيّاك كأنّك أنت النافع للنافعين!

وكرِّر قولنا: «ما شأنك لا يطلب أهل الطمع إلّا إيّاك كأنّك أنت» قبل كلّ فقرة من قولنا: التاجر للتاجرين، البائع للبائعين، الشاري للشارين، العامل للعاملين، الناقد للناقدين، السائد للسائدين.

وقس على ذلك في قولنا: العالم، العارف، الآمر، الناهي، الحاكم، العادل، الزاجر، الرادع، الحالّ، العاقد، الفاضل، الفائق، الفاتق، الراتق، الدافع، المانع، الباذل، الباخل، المانح، الماتح، الصارف، الزارع، الغارس، العامر، الحارس!

وإنّا قد جئنا ـ هاهنا ـ بهذا المقدار أُنموذجاً للمعارَضة، ولم نقل فيه ـ في غير المقابلة ـ كما قال مهمَلاً ولا شططاً!

ولو شئنا جئنا بمثله أضعافاً مضاعفةً متواليةً، لا تجد فيها إلحاناً ولا هذياناً ولا غلطاً! ذلك لتعلم أنّ الذين قالوا ما قالوا قد افتروا على الله كذباً، وصدّوا عن سبيله مَن أعجبته نفسه، فأقحموه من مداحض الجهل وعراً زلقاً!

وإنْ تعجب من جرأتهم على الحقّ فلا عجب! فكم زيّن الشيطان للناس من قبلهم سوء أعمالهم فاتّبعوا الهوى! وكم قال الذين كفروا: إنّهم آلهة فانحاز لهم ثلّة من الأوباش! ذلك بأنّهم أحبّوا أن ينهضوا من خمولهم ولو بضلالة الكفر سَفَهاً!!

فكيف ترى هؤلاء إذ كانوا عوامّاً جهّالاً، فخادعهم مَن يعطيهم مناصبَ الأنبياء وأُولي العِلم اسماً ولقباً؟!

واستزلّهم إذ جعل اضطراب أفكارهم في غمرات الجهل على الحقّ حكماً، واستحوذ عليهم بمغالطة التأويل، الذي لا يرضون به أمر معاشهم ومعاملاتهم وخطاباتهم، ويعدّون مَن يؤوِّل النصّ الصريح من كلامهم سفيهاً مجنوناً، أو ضالّاً محرّفاً ملعوناً مفتوناً!

فكيف رضوا بالتأويل الفاحش للنصّ الصريح في كلام الله وكلام رسوله وحججه بما لا يرضون به في كلام أطفالهم؟!

ألا ساء ما يحكمون! ولقد ظلموا بذلك أنفسهم، وما ربّك بغافل عمّا يعمل الظالمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

## الشبهة الخامسة: [امتناع العلماء عن مناظرته!؟]

ادّعى بعض البابيّة أنّ ميرزا عليّ محمّد دعا العلماء إلى مناظرته والنظر في أمره، فامتنعوا عن ملاقاته، وهذا كاشف عن قوّة حجّته.

أقول: أمّا أوّلاً: فإنّ هذه الدعوى كاذبة ـ كما سنبيّنه ـ ولو فرضنا صدقها لَما كان للعلماء داع لملاقاته، بعدما عرفوا دعاويه المتناقضة، الممتنع صدقها بحسب الحقيقة وبحسب اعترافاته، وبعدما عرفوا ما عنده من التشبّثات وبطلانها الواضح، وبعدما سمعوا كتابه الغلط السخيف.

فإنّ العلماء علموا من عليّ محمّد اعترافه بحقّ الإسلام والرسول والقرآن والأئمّة وما جاء عنهم.

وعلموا باعترافه بالمهديّ بن الحسن العسكري عليه السلام على ما ذكره رسول الله وأئمّة الهدى.

وعلموا دعواه المتضمّنة للاعتراف بأنّ كتابه الذي سمّاه أحسن القصص قد خرج إليه من محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وأنّ الله آتاه البيّنات من عند بقيّة الله المنتظر إمامنا.

ثمّ علموا ـ أيضاً ـ دعواه أنّه المهديّ، وأنّه نبيّ، وأنّه رسول مبعوث بكتاب وشريعة مضادّة لشريعة الإسلام من جميع الوجوه!

وإذا علموا ذلك كلّه، فقد اتّضح لديهم أنّ عليّ محمّد ـ بسبب اعترافاته ودعاويه ـ

---

١. الشعراء (٢٦): ٢٢٧.

صار هو الشاهد والحاكم على نفسه بالتناقض، والكذب، والكفر، والارتداد عن الدين، كما حكم بذلك الدين القيّم والشريعة الغرّاء!

وقد ذكرنا وبيّـنّا ذلك مفصّلاً في بيان الموانع.

وعلموا ـ أيضاً ـ أنّه يدّعي الإلهيّة والربوبيّة! مع أنّهم يعلمون حقّ اليقين ـ من محكمات المنقول، والبديهة، وبراهين الحكمة في المعقول ـ أنّ البشر الذي يدّعي الإلهيّة والربوبيّة هو بشر خسيس كافر كذّاب!

ثمّ إنّهم علموا أنّ حجّته على دعاويه منحصرة بكتابه الذي يدّعي أنّه معجز، ورأوا كتابه، فإذا هو عبارة عن إلحان وغلط وكلام مختلّ النظام في اللفظ والمعنى، ولم يجرِ حتّى على قواعد الأطفال في محاوراتهم!

فإذا علم العلماء تفصيلاً باعترافاته ودعاويه وحجّته والحكم البديهي في ذلك، فما الحاجة بعد هذا إلى ملاقاته ومناظرته؟!

نعم، غاية ما يستفاد من مشافهته هو: التسجيل على اعترافاته ودعاويه سماعاً زيادةً على العلم بها.

وأمّا ثانياً: فإنّ أحوال عليّ محمّد وأوقاته بعد إظهار دعوته معلومة مفصّلة في التواريخ المتعدّدة، وليست هملاً لدعاوي البابيّة، فأين ومتى أحجم العلماء عن ملاقاته ومناظرته؟!

وهاك حاصل ما اتّفق عليه المؤرّخون المطّلعون على أحواله، وهو:

أنّه لمّا هاجر إلى كربلاء اشتغل بالحضور في درس السيّد كاظم الرشتي، والتعلّم منه لطريقة الشيخ أحمد الأحسائي ومطالبه الجديدة مع جماعة من تلاميذ السيّد كاظم، منهم: الميرزا حسن گوهر[١]، والميرزا محيط الكرماني،

---

١. هو من علماء عصر الشيخ حسن بن الشيخ جعفر ـ صاحب كشف الغطاء ـ المتوفّى سنة ١٢٦٢ هـ، وكان بصحبته لمّا ذهب علماء النجف وكربلاء إلى بغداد لمناظرة «عليّ محمّد الباب» بطلب من الوالي العثماني نجيب باشا. راجع أعيان الشيعة ٥: ٢٣٣.

والحاجّ كريم خان الكرماني[1]، والملّا محمّد الممقاني[2]، فاطّلعوا في بعض كلماته على ما يخالف الطريقة الإسلاميّة، فوعظوه، وإذ لم يفد هجروه!

فأظهر الاجتهاد في العبادات الشرعيّة، والزهد والتقشّف ـ اللذَين هما مصيدة العوامّ ـ فكان اجتهاده بعبادات الشرع الشريف مصداق قول الشاعر:

كالسهمِ رامِيهِ يُـقَـرِّبُـهُ ولأجلِ بُعْدٍ ذلكَ القُرْبُ

فاستمال بسبب ذلك أنفاراً من ضعفاء العوامّ، وإذا اطمأنّ من أحدهم يقول له: «ادخلوا البيوت من أبوابها»؛ فاستجلب لنفسه أنفاراً، متدرّجاً في استجلابهم بالدعوة، متستّراً بالاختفاء، حتّى رجع إلى بوشهر سنة الألف ومائتين وستّين.

ووجّه دعاته إلى شيراز، فابتدؤوا بالدعوة عالِمَها المقدَّم الشيخ أبا تراب[3]، فلمّا اطّلع في الدعوة على ادّعاء الوحي وتبديل الدين والشريعة اضطرب وجمع باقي العلماء، واستقرّ رأيهم أن يخبروا بذلك الوالي، وهو نظام الدولة حسين خان التبريزي المراغي.

فاستحضر الوالي الدعاة واستنطقهم بمحضر العلماء، فأخبروه بما عندهم من الدعوة، فاستفتى العلماء في شأنهم، فحكموا بكفرهم، فأمر بقطع العصب الكعبري من كعابهم، وألقاهم في السجن.

وكان المحضر المذكور ثاني شعبان سنة ألف ومائتين وإحدى وستّين.

ثمّ في السادس عشر من الشهر المذكور استحضر عليّ محمّد من بوشهر إلى شيراز، فورد شيراز في التاسع عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة.

---

١. هو محمّد كريم بن إبراهيم الكرماني الشيخي، المتوفّى سنة ١٢٨٨هـ، متكلّم، محدّث، مشارك في بعض العلوم، من تصانيفه: علم اليقين في الردّ على البابيّة الملحدين، إرشاد العوامّ في العقائد، وفصل الخطاب في الحديث. راجع معجم المؤلّفين ٣: ٦٠٨، الرقم ١٥٣٤٣.

٢. هو المولى محمّد المامقاني الشيخي، توفّي سنة ١٣١١ هـ، ودُفن بمقبرة وادي السلام في النجف الأشرف. راجع أعيان الشيعة ١٠: ٢٤٥.

٣. أبو تراب الشيرازي، إمام الجمعة في شيراز، كان من أجلّة علمائها، وأعظم فقهائها، رئيساً مطاعاً نافذ الحكم، توفّي سنة ١٢٧٢هـ، وقبره بمقبرة يقال لها: شاه داعي الله. راجع أعيان الشيعة ٢: ٣١٠.

وكان الوالي مدبّراً داهيةً، فأراد أن يستكشف جميع ما عنده من الخبايا والعزائم، فاستحضره ذات ليلة وبالغ في إكرامه والتواضع له، وأظهر الندم على ما فعله بدعاته، وأنّه مستعدّ لبذل النفس والنفيس في نصرته، وتباكى في إظهار التوبة.

فانخدع عليّ محمّد وأخذ يسكّن روع الوالي ويسأله عن سبب الغلظة مع دعاته، فقال الوالي ما تعريبه: أيّها المولى! إنّي إلى الأمس أشدّ الناس بغضاً لك، وكنت مفكّراً في كيفيّة قتلك وتعذيبك، فنمتُ ورأيتك في المنام حضرتَ إلى مضجعي وغمزتني برجلك وخاطبتني بقولك: يا حسين! إنّي أرى نور الإيمان يلوح من جبهتك؛ فاستيقظت من النوم.

فتهلّل وجه علي محمّد فرحاً وقال: طوبى لك، إنّ الذي رأيته لم يكن في المنام، بل كان يقظةً، وإنّي بنفسي حضرت إلى مضجعك وخاطبتك بما سمعت!

فازداد يقين الوالي بكذب الرجل وتعمّده في الضلال والافتراء، ولكنّه أراد أن يعرف جميع ما عنده، فقام وقبّل يديه وقال متضرّعاً: أيّها المولى! إنّ جميع الجنود النظاميّة والمتطوّعة في هذه الإيالة[١] تحت إمرتي، وخزائني مملوءة من الأموال، وكلّها طوع أمرك.

فقال له عليّ محمّد: طوبى لك، وإنّي أعدك بأنّي سأجعلك سلطاناً للروم بعد أن أملك الدنيا بأسرها!

ثمّ إنّ الوالي أقنع عليّ محمّد بأن يجمع له العلماء في محفل ليدعوهم إلى أمره بدون مبالاة، ولا إخفاء لشيء من الدعوة، ويقيم عليهم الحجّة.

فجمع له العلماء، وخرج إليهم عليّ محمّد بجَنان ثابت مطمئنّاً بنصرة الوالي، وقال ما ترجمته: أما آن لكم أيّها العلماء، أن تتركوا الهوى والضلال، وتتّبعوا الهدى وتذعنوا لأوامري، إنّ نبيّكم لم يخلّف بعده إلّا القرآن، فهاكم كتابي البيان، فاقرؤوه تجدوه

١. أي البلد أو الولاية أو المقاطعة.

أفصح عبارة من القرآن، وأحكامه ناسخة للقرآن، فاسمعوا ونجّوا أنفسكم وأطفالكم قبل أن يوضع السيف فيكم!

فقام الوالي والتمس من عليّ محمّد أن يقيم عليهم الحجّة، ويكتب دعوته ودعاويه في صحيفة ويعرضها عليهم؛ فكتب أسطراً بالعربيّة، فلمّا قرأها العلماء صاروا يعدّدون غلطه فيها، من حيث الإلحان والتصريف والتركيب، وهو يحاول إقناعهم بأنّه لم يتعلّم العربيّة!

ثمّ بيّنوا مخالفة دعاويه لدين الإسلام وشريعته، وأوضحوا كفره بمقتضى ما ادّعاه وكَتَبه بخطّ يده.

وحينئذٍ تمّ للوالي ما كان يرومه، فالتفت إليه وقال: أيّها الجاهل الضالّ! ما هذه الضلالة السيّئة [التي] أحدثتها في الإسلام؟! وكيف تدّعي الرسالة والنبوّة والمهدويّة، وترجّح نفسك على خاتم النبيّين مع أنّك تحصر حجّتك بإعجاز كلامك في كتابك، وتدّعي أنّه أبلغ وأفصح من القرآن، وها أنت تعجز أن تتكلّم بالعربيّة الصحيحة كلاماً عاديّاً؟!

ثمّ أمر الوالي فجرّوه من المجلس، وتفرّق العلماء، ثمّ قدّمه للضرب، فضربوه بالخشب إلى أن استجار بالتوبة والاستغفار من دعاويه، فأمر الوالي بكفّ الضرب عنه، وأن يُحمل على دابّة إلى المسجد الأعظم بشيراز المسمّى «مسجد نو» ليتوب على يد العلماء.

فجيء به إلى المسجد وهو غاصّ بالعلماء والأعيان، فجعل يقبّل يدي العالم الشيخ أبي تراب، ويكرّر الاستغفار والتوبة، فأمروه أن يصعد المنبر ويعلن بالتوبة وبطلان دعاويه، ففعل ما أرادوا، ثمّ أُرجع إلى السجن.

فلم يجرِ له مع العلماء في شيراز إلّا بيان دعاويه واحتجاجه بكتابه، واعتذاره من كثرة الغلط بجهله بالعربيّة، ومكث في السجن ستّة أشهر.

ثمّ سرى الوباء إلى إيران من البلاد الهنديّة والأفغانيّة، فخرج أهل شيراز والوالي والأعيان من البلد، فأُخذ عليّ محمّد منها إلى أصفهان، وكان واليها منوچهر خان الگرجي، الجديد الإسلام، فمال إلى عليّ محمّد، إمّا افتتاناً به، أو لأنّه وجده وسيلةً

لشقّ العصا في دين الإسلام وسياسة إيران، حيث إنّه أُخذ أسيراً من الكُـرْج، فدخل الإسلام كرهاً، فهو لا يزال ينظر إلى الإسلام وسياسة إيران بعين الحقد وإن نال فيهما المراتب.

ومن ذلك: أنّه أطلق السراح ـ في أصفهان ـ لدعاة عليّ محمّد في بثّ الدعـوة، وكان هذا الوالي يظهر لعلماء أصفهان شديد التألّم والتأسّف من دعوة عـليّ مـحمّد، وداهنهم بأنّه يجمعهم معه ليباحثوه، ويطّلعوا على ما عنده، فإن وجدوه مستحقّ القتل، فليكتبوا فتواهم بذلك، ليتمكّن في قانون السياسة من قتله.

وصار الوالي يماطلهم في ذلك، فألحّوا عليه، فجمع العلماء في محفل كبير وأحضر عليّ محمّد معهم، وكان من جملة العلماء الآقا محمّد مهديّ الكلباسي[١]، ومن مشاهير الحكماء الميرزا محمّد حسن النوري.

فقال الآقا مهديّ لعليّ محمّد: إنّ المسلمين عـلى قسـمين، قسـم يسـتخرجـون الأحكام الشرعيّة من الكتاب والسُـنّة، وهم المجتهدون، وقسم لا يـتمكّن مـن ذلك، فيتعلّم أحكامه من القسم الأوّل، فهؤلاء المقلِّدون؛ فمن أيّ القسمين أنت؟!

فقال عليّ محمّد: ما قلّدت أحداً قطّ، وأُحرّم العمل بالظنّ.

فقال الآقا مهديّ: إذاً فبماذا تعمل وأنت لم تواجه المعصوم فتأخذ عنه الأحكـام الشرعيّة شفاهاً؟!

فاغتاظ عليّ محمّد وتجرّأ على الآقا مهديّ اطمئناناً بوفاق الوالي له سرّاً، وقال له: أنت متعلّم في المنقول، ومقامك مقام طفل مبتدئ بأبجد هوّز، وأمّا أنا فمقامي مقام الذِكر والفؤاد.

فابتدر الميرزا محمّد حسن النوري وقال لعليّ محمّد: إنْ كنتَ فررتَ فـي مسألة الرجل إلى اصطلاحات الحكماء فلا تَحِدْ عنها، فإنّ الحكماء جـعلوا للـذِكر والفـؤاد مقاماً، من يصل إليه لم يجهل في الكون شيئاً.

---

١. هو الشيخ محمّد مهديّ بن محمّد إبراهيم الكلباسي الأصفهاني، المـتوفّى سـنة ١٢٩٢هـ، له مـؤلّفات عـديدة، راجع أعيان الشيعة ١٠: ٦٤.

فقال عليّ محمّد: نعم، أنا كذلك.

فقال الميرزا النوري: إذاً فبيّن لنا معنى الخبر الوارد في أنّ الزمان يسرع سيره في عهد السلطان الجائر، ويبطئ سيره في عهد إمام الهدى؛ وقد اجتمع أئمّة الهدى مع سلاطين الجور من بني أُميّة وبني العبّاس في عصور متّحدة، فهل كان للزمان سيران متضادّان، سريع وبطيء؟! وكيف يعقل ذلك؟!

وأيضاً: إنّا نعدّ ـ جميعاً ـ في كرامات الأولياء طيّ الأرض لهم، فكيف يكون؟ أبدخول بعض الأرض في بعض؟ بحيث تكون الألف فرسخ بمسافة ثلاثة أذرع مثلاً، وهذا يؤدّي إلى فناء البلدان وأصناف الحيوان والشجر التي تقع في أثناء المسافة المتداخلة، مع أنّه لم يُسمع ولم يُذكر وقوع هذا أصلاً.

أو يكون الطيّ بمعنى لفّ الأرض بعضها على بعض كما يطوى الثوب والفراش؟ وهذا أيضاً لم يشاهده أحد، ولم يُذكر.

أو يكون طيّ الأرض بمعنى طيران الوليّ وقطعه المسافة البعيدة بسرعة طيرانه؟ وهذا خلاف المنقول من أنّ سير الوليّ في طيّ الأرض بالخطوات، وكيف يطبّق على المعقول؟

فقال عليّ محمّد: تريد الجواب باللسان أو بالكتابة؟

فقال الميرزا محمّد حسن: ذاك إليك.

فأخذ قرطاساً وأطال الكتابة إلى أن اقتضت الدسيسة حضور الغذاء والأكل، فرمىالقرطاس من يده إلى جنب المائدة وشرعوا في الأكل.

فتناول الميرزا محمّد حسن ذلك القرطاس بين الخفية والعلن، فلم ير فيه إلّا خطبةً طويلةً مشتملةً على البسملة والحمدلة والصلاة والمناجاة، خاليةً من التعرّض للمسائل ولو بكلمة واحدة!

وبعد الأكل لم يعد عليّ محمّد إلى الكتابة، فأفتى العلماء بقتله بحسب ما رأوه من دعاويه في غير هذا المجلس؛ ولكنّ الوالي اعتذر بأنّه لا يسعه قتله ما لم يراجع

طهران، وفي الظاهر كبّله بالحديد وأرسله إلى السجن، وفي الباطن استحضره في تلك الليلة إلى داره وأسكنه غرفةً منها معزّزاً مكرّماً.

وكتب قصّته إلى طهران حسب ما يشتهيه من تسهيلها وذيّلها ببيان رأيه، وهو أنّ قتله لعليّ محمّد يوجب ثورةً عظيمةً تضرّ بالسياسة، فالصواب هو حبسه إلى أن تسكن الفورة.

فجاء الأمر من طهران بحبسه، فتركه الوالي في غرفته موسّعاً عليه، يكتب الرسائل ويرسل الدعاة، وكتب في أثناء ذلك كتابه الذي سمّاه النبوّة الخاصّة وبقي على ذلك سنةً وأشهراً حتّى مات الوالي فجأةً، وتولّى ولاية أصفهان أخوه گرگين خان، فلم يترجّح في فكره موافقة عليّ محمّد، فكتب إلى طهران يخبرهم بأمره ليتبرّأ من عاقبة الفتنة، فاستصوبت الحكومة إرسال عليّ محمّد إلى قلعة «چهريق» في مدينة «ماكو» من أعمال أذربايجان.

فحاصل الأمر: أنّه لم تجر من عليّ محمّد في أصفهان مع العلماء مباحثة واحتجاج لدعاويه في المهدويّة والنبوّة والرسالة والوحي بالكتاب، بل إنّه لمّا عرف من سؤال الآقا مهديّ أنّه يوصِل إلى هذا المقام، عدل في الجواب إلى طريقة المتصوّفة الراجعة إلى المكاشفة والوصول، وأنّه الذِكر والفؤاد، حياداً عن الالتزام بالبراهين العقليّة، وتشبّثاً بمجازفات دعاوي المتصوّفة للمكاشفة؛ إذ رأى لها رواجاً ولا سيّما في إيران، ورأى خيبةَ مسعاه وظهورَ سخافته وغلطه لمّا التزم بطريقة البرهان في محفل شيراز، ولكن لم يدرِ أنّ الميرزا محمّد حسن يأخذ بنَفَسِه.

ثمّ إنّ محمّد شاه أمر وليَّ عهده في تبريز ـ وهو ولده ناصر الدين شاه ـ أن يعقد محفلاً يجمع فيه العلماء والأعيان والأُمراء، ويُحضِر عليّ محمّد من سجنه، ويُطلِق له الحرّيّة في التقرير والتحرير، ليناظره العلماء ويفتوا في شأنه.

فانعقد المحفل، وممّن كان فيه: الملّا محمّد الممقاني، رئيس علماء الشيخيّة وشريك عليّ محمّد في درس السيّد كاظم الرشتي، ومنهم: الملّا محمود نظام العلماء،

وهو الذي تولّى مكالمة عليّ محمّد، فقال له: هذه الكتب التي هي على نسق الآيات القرآنيّة ـ وأراه إيّاها ـ هل هي من مقالاتك أو هي مفتراة عليك؟

فقال: نعم، هذه الكتب من الله.

فقال النظام: دعنا من التعمية، وخاطبنا بالصراحة.

فقال: نعم، هذه الكتب من مقالاتي.

فقال النظام: يُفهَم منها أنّك تدّعي أنّها من الوحي، وأنّ كلامك كلام الله؟

قال: نعم.

قال النظام: تسميتك بالباب منك أم من الناس؟

فقال: هي من الله، وأنا باب العلم.

فقال النظام: إنّ رسول الله قال: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»[1]، فكان أميرالمؤمنين يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني»[2]، وإنّ عندي مسائل غامضة أُريد منك حلّها، منها في علم الطبّ.

فقال: إنّي لم أتعلّم علم الطبّ!

فقال النظام: أسألك من علم الدين، ومن شروط هذا العلم فَهْم معاني الآيات والأحاديث، وهو موقوف على علم النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق، وغير ذلك من العلوم، فأسألك الآن عنها مبتدئاً بعلم الصرف.

فقال: إنّ الصرف تعلّمته في الطفوليّة، والآن لا يخطر ببالي!

---

١. مرّ تخريجه في ص ١٢٨.

٢. ورد هذا القول عن أمير المؤمنين الإمام عليّ ﷺ بألفاظ مختلفة، فانظر مثلاً: نهج البلاغة: ٣٧٥ ذيل الخطبة ١٨٩؛ أنساب الأشراف ٢: ٣٥١؛ الاستيعاب ٣: ١١٠٣ و ١١٠٧؛ مناقب الإمام عليّ ﷺ ـ للخوارزمي ـ: ٩٠ ـ ٩١، ح ٨٣ و ٨٥، وص ٩٤، ح ٩٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١٣٦، وج ١٢: ١٩٧؛ الطبقات الكبرى ٢: ٢٥٧؛ الرياض النضرة ٣: ١٦٦ و ١٦٧؛ ذخائر العقبى: ١٥٠ و ١٥١؛ تأريخ دمشق ٤٢: ٣٩٧ ـ ٤٠٠؛ أُسد الغابة ٣: ٥٩٧؛ مختصر تأريخ دمشق ١٨: ٢٣؛ فرائد السمطين ١: ٣٤٠ ـ ٣٤١، ح ٢٦٣؛ الخلفاء الراشدون: ٣٨٨؛ تأريخ الخلفاء: ٢٠٣؛ ينابيع المودّة ١: ٢٠٨، ح ٩، وص ٢١٣، ح ١٧، وص ٢١٤، ح ٢٣.

فقال النظام: فسّر لنا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[١]، وبيّن لنا تركيبها، وبيّن لنا سبب النزول لسورة الكوثر ووجه تسلية النبيّ بها؟!

فتفكّر واستمهل في الجواب!

فسأله النظام عن معنى كلام الرضا عليه السلام لمّا قال له المأمون: ما الدليل على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال الرضا عليه السلام: نصّ آية ﴿أَنفُسَنَا﴾[٢].

فقال المأمون: لولا ﴿نِسَآءَنَا﴾. فقال الرضا عليه السلام: «لولا ﴿أَبْنَآءَنَا﴾»[٣].

فقال عليّ محمّد: هذا ليس بحديث.

فقال النظام: أليس بكلام من كلام العرب؟! ففسّر لنا معناه!

فاستمهل في الجواب!

فسأله النظام عن معنى قول العلّامة الحلّي[٤]: إذا دخل الرجل على الخنثى، والخنثى على الأُنثى، وجب الغسل على الخنثى دون الرجل والأُنثى[٥].

---

١. الرعد (١٣): ١٢.

٢. إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ سورة آل عمران ٣: ٦١.

٣. راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢١٠، الباب ٢٣، ح ١.

٤. هو العلّامة على الإطلاق، أبو منصور الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهّر الحلّي، أشهر من أن يعرَّف أو يترجَم، وُلد في مدينة الحلّة السيفيّة في العراق سنة ٦٤٨هـ، وتوفّي سنة ٧٢٦هـ فحُمل جثمانه إلى النجف الأشرف فدُفن في جوار أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

شيوخه وتلامذته من كبار علماء الطائفة الحقّة، له مؤلّفات كثيرة في الفقه والأُصول والكلام والعقائد والحديث والرجال، وغيرها من العلوم، منها: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة؛ الأربعين في أُصول الدين؛ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد؛ نهج الحقّ وكشف الصدق؛ كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام؛ الألفين الفارق بين الصدق والمين؛ واجب الاعتقاد على جميع العباد؛ نهاية المرام في علم الكلام؛ تذكرة الفقهاء؛ مختلف الشيعة إلى أحكام الشريعة؛ منتهى المطلب في تحقيق المذهب؛ إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان.

انظر في ترجمته مثلاً: الكنى والألقاب ٢: ٤٧٧ «الحلّي»؛ أعيان الشيعة ٥: ٣٩٦؛ لسان الميزان ٢: ٣١٧، الرقم ١٢٩٥؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٢٧.

٥. انظر مضمون المسألة في تذكرة الفقهاء ١: ٢٢٧ ـ ٢٢٨ فرع (ز)، و منتهى المطلب ٢: ١٨٧.

فسكت!

فقال له النظام: إنّك تزعم أنّ كتابك مبنيٌّ على الفصاحة والبلاغة، فبيّن لنا النسبة بينهما [١]، وبيّن لنا الوجه في كون الشكل الأوّل بديهي الإنتاج [٢].

فلم يجب!

فقال النظام: أسألك سؤالاً لا أسألك غيره، وهو: أنّ العادة المتّبعة عند العقل والعقلاء أنّ كلّ من ادّعى النبوّة والرسالة والوحي قد أتى في حجّته بشيء خارق للعادة، يعجز مَن دعاهم عن مثله، وأنت في كتابك تدّعي النبوّة والرسالة، وإنّا نسألك هل عندك شيء من المعجزات يكون لك به الحجّة على الناس؟!

فقال: سل ما تريد.

فقال النظام: إنّ الشاه مبتلىً بمرض النقرس، وقد عجز الأطبّاء عنه، وإنّا نطلب منك شفاءه.

فقال: هذا غير ممكن.

---

١. الفصاحة في الكلام تنبئ عن الظهور والإبانة، والبلاغة تنبئ عن الوصول والانتهاء، فالفصاحة جزء البلاغة، فهي جزء من كلّ، فكلّ كلام بليغ فصيح وليس العكس. انظر شرح مختصر المعاني: ١٢ وما بعدها.

٢. الشكل الأوّل من الأشكال الأربعة ـ من مباحث الاستدلال ـ هو ما كان الأوسط فيه محمولاً في الصغرى موضوعاً في الكبرى، ولهذا الشكل شرطان: إيجاب الصغرى، وكلّيّة الكبرى؛ وله ضروب أربعة بيّنة الإنتاج، هي كالآتي مع أمثلتها:

١ ـ من موجبتين كلّيّتين، ينتج موجبة كلّيّة: كلّ خمر مسكر، وكلّ مسكر حرام؛ إذاً كلّ خمر حرام.

٢ ـ من موجبة كلّيّة وسالبة كلّيّة، ينتج سالبة كلّيّة: كلّ خمر مسكر، ولا شيء من المسكر نافع؛ إذاً لا شيء من الخمر بنافع.

٣ ـ من موجبة جزئيّة وموجبة كلّيّة، ينتج موجبة جزئيّة: بعض السائلين فقراء، وكلّ فقير يستحقّ الصدقة؛ إذاً بعض السائلين يستحقّ الصدقة.

٤ ـ من موجبة جزئيّة وسالبة كلّيّة، ينتج سالبة جزئيّة: بعض السائلين أغنياء، ولا غنيّ يستحقّ الصدقة؛ إذاً بعض السائلين لا يستحقّ الصدقة.

انظر المنطق: ٢١٤ ـ ٢١٧.

فنادى النظام مخاطباً للجمهور، ومشيراً بيده إلى عليّ محمّد، وقال: إنّ هذا الرجل فارغ الجِراب[1] من كلّ معقول ومنقول.

فغضب عليّ محمّد، وقال: ما هذا الكلام أيّها النظام؟! وأنا ذلك الرجل الذي تنتظرونه منذ ألف عام!

فقال له النظام: أأنت المهديّ النوعي أو الشخصي؟! يعني ابن الحسن العسكري عليه السلام.

فقال: أنا عين ذلك المهديّ الشخصي!

فقال له النظام: ما اسمك؟ وما اسم أبويك؟ وأين مسقط رأسك؟

فقال: اسمي عليّ محمّد، واسم أبي الميرزا رضا، واسم أُمّي خديجة، ومسقط رأسي شيراز.

فقال له النظام: إنّ المهديّ عندنا ـ حسبما عرّفه أهل بيت العصمة ـ هو محمّد بن الحسن العسكري، واسم أُمّه نرجس، ومسقط رأسه سرّ من رأى؛ فكيف ينطبق ذلك عليك؟!

فقال: إنّي أُريكم معجزة يتحقّق بها صدق دعواي.

فقالوا: هات ما عندك.

فقال: إنّي أكتب في اليوم الواحد ألف بيت[2].

فقالوا: إنْ صدقت في قولك فإنّ كثيراً من الكُتّاب يشاركونك في القدرة على هذا المقدار!

ثمّ إنّ الملّا محمّد الممقاني سأل عليّ محمّد، وقال له: إنّا قرأنا في كتابك، الذي جعلته بمنزلة القرآن، قولك: «أوّل من سجد لي محمّد وعليّ»، أتعني بذلك أنّ مقامك أسمى من مقام محمّد وعليّ؟!

فقلق عليّ محمّد من هذا السؤال وأطرق.

---

١. الجِراب: الوِعاء، وقيل: هو المِزْوَد، وقيل: هو وعاء من إهاب الشاء لا يُوعى فيه إلّا يابس؛ والجمع: أَجْرِبة وجُرُب وجُرْب. انظر لسان العرب ١: ٢٦١، «ج ر ب».

٢. البيت عند الكُتّاب خمسون حرفاً. (منه رحمه الله).

ثمّ سأله الملّا عبد الكريم الملّا باشي، وقال له: إنّ الله يقول في القرآن الكريم: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[1]، وأنت تقول في كتابك: «ثُلُثه».

فبادر في الجواب وقال: إنّ الثلث نصف الخمس!

فضحك القوم؛ وقال له الملّا محمّد الممقاني: فرضنا وسلّمنا أنّ الثلث نصف الخمس، فكيف خالفت القرآن؟!

فسكت!

فالتفت إليه السيّد محمّد جعفر، الملقّب بالأمير، وقال له: بيّن لنا كيفيّة رفع المسيح إلى السماء؟ هل كان بدون أن يموت ويقتل كما يقول القرآن والمسلمون؟ أو كان بعد القتل والدفن كما يقول النصارى؟ وهل كان ذلك الرفع ببدنه العنصري الناسوتي؟ أم كيف؟

فقال: بيان هذا يحتاج إلى مجال أوسع من هذا!

ثمّ إنّ عليّ محمّد خاطب القوم، وقال: ألم تعلموا أنّي أخطب خطباً طويلةً فصيحةً بالبداهة والارتجال؟!

فشرع يخطب بالعربيّة، وقال: الحمد لله الذي رفع السماواتَ والأرضِ ـ بفتح التاء وكسر الضاد؛ وكلاهما غلط ـ!

فحينئذٍ قال وليّ العهد: اسكت اسكت! وصار يقرأ قول ابن مالك في النحو:

وما بـتا وألِـفٍ قَـدْ جُـمِعا ... يُكْسَرُ في الجَرِّ وفي النَصبِ مَعا[2]

ثمّ قال له: ما هذا الضلال والإضلال؟! وما هذه الترّهات؟! ألم تسمع من أهل بيت العصمة بأنّ المهديّ يخرج بالكرامات الباهرات، ويحمي دين جدّه وشريعته، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً؟! ولا يكون المهديّ لا يعرف الكلام الصحيح، ويضربه والي شيراز، ويودع أعماق السجون!

---

١. الأنفال (٨): ٤١.

٢. شرح ابن عقيل ١: ٦١، الرقم ٤١.

ثمّ التفت وليّ العهد واستفتى الفقهاء في شأنه، فرأوا كفره، وأفتوا بقتله.

وأمّا الأعيان فحكموا عليه بالجنون والبلادة، وأنّه يلزم تعزيره وتقييده.

فترجّح رأي الأعيان عند وليّ العهد، فأمر الحجّاب بأن يطرحوه في الأرض، وصاروا يضربونه وهو يستغيث حتّى تاب، وعاهد بالعهود المغلّظة على أن لا يرجع إلى مدّعياته، ثمّ ردّوه إلى محبسه في قلعة چهريق.

ولمّا توفّي محمّد شاه وجلس على سرير الملك ولده ناصر الدين شاه، وانتشر الفساد من البابيّة بالقتال والغارات، جاء الصدر الأعظم الميرزا تقيّ خان أمير أتابك إلى الشاه، وقال له: إنّه لا وسيلة لخلاص البلاد والعباد من هذا الفساد إلّا بإعدام عليّ محمّد.

فصوّب الشاه رأيه، وقال: أيّها الوزير، إنّ وزير أبي قد أخطأ بحبس عليّ محمّد في چهريق، وحجبه عن الناس، حتّى تصوّر في مخيّلة العوامّ أنّه رجل كبير من الخواصّ، وكنز مخفيّ في السجن، فأحدثت لهم مخيّلتُهم مَيلاً عظيماً إليه، فانبعث هذا الفساد؛ بل كان الرأي أن يجلبه إلى طهران، ويأذن للناس بأن يكلّموه ويباحثوه ويسألوه، ليطّلعوا على ما عنده من السخافة والهذيان، وحينئذٍ يشتهر بالسخافة والبلادة، ويبقى كأفراد الصعاليك[1].

فقال الوزير: الحال كما أمر الملك، ولكن نفذ سهم القضاء، ولا بُدّ لنا اليوم من إخماد نار الفتن بإعدام عليّ محمّد.

فكتب الشاه بإعدامه إلى الشاهزاده عمّه حشمة الدولة والي تبريز، فطلب الوالي علماء تبريز للاجتماع والمشورة في أمر عليّ محمّد.

فقالوا: إنّكم رأيتم الرجل واطّلعتم على حاله، وقد ناظرناه واطّلعنا على حاله وحجّته ودعوته إلى ما هو كفر في الحقيقة، فإن كان باقياً على ذلك فجزاؤه الإعدام، وإن تاب وندم فليكتب بذلك سجلاً حتّى ننظر في حكم الله في أمره بحسب الشرع الشريف.

---

١. الصُعْلُوك: الفقير الذي لا مال له. لسان العرب ١٠: ٤٥٥، «ص ع ل ك».

فعقد الوالي مجلساً من الأعيان ودعا عليّ محمّد، فناظره الحاجّ ميرزا مسعود ـ وكيل الوزارة الخارجيّة ـ في بعض الأحاديث النبويّة، فلم يحسن عليّ محمّد جوابه!

فقال الوالي له: سمعنا أنّك تدّعي نزول الوحي عليك، وأنّك تأتي بكتاب كالقرآن، فإن كنت صادقاً فادعُ الله أن ينزل عليك وحياً في شأن هذا المصباح البلّوري الذي أمامنا.

فأخذ عليّ محمّد يتلو آياتٍ ملفّقة من سورة النور وسورة الملك من القرآن الكريم!

فقال له الوالي: هذا نزل عليك بالوحي الجديد؟!

فقال: نعم.

فقال له الوالي: أليس الوحي لا يُمحى من خاطر الموحى إليه؟!

قال: بلى.

وكان الوالي كتب ما تلاه عليّ محمّد، فشاغله بالكلام مدّةً، ثمّ طلب منه إعادة ما تلاه أوّلاً، فتشوّش عليّ محمّد في تلاوته، وغيّر وبدّل، وقدّم وأخّر، وزاد ونقص!

فكفّوا عن الكلام، وصمّموا على إعدامه، وقُضي الأمر.

## الشبهة السادسة: [صرف بلاء مَن كتب إليهم]

إنّ حسين عليّ قد كاتب الملوك، ودعاهم إلى الإيمان به وقبول دعوته، فلم تصبه منهم صدمة ولا نكبة، وهذا يدلّ على أنّ علاقته بالحقّ قد صرفت عنه صدماتهم.

أقول أوّلاً: إنّ مكاتبته للملوك ودعوته لهم لم تُسمع إلّا منه، حيث كتب ذلك في كتبه، ومنها كتابه الذي سمّاه أقدس، فادّعى فيه أنّه كاتَبَ ودعا الملوك: آل عثمان، والفرانسة، والألمان، والنمسا، ورؤساء الجمهوريّة في أمريكا، وعموم الملوك.

وإنّ كتابه أقدس ممّا التزموا فيه بالإخفاء والكتمان كسائر كتبه، فإنّ أصحابنا لم يطّلعوا عليه إلّا بعد الجدّ التامّ في تحصيله، بل لم يُنَلْ إلّا بتوسّط مَن أظهر لهم المَيل إلى البهائيّة، حتّى طمعوا فيه واطمأنّوا إليه، فأطلعوه على السرّ المكتوم!

ومن شواهد ذلك أنّي الآن أطلب منكم كتبكم لأشتريها بأعلى الثمن فلا تحصل لي، فليس خطابه ودعوته للملوك ـ في هذا الحال ـ إلّا نحو خطابِ الذي يجلس في بيته ويتكلّم بما شاء سرّاً.

وثانياً: لو فرضنا أنّ خطابه وصل إلى الملوك في حال حياته، لَما كان هناك ما يقتضي أن يقصدوه بالصدمة؛ لأنّه لم يتعرّض لسيادتهم وسياستهم، بل صرّح في خطابه للملوك في كتاب أقدس بقوله: «تالله لا نريد أن نتصرّف في ممالككم»!

وإنّ الملوك من شدّة عنايتهم بأمر التمدّن والإصلاح، قد حرّروا الأفكار في هذا الموضوع، وأطلقوا السراح لكلّ متكلّم فيه، سواء خاطب العموم أو الخصوص، وسواء جاء بسمة الفيلاسوف أو النبيّ، خصوصاً بعدما شاع الاصطلاح بأنّ النبوّة عبارة عن التكلّم بالحقيقة النافعة وما فيه إصلاح العالَم ونظام التمدّن! فلا مضايقة على مدّعيها إذا تكلّم في هذا الموضوع.

وإنْ تكلّم واحدٌ في دعوة التمدّن والحضارة وأساء القول بالموعظة والتوبيخ، اعتبرته الدول المتمدّنة مجرماً مع السياسة في نصرة المدنيّة، وقد ألقى التمدّن عليهم عهدة حمايته!

وهذا محمّد طاهر الحكّاك الخراساني يدّعي النبوّة، ويجاهر بالدعوة، ويرسل المكاتيب علناً للملوك بالدعوة والنصيحة وبيان ما فيه صلاح البشر، ولم يتعرّض له أحد، حتّى أنّه كاتَبَ السلطان عبد الحميد من إيران وبتوسّط متصرّف كربلاء!

وإنّك لَترى في رعايا الملوك مَن هو ملحد يكتب الكتب في إلحاده والدعوة إليه، ومَن هو عابد وثن، ومَن يدّعي الإلهيّة، والملوك لا يتعرّضون لدعوتهم ونحلتهم ما لم تخلّ بالمدنيّة والسياسة، مع أنّ لسان الحال والمقال من كلّ مدّعٍ هو أنّه يدعو جميع الناس إلى نحلته.

ألا ترى إلى عائلة آقا خان في الهند، يدّعون الربوبيّة والحلول، ولهم قوانين وضرائب، وقد تبعهم على ذلك ملايين في سنين متطاولة، ويبذلون لهم الأموال الطائلة

والطاعة العمياء، ويخضعون لأوامرهم ونواهيهم، فلم تتعرّض الدولة الإنكليزيّة لا للتابع ولا للمتبوع!

وهذا أحمد القادياني في الهند، يدّعي الدعاوي، وتُنظّم إليه الأتباع، ويطبع كتبه، فلم تتعرّض له الدولة!

## الشبهة السابعة: [إتيانه بمعجزة الكتابة!؟]

هي أنّ عليّ محمّد كان يقدر أن يكتب في اليوم ألف بيت[1]، تكون نحو ثلاثة عشر ألف كلمة، وهذا أمر يعجز عنه غيره، فهو بإعجازه حجّة على صدقه في دعاويه، كما احتجّ هو بذلك في البيان، وفي مجلس تبريز.

فأقول أوّلاً: إنْ أراد من ذلك قدرته على الكلام المكتوب فلا يخفى أنّ غالب الناس، حتّى من الأطفال، يقدر في اليوم على هذا المقدار وأكثر، خصوصاً مثل قوله: «إنّا جعلناك جرداناً جريداً للجاردين.. برهاناً بريهاً للبارهين».

ونحو قوله: «قل كلّ ليقولنّ إنّه لا إله إلّا هو الذي آمنت به كلّ العتاقيّين... الرتاحيّين... المقاتيّين... اللهاميّين».

ومثل قوله:

سبحانك اللّهمّ لا إله إلّا إيّاك وأنت العذب ذي العذابين... الخول ذي الخوالين... الخزي ذي الخزائين... العجل ذي العجالين... الفرش ذي الفراشين.

على التكرار الذي ذكرنا عنه في صحيفة ١٢٤ ـ ١٣٨.

فإنْ أردت التجربة، فاحضر لكي أُقيم لك ـ من أيّة بلدة شئت ـ أكثر من مائة رجل وامرأة وطفل، يتكلّمون بمثل هذا الكلام، وأحسن منه بأكثر من مقدار معجزتكم.

---

١. أي خمسين ألف حرف. «منه ﷺ».

وإنْ أردت من المعجِز قدرةَ عليّ محمّد على كتابة الألف بيت.

قلنا: إنّ كثيراً من الكُتّاب يقدر في اليوم على كتابة هذا المقدار وأكثر منه، كما لا يخفى.

فكأنّك لا تدري بكُتّاب التجّار الكبار أيّ مقدار يكتبون عندما تكثر عليهم المراسلة ويضايقهم يوم البريد[1]، مع أنّهم يكتبون عن تأمّل وتقيّد بمطالب التجّار وحسابهم.

فهب أنّ عليّ محمّد يقدر على ذلك أو لا يقدر؛ نعم، من كان يمنع من صدقه في دعوته ما ذكرنا من الموانع، فإنّه يليق به أن يتشبّث بمثل هذه الأُمور، فأين الرشد؟ وأين الألباب؟!

## الشبهة الثامنة: [التفوّق العلمي!؟]

إنّ بعض الناس يزعم أنّ عبّاس أفندي قد فاق في هذا العصر بعلمه، فهو يدرّس في عكّا بجميع العلوم، وهذا معجز بين الناس، وبإعجازه تتمّ الحجّة.

فأقول: ليت شعري أيّ صناعة تنسب لعبّاس أفندي؟! وأيّ اكتشاف صدر منه؟! وأيّ اختراع برز عنه؟! وأيّ فنٍّ تفرّد به؟! وأيّ تصنيف اشتهر له؟! وكم هاجر من الغربيّين إلى مدرسة عكّا وتدريسِ عبّاس؟! وماذا تبحث الصحف الأُوروبّيّة في علوم عبّاس وآثارها؟!

فهذا العالَم وآثاره، وهذه الصنائع والعلوم وأخبارها، وها هم العلماء والحكماء وأسماؤهم، فلا تفضحونا بين الغربيّين، بل لا تفضحونا بين المستشرقين الذين أخذوا من علوم الشرق حظّاً وافراً، فلا تجعلوا دعاويكم عاراً على عامّة الشرقيّين.

ولئن سمعت عن الرجل من أصحابه طنينَ علمٍ وتدريس، فسلهم ما هي العلوم؟! وما هو التدريس؟!

---

١. البوسطة. (منه ﷺ).

أفلا تدري أنّ من نظر إلى كتاب جام جم، ودائرة المعارف، ورسائل فانديك، وحفظ ذلك سواداً على بياض، لَيبهر عقلك إذا هدر بمحفوظاته منها في أشتات العلوم، وأنواع الاكتشافات، واختراع الصنائع، وتراكيب الماكينات، وأسرار الكهربائيّة ؟! فتقول: إنّ هذا واحد الناس! وأنت لا تدري بأنّ له قشر المحفوظات، ولغيره اللباب!

ولئن غرّك من عبّاس معرفة بعض الألسن، فقد ذهب بفضل ذلك أطفال المكاتب!

أرشدك الله! إذا كنت تعرف أنّ العلمَ كمالٌ، فلماذا لم يكن عند عليّ محمّد ـ أساس دعوتكم ـ بقدر أطفال المكاتب من علم اللغة العربيّة والنحو والصرف، مع أنّه يدّعي إعجازه بالكلام العربي ؟!

أفما كان عليه ـ في شيمة الشرف والحياء ـ أن يتعلّم ما يصونه عن الغلط الفاحش الفاضح ؟!

أفهذه دعاوي المعاجز ؟!

أرشدك الله! إنّ تَعَرُّضي لذِكر هذه الشبهات ودفعها، قد كان لزيادة إيضاح الحقّ، ودفع الوساوس المختلجة في ذهنك، وإلّا ففيما ذكرناه ـ من الموانع الموضحة لبطلان دعوة البابيّة ـ كفاية لمن طلب الهدى وشرف الحقّ، وتحذّر من سخف الباطل وسوء عاقبته، أعاذك الله.

وإنّي أُحبّ أن أزيد في بصيرتك، وأُنبّه اعتبارك ووجدانك في بعض الأُمور، وأستلفت نظرك إلى الباقي، فإنّه لا يخفى على البصير أنّه لم يُسمع عن ذي شعورٍ وشرفِ نفسٍ، أنّه يريد أن يحمل البشر على الجهل العامّ الخسيس، والتقليد الأعمى، ويُلزِمهم بما فيه حرمانهم من فوائد المعقول والمنقول، فيعرّيهم من جلباب العلوم وشرف المعارف، ويحطّهم عن معارج الترقّي والكمال، ويصدّهم عن التقدّم في التمدّن والعلوم النافعة للبشر، ويأمرهم بما يكونون به همجاً وحوشاً أوباشاً، لا يعرفون إلّا كتب شخص واحد هي أُنموذج التخليط، والغلط الفاحش، والجهل، والكفر، والضلال، ومخالفة العقل والنقل!

ولكن، ما عشت أراك الدهر وأسمعك عجباً!

فهذا عليّ محمّد، أساس دعوة البابيّة، قد ذكر المؤرّخون أنّه نهى عن النظر في جميع الكتب ممّا عدا كتبه، وعن تعلّم جميع العلوم، وأمر بإعدام جميع الكتب ومحوها ممّا عدا كتبه، فصار أصحابه يعدمون ويحرقون كلّ كتاب ظفروا به حتّى القرآن!

وإنّا وإنْ لم نعثر إلى الآن على نصّ كلامه ذلك، ولكن حسين عليّ في كتابه الذي سمّاه \أقدس حجّة على البابيّة في ذلك إذا كابروا بتكذيب المؤرّخين، فإنّه قال ما نصّه: «قد عفا الله عنكم ما نزل في \البيان من محو الكتب، وأذِنّاكم بما تقرؤوا من العلوم ما ينفعكم». انتهى كلامه.

فإنْ قيل: إنّ عليّ محمّد لا يُلام في ذلك، فإنّ علم اللغة والنحو والصرف وكتبها توضح أغلاطه الفاحشة المستوعبة لكتبه، وإنّ كتب الأدب تبيّن سخافته ونقصه، وإنّ كتب الحديث تبيّن ما ذكرتَ بعضَه في أمر المهديّ بن الحسن العسكري عليه السلام، وذلك يبطل دعوى عليّ محمّد، ويوضح ارتداده عن الدين ـ كما تقدّم ـ وإنّ كتب الحكمة والكلام تبيّن أنّ دعوى البشر للإلهيّة كفر وضلال وسخافة، وتعلن بأنّ دعوى الرسالة لابُدّ أن تكون خاليةً من الموانع، مقرونةً بالمعجِز الطارق، وأنّ الرسول لا يكون ناقصاً.

قلنا: إذاً فما ذنب باقي العلوم كالمنطق والمعاني والبيان والعروض، وغيرها من العلوم في الرياضي والطبيعي؟! وما ذنب القرآن الكريم؟!

هذا حسين عليّ أيضاً يجعل الأمر بمحو الكتب مُنْزَلاً من الله، فهو شريك عليّ محمّد في هذه السخافة والشناعة، ولا يغسلها عفوه وإذنه بتعلّم العلوم!

فإنْ قلت: إنّ المسلمين يحرِّمون النظر إلى بعض الكتب، ويأمرون بإعدامها!

قلت: إنّ المسلمين يحرِّمون على غير الكاملين أن ينظروا في كتب الضلال والضرر على البشر، وهي الكتب المشتملة على ما حكم العقل والنقل بأنّه ضلال أو ضرر على البشر، كالكتب المتضمّنة للباطل، وكتب السحر ـ وهو التصرّف بأحوال البشر

من دون رضىً منهم ولا استحقاق للتسلّط عليهم ـ وهذا ممّا يمنعه العقل وكلّ شرع إلهي أو فلسفي.

ومع ذلك، فإنّ المسلمين لم يحرّموا النظر إلى هذه الكتب، ولم يأمروا بإعدامها مطلقاً، بل جوّزوا اقتناءها والنظر فيها للكامل الذي يريد الردّ عليها ويبيّن ضلالها؛ وأين هذا من أمر بابكم بمحو الكتب مطلقاً وإعدامها؟!

وهذا حسين عليّ، في أُخريات الباب الأوّل من كتابه إيقان، قد تبع عليّ محمّد على هذا الأدب، واستشهد بكلامه في بيانه، فصار يذمّ العلم، ويريد من الناس أن لا يهتدوا بهدى العلم ولا يستضيئوا بنوره، بل يريد منهم أن يخبطوا في ظلمات الأوهام بعمى جهلهم وشطحات أهوائهم، بلا نورِ حجّةٍ ولا هدى دليلٍ، فيتصرّفون في الحقائق الإلهيّة والكلام، ويتلاعبون فيها خبطاً، بلا تعقّل ولا ميزان ولا قانون عقلائي، وبلا رابطة شرعيّة ولا عقليّة ولا لغويّة ولا عقلائيّة! فقال ممّا قال:

العلم حجاب الأكبر، هيچ رائحه آن علوم ظلماني كه ظلمت اين همه بلاد را فرا گرفته استشمام نمى‌شود، از اين شجر جز بغي وفحشاء ثمرى نيارد، وجز غلّ وبغضاء حاصل نبخشد، ثمرش سمّ قاتل است، وظلّش نار مهلك، فنِعْم ما قال:

تَمسّكْ بأذيالِ الهَوى واخلَعِ الحَيَا وَخَلِّ سَبيلَ النـاسِكِينَ وإنْ جَلُّوا

پس بايد صدر را از جميع آنچه شنيده شده پاك نمود، وقلب را از همه تعلّقات مقدّس فرمود تا محلّ إدراك إلهامات غيبي شود، وخزينهٔ أسرار علوم ربّاني گردد، اين است كه مى‌فرمايد[1]: «السالك في النهج البيضاء، والركن الحمراء، لن يوصل إلى مقام وطنه إلّا بكفّ الصفر عمّا في أيدي الناس»[2]. انتهى.

---

١. يعني عليّ محمّد. (منه ﷺ).

٢. أي إنّ العلم هو الحاجز الكبير بين المرء وقلبه، ولا نشمّ أيّ رائحة لهذه العلوم التي ملأت أرجاء البلاد كافّةً، ولا نرى أيّة ثمرة سوى ثمرة البغي والفحشاء، والتي تعدّ سُمّاً قاتلاً، وظلّه نار مهلكة. كما قال الشاعر: تمسّك... ولهذا يجب إزالة وتطهير الصدر والفؤاد من جميع الشوائب التي تلوّثا بها، لكي يكونا محلّاً للفيوض الغيبيّة، ووعاءً لأسرار العلوم الربّانيّة، كما قال عليّ محمّد: ...

وَلَعَمْرُ الشرف والفضل والكمال والحياء، إنّ أمرهم متوقّف على ما طلبوه أشدّ التوقّف، فإنّ التعقّل والمعارف والعلوم العقليّة والشرعيّة والأدبيّة فاضحة لدعاويهم أيَّ افتضاح! موضحة لبطلانها أيَّ إيضاح!

فكيف تروج دعواه للمهدويّة، مع ما في أحاديث المسلمين المتواترة ـ وخصوص الشيعة ـ في نسب المهديّ وسلطانه ومَلْئِه الأرضَ قسطاً وعدلاً، كما سمعت بعضه من الأحاديث المتقدّمة في هذا المختصر[١]؟!

وكيف تروج دعواهم الرسالة من الله، مع ما سمعت بعضه من دلالة القرآن الكريم، والأحاديث المتواترة، على ختام النبوّة بمحمّد رسول الله ﷺ، وأنّه لا نبيّ بعده؟!

وكيف يروج تبديلهم لأحكام دين الإسلام، مع ما سمعت بعضه هنا من ختام النبوّة، وأحاديث الارتداد عن الشريعة، وأحاديث دوام شريعة الإسلام، وأنّ المهديّ ﷺ يعمل بالقرآن وسُنّةِ محمّد رسول الله؟!

وكيف تروج دعواهم الإعجاز بالبيان ونحوه، مع أقلّ المعرفة، والحياء، والمشي بالكلام على جادّة العقلاء في المحاورات، والخجل من الغلط؟!

وكيف يروج إنكارهم للمعاد الجسماني، مع ما ذكرنا بعضه من صراحة الآيات الكثيرة به، والتوبيخ الشديد والتسفيه على إنكاره، مع تطابق المسلمين والنصارى واليهود ـ ما عدا الصدّوقيّين[٢] منهم ـ عليه، والكلّ يعدّونه من ضروريّات دينهم؟!

---

١. تقدّم في ص ٢٨.

٢. الصدّوقيّون: هي فرقة صغيرة نسبيّاً ولكنّها مؤلّفة من مثقّفين جلّهم أغنياء وذوو مكانة مرموقة، هم عبارة عن رؤساء الكهنة والطبقة الارستقراطيّة الكهنوتيّة، وهم على خلاف طائفة الفريسيّين، فقد حصروا تعاليمهم في نصّ الكتاب، وأنكروا المعاد والجزاء الجسماني ذاهبين إلى أنّ النفس تموت مع الجسد. انظر قاموس الكتاب المقدّس: ٥٣٩.

وكيف تروج دعواهم لإلهيّة البشر، مع العلم من الضرورة والمعقول ودين الإسلام ببطلان هذه الدعوى وسخافتها، ورجوعها إلى الشرك الذي جاء الإسلام ليزيل رجاسته وضلاله؟!

نعم، نعم، لا تروج هذه الدعاوي إلّا بالانسلاخ عن جميع المعارف ومراتب الشعور، مع الخروج عن طريقة العقلاء وأهل اللسان، مع اتّباع الهوى وخلع الحياء كما قالوا.

ولا يخفى على البصير ـ أيضاً ـ أنّ كلّ شريعة مدنيّة إذا نَظَرَتْ إلى بعض الأفعال السيّئة، المخلّة براحة العموم وشرف المدنيّة، وحاولت أن تجعل للناس نكالاً على تلك الأفعال زاجراً عنها، فلابُدّ من أن يكون ذلك النكال زاجراً للنوع بحسب العادة، ولخصوص الصنف الذي يكثر منه تعاطي تلك الأفعال السيّئة.

فإذا جعل نكالاً معيّناً على قضاء القاضي بالجور، جعل ما يزجر نوع القضاة عن الجور؛ أو على سرقة الكيس من الجيب في السوق، جعل ما يزجر نوع الأخسّاء الذين يتعاطون ذلك.

ويُجعل النكال لِما يشترك فيه الأشراف والأخسّاء ما يكون زجراً للنوع الشامل للصنفين، بحيث تكون المواظبة على إجراء ذلك النكال ـ حسب شريعته ـ زاجراً نوعيّاً عمّا جعل له من الأفعال السيّئة، التي أرادت الشريعة أن لا يتلوّث التمدّن والشرف برجاستها.

ولا فرق في ذلك بين أن يكون الشارع نبيّاً مرسَلاً، أو فيلاسوفاً متمدّناً، فإنّ كلّاً منهما لابُدّ أن يلحظ هذه الحكمة في تشريعه، ولا تخفى عليه واضحاتها، وإلّا فليس بنبيّ ولا فيلاسوف، بل هو ضدّ ذلك.

فيا مَن يريد أن يعطي شرف المعرفة والإنصاف حقّهما! انظر إلى تشريع البابيّة، فكم ترى فيه ممّا هو جارٍ على ضدّ هذه الحكمة، مضادّة تؤول إلى الافتضاح؟! ثمّ قل بعد ذلك: تشريعُ مَن يكون هذا؟!

أفلا تنظر إلى الزنى وفتكه في شرف المدنيّة، وروح الشرف، والعفّة، وانتظام راحة العائلات، ونظام العِشرة، والتناسل؟!

ثمّ انظر إلى شيوعه بين أهل الثروة والفقراء، وكيف تُبذل فيه الأموال إذا تحرّك نابض الشهوة، وقدح زناد الشوق، ووسوس غمز الجمال!

ثمّ انظر هل تكفي ـ في الزجر عنه ـ شريعةُ البابيّة في تنكيل الزاني، بأن يدفع إلى بيت العدل ـ وهو بيت مالهم ـ تسعة مثاقيل من الذهب، كما ذكره حسين عليّ في الكتاب الذي سمّاه أقدس في أحكام شريعتهم؟!

أفلا تدري بأنّ أكثر الناس يدفع هذا المقدار للقائدين وإنْ حصّله بكدّ اليمين وعرق الجبين أو باع أسباب تعيّشه؟!

أفلا تنظر إلى ما جعلوه من الوظيفة لبيت العدل؟!

ثمّ التفت إلى ما يجنيه اللواطِ على ناموس العفّة، وشرف الأقوام، ونشأة الغلمان، وسؤدد الرجال، وما يحدثه من دناءة الأخلاق، وغريزة الصلافة والخسّة!

وقل: هل يصحّ للشارع الإلهي، أو الشارع الفلسفي، أن يكون مثل حسين عليّ في كتابه أقدس حيث أطال الكلام في التشريع، وذكر شريعة الزنى وغيره، حتّى إذا أتى إلى شريعة اللواط قال: «إنّا نستحي أن نذكر حكم الغلمان»؟!

فليت شعري من أيّ شيء استحى؟! وإنّ الله لا يستحي من الحقّ، كما نطق به القرآن الكريم[1]، فإن كان يستحي من ذِكر هذا الأمر وجريان القلم فيه، فقد ذكره وأجرى به قلمه، بل شبّب به[2] وأشار إلى لذّة فحشائه إذ كَنى عنه بالغلمان، والكناية أبلغ من التصريح!

فإنْ كان حراماً عنده فما الوجه في الحياء من بيان التحريم، بعدما ذكره على الوجه

١. في قوله ـ جلّ شأنه ـ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ سورة الأحزاب (٣٣): ٥٣.

٢. شَبَّبَ به: قال فيه الغزلَ والنسيبَ. لسان العرب ١: ٤٨١، «ش ب ب».

الذي أشرنا إليه؟! مع أنّ الحكمة والنظر في الأحوال يقتضيان إعلان تحريمه، والتوبيخ والوعيد عليه.

وإنْ كان يراه حلالاً طيّباً، فلا وجه للحياء من تحليله، كما صرّح بتحليل نغمات الغناء، وجعله مرقاة لعروج الأرواح إلى أُفقه الأعلى!

فماذا كان عليه لو صرّح بحلّه، وذكر شيئاً من محاسنه عنده، وقال:

إنّ الطورَ الذي يطوف حول مطلع الظهور، قد أطلقكم في حكم الغلمان، ولا يستحي من ذلك إذا هتف به النداء، من جنب الإملاء، ومكتوم الأسرار من سطر النار، وكان بقلم البهاء من قبل مرقوماً؟!!

ثمّ إنّ حسين عليّ في كتابه الطويل في التشريع ـ كتاب أقدس ـ لم يذكر في محرّمات النساء إلّا قوله: «حرّمت عليكم أزواج آبائكم»، ولا تقل: إنّه اعتمد في حكم باقي المحرّمات على القرآن! وذلك لوجهين:

**الأوّل**: أنّ هذا الحكم مذكور أيضاً في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[1] الآية، فلا وجه لذِكر هذا وحده والاعتماد في الباقي على القرآن!

**الوجه الثاني**: أنّ «الباب» قبل «البهاء» قد أبطل أحكام القرآن بالكلّيّة، فكان القرآن نسياً منسيّاً!

ومن أجل هذا وقعت المشاجرة بين الأخوين اللذَين سمّاهما أبوهما: غصن الله الأعظم، وغصن الله الأكبر، وهما عبّاس أفندي والميرزا محمّد عليّ، حيث أراد عبّاس أفندي أن يحرّم الأُخت والأُمّ وغيرهما من محرّمات القرآن، وأبى ذلك الميرزا محمّد عليّ ـ كما هو الأوفق بطريقتهم المبتدعة ـ إذ لم يذكر أبوهما لِما عدا زوجة الأب حكم التحريم!

وقد نصّ أيضاً على أنّ شريعته لا تتغيّر قبل مضيّ ألف سنة، وشدّد في ذلك، فليس

---

١. النساء (٤): ٢٢.

لعبّاس أفندي ـ حسب طريقتهم ـ أن يُحْدِث حكماً على خلاف أبيه!

هذا، وإنّي أهتف عوداً على بدء، مخاطباً لكلّ مائل إلى البابيّة قائلاً: أرشدك الله وهداك وسدّدك بلطفه وتوفيقه، إنْ لم يفدك ما كتبناه بصيرةً، ولم يوضح لك نهج الهدى، فأرجو أن تكتب كلّ ما عندك من الشبهات، لننظر فيها، ونتعاون على إزالة معاثر الأهواء عن طريق الحقّ والصراط المستقيم، فلسنا أعداء الحقّ، والحقّ أحقّ أن يتّبع.

فسبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

وصلّى الله على خير خلقه محمّد خاتم النبيّين، وتمام عدّة المرسلين، وآله الطيّبين الطاهرين، الحجج الميامين.

تمّت في يوم الخميس، شهر شعبان المعظّم سنة الألف والثلاثمائة وتسع وثلاثين من الهجرة.

# فهرس الموضوعات



## ١) أنوار الهدى

## ٢) البلاغ المبين



## ٣) مسألة في البداء

## ٤) التوحيد والتثليث

## ٥) أعاجيب الأكاذيب

## ٦) دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى



## ٧) الردّ على الوهّابيّة

## ٨) نسمات الهُدى ونفحات المهديّ



## ٩) نصائح الهدى